سلسلة
القصص القرآني

دكتور
حمزة النشرتي
عبد الحفيظ فرغلي د. عبد الحميد مصطفى د. محمد شعلان

المجلد السادس عشر

سلسلة

القصص القرآني

المجلد السادس عشر

دكتور

حمزة النشرتي

عبد الحفيظ فرغلي   د. عبد الحميد مصطفى

أسماء الله الحسنى

الاسم الأعظم - الله جل جلاله

التخلق بأخلاق الله

ثواب من أحصى أسماء الله

معانى أسماء الله

فضل الذكر

كلمة اخلاص

اداب الذكر

الرحمن الرحيم

الرحمن والهداية

الرحمن والرحيم فى القران

أسماء الله الحسنى

قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾[1]

وورد عن النبى - ﷺ - قوله : « إن لله - عز وجل - تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة »[2]

وقد وردت الاشارة إلى أسماء الحسنى فى قوله - تعالى : -

« ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » .

وفى قوله - تعالى -

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ ﴾[3]

وفى قوله - تعالى -

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ ﴾[4]

---

(١) الأعراف ١٨٠

(٢) رواه الترمذى وابن حيان والبيهقى عن أبى هريرة .

(٣) الاسراء : ١١٠

(٤) طه ٨

والآيات صريحة فى وجوب دعاء الله بأسمائه الحسنى . والدعاء هو الذكر ، يعنى ذكر الله بأسمائه الحسنى وصفاته المثلى . .

وقد دعا الله إلى ذكره صراحة حيث يقول :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾(٥)

وحيث يقول :

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾(٦)

وحيث يقول :

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ (٧)

وأسماءالله الحسنى كثيرة لا يكاد يحصرها أحد ، فهى أكثر كثيرا مما ورد فى القرآن الكريم والحديث الشريف . . . . . وهناك أسماء لا يعرفها الخلق وأسماء عرَّف بها خواصَّه والمقربين إليه ، وقد أشار إلى ذلك ماورواه الإمام أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى والحاكم عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ ماأصاب مسلما قط هَمٌّ أو حزن فقال : اللهم

---

(٥) الأحزاب ٤١ / ٤٢

(٦) الأعراف ٢٠٥

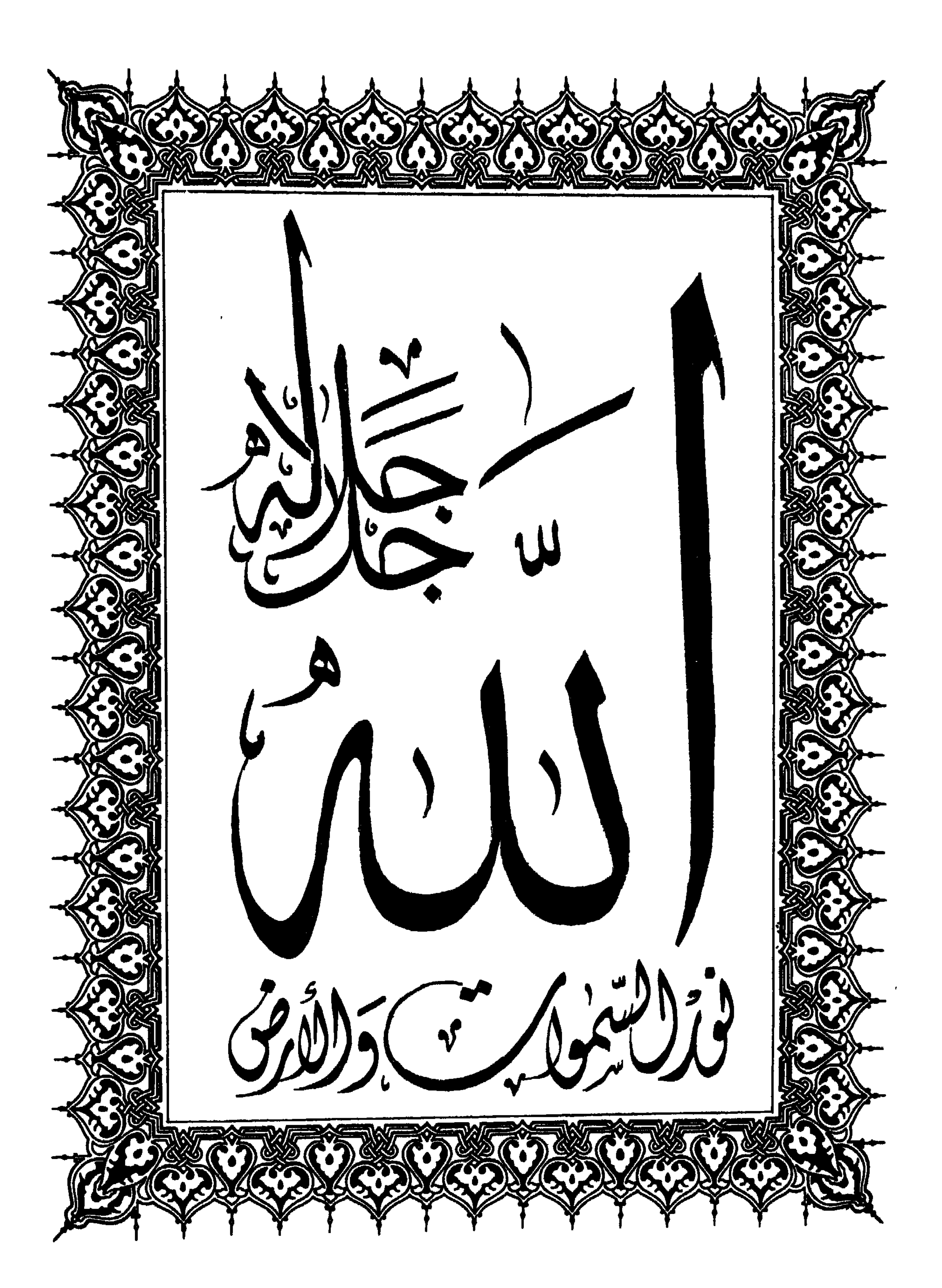
(٧) المزمل ٨

إنى عبدك وابن عبدك وابن أَمَتِك ، ناصيتى بيدك ، ماضٍ فىَّ حكمك ، عَدْلٌ فىَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علَّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، ونور بصرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى ـ الا أذهب الله ـ تعالى ـ همه وأبدل مكان حزنه فرحا » قالوا : يا رسول الله ، أفلا نتعلم هذه الكلمات ؟

قال : « بلى ، ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن » .

فهذا الحديث يشير إلى أن أسماء الله ـ تعالى ـ لا يحيط بها أحد من الخلق .

وسنحاول ـ بتوفيق الله ـ تعالى ـ أن نشير إلى ما وردت به الآيات والأحاديث الكريمة من تلك الأسماء ـ راجين من الله التوفيق والسداد والقبول وحسن الإمداد . .


جل جلاله
الله
نور السموات والأرض

الاسم الأعظم

الله ـ جل جلاله ـ

قال العلماء : الله ـ جل جلاله هو الأسم المفرد العلم لذاته القدسية . الجامع لجميع الصفات الإلهية ، والحياة الأزلية والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام . المنعوت بنعوت الربوبية . المتفرد بالوجود

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (٨)

الباقى بعد فناء خلقه . .

﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٩)

لقد سمى الحق ـ سبحانه ـ نفسه بهذا الاسم ، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ (١٠)

وقال ـ تعالى ـ :

---

(٨) البقرة ٢٥٥

(٩) الرحمن ٢٦ ، ٢٧

(١٠) طه ١٤

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ
ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ ﴾ (١١)

وقال - تعالى - :

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ ﴾ (١٢)

وقد ورد هذا الاسم « الله » فى القرآن الكريم ما يقرب من ثلاثة آلاف مرة ، وان أردت الإحصاء الدقيق فهو ألفان وسبعمائة مرة .

وقد استفتحت به آيات كثيرة منها :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ ﴾ (١٣)

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ

---

(١١) القصص ٣٠
(١٢) النمل ٩
(١٣) البقرة ٢٥٥ آل عمران ٢

مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾(١٤)

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾(١٥)

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾(١٦)

قال العلماء : الله هو الاسم الأعظم ، لأنه اسم واجب الوجود ، وقد أوردوا فى أصل ذلك اللفظ أقوالا متعددة .

ولنعد إلى كتب اللغة لنستهديها بيان ذلك :

قال ابن عطاء الله السكندرى : وقد اختلف العلماء فى هذا الاسم المفرد أمشتق هو أم لا ؟ والكلام فيه من ثلاثة أوجه :

أحدها من طريق اللغة .

الثانى من طريق الحكمة .

الثالث من طريق المعرفة .

فأما الوجه الأول طريق اللغة فعلى قولين : قائل باشتقاقه وإطلاقه وقائل بالتوقف عنه ومنعه . وحجة المتوقف قوله ـ تعالى ـ « هل تعلم له سميا »(١٧)

ويستطرد ابن عطاء الله السكندرى فى توضيح مدلول هذه الآية « هل تعلم له سميا » فيقول : إن فيها ثلاثة معان :

أحدها ، هل تعلم أحدا تسمى بهذا الاسم غير الله ؟

الثانى : هل تعلم أحدا يستحق من كمال الأسماء والصفات ما يستحقه

(١٤) النساء ٨٧ (١٥) النمل ٢٦

(١٦) الزمر ٦٢ (١٧) مريم ٦٥

الله ويتصف به حقيقة ؟

الثالث : هل تعلم اسما هو أعظم من هذا الاسم المفرد ؟ أو هل له اشتقاق من شيء كما يشتق لأسماء الخلق ؟ . . . . . إنه لا يشبهه شيء ، هو دال على ذات الإله الذى قامت به الصفات ـ بمثابة اسم العلم الدال على المسمى من غير اشتقاق له من شيء ، وهو اسم تفرد به الله ـ سبحانه وتعالى ـ واختصه لنفسه ، ووصف به ذاته ، وقدمه على جميع أسمائه ، وأضاف أسماءه كلها اليه ، وكل ما يأتى بعده من الأسماء نعت له ، وصفة لوصفه ومتعلقة به ، وتوصف سائر الأسماء بأنها أسماء الله ـ تعالى ـ ، وتعرف فى الأغلب بالاضافة إليه ، ويقال : إنها من أسماء الله ـ تعالى ـ

كما أن الاسلام لا يتم الا بذكر هذا الاسم ولا يقبل أن يحل غيره محله .
فلو قال : لا إله إلا الغفار أو الرحيم لايقبل منه .

بل يجب أن يقول : لا إله إلا الله . وبذلك نطق القرآن الكريم ، والحديث الشريف . ذاك لأن ذلك الاسم « الله » أدل على كنه المعانى الإلهية وهو بها أشهر وأتم وأظهر ، فاستغنى عن التعريف بغيره من الأسماء ، وعرِّف غيره بالاضافة إليه »[١٨] .

أما الذى يقول باشتقاقه فقد قال : إنه مشتق من الإلاهة والألوهة والألوهية ، وكلها بمعنى العبادة على أنه اسم بمعنى المعبود .

وقيل : إن لفظ الجلالة مشتق من أَلَه بفتح حروفه كلها ، بمعنى تحيرَّ ،

---

(١٨) الله ، القصد المجرد فى معرفة الاسم المفرد لابن عطاء الله السكندرى ص ١٣

لأنه سبحانه تتحير فى شأنه العقول والأفهام .

وقيل : مشتق من أَلِه - بكسر اللام - بمعنى سكن إليه ، لاطمئنان القلب بذكره - سبحانه - ، وسكون الأرواح إلى معرفته .

وقيل : مشتق من أَلُه - بضم اللام -

وقيل : مشتق من لاه بمعنى احتجب وارتفع .

وفى اللسان : الله أصله إلاه - قال - عز وجل -

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (١٩)

ولا يكون إلها حتى يكون معبوداً ، وحتى يكون لعابده خالقا ورازقا ومدبرا وقادرا عليه .... فمن لم يكن كذلك فليس بإله - وإن عبده بعضهم ظلما - بل هو مخلوق وعبد لله »(٢٠) .

وأوضح ابن عطاء الله معانى الكلمات التى اشتق منها الاسم . فقال : هو مشتق من ألفاظ تحمل معنى - الوَلَه ، والحجب ، والعلو .

فاما اشتقاقه من الوله فلأن أصله إله ، والإله هو الذى يُوَلَّهُ له - أى يقصد فى طلب الحوائج ، ويفزع إليه فى النوائب ، ويرجى فضله ويخاف عدله .

---

(١٩) المؤمنون ٩١

(٢٠) اسماء الله الحسنى(أحمد الشرباصى جـ١ ص ١٦)

واسم الله يوجب الوله ، إما لشدة طرب العبد وسروره ، وإما لفرط شدة حزن العبد وخوفه وذعره ، فيكون بين وقتينْ : وقت قبض ووقت بسط ،

ففى حالة القبض يوجب له هيبة تصاحبها دهشة ، وفى حالة البسط يوجب له قربة تصاحبها فرحة . فمن عرف ربه فزع اليه ودعاه ووله له وأعرض عمن سواه ، وآثر رضاه على هواه .

وأما اشتقاقه من معنى الحجب فأصله « لاه » ومعناه احتجب عن الخلق وحجب أبصارهم عن رؤيته فى الدنيا وفى ذلك يقول بعضهم :

لاهت فما عرفت يوما بجارحة   ياليتها ظهرت حتى رأيتاها

فمعنى لاهت : حجبت . .

ومن عرف ربه راقبه وحاسب نفسه ، وعلم أنه يراه من حيث لا يراه فهو يستحيى منه .

وأما اشتقاقه من معنى العلو والرفعة ، فأصله « لاه » أيضاً .

يقال : لاهت الشمس إذا علت وتوسطت قبة السماء فى علو مركزها ، واستوت حالة وقوفها .

هو اسم الله الأعظم

ذكر بعض السلف أن لفظ الجلالة « الله » هو اسم الله الأعظم ، ذلك أنه العلم المخصوص بالذات ، لا يشركه ـ سبحانه ـ أحد فيه ، ولأن كل الأسماء الأخرى مفتقرة إليه .

فقد اختار الله ـ تعالى ـ هذا الاسم لذاته وأفردها به بحيث لا يشاركه أحد غيره فيه ، لا بالمجاز ولا بالحقيقة ، وذلك لما يجتمع فيه من الأسرار والحكم والمعانى ، ومن الاختصاص والتعظيم .

وهو اسم جامع للمعانى اللطيفة والصفات السنية الشريفة ، بخلاف غيره من الأسماء الأخرى التى قد تختص بمعنى واحد أو معنيين ، وقد تشترك مع غيرها فى المعنى . كما يفهم ذلك من اسم : الخالق والفاطر والمبدىء ، ومن اسم : الرازق والمنعم والمحسن والمعطى والجواد والكريم .

أما اسم الله فمعناه لا يحصى ولا يعد ، ولا يحصر ولا يحد ، وكل الأسماء راجعة إليه ـ وتعرف به جميع الأسماء والصفات . .

وهذا الاسم يختص بأسرار ليست فى غيره من الأسماء ، وأسماؤه ـ تعالى ـ كلها عظيمة إلا أن هذا الاسم له تخصيص زائد تام كامل على سائرها .

ومن خواص هذا الاسم : أنه اسم كامل فى حروفه ، تام فى معناه ، خاص بأسراره ، مفرد بصفته .

وكما تحققت هذه الخصوصيات بالنسبة لِلَّفظ ، فقد تحققت له خصوصية أخرى من حيث المعنى . . فإنك إذا دعوت الله باسمه الرحمن أو الرحيم فقد وصفته بالرحمة ، وإذا دعوته باسمه القادر فقد وصفته بالقدرة وإذا دعوته باسمه الغفار فقد وصفته بالمغفرة ، وإذا دعوته باسمه القهار فقد

وصفته بالقهر . . أما إذا دعوته باسمه « الله » فقد وصفته بكل أوصافه العلية . .

وقد قال العلماء - فيما يحكيه ابن عطاء الله السكندرى - إن الأسماء الحسنى هى ألف اسم ، منها ثلاثمائة فى التوراة ، وثلاثمائة فى الإنجيل ، وثلاثمائة فى الزبور وواحد فى صحف إبراهيم ، وتسعة وتسعون اسماً فى الفرقان .

وقد جمعت معانى تلك الأسماء كلها وأدخلت فى التسعة والتسعين اسماً التى هى فى القرآن واحتوت عليها .

إن كل هذه الأسماء التى فى جميع الكتب أولها هذا الاسم « الله » . ولذلك كان هذا الاسم أكثر الأسماء جرياناً ونطقاً على الألسنة فى مختلف الأزمنة والأمكنة . مع اعتراف الجميع بقيوميته وقدرته ، حتى انك لو سألت الكفار نطقوا به قال - تعالى -

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٢١)

وتجد أن هذا الاسم الكريم يَرِدُ على كل لسان بقصد وبغير قصد ، فى أى

---

(٢١) الزمر ٣٨

أمر يحاول الانسان فعله .

وحين افتتح القرآن بالبسملة ، كان اسم « الله » فى مقدمة الأسماء التى جاءت . . قال ـ تعالى ـ « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وجاء فى الحديث الشريف « إن الله تعالى قال :

« أنا الله لا إله إلا أنا الرحمن الرحيم سبقت رحمتى غضبى » .

التخلق بأخلاق الله

وقد دعا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى التخلق بأخلاق الله . . وهى الأخلاق التى تشير إليها بعض معانى الأسماء ما عدا لفظ الجلالة . . فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « تخلقوا بأخلاق الله » وقال : « إن لله مائة خلق فمن تخلق بواحد منها دخل الجنة » .

ويقصد بهذه الأخلاق ما يكون فى مقدرة البشر كالحلم والعفو والصبر والتخلق بالأسماء جائز ، ومن البديهى معرفة الفرق بين التخلُّق والخُلُق ، فالتخلق هو التشبه بصفة من صفات السيد ، وذلك عن طريق السلوك وتأديب النفس وترويضها على صفة الحلم أو الكرم أو الصفح عن الزلات أو العفو عند المقدرة أو غير ذلك ـ وهى أسماء لله تعالى ، فهو ـ سبحانه ـ كريم حليم عفو غفور صبار شكور . .

ومن المعروف أنها صفات كاملة فى حق الألوهية ، ولكنها ناقصة مستعارة

فى حق البشرية ، ولا يمكن القول بأن هناك مشابهة بين القديم والحادث إذا ما حاول العبد أن يتخلق بصفة من هذه الصفات . . . فإن صفات الحق أزلية منزهة وليست حادثه - وجل الذى يقول

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾(٢٢)

ولكن يقال : إن العبد بتخلقه بذلك حصل له ما يناسب هذه الصفات ويشاركها من حيث الاسم فقط . . . وذلك فى عموم الصفه دون خواص المعانى .

فإذا استطاع العبد أن يتخلق بصفة اسم الصبور أو الشكور أو الحليم أو العفو أو الكريم ، فإنه لا يستطيع ولا يتسنى له أن يتخلق بصفة اسم « الله » لأنه من خصائصه سبحانه لا يمكن لمخلوق أن يشركه فيه أو يتسمى به أو يتخلق به .

أثر التخلق بأخلاق الله

والنبى - صلى الله عليه وسلم - حين يدعو الناس إلى التخلق بأخلاق الله فى قوله « تخلقوا بأخلاق الله » إنما يدعو لتحقيق كمال النفس الانسانية

---

(٢٢) الشورى ١١

وتهذيبها وترقيتها لتكون جديرة بمقام الخلافة عن الله سبحانه وتعالى فى الأرض .

ويتم ذلك كما يقول المحققون بثلاثة أشياء : أولها زيادة المعرفة بالعلم والتقوى ، وثانيها الحرية من رق الشهوة والهوى ، وثالثها تزكية النفس بالتخلق بأخلاق المولى .

فإن أشرف المعرفة معرفة الله ـ تعالى ـ بأسمائه وصفاته ، وأشرف الحرية الخروج عن رؤية النفس ودعواها بالكلية ، وأشرف تزكية النفس الاتصاف بكل خلق وأدب حسن عقلاً وشرعاً ، فيكون المتصف بهذه الأوصاف مخصوصاً بالدرجة العليا والمقام الأسنى متصفاً بصفات الكمال الملكى ، متنزهاً عن صفة النقص البهيمى ، منسلخاً عن مذموم ظلمة الأوصاف البشرية ، مبتعداً عن غلبة الشهوة والهوى والشره الطبيعى ، فعند ذلك تحصل له نسبة القرب بينه وبين الملائكة بالوصف العقلى النورانى ، وتقع المناسبة بالشبه والمشاركة فى الصفات لفظاً ، لا كمالاً ، لأن النقص موجود فى المحدث ، والكمال حقيقة فيمن لا نظير له فى ذاته ولا فى صفاته[٢٣] »

من أحصى أسماء الله دخل الجنة

وقد ورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » وفى رواية : « من حفظها دخل

---

(٢٣) الاسم المفرد لابن عطاء الله السكندرى ص ٢٦

الجنة » فما المقصود بالحفظ أو الإحصاء ؟

أجاب العلماء عن ذلك بقولهم :

الناس فى إحصاء الأسماء أصناف - فمنهم من أحصاها تصديقاً واعتقاداً ورواية ومقالاً .

ومنهم من أحصاها حفظاً وعداً وسلوكاً وحالاً .

ومنهم من أحصاها ذكراً وعِلْماً ومحافظة ومعرفة وتخلقاً وكشفاً وتعظيماً وإجلالاً .

وكل من هؤلاء موعود بالجنة ، والجنة درجات ، تصديقاً لقول النبى - صلى الله عليه وسلم - « إن فى الجنة لمائة درجة ، وإن ما بين الدرجتين لكما بين السماء والأرض ، أعدهن الله - تعالى - للمجاهدين فى سبيله »

فمن أقر بفضل أسماء الله - تعالى - وقرأها فهو المسلم وله الإفادة .

ومن عرفها ودراها فهو المؤمن وله الزيادة .

ومن علم معانيها وعمل بمقتضاها واتصف بها فهو العارف وله الأمن والطمأنينة .

معانى الأسماء

يقول العلماء : إن معانى أسماء الله الحسنى تدور حول أربعة أقسام فالقسم الأول منها : ما يدل على الذات الكريمة الجليلة المنزهة القديمة العظيمة . وذلك كل ما دلت به التسمية على وجود ذاته وهو راجع إلى

نفسه : كحى ، وموجود ، وباق ، ودائم ، وأزلى ، وقيوم . .

وما هو من هذه الأسماء فهو اسم للذات العلية ، ويقال : إنه هو الاسم وهو المسمى .

والقسم الثانى ما يرجع إلى صفة ذاته القديمة ، وهو ما لا يقال إنه هو ولا انه غيره ، وذلك هو كل ما دلت التسمية به على صفة ذات نفسه . ومن هذا القسم صفات تختص بنفس ذات البارى ـ سبحانه وتعالى ـ كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام . . ومنه صفات تختص بالإرادة كالرحمن والرحيم والغفور والعفو والحليم والودود واللطيف .

ومنه صفات تختص بالقدرة كالقوى والغالب والقاهر والقادر .

والقسم الثالث ما هو راجع إلى صفة أفعاله كالبارىء ، والمصور ، والخالق ، والوهاب ، والمحيى ، والمميت ، والرازق ، والباسط ، والقابض ، والرافع ، والخافض ، والمعز ، والمذل ، والحكم ، والعدل ، والمحسن ، والفتاح ، والباعث ، والرقيب ، والوارث ، والمجيب ، والكافى ، والمعافى ، والشافى ، والمعطى ، والمانع ، والوكيل ، والواسع ، والمقسط ، والجامع ، والضار ، والنافع ، والمبدىء ، والمعيد ، والهادى ، والرشيد ، والمقدم ، والمؤخر ، والتواب ، والبار ، والمنتقم ، والمعين ، والولى ، والمبين . .

والقسم الرابع يرجع إلى صفة التنزيه ، ويقال عن الاسم : إنه هو هو ، والاسم والمسمى فيها واحد ، كأسماء الذات . وهى الأسماء التى تدل على نفى النقائص كلها عن الله ـ عز وجل ـ وذلك مثل أسماء : عزيز ، وجبار ،

ومتكبر ، وكبير ، ومولى ، ومتعال ، وذى الجلال والاكرام ، وجليل وعظيم ، وَعَلِيّ ، ومؤمن ، ومهيمن ، وغنى ، وقدوس ، وسلام . .

ولفظ الجلالة « الله » جامع لهذه الأشياء كلها ، وهى كلها شارحة له ومشيرة إليه . .

وإن تعددت الأسماء فالمقصود منها واحد ، وهو الله - جل جلاله ، وكل الأسماء هى صفته ونعته ، وهو أولها وأصلها .

خفة هذا الاسم - الله - على ألسنة الخلق

ومن لطف الله - تعالى - بخلقه ورحمته بهم ، أنه أظهر من علمه وقدرته بهذا الاسم ما احتملته عقول خلقه ، ليصلهم به ، ويعرفهم عليه ، ويهديهم إليه ، وقد خفف ذكره على ألسنتهم وسهله عليهم ليهتفوا به فى سرّائهم وضرّائهم ، ويسرهم وعسرهم ، وأظهره لهم إظهاراً بيناً فى « بسم الله الرحمن الرحيم » . . . . به تستقيم الأمور ، وبذكره يسهل كل عسير ، وتقضى كل حاجة ، ويتم كل مأرب ، وبه يبتدىء المبتدىء فى كل أسبابه . . . . . لا تسعه سماء ولا أرض ، ولا يحده طول ولا عرض ، ولا يحيط به تخمين أو فرض . وصدق الذى يقول : « كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك »

هو الحى والقيوم جل جلاله — فعظيم عُظْم الكبرياء رداه
أغنى وأقنى واستنار بنوره — كل الكيان وجوّه وسماه

فالأرض مشرقــة بنــور جمــاله   والفضــل مُنْفَطِر بهــدى هــداه
الله الله العظيـــم محـــدنا   بقــوى ، يُبَلِّغُنــا العــلوم اللهُ

سبحانه هو المنفرد بالأحدية ، المنعوت بالصمدية ، الذى لا يتمثل فى الخاطر ، ولا ينكيف بالعقل ، الموصوف فى ذاته وصفاته بصفة الاستغناء والكمال ، والقدرة والتعظيم والجلال .

« قل هو الله أحد الله الصمد . الذى لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد » .

إن اسم الله العظيم يستولى على الألباب ، ويتمكن فى القلوب ، ويتربع على عرش العارفين من عباده حتى يقول بعضهم :

أحــرف أربــع بــها هــام قلبــى   وتلاشــت بهــا همــومى وفكــرى
ألــف قــد تألــف الخلق بالصُّــنْع   ولام على المــلاحة تجـــرى
ثـــم لامٌ زيــادة فى المعانـــى   ثــم هــاء بهــا أهيــم وأدرى

معانى هذه الحروف

إن حروف لفظ الجلالة « الله » تدل على معان رائعة ، ولعل هذا الشاعر قد أشار إلى بعضها ، وأشار غيره من العلماء إلى معان أخرى . فقد قالوا : إن لكل حرف من هذه الأحرف معنى يختص به ، كما أن لكل اسم من أسمائه تعالى معنى يختص به .

فالألف مشتق من الألفة والتأليف ، ألف به جميع خلقه على توحيده ومعرفته ، فإنه إلههم وموجدهم وخالقهم ورازقهم .

يعرفون ذلك لأول وهلة

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (٢٤)

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٢٥)

وألف قلوب عباده على محبته وعبادته وطاعته فى الايمان والتوحيد .

وألف قلوب عباده بالفضل والإحسان والعطاء وجعله رزقاً مقسوماً لهم .

والألف أول الحروف الهجائية ومفتتحها ، وهو أشرف حروف المعجم خطراً وأجلها قدراً وبقية الحروف متولدة منه . .

والألف فى العدد واحد ، والواحد استفتاح لجميع الأعداد ، وأولها . . . . وفيه إشارة إلى عمود التوحيد الذى به قوام كل عالم فى الوجود ، ولا يسبق الواحد عدد كما أنه لا يسبق الله موجود . .

---

(٢٤) الزخرف ٨٧

(٢٥) الزمر ٣٨

أما اللام الأولى فهى إشارة إلى لام الملك ، فإذا حذفت الألف من لفظ الجلالة صار الاسم « لله » وأصبح المعنى لله كل شىء فى الوجود ، كما يبدو ذلك فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) ﴾ (٢٦)

وكما فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢) ﴾ (٢٧)

ويفهم هذا المعنى أيضاً من اللام الثانية ، فهى لام الملك أيضاً ، ولا شك أن الله هو الملك وهو المالك ، لا شريك له فى ذلك .

أما الهاء فهى تشير إلى مطلق وجود الحق وإثبات وجدانيته ، واحاطته بجميع الأشياء كلها .

---

(٢٦) البقرة ٢٨٤

(٢٧) الأنعام ١٢

فضل هذا الاسم وشرفه

لقد دعا الله الناس إلى ذكره فقال :

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[28]

وقال :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾[29]

ودعا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس إلى ذكر الله فقال : « سبق المفردون ، قالوا : يا رسول الله ، وما المفردون ؟ قال : هم الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » .

وفي حديث قدسي « أنا جليس من ذكرني »

وذكر الله يكون بترديد اسمه ودعائه ، وذكر اسم الله من أسمى العبادات . لأن العبادات المفروضة موقوتة بأوقات ما عدا الذكر فليس له وقت موقوت أو حد محدود ، أو عد معدود .

بل لقد دعا الله إلى ذكره كثيراً ، وأثنى على الذاكرين الله كثيراً والذاكرات وأعد لهم مغفرة وأجراً عظيماً .

---

(٢٨) البقرة ١٥٢
(٢٩) الأحزاب ٤١ ، ٤٢

وفى مقدمة الأسماء الحسنى التى يذكر الله بها لفظ الجلالة ، وقد علّمنا الله كيف نذكره عن طريق مخاطبته لنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث قال له :

« قل هو الله أحد »

فقد أمره بأن يقول : هو الله أحد . . وهى أسماء توسطها لفظ الجلالة فكان واسطة العقد بينها .

وحيث قال له :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (٣٠)

فقد أمره أن يستعين بذكر الله للتغلب على ما يعترضه من عقبات وما ينتابه من مضايقات . ففى ذكر الله أنس وهداية ونور ، وفيه إمداد من الله بالقوة المعنوية المعينة على تذليل الصعاب والتغلب على المشقات . فإن الله هو القوى القادر ، ولا حول ولا قوة إلا به . وقد ورد عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : شكونا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حر الرمضاء فلم يُشْكِنا وقال : « استعينوا بلا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها تذهب

(٣٠) الأنعام ٩١

سبعين باباً من الضر أدناها الهم[٣١] .

وقد قال الله فى حق الذكر

﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ۝٤٥ ﴾[٣٢]

وفيه دلالة على عظمة الذكر وأهميته . وفى الذكر بهذا التعبير « الله أكبر » أوجه من الفضل .

منها أن الله جعل هذا التعبير مفتتحاً للصلاة التى هى عماد الدين ، وهى الصلة بين العبد وربه .

ومنها أن ورودها فى القرآن الكريم فى سياقها من الآية يشير إلى أن ذكر الله لنفسه وتوحيده وتمجيده أكبر وأعظم من ذكر خلقه له وتوحيدهم إياه .

ومنها أن ذكر هذا الاسم أى « الله » أعظم من ذكر غيره من أسمائه .

ومنها أن ذكر الله فى الصلاة أفضل وأكبر من ذكره فى غير الصلاة .

فضل الذكر

وفضل الذكر أشهر من أن ينكر ، ويكفى فى ذلك قول الله فى الحديث القدسى

---

(٣١) أبو نعيم الأصفهانى ـ لعبد الحفيظ فرغلى ـ سلسلة أعلام العرب ص ٥٠

(٣٢) العنكبوت ٤٥

« أنا جليس من ذكرنى »

فهل هناك أعظم منزلة من مجالسة الله ؟

ويقول فى حديث قدسى آخر « أنا عند ظن عبدى بى إذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى وحده ذكرته وحدى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه »

ويصدق ذلك قوله ـ تعالى ـ

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (٣٣)

إن الذكر ينجى من الهم والغم ، ويرفع درجات العبد ، ويقر به الى الله ويصفى مرآة قلبه فيذهب ماران عليه من غشاوة المعصية وظلمة البعد ، ويملؤه نوراً فيرى بعين بصيرته مالاتدركه عين بصره ، وصدق الله حيث يقول :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٣٤)

روى أبو الدرداء عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأرفعها فى درجاتكم وأزكاها عند مليككم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا

---

(٣٣) البقرة ١٥٢

(٣٤) الحج ٤٦

أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟

قالوا : بلى .

قال : ذكر الله »

ومن ذكر الله بإخلاص أجابه ، فإن ذكره داعيا حقق رجاءه :

قال تعالى . .

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٣٥)

وان ذكره شاكرا زاده من نعمته :

قال سبحانه :

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٣٦)

وإن ذكره العاصى تائبا قبل توبته ، وإن ذكره مستغفرا غفر له . وإن ذكره فى غمه أذهب غمه وفرج ضيقه وأذهب عسره .

لقد قال علماء القلوب : إن فى ذكر الله ـ تعالى ـ خمس خصال سنية تعود على الذاكر . .

أحدها أن الله يرضى عنه

---

(٣٥) غافر ٦٠

(٣٦) ابراهيم ٧

وثانيها أن يرفق قلبه
وثالثها أن يزيده من الخير
ورابعها أن يحفظه من الشيطان
وخامسها أن يعصمه من ركوب المعاصى . .

ونضيف إليها أن فى الذكر عصمة من المؤاخذة والنقمة . . . . . فقد ورد فى قول بعض الأكابر : إن الصواعق لاتصيب الذاكر . وإذا كان قد ورد فى حق الوضوء أنه سلاح المؤمن ، فبالأحرى أن يكون الذكر أمضى سلاح وأقواه .

وفى الذكر طمأنينة القلب وراحته ، وقد قال الله ـ تعالى ـ فى ذلك :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٣٧)

والذكر قد يكون باللسان ، بأن يردد اسم الله بلسانه ، وهذا ذكر عامة الخلق .

وذكر بالقلب ، وذلك بأن يستحضر الذاكر اسم الله فى قلبه دائما ، وهو ذكر خواص المؤمنين .

وذكر بالروح ، وهو لخاصة الخاصة من العارفين الذين لايغيب الله عنهم فى سرائرهم طرفة عين . .

---

(٣٧) الرعد ٢٨

كلمة الإخلاص

وتشتمل كلمة الاخلاص وهى « لاإله إلا الله » على لفظ الجلالة . . . فأولها نفى وآخرها إثبات ، وهى أفضل كلمة يقولها المسلم ، وهى طريق العبد للدخول إلى حظيرة القدس ونور الايمان ، قال عليه الصلاة والسلام :

« أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلى : لاإله الا الله »

وقيل فى حقها : إنها لو وضعت فى كفة ووضعت السموات والأرضون فى كفة لرجحت كفة لاإله إلا الله .

ولا إله الا الله لعامة الناس طهارة لأفهامهم وتزكية لأعمالهم ، فيها إثبات للوحدانية ، ونفى للشرك .

وهى لخاصة الموحدين قوة فى إيمانهم وزيادة فى نور آمالهم . .

وقد ورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله « كلمة التقوى لاإله إلا الله »

فهى كلمة التقوى كما هى كلمة الاخلاص .

ومعناها : لامعبود بحق الا الله . ويؤيدها من القرآن الكريم قوله تعالى ـ

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (٣٨)

---

(٣٨) البقرة ١٦٣

وقوله - تعالى -

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾ (٣٩)

وقوله - تعالى -

﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٤٠)

وكما تسمى هذه الكلمة كلمة التقوى والإخلاص ، تسمى كذلك كلمة الاحسان وكلمة العدل ، والكلمة الطيبة ، والكلمة الثابتة ، والكلمة الباقية ، وفى حق الذكر بها قال - صلى الله عليه وسلم - : « أفضل الذكر

---

(٣٩) النساء ١٧١
(٤٠) المائدة ٧٣

لاإله إلا الله » . .

إن المتعلق قلبه بالذكر قريب من الله ، ويستشعر قرب الله منه فلا يخشى أحداً غيره ولايهتم بشىء سواه ، ولايرغب فى شىء الا رضا الله . .

ومعنى ذلك فيما ذكره ابن منظور فى لسان العرب : لم يجد أحدا يعجبه ، ولم يحب إلا الله . .

وفسره ذلك بعض العلماء قائلا : إذا وقع العبد فى عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية ، وصرف همه اليها أحب الله حتى لايميل قلبه الى أحد ، بعد أن امتلأ قلبه بحب الله . .

لقد عشنا فى رحاب هذا الاسم الكريم الذى ورد فى كلام بعض العلماء أنه اسم الله الأعظم .

وإن كان بعضهم لايرى ذلك محتجا بأنه لايجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض ، فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل ، وحملوا ماورد من ذلك على أن المراد بالأعظم العظيم ، وعلى ذلك فكل اسم من أسمائه تعالى ـ يجوز وصفه بالأعظم ويرجع إلى معنى العظيم .

ويرى بعضهم أن اسم الله الأعظم مختف بين أسمائه ـ تعالى ـ مستدلين بحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ : أنها سألت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يعلمها الاسم الأعظم ، فلم يفعل . . . . . فصلت ودعت : اللهم إنى أدعوك الله ، وأدعوك الرحمن ، وأدعوك الرحيم ، وأدعوك

بأسمائك الحسنى كلها ماعلمت منها ومالم أعلم . فقال لها ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إنه لفى الأسماء التى دعوت بها .

أجل ، إنه لفى هذه الأسماء التى قال الله فى حقها

« ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها »

اللـــه ربـى سـبحانه سـجدت لنـوره الأرض والسـموات
مـدبر المـلك ، واحـد ، أحـد غـامـرة خلقـه العطـيات
نـور على نـور ، لاشـبيه له له بكـل الوجـود آيـات[41]

ـ فاهتف باسم الله ، قائلا فى تودد وخشوع : الله الله ـ فإنك إن كررته وثقت صلتك بالله ، وشددت قلبك بحبل منه لاينقطع باذن الله . .

ولايصرفنك عن ترداده قول من يقول : إن ترداد هذا الاسم وحده لايفيد الا إذا أضيف اليه مايكمل معنى الجملة كأن تقول : الله موجود ، الله قادر . . .

كلا إن ترداد هذا الاسم وحده يدل على أقوى المعانى وأجلها وأكملها ، فان الذاكر به لايذكره الا وهو متمثل قدرة الله وقيوميته ورحمته وعظمته وإحاطته وعفوه وغير ذلك مما يرد على الخاطر . .

إن مجرد ذكر هذا الاسم وحده كفيل بتحقيق كافة مايحتاج إليه العبد من إمدادات روحية وقوى معنوية . فاسم الله غنى عن الاضافات ، وغير مفتقر

---

(٤١) أسماء الله الحسنى لأحمد مخيمر ص ١٩

الى مايكمل معناه أو يوضح محتواه ..

آداب الذكر

وقد أفاض العلماء فى الحديث عن آداب الذكر الشرعى الذى دعا اليه الشرع الحنيف ، ونحن نجمل ماقالوه فى هذه السطور :

من شروط صحة الذكر أن تكون كلمة التوحيد ولفظ الجلالة خارجه من مخارجها الأصلية ، بالألفاظ الواضحة ، وباللغة الفصحى من غير تحريف أو ابتداع .

جاء فى الشرح الصغير[٤٢] : قال شيخنا الأمير : اعلم أن جميع كلمة التوحيد وهى « لاإله إلا الله » مُرَقَّقة ولا يُفَخَّم منها الا لفظ الجلالة فقط ، ولايجوز فى الأفصح نقص أداة النفى التى بعدها الهمزة عن حركتين ، وتجوز الزيادة الى ست حركات ، والحركة مقدار ضم الإصبع أو فتحه بحركة معتدلة . وأما مَدُّ كلمة الجلالة فلايجوز نقصه عن حركتين ، وهو المد الطبيعى ، وأما إذا سكنت هاء الجلالة للوقف فتجوز الزيادة والمد ست حركات ، ويجوز التوسط .

وقد نهى العلماء عن الوقوف على كلمة « لااله » لما فيه من إيهام التعطيل ، بل يجب وصلها بسرعة بقوله « إلا الله » ولانفخم أداة النفى ، ولانضم الشفتين عند النطق بها ، ولاتبدل الهمزة ، ولا يزيد مد « إله » عن المد الطبيعى .

---

(٤٢) الشرح الصغير للامام الدردير جـ ٢ ص ٥٠١

وليحذر من مد همزة « الله » لئلا تصير استفهاما ، وهذا واقع كثيراً ، بل كثيرا مانرى ونسمع أصواتا ساذجة وأفعالا خارجة وبدعا مكروهه

ومن ذلك ندرك عناية العلماء بتصحيح مادة الذكر تصحيحا تاما حتى لايقع الذاكر فى خطأ ما - يقطع عليه مدد انتفاعه ، لأن ألفاظ الذكر لها أنوار متصلة بين الذاكر والمذكور ، فينبغى أن تكون هذه الألفاظ على صحتها اللغوية الكاملة من حيث النطق والصحة فى الإعراب ، والأداء الكامل من حيث المد والقصر والترقيق والتفخيم .

وينبغى أن يراعى الذاكر الآداب الواردة فى مجالس الذكر من وجوب الطهارة ومراعاة الخشوع والمراقبة وحضور القلب واستحضار الهمة .

على أن حضور القلب وإن كان مطلوبا فى حال الذكر فإنه ليس بمتهيىء لكثير من الذاكرين ، ولكن ذلك يجب ألا ييئسهم من مداومة الذكر ، فان الذين مَنَّ عليهم بنعمة الذكر يوشك أن يَمُنَّ عليهم بنعمة حضور القلب فى الذكر ، حتى تصبح هذه الحالة - بالمران والتدريب - موهبة مصاحبة لهم .

ويعلق بعض العلماء على ذلك بقوله : اذكر ربك فى حال الحضور وفى حال الغفلة باذلا مجهودك فى الأمر حسبما أمر الله - تعالى - به إذ قال

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ

﴿ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾[43]

ومن المعلوم أنه لايتقيد بحضور ولاغيبة . قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ للذى استوصاه : « لايزال لسانك رطبا بذكر الله » فلم يدله إلا على ذكر اللسان لأنه هو الذى فى مقدور العبد ابتداء ودواما .

إن فى وجود الذكر تعرضا لنفحات رحمة الله ، ولعل هذا يؤدى إلى أن يرفع الله الذاكر مما هو أدنى إلى ماهو أعلى . قيل لبعضهم : مالنا تذكر الله باللسان والقلب غافل ؟ فقال : اشكر الله على ماوفق من ذكر اللسان ، ولو أجرى مكانه الغيبة ماذا كنت تصنع ؟ ثم قال : والله أكرم من أن يحضر العبد بلسانه ثم لايمن عليه بحضور قلبه .[44]

لقد قال العلماء : إن الذكر منشور الولاية ، فمن أعطيه فقد أعطى المنشور . ومن استدام ذكر الله على لسانه سرى ذلك ـ لاشك ـ فى وجدانه ـ أراد أم لم يرد . وهو فى نظرى أشبه بقطرة الماء التى تتساقط من الصنبور على الأرض لاتلبث أن تتخلل ماتتساقط عليه حتى تشمل ماحولها فيخصب وينتج .

ولذكر الله ـ تعالى ـ فضله وأثره فى جلاء القلوب وشفاء أمراضها وتمزيق حجب الغفلة عنها . والحث عليه وعلى ملازمة مجالسه لاينكره إلا جهول

---

(٤٣) البقرة ٢٠٠

(٤٤) شرح الحكم العطائية ص ١٠٠

غبى أو محروم شقى ، وقد قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٤٥)

وقال :

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾(٤٦)

وروى مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد ـ رضى الله عنهما ـ قالا : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لايقعد قوم يذكرون الله إلا حفّتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »

وغير خاف أن هذا الفضل كله إنما هو بالنسبة لمجالس الذكر الشرعى ، المضبوطة بضابط الشريعة الغراء ، المراعى فيها جانب الأدب مع الله ـ تعالى ـ الخالية مما أحدثه الجهال والأدعياء من الاستهتار والهزل ، ومن التحريف لأسماء الله تعالى ـ وغير ذلك مما لاتقره الشريعة(٤٧)

---

(٤٥) العنكبوت ٤٥

(٦ط) الكهف ٢٨

(٤٧) من نفحات الدومى ـ مجموعة محاضرات ومقالات الشيخ أحمد عبد الجواد الدومى ص ٣٣٨ دار غريب للطباعة



« الرحمن » « الرحيم »

ورد لفظ الرحمن فى القرآن الكريم سبعا وخمسين مرة .

وورد لفظ الرحيم خمسا وتسعين مرة . .

هذا فيما عدا البسملة التى وردت فى أول كل سورة ـ ماعدا سورة براءة .

وقد ذكر الاسمان فى البسملة « بسم الله الرحمن الرحيم » واستفتح بها القرآن الكريم ، فهى أول آية فيه . .

قال القرطبى : اختلف العلماء فى اشتقاق اسم الرحمن ، فقال بعضهم : لااشتقاق له ، لأنه من الأسماء المختصة به ـ سبحانه ـ

ولو كان مشتقا من الرحمة لاتَّصَلَ بذكر المرحوم ، فجاز أن يقال : الله رحمن بعباده ، كما يقال : رحيم بعباده .

ولو كان مشتقا من الرحمة لم تنكره العرب حين سمعوه ، فقد كانوا لاينكرون رحمة ربهم .

ولكنهم استنكروا هذا الاسم حين سمعوه ، وأخبر القرآن الكريم بذلك حيث قال :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ٦٠ ﴾ (٤٨)

---

(٤٨) الفرقان ٦٠

ولما كتب على ـ رضى الله عنه ـ فى صلح الحديبية بأمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « بسم الله الرحمن الرحيم » قال سهيل بن عمرو : أما بسم الله الرحمن الرحيم ـ فما ندرى مابسم الله الرحمن الرحيم ، ولكن اكتب مانعرف : باسمك اللهم .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٤٩)

وكان مسيلمة الكذاب قد سمى نفسه الرحمن ، فلما سمع الكفارُ المسلمين يقرءون : بسم الله الرحمن الرحيم ـ قالوا لانعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة . .

وعلى هذا فهذا الاسم غير مشتق مرتجل ، ولم ينقل من الرحمة . .

ولكن بعض العلماء يقولون : انه منقول ومشتق من الرحمة ، وقد بُنِيَ على هذه الصيغة لمقتضى المبالغة ، ومعناه : ذو الرحمة التى لانظير لها ، أو لانظير لله فيها . . . . وهو من أجل ذلك لايثنى ولايجمع ، كما يثنى الرحيم ويجمع .

---

(٤٩) الرعد ٣٠

ومما يدل ـ فيما يحكيه القرطبى ـ على اشتقاقه ماأخرجه الترمذى وصححه عن عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « قال الله ـ عز وجل ـ

« أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته »

ولكن هذا النص يقضى باشتقاق الرحم لاباشتقاق الرحمن . .

والقرطبى يرجح أن الاسم مشتق ويقول : لامعنى للمخالفة والشقاق .

أما إنكار الكفار لهذا الاسم فمرجعه الى جهلهم بالله وما يجب له .

أما المبرد فيقول : إن الرحمن اسم عبرانى ، ولذلك جاء معه بالرحيم العربى . وأنشد فى ذلك قول الشاعر :

لن تدركــوا المجـد أو تشـروا عباءكم بالخــز أو تجعـلوا الينبـوت ضـمرانا
أو تتركــون إلى القَسَّيْن هجرتكـم ومسـحكم صُلْبَهـم رحمان قربـانا ؟

وقد أورد ابن منظور هذين البيتين فى لسان العرب مستشهدا بهما على قول من يقول : إن هذا الاسم عبرانى .

ولكنه يؤكد مع ذلك أن الرحمن اسم عربى ، وهو مبنى على وزن فعْلان الذى يفيد الكثرة ، ذلك أن رحمة الله وسعت كل شىء .

ومعنى ذلك أنه مشتق من الرحمة .

قال : وقد ذكر الرحيم بعده لأن الرحمن مقصور على الله ـ عز وجل ـ والرحيم يكون لله ولغيره .

وعلل الفارسى هذا الترتيب ـ أى ذكر الرحيم بعد الرحمن ـ بقوله : جىء بالرحيم بعد استغراق الرحمن معنى الرحمة لتخصيص المؤمنين به فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (٥٠)

كما قال :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾

ثم قال :

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ﴾

فخص بعد أن عم ، لما فى الإنسان من وجوه الصناعة ووجوه الحكمة . .

وقد يكون اسم الرحمن موجوداً فى الكتب السابقة ، كما يقول الزجاج . ولكنهم لم يكونوا يعرفون أنه من أسماء الله حتى جاء القرآن الكريم ،

---

(٥٠) الأحزاب ٤٣ .

(٥١) العلق ١ ، ٢

فعرفهم ذلك .

والرحمن اسم يختص الله ـ عز وجل ـ به ، ولذلك قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ ﴾(٥٢)

أما الرحيم فلا خلاف فى اشتقاقه ، فهو فعيل بمعنى فاعل ،

قال الحسن : الرحمن اسم ممتنع لايسمى غير الله به ـ أما الرحيم فليس كذلك فقد يقال : رجل رحيم .

وقيل هما مشتقان معا . . . يقول الجوهرى : هما كندمان ونديم ، وهما بمعنى واحد ، ويجوز تكرار الاسمين إذا اختلف اشتقاقهما على وجه التوكيد ، كما يقال : فلان جادٌّ مُجِدٌّ .

وكما يكون الرحيم فى حق العبد بمعنى الراحم يكون كذلك بمعنى المرحوم ومن ذلك قول الشاعر :

فأما إذا عَضَّت بك الحرب عضة فانك معطوف عليك رحيم

ولكنه فى حق الله لايكون إلا بمعنى راحم . . . . ومفهوم الرحمة عند الخلق : رقة القلب والعطف . .

---

(٥٢) الاسراء ١١٠

أما عند الله فهى العطف والإحسان والرزق .

قال ابن عباس - رضى الله عنهما - : الرحمن والرحيم اسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر . وقد ورد :

« إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالايعطى على العنف »

وقال بعض العلماء - فيما يذكره الأستاذ محمد إبراهيم فى مقال له بصحيفة الأهرام - الرحمن لأهل الافتقار والرحيم لأهل الافتخار ، إذا شهدوا جلاله طاشوا وافتقروا ، وإذا شهدوا جماله عاشوا وافتخروا . . .

ولهذين الاسمين معان عند أهل الذوق نذكر منها مايلى :

الرحمن بجميع خلقه فى نعم الحواس والنعم العامة . والرحيم بالمؤمنين فى الهداية لهم واللطف بهم .

وقال ابن المبارك : الرحمن إذا سئل أعطى ، والرحيم إذا لم يسأل غضب . وقد ورد ذلك فى حديث شريف رواه ابن ماجه والترمذى عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من لم يسأل الله غضب عليه »

أجل ، الله يغضب حين لايُسْأَل وهو الذى يقول لعباده

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾ (٥٣)

(٥٣) غافر ٦٠

ويقول لهم :

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٥٤)

وقد أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فنظمه شعرا فقال :

لاتسألن بنى آدم حاجة ... وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنَيّ آدم حين يُسأل يغضب

وقال الحكيم الترمذى : الرحمن بالإنقاذ من النيران ، والرحيم بإدخال الجنان ، وبيان الأولى قوله ـ تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٥٥)

وبيان الثالثة قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٥٦)

---

(٥٤) النساء ٣٢

(٥٥) آل عمران ١٠٣

(٥٦) الحجر ٤٦

وقال الحارث المحاسبى : الرحمن بإزالة الكروب والعيوب ، والرحيم بإنارة القلوب بالغيوب .

تفسير الشيخ الشعراوى

وفى الخواطر التى يثيرها فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى حول آيات القرآن الكريم يقول بالنسبة لهذين الاسمين :

يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ

الرحمن الرحيم .

وذلك يذكرنا بحقيقة مهمة هى أن باب الله مفتوح دائما ، فإنه إذا ارتكب العبد معصية ، أو إثما ، أو نسى الله فى لحظة ، فإن هذا ليس معناه أن الباب قد أوصد فى وجهه بل معناه : أن الله ـ تعالى ـ يقبل التوبة ويغفر الذنوب جميعا .

فإذا ارتكبت معصية فإياك أن تستحيى من أن تعود، الى الله ، وأن تبدأ باسم الله ، لماذا ؟ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لايعرف الحقد ، ولا يتغير على خلقه .

الانسان عندما تعصيه أو تخالف أوامره قد ينفض يده منك ، وقد ينهى علاقته بك إلى الأبد ، وفى كثير من الأحيان يسعى للإضرار بك .

ولكن الله ـ تعالى ـ إذا عصيته عن ضعف أو نسيان أو زلة ، دون استكبار أو إصرار ، فإنه يفتح بابه لك ، فاذا قلت : بسم الله الرحمن

الرحيم ، وعدت إليه وجدته رحمانا رحيما ، وجدته يغفر لك المعصية ويزيل عنك الذنب ، ويطهرك لتبدأ من جديد على طريق الله .

إذن فالرحمن الرحيم حيثيات إقبال للعاصى على أن يعود ويبدأ عمله باسم الله .

إن الله يريد أن يذكرنا فى كل لحظة أن باب الرحمة مفتوح .. والله سبحانه وتعالى ـ حين شرع عقوبة أى معصية معناه أنه أذن لها أن تقع ، فلو لم يكن فى علم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن هذه المعصية ستقع ماشرع لها العقوبة ، وكما شرع العقاب شرع التوبة ، والرحمة مأخوذة من الرحم وهو مكان الجنين فى البطن ، ولايوجد من هو أكثر مغفرة فى الدنيا من الأم بالنسبة لولدها ، فالولد قد يخطىء ولكن قلب الأم هو دائما غفور لهذه الخطايا ، ولاتجد أُماً مهما بلغت من قسوة قلب أو جحد نعمة ، لاتغفر لابنها إساءته وعصيانه .

والله ـ سبحانه ـ كلما أعطانا شيئا غيبيا وأراد أن يقرب هذا الشىء الغيبى إلى مفهومنا البشرى أعطانا مثلا نراه فى حياتنا حتى تستطيع القلوب أن تستوعبه ولذلك حين أراد أن يرحمنا برحمته اتخذ الأم وابنها مثلا للمغفرة .

وقد وصف الله رسوله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرحيم فى قوله ـ

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (٥٧)

ويقول ـ على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فى قوله ـ تعالى ـ

« بسم الله » . . . . إنه شفاء من كل داء ، وعون على كل دواء ، وأما الرحمن فهو عون لكل من آمن وهو اسم لم يسم به غيره ، وأما الرحيم فهو لمن تاب وآمن وعمل صالحا .

وقال ابن كثير فى تفسيره : زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لأنه أكد به ، والتأكيد يكون أقوى من المؤكد ، ولكنه رد عليهم بقوله : هذا ليس من باب التوكيد ، وإنما هو من باب النعت ، ولايلزم فيه ماذكروه .

ويؤكد أن الرحمن أشد مبالغة فى الرحمة ، لعمومها فى الدارين لجميع خلقه ، ولذلك قرن هذا بالعرش فقال ـ جل من قائل ـ :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (٥٨)

أما الرحيم فهو خاص بالمؤمنين لقوله تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (٥٩)

---

(٥٧) التوبة ١٢٨

(٥٨) طه ٥

(٥٩) الأحزاب ٤٣

واذا كان الرحمن أشد مبالغة من الرحيم فلماذا لم يكتف به ؟

وقد أجاب بعضهم عن ذلك بأنه حين تجرأ البعض من الكذابين فسمى نفسه الرحمن ـ وهو مسيلمة الكذاب ـ جىء بلفظ الرحيم ليقطع التوهم فى ذلك فانه لايوصف بالرحمن الرحيم إلا الله ـ تعالى ـ

ولكن هذه الإجابة يرد عليها أن القرآن قديم ، وتسمية الله ـ تعالى ـ بأسمائه قديمة ، وليست معللة بعلة إلا ماتوحى به معانيها العظيمة ومايبطن فى علم الله منها . واشتراك الأسماء فى اللفظ أو المعنى إنما هو لتأكيد عظمة الله وقيوميته وقد ورد من أسمائه المعطى والرزاق والوهاب والمنعم ، كما ورد الرءوف والرحيم والعفوـ وكلها تشير الى معان متقاربة .

وقد فسر عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ البسملة تفسيراً تشير اليه حروفها ، فقال أما الباء فبقاء الله وأما السين فسناء الله ، وأما الميم فملك الله ، وأما الله فلا إله غيره ، وأما الرحمن فالعاطف على البر والفاجر من خلقه ، وأما الرحيم فالرفيق بالمؤمنين خاصة .

وروى القرطبى عن كعب الأحبار قوله : الباء ـ بهاء الله ، والسين ـ سناؤه ، فلا شىء أعلى منه ، والميم ملكه وهو على كل شىء قدير.فلاشىء يعازُّه .

كما قال بعضهم : إن كل حرف هو افتتاح اسم من أسمائه ـ تعالى ـ

فالباء هو مفتاح اسمه : بصير

والسين هو مفتاح اسمه : سميع .

والميم مفتاح اسمه : ملك .

والألف مفتاح اسمه : الله .

واللام مفتاح اسمه : لطيف .

والهاء مفتاح اسمه : هادى .

والراء مفتاح اسمه : رزاق .

والحاء مفتاح اسمه : حليم .

والنون مفتاح اسمه : نور . وهكذا . .

ومعنى هذا كله دعاء الله ـ تعالى ـ عند افتتاح كل شيء .

الرحمن والهداية

ويذكر ابن القيم أن اسم الرحمن يتضمن معنى هداية الله ـ تعالى ـ لعباده بإرسال الرسل اليهم ، وإنزال الكتب عليهم . وهذا أعظم من إنزال الغيث وإنبات الكلأ وإخراج الحب ، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح .

كما أن الرحمة هى السبب الذى بَيْنَ الله وبين عباده ، فهو إلههم وهو ربهم وبهذه الرحمة أرسل اليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه وبها هداهم ، وبها

أسكنهم دار ثوابه وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم . . . فبينهم وبينه سبب العبودية ، وبينه وبينهم سبب الرحمة .

رأى الشيخ محمد عبده :

يقول د . أحمد الشرباصى : يرى الإمام محمد عبده أن لفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل ، وهى إفاضه النعم والاحسان .

أما لفظ الرحيم فيدل على منشأ هذه الرحمة والإحسان ، وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة ، وبهذا لانستغنى بأحد الوصفين عن الآخر ، ولايكون الثانى مؤكدا للأول ، والعربى إذا سمع وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ بصفة الرحمن ، وفهم منه أنه المفيض للنعم فعلا فقد لايفهم منه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائما . لأن الفعل قد ينقطع إذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة ، وإن كان كثيرا .

ولكنه عندما يسمع لفظ الرحيم يكمل اعتقاده بوجه يليق بالله ـ تعالى ـ ويرضيه ـ سبحانه ـ وهو أن لله صفة ثابتة هى الرحمة ، التى عنها يكون أثرها وان كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين . . . . . بذلك يكون ذكرها بعد صفة الرحمن كذكر الدليل بعد المدلول ليقوم به البرهان .

ويؤكد ابن القيم اتساع رحمة الله التى يقول فيها

﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ
أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾(٦٠)

باقتران اسم الرحمن بالعرش الذى يحيط بالمخلوقات جميعا . . . .

قال تعالى

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ
ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾(٦١)

وقال :

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾(٦٢)

فقد استوى الرحمن على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات . ولذلك غلبت رحمته غضبه كما يقول فى حديث قدسي : « لما قضى الله الخلق كتب

---

(٦٠) الأعراف ١٥٦

(٦١) الفرقان ٥٩

(٦٢) طه ٥ ، ٦

فى كتاب فهو موضوع عنده على العرش : إن رحمتى تغلب غضبى »
ويصدق ذلك قوله - تعالى - :

﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٦٣)

إن مظاهر رحمة الله التى يهدى إليها اسمه - الرحمن الرحيم - كثيرة لاحصر لها ، فقد سخر لنا الماء والهواء والنجوم والكواكب ، ويسر لنا السبل ووهب لنا العقل وأنبت الزرع وأخرج المرعى ، وجمّلنا فى الخلقة ، ووهبنا الجوارح ، وتفضل علينا بنعمة الدواء لنعالج به الداء . ومكننا من المال الذى نقضى به الحاجات ، وقد يكون سببا فى السعادة إذا إستقمنا فى استعماله .

وإذا أراد العبد الفوز برضا الله والتنعم بالقرب منه ، تحلى بالرحمة على عباد الله فأطعم الجائع وكسا العارى ونصر المظلوم ، ومسح على رأس اليتيم ، وأشفق على العاصى ، لأنه يراه يهوى فى مهاوى الضلال ، فينصحه ويعظه ، وعطف على المتخاصمين بالاصلاح بينهم ، ورحم الجاهل بتعليمه والأخذ بيده ،

إن الله - سبحانه - يحب أن يتصف خلقه ببعض صفاته ، ويقول

---

(٦٣) الحجر ٤٩ ، ٥٠

النبى - صلى الله عليه وسلم - فى الرحماء : « الرحماء يرحمهم الرحمن »

ذلك أنهم تخلقوا بخلق الرحمة التى هى من أسماء الله تعالى -

ولعظمة هذه الصفة وقرب المتصف بها من الله - مَنَّ الله بها على نبيه - صلى الله عليه وسلم - فجعله رءوفا رحيما . وقال فى حقه :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (٦٤)

وأفصح هو - صلى الله عليه وسلم - عن نفسه قائلا :

« إنما أنا رحمة مهداة » وخلع الله عليه اسم الرحيم فقال :

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾ (٦٥)

لقد طالما لفت النبى - صلى الله عليه وسلم - أنظار أصحابه والمسلمين من بعدهم - إلى خلق الرحمة وأهميته بالنسبة لحفظ ميزان الأمم وسعادة أفرادها وارتفاع شأنها .

وضرب لهم الأمثال ليتعلموا من أصناف الخلق صفة الرحمة التى نجدها

---

(٦٤) الأنبياء ١٠٧

(٦٥) التوبة ١٢٨

مفطورة فى قلوب الآباء والأمهات ـ من عقل ومالم يعقل ، وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله عز وجل جعل الرحمة مائة جزء فمنها جزء يتراحم به الخلق ، فبه تعطف الوحوش على أولادها ، وأخّرَ تسعا وتسعين الى يوم القيامة »

وفى بعض الروايات : « ان الله ـ تعالى ذكره ـ لما خلق السموات والأرض خلق مائة رحمة ، كل رحمة ملء مابين السماء والأرض فعنده تسع وتسعون رحمة ، وقسم رحمة بين الخلائق منها يتعاطفون وبها تشرب الوحش والطير الماء ، فاذا كان يوم القيامة قصرها الله على المتقين وزادهم تسعا وتسعين »

ومازال الناس يلهجون بجمال الرحمة حتى ليجعلونها فوق القانون فى بعض الأحيان ـ إذا لم يترتب على استعمالها استهانة بالقيم والمبادىء . . . إن إقامة العدل رحمة وتطبيق القانون بروحه زيادة فى الرحمة . . والله سبحانه وتعالى ـ رحيم ورحمته تقضى بمؤاخذة الظالم والبطش به والانتقام منه

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٦٦)

---

(٦٦) فصلت ٤٣

وقد أشرنا الى كيفية كون أن الانسان رحيم بغيره . وقال الإمام الغزالى حجة الاسلام ـ فى ذلك : إن حظ العبد من اسم الرحيم أن يرحم عباد الله الغافلين ، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف وأن ينظر الى العاصين بعين الرحمة لابعين الايذاء أو الازدراء ، وأن ينظر الى كل معصية تقع من غيره كأنها تقع من نفسه ، فلايألو جهدا فى إزالتها قدر طاقته . . اشفاقا على ذلك العاصى أن يتعرض لغضب الله وسخطه فيستحق البعد عن جوار ربه .

وقد ذكر الإمام عبد الوهاب الشعرانى فى معرض التحدث بنعمة الله عليه فى كتابه المنن الكبرى . قائلا : إنى لأشعر بشعور المعذبين والمظلومين حتى لكان كل عذاب أو ظلم واقع بأحد من الناس واقع بى ، ـ وتلك أسمى آيات الرحمة والأخوة الصادقة .

ويحكى فى سياق ذلك قائلا أيضا : ومما مَنَّ الله به عَلَيَّ ، سَتْرِى لعورات الناس وعيوبهم ، ورحمتى بالعصاة حال تلبسهم بالمعصية ، فإنهم أشقى الناس حينئذ ، ثم غيرتى على أذنى أن تسمع زورا ، وعينى أن تنظر محرما ولسانى أن يتكلم باطلا ، ثم كثرة شفقتى على دابتى وكراهيتى أن أحمل سوطا ثم أخذى كل كلام وعظت به الناس فى حق نفسى أولا وفى حق الناس ثانيا ، واستغفارى من الذنوب ثالثا ، ثم عفوى العام عن كل مسىء الىّ

ويستطرد قائلا : ومما أنعم الله به عَليَّ عدم خروجي من بيتي إلا اذا علمت من نفسي القدرة باذن الله على هذه الخصال الثلاث : تحمل الأذى عن الناس ، وتحمل الأذى منهم وجلب الراحة لهم .(٦٧)

وكان الشعراني - كما قيل - ينظر الى العصاة على أنهم من أصحاب الجدود العواثر فهم في حاجة الى الرثاء والاشفاق والعطف لا الى التشفي والانتقام والعسف . . هم في حاجة الى النصح لهم والأخذ بأيديهم الى طريق الهداية والارشاد بدلا من القسوة التي تؤدي بهم إلى الإمعان في سبيل الضلال والعناد . وهذه هي الرحمة التي يجب أن يتحلى بها العبد تخلقا بأخلاق الله .

لقد نعى بنو إسرائيل على عيسى - عليه السلام - أنه كان يجالس المذنبين والعصاة ، وقالوا له في ذلك : فأجابهم بقوله : ماحاجة الأصحاء إلى طبيب ؟

ويقول الغزالي - رحمه الله - وحظ المؤمن من اسم - الرحيم - الا يترك حاجة لمحتاج إلا ويسدها على قدر استطاعته ، ولايدع فقيرا يشعر به ويستطيع الوصول اليه الا ويدفع فقره بماله أو جاهه أو الشفاعة ، له عند غيره . فإن عجز عن كل ذلك أعانه بالدعاء وإظهار الحزن من أجله .

لم يغفل الناس عن أثر الرحمة وجدواها وفضلها ومعناها ولكنهم غفلوا عن

---

(٦٧) عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر لعبد الحفيظ فرغلي ص ١٢٥ - اعلام العرب

تطبيقها والتخلق بها ، لأن نفوسهم تضيق بذلك لما ركب فيها من شح ، ولما طبعوا عليه من أثره .

وماأصدق المنفلوطى حين قال : لو تراحم الناس ماكان بينهم فقير ولامظلوم ولاجائع ولامهضوم ولأقفرت الجفون من المدامع ، ولقرت الجنوب فى المضاجع .

وقد روى لنا قصة تدور حول زيارته لصديق غنى فوجده يتلوى من مغص أصابه بسبب الافراط فى الطعام . وكان ذلك بعد زيارته لصديق كان يتلوى من شدة الجوع فقال : ياسبحان الله ، لو أعطى هذا مازاد على حاجة بطنه الى ذاك الذى لم يجد مايمسك به رمقه لصح الاثنان . ولكن الله له فى خلقه شئون .

وهذا يسلمنا الى سؤال ربما يعترض به بعض المعترضين : إذا كان الله رحيما وهو قادر على رفع كل بلية فلماذا يترك بعض العباد يقاسون الأذى والضر والجوع والفقر ؟

وقد أجاب الغزالى ـ رحمه الله ـ على هذا الاعتراض قائلا : الطفل الصغير . قد ترق له أمه فتمنعه عن تعاطى الدواء المر ، ولكن الأب العاقل يحمله على ذلك قسرا ، والجاهل يظن أن الرحيم بذلك هى الأم دون الأب ، ولكن العاقل يعلم أن إيلام الأب ابنه بمر الدواء من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته وأن الأم عدو فى صورة صديق ، وأن الألم القليل اذا كان

سببا للذة الكثيرة لم يكن شرا بل هو خير . . والرحيم يريد الخير بالمرحوم لامحالة . وليس فى الوجود شر إلا وفى ضمنه خير ، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذى فى ضمنه . وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذى يتضمنه ، فاليد المتآكلة قطعها شر فى الظاهر ، ولكن فى ضمنها خير جزيل ، وهو سلامة البدن ـ ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن ، ولكان الشر الأعظم .(٦٨)

إن من رحمة الله الغامرة أن يصاحب قضاء الله لطفه حتى لايسع المبتلى الا الهتاف بحمد الله الذى لايحمد على مكروه سواه ـ وماأجمل قول ابن عطاء الله السكندرى فى احدى حكمه : « من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره »

ويعلق شارح الحكم على هذه الحكمة قائلا :

واللطف المصاحب للقدر يمكن إدراكه فى العقليات والعاديات والشرعيات . . . . . أما العقليات فما من بلاء الا والعقل قاض بإمكان مافوقه ـ أى بوجود ماهو أكبر منه ـ فالاقتصار على مادون المقدور عليه لطف ، وبهذا يتبين أنه مهما عظمت المصيبة فإن اللطف مصاحب دائما لمن أصابته

وأما العاديات فما وجدت قط بلية لشخص إلا وَجّدَ ماهو أعظم منها

---

(٦٨) أسماء الله الحسنى جـ ١ ص ٣٤ د . أحمد الشرباصى نقلا عن كتاب المقصد الأسنى للغزالى

بغيره . ولاتجتمع البلايا على شخص واحد أبدا ، فإن من أعظم المصائب الفقر فى الشيب ، والموت فى الشباب ولايمكن اجتماعهما .

وأما الشرعيات فما من بلية الا وهى مكفرة من ذنوب صاحبها ، أو موجبة له ثوابا . أو مخففة عنه عقابا ، أو مبشرة له بمنفعة دنيوية أو منفعة أخروية . فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « مايصيب المؤمن من وصب ولانصب الا كفر به من خطاياه حتى الشوكة يشاكها »

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « حُمَّى يوم تكفر ذنوب سنة »

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « الحمة حظ كل مؤمن من النار »[٦٩] ولعل ابن عطاء الله السكندرى ينظر الى قوله ـ تعالى ـ « فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا »[٧٠]

والقدوة العليا فى التخلق بصفة الرحمة هو نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى فهم عن ربه وتخلق بأخلاقه فكان رحمة سابغة على أمته . . . وقد وصفته السيدة عائشة رضى الله عنها ـ حين سئلت عن أخلاقه فقالت : كان خلقه القرآن .

والقرآن فيه الرحمة والعدل والعفو والكرم وكل الأخلاق الفاضلة .

---

(٦٩) شرح الحكم العطائية للشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى المعروف بزرُّق ص ١٨٥
(٧٠) المرجع السابق .

وهل هناك أعظم من رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين يدفع عن قومه الأذى الذى أوشك أن ينزله بهم ملك العذاب بعد أن آذوه فى الطائف . . . . فقال له : دعهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله ؟

أو هل هناك أرحم منه فى الخلق وقد وقف يخاطب أهل مكة بعد أن فتحها الله على يديه قائلا لهم : ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ فيقولون : خيرا . فيقول لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء . . ؟

هذه هى الرحمة العظيمة التى تجلى بها الله على قلب نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعصمه من البطش والانتقام والتشفى ممن آذوه وشردوه وحاربوه وطاردوه . .

لقد صدق أمير الشعراء حين مدحه قائلا :

فإذا رحمت فأنت أم أو أب   هذان فى الدنيا هم الرحماء

ولعمرى إن رحمة الأبوين دون رحمة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأمته . وقد جعله الله شفيعا لهم من عذاب النار . .

الرحمن والرحيم فى القرآن :

لقد سبق أن قلنا إن اسم الرحمن ورد فى القرآن سبعا وخمسين مرة وورد اسم الرحيم خمسا وتسعين مرة . وفى غالب الأحوال كان الاسمان يردان معا . ولكن هناك مواضع انفرد فيها كل منهما بالذكر . .

فمما انفرد فيه اسم الرحمن قوله ـ تعالى ـ :

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٧١)

وقوله تعالى حكاية عن مريم :

﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ (٧٢)

لقد ورد لفظ الرحمن وحده فى سورة مريم ست عشرة مرة . .
ومما ورد فيه اسم الرحيم وحده قوله ـ تعالى :

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٧٣)

وقوله تعالى :

---

(٧١) الرعد ٣٠
(٧٢) مريم ٢٦
(٧٣) البقرة ٣٧

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٤ ﴾ (٧٤)

وقال بعض العلماء الرحمن الرحيم : اسمان مشتقان من الرحمة . والرحمة صفة أزلية ، وهى إرادة النعمة . وهما اسمان موضوعان للمبالغة ولافضل بينهما عند أهل التحقيق . .

ومن كلام محيى الدين بن عربى :

إلى الرحمن حلى وارتحالى لأحظى بالجلال وبالجمال

فإن الحق كان بنا رحيما رءوفا يوم يدعونى : نزال

أى انزل بديار قربنا وجنة عدننا . .

وقد مر بنا كلام للغزالى ـ رضى الله عنه ـ حول هذين الاسمين ويمكن أن يضاف الى ذلك قوله : الرحمن الرحيم ـ اسمان مشتقان من الرحمة ، والرحمة التامة إفاضة الخير على المحتاجين وإرادة العناية بهم . . . . والرحمة العامة هى التى تتناول المستحق وغير المستحق ، ورحمة الله تامة عامة تناولت الضرورات والمزايا الخارجة عنها فهو الرحيم مطلقا .

لولا تجلى الله باسميه العظيمين ـ الرحمن الرحيم ـ لما فاضت الكائنات بهذا الجود الذى تعيش فى ظله الموجودات ، وتحيا على بره المخلوقات ، ويسعد فى جنابه كل من فى الأرض والسموات . ولعل هذا هو مايعبر عنه

---

(٧٤) التوبة ١٠٤

الشاعر أحمد مخيمر فى احدى سَبَحَاته حول معنى الرحمن الرحيم :

ربى رحيم ورحمن ورحمته تطوى الوجود وتغنى كل محتاج
ورحمة الله لولاها لما سبحت أرض بجو ولاجاشت بأمواج
ولاتحركت الأقمار جارية لمستقر بأفلاك وأبراج
من نالها فهو ناج يوم محشره بها ومن لم ينلها ليس بالناجى(٧٥)

الذكر بالرحمن الرحيم :

لقد أوجب الله ـ سبحانه ـ خصائص كثيرة لاسمه « الرحمن » فمن تلك الخصائص أنه جعل اسم الرحمن ذكراً للذاكرين ونبه الى الاستعاذة بهذا الإسم . . . .

ففى الاستعاذة به ـ قال ـ تعالى ـ على لسان مريم :

﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ١٨ ﴾ (٧٦)

وفى التوكل على الله قال ـ تعالى ـ

﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢ ﴾

---

(٧٥) أسماء الله الحسنى أحمد مخيمر ص ٢١
(٧٦) مريم ١٨
(٧٧) الأنبياء ١١٢

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٧٨)

وفى الصوم قال ـ تعالى ـ على لسان مريم ـ

﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ (٧٩)

وفى الذكر به قال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ (٨٠)

وفى حشر الناس يقول ـ تعالى :

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ (٨١)

كما أسند تعليم القرآن الى هذا الاسم ـ قال تعالى :

﴿ الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ ﴾ (٨٢)

---

(٧٨) الملك ٥٩
(٧٩) مريم ٢٦
(٨٠) الإسراء ١١٠
(٨١) مريم ٨٥ (٨٢) أول الرحمن ١ : ٤

ونبه إلى أن الغفلة عن ذكر هذا الاسم تستوجب المقت من الله واستيلاء الشيطان على الغافل فقال سبحانه :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

وقال سبحانه فى وصف الصالحين من عباده :

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ (٨٤)

ومن الدعاء باسم الرحمن قول بعض الصالحين :

« إلهى يارحمن الوجود يامن وسعت كل شىء رحمة وعلما ، ظهرت رحمتك فى كل ذرات الوجود والعالم . فلا نرى إلا شيئا ونقرأ من آيات رحمتك مايجذبنا إليك ويطمئن قلوبنا بواسع حنانك . أشهد عيون قلوبنا نور عدلك وعظيم فضلك يارحمن . .

قال بعض العلماء : من ذكر اسم الرحمن مائة مرة إثر كل فرض زال عنه النسيان والغفلة وقساوة القلب ، وأُعِين على أمور الدنيا ، ولايزال ذاكره يتقلب فى رضوان الله تعالى ، وتتوالى عليه النعم وتحفه الرحمة .

وقال بعضهم : من صلى عصر يوم الجمعة ثم استقبل القبلة وقال :

---

(٨٣) الزخرف ٣٦

(٨٤) الفرقان ٦٣

ياألله يارحمن ـ إلى أن تغيب الشمس وسأل الله تعالى شيئا أعطاه الله إياه[٨٥]

أما اسم الرحيم فالذكر به يرقق القلب ويسبغ الرحمة فى القلب .. والدعاء به وبالرحمن ينفع المضطرين ويؤمن الخائفين . ومما ورد فى الدعاء باسم الرحيم مايقوله الشيخ أحمد العقاد : « إلهى رحمتك بالخلق دلتنا على سعة الجنان ، فاطمأنت قلوبنا بأنك الرحيم بجميع الأكوان ، وأنت تحب الرحمة لأنها صفتك ، ونحن المستحقون لها لأن عيوبنا كثيرة فانشر علينا رحمتك لتكون عيوننا بها بك قريرة ..[٨٦]

---

(٨٥) أسماء الله الحسنى أحمد عبد الجواد ص ٢١

(٨٦) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى ص ٣٨

الملك القدوس

اسم الملك

الدعاء باسم الله - الملك

دعاء يوسف عليه السلام

اسم الله - القدوس

الدعاء باسم الله - القدوس

ٱلْمَلِكُ الْقُدُّوس

ورد اسم الله « ٱلْمَلِكُ » فى القرآن الكريم خمس مرات . .

فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (٨٧)

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (٨٨)

وفى قوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٨٩)

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ (٩٠)

---

(٨٧) طه ١١٤

(٨٨) المؤمنون ١٦٦

(٨٩) الحشر ٢٣

(٩٠) الجمعة ١

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ ﴾ (٩١)

وورد المليك فى قوله ـ تعالى :

﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥ ﴾ (٩٢)

قال ابن منظور : الملك هو الله ـ تعالى ـ ملك الملوك ، له الملك ، وهو مالك يوم الدين ، وهو مليك الخلق ـ أى ربهم ومالكهم ، وفى التنزيل : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ ﴾ (٩٣) وقرىء : « ملك يوم الدين » بغير ألف .

والملك ـ بكسر اللام ـ وقد تسكن فيقال : مَلْك ، وتأتى بعد الميم ألف فيقال : مالك . ويأتى بعدها ياء ، فيقال : مليك ، وهى كلها بمعنى .

والمُلْك فى حق الله حقيقة ، وفى حق غيره عارية وتجوز . . فإنه يوم تطوى السموات والأرض ، ويفنى كل شىء لايبقى إلا وجه الله الباقى . . لايبقى فى الوجود إلا الله ـ قال تعالى ـ

﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۝١٦ ﴾ (٩٤)

---

(٩١) الناس ١ ، ٢

(٩٢) القمر ٥٥

(٩٣) الفاتحة ٣

(٩٤) غافر ١٦

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « يقبض الله ـ عز وجل ـ الأرض يوم القيامة ، ويطوى السموات بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك فأين ملوك الأرض ؟ »

هذا هو المُلك الحقيقى الذى لاشريك ينازع صاحبه فيه . ولاوارث يرثه ، ولا انقلاب يهدده ويؤرق صاحبه . هو ملك ثابت راسخ مهيمن قيوم على كل شىء تحت سلطانه .

ويقال : مُلْك الله وملكوته أى سلطانه وعظمته ، والملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبة . زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . وقد يُطْلَق الملك على مايبدو ويظهر للعيان . ويطلق الملكوت على مايخفى مما لاتراه العيون ولاتدركه الحواس . .

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (٩٥)

وقد فسر بعض العلماء الملكوت هنا بالتنزيه ، أى تنزيه الله عن أن يوصف بغير القدرة .

ويكون معنى الآية : فسبحان الذى بيده القدرة على كل شىء ، وهوالذى يبعثكم بعد موتكم .

---

(٩٥) يس ٨٣

وجاء فى تفسير القرطبى لقوله - تعالى - :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ (٩٦)

قوله : ملكوت مثل الرغبوت والرهبوت والجبروت ، زيدت الواو والتاء للمبالغة فى الصفة .

وأراد بالملكوت مافى السموات من عبادة الملائكة لله ، ومن العجائب ، ومافى الأرض من عصيان بنى آدم ، فكان إبراهيم - عليه السلام - يدعو على من يراه يعصى فيهلكه الله ، فأوحى الله إليه : ياإبراهيم أمسك عن عبادى ، أما علمت أن من أسمائى الصبور ؟

رَوَى مَعْنى ذلك عَلِىٌّ عن النبى - ﷺ -

وقيل فى معنى الآية : كشف الله لإبراهيم عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين ، فَفُرِجت له السموات السبع فنظر إليهن حتى انتهى إلى العرش ، وفُرِجَت له الأرضون فنظر إليهن ورأى مكانه فى الجنة ، فذلك قوله - تعالى :

﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ ﴾ (٩٧)

---

(٩٦) الأنعام ٧٥

(٩٧) العنكبوت ٢٧

وقال بعض العلماء : أراه الله من ملكوت السماء ماقصه من أمر الكواكب ومن ملكوت الأرض البحار والجبال والأشجار . . .

وهذا ممالم تقع عليه عين إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولكن الله زَوَى الأرض له فرأى من عجائبها مارأى . ولعل هذا يشير إلى أن الملكوت ، ماخفى عن عين الرائين ودق على أفهام المتفكرين . .

ويفيد معنى « الملِك » أنه ـ سبحانه ـ القائم على تدبير خلقه ، والمنزه عن الظلم ، الذى يفعل مايشاء ويحكم مايريد . . فهو وحده المالك الحقيقى ، يعلم ماخفى وظهر ، ومابداواستتر ، « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين »[(٩٨)]

ومن لوازم الملك الغنى ، فالله هو الغَنِيُّ . والغِنى يستلزم الحمد على نعمة إغناء عباده ، فالله هو الحميد . .

والَملِك لايفتقر إلى غيره ، ولكن غيره مفتقر إليه . . فكل المخلوقات فى حاجة إلى سيدها الملك ، والملك فى غنى عنهم ، وإنما يرزقهم بفضله وجوده ، ويتعبدهم لمصلحتهم لالمصلحته ، فهو يرفع شأنهم ويعطيهم درجات بقدر مايؤدى كل منهم من جهد فى طاعته ، ثم يقول لهم : ادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم . . .

ومُلْك الله يشمل كل شىء فى الوجود ، بما فى ذلك العوالم العلوية

---

(٩٨) الأعراف ٥٤

والعوالم السفلية ـ مانراه ، ومالانراه ، ويدخل فى نطاق الملك الناس الذين جعلهم خلفاء فى الأرض لينظر كيف يعملون .

وهو يملك فى الإنسان كل شىء ـ يملك سمعه وبصره وفؤاده وعقله وناصيته وتصرفه . .

﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٩٩)

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (١٠٠)

وليس ملك الله مقصوراعلى حد المحسوسات والمرئيات والمعقولات بل هو الذى يملك الخير والشر والنفع والضر والحياة والموت والدنيا والآخرة ويملك التصرف الكامل فى ملكه الواسع الذى وسع السموات والأرض ومافيها ، ويملك القدرة الكاملة على حفظها دون حاجة إلى معين أو الاستعانة بنصير . .

---

(٩٩) الزخرف ٨٥

(١٠٠) يونس ٣١

قال ـ تعالى ـ :

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ (١٠١)

ونعى على الكفار عبادتهم مالايملك شيئا ، ولايقدر على النفع أو الضر ، ومالا يسمع ولايعقل ولايعلم . فقال لهم :

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٦ ﴾ (١٠٢)

وقال :

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ ﴾ (١٠٣)

فالملك هو الظاهر بعز سلطانه ، الغنى بذاته عن غيره ، المتصرف فى أكوانه بصفاته

هو الملك المتصرف بالأمر والنهى ـ قائلا بلسان القدرة لعبده : افعل ولاتفعل . . فمن وقف عند حد الأمر فقد ائتمر ، ومن وقف عند حد النهى

---

(١٠١) الملك ١ ، ٢
(١٠٢) المائدة ٧٦
(١٠٣) الفرقان ٣

فقد انتهى .

ومصدر الفعل « مَلَك » : مُلْك ـ بضم الميم وسكون اللام . والمُلْك هو السلطان ، ولامُلْك فى الحقيقة إلا لله لأنه لاسلطان إلا هو ، ولاسلطان إلا له . « له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على شىء قدير »

وقد أهلك الله كل من حاول أن يدعى شيئا من ذلك . . . . . لقد غرت النمروذ قوته ، وسولت له نفسه أن يدعى الألوهية قائلا فى الرد على إبراهيم ـ عليه السلام ـ : أنا أحيى وأميت ـ ظاناً على ـ سبيل الجهل ـ أن الأمر بقتل امرىء إماتة ، والعفو عنه بعد الأمر بقتله إحياء له . . واعتقد بذلك أن الملك بيده ولكن إبراهيم ـ عليه السلام ـ تحداه قائلا . .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ (١٠٤)

إن الله جلت قدرته يملك حياة المرء وموته حقيقة لا ادعاء ، لأنه هو الذى خلق الموت والحياة . وخلق الخلق جميعا . . فالذى يملك الموت والحياة هو خالقهما . . . .

---

(١٠٤) البقرة ٢٥٨

وقد قضى سبحانه أنه لاموت فى الحياة الآخرة بعد البعث . . . فأهل الجنة خالدون فيها أبدا ، وأهل النار خالدون فيها أبدا . . .

إعارة اسم الملك

وقد أعار الله سبحانه اسم الملك لأناس من خلقه ـ فَسُمِّى رئيس الدولة المتصرف فى شئونها ملكا ، لأنه يحكمهم ويملك التصرف فى أمورهم فى الظاهر . . قال الأصفهانى ـ : المِلْك ـ بكسر فسكون ـ ضربان ، فمن الأول قوله ـ تعالى ـ

﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١٠٥)

ومن الثانى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (١٠٦)

فجعل النبوة مخصوصة والملك عاماً ، فإن معنى الملك هنا هو القوة التى بها يترشح للملك والسياسة ، لا أنه جعلهم كلهم متولين للأمر ، فذلك مناف للحكمة . . . كما قيل : لاخير فى كثرة الرؤساء »(١٠٧)

---

(١٠٥) النمل ٣٤

(١٠٦) المائدة ٢٠

(١٠٧) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى ص ٤٠

وقد جاءت كلمة الملك التى أعارها الله لخلقه فى بعض آيات من القرآن الكريم مرادا بها القائم على شئون الدولة الذى يدبر لها سياستها ويتولى أمرها وهو أمر من تمام حكمة الله ـ تعالى ـ ونعمته على عباده . . . ومن تمام النعمة أن يكون هذا الملك عادلا بصيرا عاقلا يأخذ بيد الناس إلى الحق والنهضة والطريق المستقيم . وماأصدق قول الشاعر :

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ... ولاسراة إذا جهالهم سادوا

ومن الآيات التى ورد فيها لفظ الملك على سبيل العارية لبعض الناس :

قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ (١٠٨)

وقوله

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ

---

(١٠٨) البقرة ٢٤٦

﴿ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾ (١٠٩)

وقوله تعالى

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١١٠)

وملك الملوك إذا أنعم على عبد مَلّكه . ومقتضى هذه النعمة شكرها وذلك بأن يتخلق هذا الملك بالخلق الحسن ، وأن يحكم بحكم الله ، رعيته . . .

فالله الملك لايظلم كما قال ـ سبحانه :

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (١١١)

---

(١٠٩) البقرة ٢٤٧
(١١٠) يوسف ٥٤
(١١١) الكهف ٤٩

والله الملك عادل فى حكمه رءوف بخلقه ، بصير بأمورهم ، سامع لدعواتهم متجاوز عن هفواتهم ، مقيل لعثراتهم .

وكذلك يجب أن يكون الملك الذى ولاه الله أمر الرعية . . . . عليه أن يفتح أبوابه ولايجعل بينه وبينهم حجابا ،ويأخذ بأيديهم إلى طريق النصح والرشاد والعدل .

والعقلاء من الناس ينظرون إلى الملك الذى ولاه الله عليهم على أنه أمين عليهم مسئول عنهم ، ولاينظرون إليه تلك النظرة التى تخرج به عن حدود أنه رجل منهم ـ ولاه الله أمرهم ـ وذلك حين يكثرون من مدحه والرفع من شأنه حتى يصاب بالغرور والكبر ويدعى أنه من جنس غير جنسهم فيطغى عليهم .

يجب عليهم أن يُذَكِّروه دائما أنه واحد منهم خوله الله سلطة هو مسئول عنها ومحاسب عليها . قال بعض الواعظين لهارون الرشيد فى يوم عرفة ـ وقد قال له هارون الرشيد : عظنى ، فقال له الرجل : اعلم يا أمير المؤمنين أن هذا الخلق الذى تراه أمامك ولا يكاد يحصره العد ، كل منهم مسئول عن نفسه فقط ، أما أنت فمسئول عنهم جميعا . . فبكى هارون .

وفى الطواف حول الكعبة لقى عبد الملك بن مروان رجلا يطوف ، فقال له عبد الملك : أنا عبد الملك بن مروان ـ أمير المؤمنين ـ ارفع حوائجك إلىَّ . . . فقال له الرجل : وأنا أيضا عبد الملك فهيا نرفع حوائجنا إلى من أنا وأنت له عبدان .

ومقتضى الملك الاستغناء ، بمعنى أن يكون الملك غنيا عن رعيته فلايطمع فيما فى أيديهم . بل يكون طمعه فى الله وفى رضاه ، فإن فعل ذلك أمده الله بعونه وأغناه .

وحلية الملك التواضع والعفة والزهد ، وقد روى فى سيرة سليمان الملك ـ عليه السلام ـ الذى قال الله على لسانه

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾(١١٢)

أنه كان لايشبع من طعام أبدا . وكان يجيع نفسه ولما سئل فى ذلك قال : أخاف أن أشبع فأنسى جوع الفقر .

وحين سئل عمر بن الخطاب عن تمسكه بالزهد وإعراضه عن متع الحياة وقد دانت له الدنيا قال : إننى نظرت الى أقوام قال الله فى حقهم

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾(١١٣)

فأردت أن لا أذهب طيباتى فى الدنيا ، وأدخرها للآخرة .

واذا لم يؤدب الملك نفسه بالتواضع والافتقار نازعته إلى العزة والاستكبار ، وأوردته موارد التهلكة والبوار . فانظر الى فرعون الذى سولت

---

(١١٢) ص ٣٥
(١١٣) الأحقاف ٢٠

له نفسه أن يقول « أنا ربكم الأعلى » وانظر الى نمروذ الذى قال : أنا أحيى وأميت » ولقد تجرع كل منهما وبال ماقال ، وأذاقهما الله الخزى والنكال .

فعلى كل إنسان أن يعرف أنه فى المملكة الإلهية ضيف لاحكم له على صاحب الدار ولاتصريف له معه .

فعليك أيها المغرور أن تتأمل فى عظمة الله القادر الحكيم ، كيف نظم ملكه ، وأوقف كل كائن عند مرتبته ، وانظر الى البحار ومافيها من العوالم ، والهواء مافيه من الطيور والجراثيم ، والأرض ومافى طواياها من الخلائق ، كيف خضع الكل لعزته وسلطانه وتنعم الكل فى فضل حنانه .

ولايتصور أن يكون العبد مالكا ملكاً حقيقيا ، لأن الانسان دائما عاجز لآيقدر إلا على يسير الأمور وبالقدر الذى يهبه الله فهو مفتقر أبدا الى ربه ـ سبحانه ـ وإلى كثير من خلق الله .

أجل لايستغنى الانسان عن غيره ولو كان تحته ألف عرش وعرش فهو فى حاجة إلى طبيب يعالجه ، والى خادم يخدمه ، والى حارس يحرسه ، والى وزير يدبر له مملكته ، والى قائد يقود له جيوشه ، والى جنود يحمون له حدود مملكته . والى صُنَّاع وفنيين وأجراء وحرفيين . . والى غير ذلك مما نراه فى نظام أى دولة من الدول التى تملأ الأرض .

وهناك فرق جوهرى ، بين الملك الحقيقى والملك المعار .

الملك الحقيقى ـ وهو الله تعالى ـ بيده كل شىء ، يقول للشىء كن

فيكون ، إنه يملك الأنفاس التى يتنفسها الناس من الهواء ، وفى مقدوره أن يطويها عن صاحبها فيموت .

أما الملك المعار فإن كثيرا من الخلق لايحتاجون إليه ـ وكم من آلاف مؤلفة من الرعية عاشوا وماتوا وهم لايعرفون عن سلطانهم الذى يحكمهم شيئا ، ولم يحتاجوا الى أن يطلبوا منه شيئا .

أما الله الملك ـ جلت قدرته ـ فما من كبير ولا صغير إلا يعرف قدرته ويحتاج اليه ويهتف باسمه فى ضراعة ، ويناجيه فى حب ، ويدعوه فى خشوع ، ويقول كما علمه الله :

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) ﴾ (١١٤)

وقد يصبح الانسان ملكا دون أن تكون له رعية يحكمها ، وهو مع ذلك أقوى من صاحب الرعية . . . ذلك أن الانسان إذا قهر شهوته وتغلب على دواعى نفسه ووساوس شيطانه ، واستغنى عن هواه ـ مكنه الله وقواه ، وأعطاه سلطة بها تخافه الملوك وتخشاه . . ألم تسمع الى قول الجنيد ـ رحمه

---

(١١٤) آل عمران ٢٦ ، ٢٧

الله ـ : نحن فى منزلة لو عرف لذتها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف . ودخل مالك بن دينار مدينة الرى ـ وكان فيها هارون الرشيد ـ فتوافد اليه الناس واجتمعوا حوله وضاقت الشوارع عليه بمن فيها ، وتطلعت أم ولد لهارون من نافذة وسألت قائلة : مابال الناس ؟

فقالوا لها : هذا مالك بن دينار قد دخل الرى فاجتمع الناس حوله ، فقالت : هذا هو الملِك ، لا الذى يجمع له الناس بالدينار والعصا .

قال الغزالى ـ رحمه الله ـ : اذا ملك الانسان نفسه ولم تملكه ، وأطاعته ولم يطعها ، فقد نال درجة الملك فى عالمه ، فإن انضم إليه استغناؤه عن الناس فهو الملك فى العالم الأرضى ، وتلك رتبة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فإنهم استغنوا فى الهداية الى الدار الآخرة عن كل أحد إلا عن الله ـ سبحانه ـ واحتاج اليهم كل أحد ، ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وإنما ملكهم بقدر قدرتهم على إرشاد العباد ، واستغنائهم عن الاسترشاد ، وبهذه الصفات يقرب العبد من الملائكة فى صفاته ويتقرب الى الله ـ تعالى بها ـ .

إن قطع الطمع عن الناس هو الملك وهو يرادف الحرية الحقيقية وقد ورد قول الشاعر :

الحر عبد ما طمع   والعبد حر ما قنع

سأل بعضهم أحد الحكماء أن يوصيه فقال له :

كن ملكا فى الدنيا تكن ملكا فى الآخرة .

فقال له : وكيف أكون ملكا فى الدنيا ؟

قال له : اقطع طمعك وشهوتك الى الدنيا تكن ملكا ، لأن المُلْك فى الحرية والاستغناء ، وبذلك تكون ملكا فى الآخرة .

وما قيمة ملك الدنيا ؟ وكيف يكون الملِك ملكا وهو لايستطيع أن يدفع عن نفسه لفحة برد تصيبه بزكام ، أو عضة بعوضة قد تورده الحِمام ؟ أُلم تهلك النمروذ بعوضة ؟

استوعظ هارون الرشيد رجلا من الصالحين ، وكان يحب الاستماع الى وعظهم ، وفى يد هارون كوب من ماء بارد يوشك أن يشربه . . . . فقال له الصالح : بالله ياأمير المؤمنين لو منعت شرب هذا الكوب فى شدة حاجتك إليه ، بكم كنت تشتريه ؟

فتفكر هارون قليلا ثم قال : أشتريه بنصف ملكى .

فقال له الصالح : اشرب يا أمير المؤمنين هنيئا مريئا .

فلما شرب قال له الصالح : بالله ياأمير المؤمنين لو منعت إخراج هذا الماء مع شدة حاجتك اليه ، فبكم كنت تشترى خروجه ؟

فقال : أشترى خروجه بنصف ملكى .

فقال له الرجل : أفرأيت ياأمير المؤمنين أن هذا الملك لايساوى شربة ماء وخروجها .

فبكى هارون الرشيد ـ رحمه الله ـ

هكذا يجب أن يتخلق الناس بخلق العرفان لله ، والحمد له ، والشكر على نعمائه ، والتواضع لسلطانه ، ومراعاة الأمانة التى ائتمنهم الله عليها فى رعيتهم ، كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته .

واذا كان الحق ـ سبحانه وتعالى ـ يرعى الناس فى ملكه بمنتهى الرأفة والرحمة والعدل والفضل ، فحق على من هو مسئول أمام الله أن يرعى حق الله فى عباد الله .. قال عز وجل

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١١٥)

الدعـــاء باســـم المـــلك

وما أجمل أن يدعو العبد سيده الملك بهذا الدعاء الذى ورد على لسان بعض الصاحين « الهى ياملك العالمين ياصاحب العز الدائم ، ذلت لعظمتك رقاب الجبابرة وارتعدت لهيبتك أرواح الكروبيين(١١٦) تجل لنا بسر اسمك الملك ، وأمدنا بلطائفه حتى نملك نفوسنا ونعدل فى جوارحنا ، ونتصرف بأمرك فى كل الشئون ، يامن أمره اذا أراد شيئا قال : كن فيكون ـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم .

---

(١١٥) الأنبياء ٢٣

(١١٦) الكروبيون : الملائكة المقربون

دعـــاء يوســف ـ عليـه الســلام ـ

لم ينس يوسف ـ عليه السلام ـ وقد أتاه الله الملك وربعه على عرش مصر بعد أن بيع بيع العبيد بثمن بخس دراهم معدودة ـ لم ينس أن يتضرع داعيا الى الله الملك الذى يهب الملك لمن يشاء ـ قائلا بلسان الذلة والانكسار ، لابلسان العزة والاستكبار :

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠١﴾ (١١٧)

لقد قدم بين يدى دعائه اعترافه بنعمة الله عليه ، وهذا هو مقتضى الشكر للنعمة والحمد للمنة ، مستعظما ما أفاءه الله عليه وما خوله إياه ، ثم ناجاه بقدرته القيومية وعنايته الأزلية ، ثم دعاه أن تكون خاتمته خاتمة حسن وإيمان وأن يتوفاه الله على الاسلام ، وأن يلحقه بالصالحين من آبائه . . . . . إن فى تذكر يوسف فى صدر دعائه نعمة الملك عليه ، ثم ختامه الدعاء بأن يحسن الله ختامه عند الموت ـ اعترافا بقهر الله وقيوميته وعظمة ملكه وديمومته . فهو الملك الى الذى لايموت ، كما يموت أولئك الملوك الذين لاحول لهم ولا قوة أمام جبروت الله .

قال بعض العلماء وحظ العبد من اسم ربه الملك ـ جل جلاله ـ أن

---

(١١٧) يوسف ١٠١

يصلح الله قلبه وشأنه ويورثه الشجاعة على ماسواه من جوارحه ومن تحت إمرته ، فإن القلب هو الملك والجسم مملكته ، وقد جاء فى الأثر القدسى « ما وسعنى أرضى ولاسمائى ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن »

واسم الله ـ الملك ـ يجب أن تتذكره الملوك دائما ليعرفوا أن هذه الاسماء عارية لهم ، وان الملك الحقيقى هو الله وحده مالك الملك .

قال العلماء : من واظب على ذكر « الملك » وقت الزوال كل يوم مائة مرة صفا قلبه وزال همه .

ومن قرأه بعد الفجر مائة وإحدى وعشرين مرة أغناه الله من فضله بما يفتح الله له[118] »

(١١٨) أسماء الله الحسنى الشيخ أحمد عبد الجواد ص ٢٨

القـــــدوس

ورد اسم القدوس فى القرآن الكريم مرتين ، فى قوله تعالى :

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (١١٩)

وفى قوله تعالى : ـ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ (١٢٠)

والاسم مشتق من التقديس ، ومعناه تنزيه الله ـ عز وجل ـ وهو على وزن « فُعُّول » ـ بضم الفاء وتشديد العين المضمومة . وكان سيبويه يفتح الفاء فيقول : قَدُّوس ـ ولكن المسوغ فيه وفى « سُبُّوح » ضم الفاء ، قال ثعلب : كل اسم على فَعُّول مفتوح الأول مثل « سَفُّود ، وتَنُّور ، وسَمُّور » الا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما الأكثر وقد يفتحان .

وهذا الوزن من أبنية المبالغة ، ولم يجىء فى أسماء الله على هذا الوزن غيره ، ومعناه الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص ، فهو من التقديس بمعنى التطهير . . . . . وتقدس أى تطهر .

وجاء فى القرآن الكريم على لسان الملائكة .

---

(١١٩) الحشر ٢٣
(١٢٠) الجمعة ١

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١٢١)

قال الزجاج : معنى نقدس لك - أى نطهر أنفسنا لك ، وكذلك نفعل بمن أطاعك نقدسه - أى نطهره -

وفى سياق ذلك يقال : البيت المقدس - أى المطهر ، والذى يُتَطهر فيه من الذنوب .

والقدس : البركة ، وبيت المقدس : المبارك ، وروح القدس هو جبريل - عليه السلام - لطهارته .... قال الله فى حق عيسى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (١٢٢)

وفى الحديث : « أن روح القدس نفث فى روعى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

---

(١٢١) البقرة ٣٠

(١٢٢) البقرة ٨٧ ، ٢٥٣

ولا قدس الله أمة أى لابارك فيها ولا طهرها ، ومن ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **لاقدست أمة لايؤخذ لضعيفها من قويها** » .

فهذه المعانى تشير الى اسم القدوس الذى يعنى الطهارة والكمال والرفعة والعلو والتنزه عن النقائص والعيوب ، بل هو المنزه عن كل ماتحيط به العقول ، ويخطر فى الأوهام ، ويصوره الخيال ، فكل ماخطر ببالك فالله بخلاف ذلك .

هو يعنى أن الله منعوت بكل كمال ، موصوف بكل جمال وجلال بل إن الغزالى ـ رحمه الله ـ يرتفع بنا الى منزلة أعلى حين نتحدث عن صفات الله ويعلمنا كيف يكون الأدب فى هذا الحديث . فيقول : لايكفى فى تفسير القدوس بالنسبة الى الله تعالى ـ أن يقال : ـ إنه منزه عن العيوب والنقائص ، فإن ذكر ذلك يكاد يقرب من ترك الأدب مع الله ، فليس من الأدب أن يقال : السلطان ليس بحائك ، فإن نفى الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود ، وفى ذلك إيهام نقص .

بل إن القدوس هو الأعظم بلا حدود فى كل أوصاف الكمال التى يتصورها الخلق ، لأن الخلق نظروا الى أنفسهم وعرفوا صفاتهم ، والكمال فى حقهم محدود مثل علمهم وقدرتهم وسمعهم وبصرهم وكلامهم . . ووضعوا هذه الالفاظ بإزاء هذه المعانى ، وقالوا : إن هذه أوصاف الكمال . .

ثم كان غايتهم فى الثناء على الله ـ تعالى ـ أن وصفوه بأوصاف الكمال التى يتصورونها من علم وقدرة وسمع وبصر وكلام ، وهو سبحانه أعلى وأعظم من أوصاف كمالهم المحدود كما أنه منزه عن أوصاف نقصهم . . . إن كل صفة نتصورها للخلق هو أعلى عنها وعما يشبهها أو يماثلها .

كيف يتخلق المسلم باسم القدس ؟

إن المسلم يستطيع أن ينزه نفسه عن مذموم الصفات ومرذول العادات ، ويبعد نفسه عن مواقف الشبهات . . ويقول الامام الغزالى فى ذلك : يمكن للانسان أن يتقدس فى علمه بأن ينزهه عن المتخيلات والمحسوسات والموهومات ، وكل مايشارك فيه البهائم من الادراكات ، بل يكون تردد نظره وطواف علمه حول الأمور الإلهية المنزهة ، وبذلك يرتفع الى المنازل العليا والمقامات الرفيعة .

ويمكنه أن يقتنى من العلوم مالو سلبت آلة حسه وتخيله ، لبقى ريان بالعلوم الشريفة .

ويمكن أن يقدس إرادته بتنزيهها عن الدوران حول الحظوظ البشرية التى ترجع الى لذة الشهوة والغضب ، ومتعة المطعم والمنكح والملبس والملمس والمنظر ، ومالايصل اليه من اللذات إلابوساطة الحس والقلب ، فيصبح لايريد إلا الله ـ تعالى ـ ولايبقى له حظ الا فى الله ـ تعالى ـ ولايكون له شوق إلا الى لقاء الله ـ تعالى ـ ولافرح الا بالقرب من الله ـ تعالى ـ

إنهم يصفون بعض الناس بالقديسين ، فيقولون : فلان قديس ، ذلك لأنهم لم يروا فيه إلا رفعة وعلوا ، وبعداً عن الخطايا وترفعا عن الدنايا ، وتعففا عن الشهوات ، واجتهادا فى الطاعات ، انهم يرون فيه صورة مثالية للأخلاق الفاضلة ، والصفات الحميدة ، فهو يعيش بين الناس وكأنه ليس منهم ، ذلك لأنه لايتصرف تصرفهم ، ولايهبط الى مستواهم . هو بشر إلا أنه ملك .. ولو استخبروا عنه لقالوا مثلما قالت نسوة امرة العزيز :

﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾

بذلك يتخلق المسلم بصفة القداسة التى تعنى التطهر والرفعة .....

وذكر بعض العلماء فى بيانه لمعنى الاسمين : الملك القدوس ـ قال : الملك : ذو القدرة على الايجاد ، والقدوس : المنزه عن الآفة والنقص .

ويقول عن القدوس : المنزه عن الإدراك أو الوصول إليه أى لايستطيع أحد إدراك ذاته ، وقصارى جهد العارف أن يتعرف عليه عن طريق صفاته ، وهذا غاية الأدب مع الحضرة الالهية . وقد نهينا عن التفكر فى الذات ، ولكنا أمرنا بالتفكير فى مظاهر القدرة وعظمة الخلق .. والأثر يقول : تفكروا فى خلق الله ولاتفكروا فى الله ، فان البحث عن الذات إشراك والعجز عن الادارك إدارك .

الدعـــــاء بالقـــــدوس

كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو فى سجوده قائلا : « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » .

وقد ورد فى دعاء بعض الصالحين « سبحان الملك القدوس الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز » .

ويقال : ان هذا دعاء مجرب لمن تعتريه الوسوسة .

أما الذى يلوك الناس سيرته فيستطيع أن يردهم عنه بهذا الدعاء .

« ياقدوس الطاهر من كل سوء فلاشىء يعادله من جميع خلقه » .

يقولون : إن الله يعقد لسان من يذكره بالسوء .

قال أحد الفضلاء . . . . ومما شاهدته عند تلاوة هذا الاسم أن الجوارح والحواس لاتشتهى معصية وقت ذكره ، فالعين تكره النظر الى ماحرم الله ، والأذن تأبى سماع مايغضب الله ، لأن للاسم تأثيرا على سائر جوارح الجسد ، فعلى الذين يريدون أن يتحرروا من شهوة الجسد وربقة المعاصى أن يلازموا ذكر هذا الاسم الشريف ليذهب الله عنهم رجس الشيطان(١٢٣) » .

وفى حزب البر للإمام الشاذلى دعاء باسم الملك يتضمن الرجاء بالتقديس والتطهر فيقول : « ياالله ياملك ياوهاب ، هب لنا من نعماك ماعلمت لنا فيه رضاك ، واكسنا كسوة تقنا بها من الفتن فى جميع عطاياك ، وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصا مما استأثرت به فى علمك عمن سواك » .

---

(١٢٣) فى ملكوت الله مع أسماء الله للشيخ عبد المقصود محمد سالم ص ٤٦ ـ مكتبة الشمرلى

السلام المؤمن

كيف يتصف المؤمن بصفة السلام

الدعاء بهذا الاسم

اسم الله ـ المؤمن

الذكر بهذا الاسم

المؤمن مرآة المؤمن

اسم الله ـ المهيمن

اسم الله ـ العزيز

الدعاء بهذا الاسم

الجبار

المتكبر

السلام المؤمن

لم يرد اسم السلام على أنه من اسماء الله ـ تعالى ـ سوى فى قوله تعالى : ـ

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١٢٤)

ولكن لفظ السلام بمعنى التحية وبمعنى الجنة وبمعنى الأمان ورد فى مواضع كثيرة فمن ذلك قوله تعالى : ـ

﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (١٢٥)

وقوله ـ تعالى : ـ

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (١٢٦)

وبمعنى الجنة فى قوله ـ :

﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (١٢٧)

---

(١٢٤) الحشر ٢٣
(١٢٥) الأنعام ٥٤
(١٢٦) الأحزاب ٤٤
(١٢٧) الأنعام ١٢٧

وقوله - تعالى - :

﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١٢٨)

وبمعنى الأمان قوله تعالى : -

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ (١٢٩)

وقوله تعالى : -

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١٣٠)

وفسر ابن منظور السلام فى قوله - تعالى - :

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (١٣١)

بمعنى السلامة والبراءة يقولون : تسلم منه أى تبرأ منه ، فهم يقولون للجاهلين : تسلما وبراءة ، لاخير بيننا وبينكم ولاشر . . وليس هو السلام المستعمل فى التحية .

---

(١٢٨) يونس ٢٥
(١٢٩) هود ٤٨
(١٣٠) ق ٣٤
(١٣١) الفرقان ٦٣

وهو المعنى المستعمل فى السلام ضد الاعتداء والحرب .

وقد يكون السلام بمعنى السلامة من الداء ، ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾ (١٣٢)

فهى سلام لأنه لاداء فيها ولايستطيع الشيطان أن يصنع فيها شيئا .

وقال ابن منظور : السلام اسم الله ـ تعالى ـ لسلامته من العيب والنقص والفناء.

وقيل : معناه السلامة مما يلحق بالغير من آفات الغِيَر والأحداث ، وأنه الباقى الدائم يُفْنِي الخلق ولا يَفْنَى وهو على كل شيء قدير .

وقال بعضهم فى دار السلام : إنها دار الله . فالسلام فى هذا التعبير هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ

وقيل : سميت بذلك لأنها دار السلامة الدائمة التى لاتنقطع ولاتفنى فلاموت فيها ولاهرم ولاأسقام . . وهى الجنة أضيفت لله تكريما وتعظيما وتفخيما .

والسلام لفظ عذب جميل ، يدل على الأمان والاطمئنان والسلامة ومادته اللغوية كلها تدل على الخلاص والنجاة ، واذا سلم القلب من الغش والحقد والشرك كان خالصا من العيوب ، واستحق الجنة ـ دار السلام ـ مصداقا لقوله ـ تعالى ـ :

---

(١٣٢) القدر ٥

﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ ﴾[١٣٣]

ويقول بعض العلماء : سُمِّى الله بالسلام لعدة معان :

فالله هو السلام لأنه ناشر السلام بين الأنام وهو مانح السلامة فى الدنيا والآخرة .

وهو المنزه ذو السلامة من جميع العيوب والنقائص ، لكماله فى ذاته وصفاته وأفعاله ، فهو الذى سلمت ذاته القدسية من العيب ، وسلمت صفاته من النقص ، وسلمت أفعاله من الشر ، فكل سلامة معزوة إليه .

قال ابن العربى : اتفق العلماء على أن معنى اسم السلام بالنسبة لله تعالى ـ ذو السلامة ـ ثم اختلفوا فى ذلك على ثلاثة أقوال :

الأول : الذى سلم من كل عيب وبرىء من كل نقص .

الثانى : الذى سلم الخلق من ظلمه .

الثالث : المسلِّمْ على عباده فى الجنة ، ولذلك قيل : إن السلام من أسماء الله ـ سبحانه ـ معناه المنزه عن الآفات ، المُطهَّرُ من صفات المخلوقات . فهو فى رأى بعض العلماء بمعنى اسم القدوس .

ويقول القشيرى : السلام ـ ذو السلامة من النقائص ، الذى يسلم على أوليائه ، والذى سلم المؤمنون من عذابه .

ويؤكد القرطبى هذا المعنى فيقول : السلام ـ أى ذو السلامة من النقائص ،

---

(١٣٣) الشعراء ٨٧ ، ٨٨

ويستشهد بكلام ابن العربى السابق .

ومن اسم السلام اشتق الاسلام ، الذى ارتضاه الله دينا لعباده : قال تعالى :

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ (١٣٤)

وقال :

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (١٣٥)

وبذلك شهد الله وشهدت ملائكته وأولو العلم :

قال تعالى :

---

(١٣٤) المائدة ٣

(١٣٥) آل عمران ٨٥

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ (١٣٦)

ومن اسمه ـ تعالى ـ السلام ـ اشتق التحية فى الجنة لأهل الجنة ، يحييهم ربهم ويحيونه بالسلام :

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (١٣٧)

وتحييهم الملائكة بالسلام .. قال تعالى :

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١٣٨)

والسلام هو تحية المسلمين فى عبادتهم وصلواتهم . فهم فى التشهد يقولون : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

---

(١٣٦) آل عمران ١٨ ، ١٩
(١٣٧) الأحزاب ٤٤
(١٣٨) الرعد ٢٣ ، ٢٤

وحين ينفلتون من صلاتهم يسلمون ذات اليمين وذات اليسار قائلين : السلام عليكم ورحمة الله .

ويلجأون بعد الصلاة إلى الله ضارعين قائلين : اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دارك دار السلام .

كيف يتخلق المؤمن بهذا الاسم ؟

ويستطيع المسلم أن يتخلق بهذا الاسم ، فيكون بالنسبة لمجتمعه أداة سلم وأمان ومصدر سلامة واطمئنان . . فيكون كما قال النبى - ﷺ - : « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »(١٣٩)

وفى حديث رواه أبو أمامة قال - قال - ﷺ - : « ثلاثة كلهم ضامن على الله ، إن عاش رزق وكُفِى ، وإن مات أدخله الله الجنة : رجل خرج غازيا فى سبيل الله فهو ضامن على الله ، حتى يتوفاه فيدخله الجنة ، أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة ، ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة ، ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله »(١٤٠) . .

يكون أهلا للعفو والصفح ، يقابل السيئة بالحسنة ، ولا يقابل الجاهلين

---

(١٣٩) رواه مسلم عن أبى هريرة

(١٤٠) جمع الجوامع ٢١٦ / ١٣١٢٠ جـ ٢ ص ١٣٧٥ - مجمع البحوث -

بجهلهم بل يكون كما قال الحق ـ سبحانه وتعالى ـ

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ (١٤١)

ويكون كما قال الله ـ تعالى ـ

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (١٤٢)

واذا كان من مفهوم السلام ـ كما رأينا ـ السلامة من النقص والعيب ، فعلى المسلم أن يطهر نفسه ، وأن يكملها ، وأن يعمل على ترقيتها وتهذيبها بأن يسلم جوارحه من الآثام ، وقلبه من الخواطر والأوهام ، فمن كان بربه ابتهاجه كان به ارتقاؤه واليه معراجه . وحظ المسلم من أخيه المسلم ثلاثة : إن لم ينفعه فلا يضره .

وإن لم يسره فلا يغمه .

وإن لم يمدحه فلا يذمه .

قال الغزالى ـ رضى الله عنه ـ : العبد الذى يستحق أن يوصف بصفة السلام . عليه أن يسلم قلبه من الغش والحقد وارادة الشر ، وأن تسلم

---

(١٤١) الفرقان ٦٣

(١٤٢) فصلت ٣٤

جوارحه من الآثام والمعاصى ، وأن تسلم صفاته من الانتكاس والانعكاس ، فلا يكون عقله أسير شهوته وغضبه ، بل يكون الغضب والشهوة أسيرين لعقله وحكمته ، فذلك هو الذى يأتى ربه بقلب سليم ، ويكون جديراً بوصف السلام »(١٤٣)

الدعاء بهذا الأسم :

وقد ورد فى الدعاء باسم السلام ومشتقاته فى القرآن الكريم قوله ـ تعالى ـ :

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾(١٤٤)

ولا تخفى العلاقة بين السلام والإسلام . . فالإسلام هو دين السلامة والأمن والتسليم لوجه الله ـ تعالى ـ وهو دين الله الذى اختاره منذ الأزل وبه بشر الأنبياء جميعا من لدن آدم حتى نبى الرحمة والسلام ـ محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ

ومن دعاء النبى ـ ﷺ ـ : « اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دار السلام »

ومن دعائه أيضا : اللهم اجعلنا سلما لأوليائك . .

---

(١٤٣) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ ١ ص ٥٣

(١٤٤) البقرة ١٢٨

ومن أدعية الصالحين : إلهى . . إن كل سلام وتسليم ، وسلامة من كل خطر جسيم ، فهو من تجلى اسمك السلام ، فأشرق نور السلام فى قلبى حتى أسلم من الخصام ، وتجلّ علىّ بالسلامة لديني بالفضل والاكرام ، وواجهنى بأنوار هذا الاسم حتى أتحقق بالتسليم والسلام والمسالمة لجنابك فى أحكامك الشرعية والقدرية ، وسلمنى من الأمراض والآفات والعاهات والبليات حتى تسمع أذنى : سلام قولا من رب رحيم » . . ومن دعاء بعض الصالحين ـ بعد تكرار اسم السلام : اللهم خلصنا من ظلم الغفلة والبعاد ، وامنحنا دوام الذكر وحسن الاعتقاد ، وامنن علينا بما مننت به على أهل التقى والوداد .

ومن ذلك أيضا قولهم : قل فى دعائك : اللهم يا سلام سلمنى من كل شر فى حياتى ويوم أموت ويوم أبعث حيا .

ومن الفوائد التى ذكروها : من قال كل يوم : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ـ مائة مرة ، لا يذوق مرارة الموت ، وييسر الله أمره ، ولا يقع فى عسر بإذن الله السلام .

ومعنى لا يذوق مرارة الموت ـ أى يعينه الله على سكراته وييسر له فى النزع فلا يحس ألمه .

المؤمن :

هناك علاقة بين السلام والمؤمن كما أن هناك علاقة بين الاسلام والايمان .

وقد ورد لفظ المؤمن على أنه من أسماء الله - تعالى - فى آية واحدة هى قوله - تعالى -

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١٤٥)

وفسر ابن منظور هذا الاسم بقوله : المؤمن من أسماء الله - تعالى - فقد وحَّد نفسه بقوله :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ (١٤٦)

وكل من شهد بذلك مصدقا بقلبه من الناس فهو مؤمن .

وقيل : مؤمن لأنه آمَنَ الخلق من ظلمه .

وقيل : لأنه آمن أولياءه عذابه .

والمؤمن هو المصدِّق والله يصدق عباده المسلمين يوم القيامة - إذا سئلت الأمم عن تبليغ رسلهم . يقولون : ما جاءنا من بشير ولا نذير ، ويكذبون أنبياءهم ، فيؤتى بأمة محمد - ﷺ - فَيُسْألون عن ذلك فيصدقون ويقرون فيصدقهم الله . ويصدقهم النبى - ﷺ - وهذا هو قوله - تعالى - :

---

(١٤٥) الحشر ٢٣

(١٤٦) آل عمران ١٨

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ (١٤٧)

وقوله ـ تعالى :

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (١٤٨)

أى يصدق المؤمنين .

وقيل فى معنى المؤمن : الذى يصدق عباده وما وعدهم . وكل هذه الصفات لله ـ عز وجل ـ لأنه صدق بقوله ما دعا إليه عباده من توحيد ، وكأنه آمن الخلق من ظلمه ، وما وعدنا من البعث والجنة لمن آمن به ، والنارِ لمن كفر به ، فانه مصدق وعده لا شريك له .

وبهذا التفسير قال ابن الأثير وصاحب المحكم . .

وقال ابن سيده فى المحكم : المؤمن هو المهيمن ، جعلهما بمعنى ـ وأضاف الفارسى : الهاء فى المهيمن بدل من الهمزة فى المؤمن ، والياء ملحقة بالبناء أى بناء مُفعلِل كمدحرج .

---

(١٤٧) النساء ٤١
(١٤٨) التوبة ٦١

ولكن ثعلبا فرق بينهما فقال : المؤمن المصدق لعباده ، والمهيمن الشاهد على الشيء القائم عليه .(١٤٩) فهما ليسا اسما واحدا ولكنهما اسمان . . . وفى مادة هذا الاسم الكريم معنى الايمان والأمان ، فيقال : آمنه من الأمان ، وهو ضد الخوف .

والمؤمن يطلق على من اتصف بالايمان ، والايمان فى لغة العرب هو التصديق ، والأَمَنَة هى الأمن ومنه قوله ـ ﷺ ـ : « أنا أَمَنَة لأصحابى ، وأصحابى أَمَنَةٌ لأمتى » وقد ورد هذا المعنى فى قوله ـ تعالى

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾(١٥٠)

والمؤمن المتفضل بالأمن والأمان ، وإنما يستحق الأمان أهل الايمان والاستقامة ، فالله يعطى الأمان لمن استجار به واستعان ، ولذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(١٥١)

---

(١٤٩) لسان العرب لابن منظور مادة أمن
(١٥٠) الأنفال ١١
(١٥١) الأنعام ٨٢

فالله المؤمن هو خالق الأمن والاطمئنان ، ومنزله فى قلوب أهل الايمان . . . وفسر القرطبى معنى المؤمن فى آية الحشر فقال : المؤمن أى المصدق رسله بإظهار معجزاته على يدهم ، ومصدق المؤمنين ما وعدهم من الثواب ، ومصدق الكافرين ما أوعدهم من العقاب .

وقيل : المؤمن الذى يُؤَمِّن أولياء من عذابه ، ويؤمن عباده من ظلمه ، ويقال : آمنه من الأمان الذى هو ضد الخوف كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤ ﴾ (١٥٢)

وذكر القرطبى قول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : إذا كان يوم القيامة أخرج الله أهل التوحيد من النار ، وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبى ، حتى إذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبى قال الله ـ تعالى ـ لباقيهم : أنتم المسلمون وأنا السلام ، وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن ، فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين .

ويقول الدكتور ـ أحمد الشرباصى : الله ـ تبارك وتعالى ـ المؤمن لأنه هو الذى يستحق وحده نسبة الأمن والأمان إليه فى الحقيقة والواقع ، فهو الذى يهيىء الأسباب المحققة للأمن ، وهو الذى يسد أبواب الخوف ، وهو الذى يوجد السكينة فى نفس الإنسان . ويستشهد على ذلك بقول حجة الإسلام الغزالى ـ رحمه الله ـ : إن المؤمن هو الذى يُعزى إليه الأمن والأمان لإفادته

---

(١٥٢) قريش ٤

أسباب الأمن وسده طرق المخاوف ، ولا يتصور أمنا إلا فى محل الخوف ، ولا خوف إلا عند إمكان العدم والنقص والهلاك ، والإنسان المؤمن هو الذى لا يتصور أمنا إلا إذا كان مستفاداً من جهته الأصلية والوحيدة وهو الله - تبارك وتعالى -

والأمن شيء معنوى يهبه الله لمن يشاء ، ممن يخشى الله ويتقيه . فقد ورد فى الأثر : من خاف الله أخاف منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء . .

وكم من رجل مدجج بالسلاح ومحاط بالحراس ، ومع ذلك لا يقر قلبه من الخوف ، ولا يكف جسمه عن الارتعاد . .

وكم من أعزل يجوس الأماكن المخوفة وحيداً ، لا سلاح له إلا اعتصامه بالله وتوكله عليه ، وقلبه فى منتهى الثبات والقوة والاطمئنان .

وواقعنا الذى نعيش فيه يُصدِّق ذلك . فكم من محروس قتل بيد حراسه ، وكم من مرهوب اغتالته يد أقرب الناس إليه . .

وقد تعود الحكام وأولو الأمر أن يحيطوا أنفسهم بالجنود يحمونهم من عبث المغامرين أو سطوات المنتقمين . ولكن إذا حم القدر عمى البصر ، ومن مأمنه يؤتى الحذر .

ولكن الذى يلجأ الى الله فى حفظه ينام ملء عينيه لا يخشى شيئاً ، وقد علمنا أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان ينام على التراب فى ظل

شجرة ولا يحرسه أحد ، وحين رآه رسول كسرى نائماً بهذه الصورة ، لم يستطع أن يكتم دهشته وعجبه ، فقال : عدلت فأمنت فنمت يا عمر . .

وما أصدق الشاعر الحكيم الذى يقول :

إذا العناية لاحظتك عيونها . . نم فالمخاوف كلهن أمان

ومما يقصه الوعاظ فى هذا الصدد أن الله المؤمن يؤمن عبده فى أشد الأماكن هلكة وخطراً ، وربما حول مصدر الخوف حوله أمنا ، بل ويجعله وسيلة لنجاته من الخوف . .

وقد غضب أحد الأمراء على رجل حمال اسمه ـ بنان ـ فألقاه أمام أسد جائع ، على أمل أن يفترسه الأسد ويستريح منه ـ فأقبل الأسد على بنان يتمسح به ولا يمسه بأذى . .

وسئل ـ بعد أن أفرج عنه ـ عن شعوره حين كان الأسد يلعق جسمه بلعابه . فقال : كنت أفكر فى سؤر الأسد أطاهر هو أم نجس ؟ ـ

ويقال إن أبا حمزة الخراسانى وقع فى أثناء رحلته إلى الحج فى بئر لاماء بها ، قال : فنازعتنى نفسى أن أستغيث . فقلت : والله لا أستغيث . إلا بالله فما استتمت هذا الخاطر حتى هيأ الله لى من أنقذنى .

ويقول الغزالى ـ رحمه الله ـ : « لو قدرنا إنسانا وحده مطلوبا من جهة أعدائه ، وهو ملقى فى مضيق لا يقدر أن يحرك فيه أعضاءه لضعفه ، وإن تحركت أعضاؤه فلا سلاح معه ، وإن كان معه سلاح فلن يقاوم به أعداءه وحده ، وإن كانت له جنود لم يأمن أن تنكسر جنوده ، ولا يجد حصنا يأوى

إليه ، فجاء من عالج ضعفه فقواه ، وأمده بجنود وأسلحة ، وبنى حوله حصنا حصينا ، فقد أفاده أمنا وأمانا ، فبالحرى أن يسمى مؤمنا فى حقه . . »[١٥٣]

إن الأمن الحقيقى من الله يمد به من يشاء ، ويضعه فى قلب أحبابه فلا يمسهم خوف ولا حزن فى الدنيا قبل الآخرة . كما قال ـ سبحانه ـ فى حق المؤمنين

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[١٥٤]

والخوف الحقيقى من الله أيضا لأنه هو الذى يبعث أسبابه فى قلوب الأشقياء المبعدين . . ولا تناقض بين هذا وذاك ، فهو المحيى والمميت والضار والنافع والمعز والمذل .

كيف يتخلق العبد باسم المؤمن ؟

إن أجدر العابدين باسم المؤمن هو الإنسان الذى يحرص على أن يكون داعيا إلى الخير ، آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر ، حريصا جهده على أن يكون سبباً لأمن الخلق من عذاب الله وعقابه ، عن طريق هداية الناس إلى صراط الله المستقيم ، وإرشادهم إلى سبيل النجاة ، وهذا العمل من أشرف الأعمال ، وهو وظيفة الأنبياء والمرسلين .

---

(١٥٣) أسماء الله الحسنى د . الشرباص ص ٦٣ نقلا عن الغزالى فى المقصد الأسنى
(١٥٤) الأنعام ٨٢

ونضيف إلى ذلك أن الذى يتوكل على الله لا يخاف ، لأنه أصبح فى حفظ الله وكلاءته .

وقد أثنى الله على هؤلاء وطمأنهم قائلاً :

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

الذكر بهذا الاسم

وعلى الذاكر بهذا الاسم أن يراقب قلبه وأحواله ، ويحفظ جوارحه من الاشتغال بما يصرفه عن مولاه .

ومن أكثر من ذكر اسم المؤمن عصم الله لسانه عن الكذب والبهتان . .

ومن فوائد الذكر بهذا الاسم أن يُؤمِّن الله الذاكر به على نفسه وماله ، وأن يرزقه التخلق بصفته فيصبح أمينا صادقاً مجاب الدعوة . . لأن من صفات المؤمن الصدق والأمانة والوفاء واحترام العهود والمواثيق ، واتباع

---

(١٥٥) آل عمران : ١٧١ : ١٧٥

الأوامر ونبذ النواهى . « والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم.» أى يصبح مصدر أمن للناس أجمعين .

والدعاء بهذا الاسم يصلح لمن غلب عليه الرعب والخوف وبخاصة فى حال السفر ، ومن الأدعية الواردة فى ذلك ، ما ورد فى كتاب الأنوار القدسية :

« إلهى أذقنى حلاوة الإيمان ، حتى أشهد أنى نلت خير نعمة بالفضل والإحسان ، واحفظنى بفضلك من الشيطان ، فهو يحاربنى فى هذا الكنز المصون ، إلهى تجل لى بنور اسمك المؤمن ، حتى آنس بك فى سرى وعلنى ، وفى ظاهرى وباطنى ، فإن كل نعمة نوارنية هى قبس من تجلى اسـمك المـؤمن ، فكل أمن وأمان هو منـك موهـوب ، وإليـك يرجع الأمر كله ياعلام الغيوب فنور إيمانى من تجليك ونور أذكارى من هدايتك وعنايتك ، وحالى غير خاف عليك ـ فاحفظ علينا الإيمان » .

المؤمن من مرآة المؤمن

إن المؤمن الحق يرى الله تجاهه ، فلا يحيد عن الحق ، ولا يبتعد عن الصواب .. وهذا يفسره الاثر الوارد عن ابن عباس .. رضى الله عنهما : ـ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ..

قال الشاعر أحمد مخيمر فى مناجاة الله باسمه المؤمن : ـ

للحق والتوحيد تهدينا إذا حاق الضلال بنا فأنت المؤمن
وعلى الصراط إذا تجمع أهله لن يستطيع الفوز إلا المحسن

أما ابن عربي فيقول :

معطى الأمان المؤمن الرب الذى مازال يدعوه الورى بالمؤمن
فهو العليم بحقه وبحقنا وبماله منا وما للممكن

المهيمن

وردت كلمة « مهيمن » فى القرآن الكريم مرتين : مرة فى حق القرآن الكريم ، ومرة على أنها اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ

أما الأولى ففى قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (١٥٦)

والثانية فى قوله ـ تعالى ـ

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (١٥٧)

ومعنى اسم « المهيمن » الرقيب والشاهد على خلقه والمؤتمن والمستولى عليهم بالرعاية والقدرة ، والقائم بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم .

وإذا كان هذا بالنسبة لله ـ تعالى ـ معروفا . فهو بالنسبة لكتابه الكريم

---

(١٥٦) المائدة ٤٨

(١٥٧) الحشر ٢٣

معناه : أنه المؤتمن على الكتب السماوية السابقة ، والجامع لما فيها من تشريعات وأحكام .

قال ابن منظور : المهيمن اسم من أسماء الله - تعالى - فى الكتب القديمة ،

قال بعضهم : معناه الشاهد ، وهو مَنْ آمن غيره من الخوف ، وأصله مُؤَامن - بهمزتين سهلت إحداهما - ثم قلبت الهمزة الثانية ياء فأصبحت : مؤيمن ، ثم قلبت الأولى هاء ، فأصبحت . مهيمن ، وإبدال الهاء من الهمزة وارد فى اللغة نظيره : هرقت الماء من أرقته ، وقولهم : إياك وهياك ، فهو على قياس العربية صحيح مع ما جاء فى التفسير من أن هذا الاسم بمعنى الأمين والمؤتمن .

وقد امتدح العباس بن عبدالمطلب النبى - ﷺ - بقصيدة عقب رجوعه من تبوك ، ورد فيها هذا البيت الذى يحتوى على كلمة « مهيمن » : -

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

ومعنى البيت على ما فسره اللغويون : حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك علياء الشرف من نسب ذوى خندف ، أى ذروة الشرف من نسبهم التى تحتها النُّطق ، وهى أوساط الجبال العالية .

فهذا يؤيد أن من معانى المهيمن الشاهد . .

ومن أسماء الله - تعالى - الرقيب والشهيد وهما يلتقيان فى المعنى مع هذا الاسم الكريم « المهيمن »

ويقول الغزالى فى معنى هذا الاسم : إنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ، وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه وإذا علم الإنسان أن الله مهيمن على الوجود بقدرته وحكمته أداه ذلك إلى مراقبة ربه واتقائه ، وحمله على حبس نفسه عن المعاصى وصرفها عن الهفوات ، والتأدب مع الله تعالى المطلع على أحواله كلها . .

والذى يستحضر فى نفسه عظمة هذا الاسم يعيش فى ظله آمنا لا يخشى احدا إلا الله ، كما ورد فى حديث وهيب : « إذا وقع العبد فى أُلْهَانِية الرب ومهيمنية الصديقين لم يجد أحدا يأخذ بقلبه »

يعنى أنه إذا وصل العبد الى هذه الدرجة لم يعجبه أحد من الخلق لأن قلبه امتلأ بحب الله ، فلم يعد فيه مكان لغيره .

إن الذكر بهذا الاسم يملأ القلب نوراً ويذهب الوساوس والنسيان ويقوى حفظ الذاكرة .

ومن الدعاء بهذا الاسم : « إلهى أنت المهيمن الذى أحاط علمه بالعالمين ، ونفذت قدرته فى الوجود ، أشرق لى سر هذا الاسم الشريف ، حتى أحيط علماً بدقائق نفسى وخفايا ضميرى وطوايا سترى ، فأراقب النوايا وأُقَوِّم الجوارح ، وأقيمها على ما تحب ، وأنفذ همتى بقدرتك فى جوارحى فأُصَرِّفها فى شرعك . . . »(١٥٨)

---

(١٥٨) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ١ ص ٦٨

العزيز

ورد اسم العزيز فى مواضع تقرب من مائة مرة . .

اقترن فى كثير منها باسم الحكيم . مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ (١٥٩)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) ﴾ (١٦٠)

كما اقترن فى بعضها باسم القوى . مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) ﴾ (١٦١)

وقوله ـ تعالى ـ

---

(١٥٩) البقرة ١٢٩

(١٦٠) البقرة ٢٦٠

(١٦١) هود ٦٦

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

واقترن فى بعضها باسم الرحيم . مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (١٦٣)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (١٦٤)

واقترن فى بعضها باسم الحميد . مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ

---

(١٦٢) الحج ٤٠
(١٦٣) الشعراء ٩ ، ١٠
(١٦٤) الروم ٤ ، ٥

﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٦ ﴾ (١٦٥)

واقترن فى بعضها باسم الوهاب ، مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ٩ ﴾ (١٦٦)

واقترن فى بعضها باسم الغفار مثل قوله ـ تعالى :

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ٦٦ ﴾ (١٦٧)

واقترن فى بعضها باسم الغفور مثل قوله ـ تعالى :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ٢ ﴾ (١٦٩)

وجاء مقترنا بالقدرة على الانتقام مثل قوله تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ

---

(١٦٥) سبأ ٦
(١٦٦) ص ٩
(١٦٧) ص ٦٦
(١٦٩) الملك ٢

﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾(١٧٠)

ولم يرد هذا الاسم منفردا إلا إذا كان مقصوداً به غير الله - تعالى - كما جاء فى قوله - تعالى - :

﴿ قَالُوا يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيۡخًا كَبِيرًا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾(١٧١)

وكما جاء وصفا للنبى - ﷺ - فى قوله - تعالى :

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾(١٧٢)

مفهوم الاسم

قال العلماء العز فى الأصل : هو القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع ، والتعزيز هو التقوية ومنه قوله - تعالى - :

﴿ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(١٧٣)

---

(١٧٠) المائدة ٩٥
(١٧١) يوسف ٧٨
(١٧٢) التوبة ١٢٨
(١٧٣) يس ١٤

فمعنى عززنا : شددنا وقوينا .

واللغة تقول : عز يعز ـ بضم العين فى المضارع ـ أى غلب يغلب ـ ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ (١٧٤)

فمعنى عزنى : غلبنى ـ ويقال عز يعز ـ بكسر العين فى المضارع ـ ومعناه يندر ويقل وجود مثله .

ويقال : عز يعز ـ بفتح العين فى المضارع ـ ومعناه لا يتوصل إليه وهذا التنويع فى المعنى بحسب التنويع فى ضبط العين فى المضارع هو من دقائق اللغة ـ العربية وبعد مراميها ولطائفها .

أما العزيز اسم الله فمعناه الغالب الذى لا يغلب والذى تفرد بالعزة ، فلا ترقى الأوهام إلى كماله وجلاله ، ليس له مثال ولا نظير ، ولا يذل ولا يضام ، ولا ترقى إليه الخواطر والأفهام ، ومن عرف أنه المنفرد بالعزة وحده اعتز به وتذلل إليه .

ويرى الإمام الغزالى أن من يوصف من الخلق بهذه الصفة هو الذى تجتمع فيه أوصاف ثلاثة : أنه لايكثر مثله ، وأنه الذى تشتد الحاجة إليه ، وأنه يصعب الوصول إليه . فإذا لم تجتمع هذه الأوصاف الثلاثة فلا يطلق

(١٧٤) ص ٢٣

عليه اسم العزيز . . فكم من شيء يقل وجوده ولكن لا يعظم خطره ولا يكثر نفعه . ولذلك لا يسمى عزيزا .

وكم من شيء يعظم خطره ويكثر نفعه ويقل نظيره ولكن لا يصعب الوصول إليه ولذلك لا يسمى عزيزاً ، كالشمس فهى لا نظير لها ونفعها عظيم والحاجة إليها شديدة ، ولكن لا يصعب مشاهدتها ويمكن التوقى منها . فهى ليست بعزيزة .

والعزة لا تنال إلا بالله . لأنها خاصة بالله ، وهو يمنحها لمن يعتز به . . . . قال ـ تعالى ـ

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (١٧٥)

لقد قصر الله العزة على نفسه ومنحها تفضلا منه لمن أراد عباده . . قال ـ تعالى ـ

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۚ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ (١٧٦)

---

(١٧٥) المنافقون ٨

(١٧٦) فاطر ١٠

ونسب العزة إلى نفسه فقال

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون »

كيف يتخلق المسلم بهذا الأسم ؟

قد رأينا أن الله يمنح العزة لعباده المؤمنين وأوليائه المقربين ، فمن أراد العزة فليصل حبله بحبل الله ، وليعتصم بالله ، وليترك الاعتزاز بالخلق فقد ورد فى الأثر : **« من استعز بقوم دون الله أذله الله على أيديهم »** وعزة الله أزلية أبدية لا تزول ولا تحول ، وإذا أعز عبداً من عباده أبقى أثره وخلد اسمه .

ويستطيع العبد أن يتعزز بالله ، فلا يذل نفسه ، ولا يوردها موارد التهم والشبهات ، وأن يرفع قدره عن مواطن الذلة والصغار ، وليتأدب بأدب هذه الكلمات : **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف .**

والعزيز من الناس هو الذى ينفع غيره ويأخذ بيد الناس ويقضى حوائجهم ، ويتمسك بهذا الأثر الكريم : اعلموا أن حوائج الخلق إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوها فتملوا نعم الله .

والشخص العزيز هو الذى يملأ القلوب إيمانا بارشاده ، ويدلها على الله ـ تبارك وتعالى ـ فيكشف لنفوس المؤمنين نور العزيز ، ويضحى فى سبيله بكل غال ونفيس .

ومن آداب الشخص العزيز ألا يذل قامته لأحد غير الله ـ تعالى ـ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه »

والعزة عند الإنسان تشرف إذا كانت فى ظل الله ، أما إذا كانت مظهر كبر وترفع وتعال على الناس فهى مقت من الله . . والتواضع لله ـ سبب من أسباب الرفعة كما يقول النبى ـ ﷺ : « من تواضع لله رفعه ومن تكبر عليه خفضه »

الدعاء بهذا الاسم

من داوم على ذكر العزيز أعزه الله وأغناه بعد فقر ، وآمنه بعد خوف .

ومن الدعاء به : إلهى أنت العزيز الذى تسند إليك حاجات العباد ، وأنت العظيم الذى يصعب الوصول إلى عزتك ، وأنت مراد القلوب ، وأنت الجليل الواحد الأحد الذى لا نظير لك تنزهت عن الأمثال والأنداد . يا إلهى صَفِّ قلبى من الأغيار ، حتى لا يرى عزيزا سواك وأشهدنى معنى العزة فى نفسى لتكون روحى فداك ، واجعلنى من العارفين الذين منحتهم العزة فكانت قلوبهم بعزتك عامرة ،وأفض عَلىَّ من أسرار عزتك حتى تصير نفسى إليك طائرة . . .

ومن مناجاة الشاعر أحمد مخيمر فى ظل هذا الاسم :

أنت العزيز ولا عزيز سواكا كل الخلائق يطلبون رضاكا
يا من له الزلفى ، وليس بهن أن يعرفوك ، ومستحيل ذاكا

الجبار

جاء اسم الجبار لله ـ سبحنه وتعالى ـ فى القرآن مرة واحدة فى قوله ـ تعالى ـ

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾.(١٧٨)

ولكنه ورد وصفا لقساة القلوب من الخلق فى آيات متعددة . .

ومعنى « الجبار » الموصوف به الحق ـ سبحانه وتعالى ـ : القاهر خلقه على ماأراد من أمر ونهى . .

وقال ابن الأنبارى : الجبار فى صفة الله ـ عز وجل ـ الذى لاينال . . وهو مأخوذ من الفعل الرباعى أجبر . . ولم يرد فَعَّال من أفعل الا فى هذا الفعل وفعل آخر هو : أدرك فهو دراك .

وقيل : معنى الجبار : العالى فوق خلقه . ومنه نخلة جبارة أى عظيمة تفوت يد المتناول .

وقيل : معناه أنه يجبر الخلق وينفذ مشيئته فيهم على ماأراد من أمره ونهيه . . ولاينفذ أحد مشيئته عليه ، وهو المتفرد بعلو مرتبته ، ويخضع لعظمته كل شىء .

---

(١٧٨) الحشر ٢٣

ومما يدل على إجبار الله للخلق وقهرهم قوله تعالى - :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (١٧٩)

فهو وحده الذى تعنو له الجباه وتخضع له الرقاب قال تعالى :

﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ (١٨٠)

وقال القرطبى فى تفسير هذا الاسم : الجبار - العظيم - وجبروت الله عظمته ، وهو على هذا القول صفة ذات من قولهم « نخلة جبارة » . . . واستشهد بقول امرىء القيس :

سوامق جبار أثيث فروعه وعالين قنوانا من البسر أحمرا (١٨١)

يعنى النخلة التى فاتت اليد .

قال : فكان هذا الاسم يدل على عظم الله وتقديسه عن أن تناله النقائص وصفات الحدث .

وقيل : هو من الجبر وهو الاصلاح ، يقال : جبرت العظم فجبر - إذا أصلحته بعد الكسر ، فهو فعّال من جبر إذا أصلح الكسير وأغنى الفقير .

وقيل : الجبار الذى لاتطاق سطوته .

---

(١٧٩) فصلت ١١

(١٨٠) طه ١١١

(١٨١ سوامق : مرتفعات - الأثيث : الملتف - القنوان : العِذق

أما الغزالى فيقول : إن الجبار فى حق الله ـ تعالى ـ هو الذى تنفذ مشيئته على سبيل الإجبار فى كل أحد ، والذى لايخرج عن قبضته أحد . وتقصر الأيدى عن حمى حضرته ، فالله ـ تعالى هو الجبار المطلق ، لأنه يجبر كل أحد ولايجبره أحد ، وهو وحده قاصم ظهور الجبابرة .

وقيل : الجبار هو المتكبر ، والتكبر فى حق الله تعالى ـ وصف محمود ، ولكنه فى حق العباد مذموم . .

وتضاف الواو والتاء إلى أصل كلمة جبار فيقال : جبروت ، على وزن فعلوت ـ لتدل على منتهى الكبرياء والعظمة . وهى فى نظير : ملكوت ورهبوت . وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . وقد جاء فى الحديث : « سبحان ذى الجبروت والملكوت »

واسم الجبار فى حق الله ـ تعالى ـ صفة كمال تدل على تمام قهره وعظمته . ولكنها فى حق العبد صفة نقص ، لأنها تؤدى الى منازعة الربوبية فى أوصافها ، وقد أعد الله للجبارين عذابا شديدا . . وتوعد كل من اتصف بهذه الصفة بأقصى العقاب .

وقد ورد هذا الاسم موصوفا به بعض الذين أوردهم الله موارد التهلكة قال ـ تعالى ـ :

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ (١٨٢)

---

(١٨٢) هود ٥٩

وقال تعالى :

﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ (١٨٣)

ونفى صفة التجبر عن أوليائه فقال ـ تعالى :

﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ (١٨٥)

هذا فى حق يحيى بن زكريا . أما عيسى ـ عليه السلام ـ فقد قال :

﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ (١٨٦)

وقال الله ـ تعالى فى حق صفيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ (١٨٧) .

وربما أطلقت هذه الكلمة على فارهى الأجساد أقوياء البدن من المخلوقين . . فقد قال قوم موسى لموسى ـ عليه السلام ـ حين أراد أن يحملهم على دخول الأرض المقدسة :

---

(١٨٣) ابراهيم ١٥
(١٨٤) غافر ٣٥
(١٨٥) مريم ١٤
(١٨٦) مريم ٣٢
(١٨٧) ق ٤٥

﴿ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (١٨٨)

لقد وصف المفسرون هؤلاء القوم أوصافا تدل على عظم خلقتهم وضخامة أجسامهم . ومن كانت هذه صفته خيف بطشه وخشى بأسه .

هل يجوز الاتصاف بهذا الاسم للمخلوقين ؟

إن هذا الاسم الجليل من الأسماء التى تفرد الحق بها ، ولايصح الاتصاف بها بالنسبة للخلق . بل ينبغى التخلق بأضدادها . . مثل التحلى بصفة الافتقار والانكسار . .

والغزالى ـ رحمه الله ـ يقول : الذى يعيش فى ظل أدب الجبار من العباد هو الذى يرتفع عن الاتباع وينال درج الاستتباع . ويعمل على إعلاء رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به ومتابعته فى سمته وسيرته . .

ومعنى مايقوله الغزالى ـ فيما نفهم ـ أنه لاينبغى للعبد أن يتعالى على الناس ـ بل عليه أن يكون قدوة لهم فى الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة ، وأن يكون متواضعا ، وهذا التواضع الذى يرفعه فى نظر الخلق تعففا لاتكلفا ، فما يراه أحد إلا لاحظه واقتدى به ، وكلف به وأحبه . ولكن هذه الدرجة لاينالها إلا من اختاره الله واصطفاه واجتباه . وهى منزلة

---

(١٨٨) المائدة ٢٢

سيد البشر - صلى الله عليه وسلم - الذى يقول : « **أنا سيد ولد ولافخر** » « **لو كان موسى حيا ماوسعه الا اتباعى** »

الدعاء بهذا الاسم :

وللذكر بهذا الاسم آداب أشار إليها القشيرى - رحمه الله - فقال - من أدب ذاكر هذا الاسم أن يقبل على تربية نفسه . فيجبر نقائصها ويحملها على ملازمة التقوى والطاعة حتى لاتزلزله الحوادث ولاتهزه النوائب ، وقد ناجى بعض الصالحين ربه فقال : ياجبار عجبت لمن يعرفك كيف يستعين بأحد غيرك ، وعجبت لمن يعرفك كيف يلتفت إلى غيرك ؟

ومن دعاء أحد الصالحين - رضى الله عنه - قوله « ياشديد البطش ياجبار ، ياقهار ياحكيم ، نعوذ بك من شر ماخلقت ، ونعوذ بك من ظلمة القبر وضيقه ونعوذ بك من كيد النفوس فيها قَدَّرْت وأردت . ونعوذ بك من شر الحساد على ماأنعمت . ونسألك عز الدنيا والآخرة . . كما سألك نبيك سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - عز الدنيا بالايمان والمعرفة ، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة إنك سميع قريب مجيب »

ومن مناجاة الشاعر أحمد مخيمر فى ظلال هذا الاسم قوله :

إنَّا عبيــــــدك أيـها الجبـــار عنـت الوجوه إليك والأبصـار
وإليك منك يلوذ خلقك ، مالهم فوق الحياة إذا غضبت قرار
رحماك أنت على الوجود مسيطر وإذا انتقمت فقاهر جبار[189]

---

(١٨٩) أسماء الله الحسنى أحمد مخيمر ص ٣٠

المتكـــبر

ورد اسم المتكبر لله عز وجل فى القرآن الكريم مرة واحدة ، فى قوله تعالى -

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (١٩٠)

وقال القرطبى فى تفسير اسم المتكبر إنه الذى تكبر بربوبيته فلا شيء مثله .

وقيل : المتكبر عن كل سوء ، المتعظم عما لايليق به من صفات الحدث والذم .

وأصل الكبر والكبرياء والامتناع وعدم الانقياد .

والكبرياء فى صفات الله مدح وفى صفات المخلوقين دم .

وفى الصحيح عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال فيما يرويه عن ربه - تبارك وتعالى - أنه قال : « **الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فى واحد منهما قصمته ثم قذفته فى النار** »

وقيل : المتكبر معناه العالى .

وقيل : معناه الكبير ، لأنه أجل من أن يتكلف كبرا . فقد يقال : تظلم -

---

(١٩٠) الحشر ٢٣

بمعنى ظلم . وتحلم بمعنى حلم ، وتعلم بمعنى علم ، وكذلك المتكبر بمعنى الكبير .

وليس كما يوصف به المخلوق إذا وصف بتفعل - أى نسب إلى مالم يكن منه .

فقد يقال : تَحلَّم إذا تكلف الحلم ولم يكن من طبيعته . ولكن الله - جل وعز - يستحيل عليه هذا المعنى ، لأنه ليس هناك تكلف فى حقه . لذلك نزه نفسه فقال : « سبحان الله عما يشركون » أى - تنزيها لجلالته وعظمته عما يشركون .

وقال ابن منظور : الكبير فى صفة الله - تعالى - العظيم الجليل ، والمتكبر الذى تكبر عن ظلم عباده ، والكبرياء عظمة الله ، جاءت على « فعلياء »

قال ابن الأثير : فى أسماء الله - تعالى - الكبير والمتكبر ، أى العظيم ذو الكبرياء - فهما بمعنى عنده .

وقيل : المتكبر معناه : المتكبر على عتاة خلقه ، والتاء فيه للتفرد والتخصص لا تاء التعاطى والتكلف .

ومعنى الكبرياء العظمة والملك ، وقيل : هى عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولايوصف بها إلا الله تعالى .

وقد توعد الله المتكبر من الخلق فقال فى حق الظالمين المتجبرين :

﴿ فَادْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (١٩١)

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (١٩٢)

والمتكبرون هم الذين يظلمون الناس ويسومونهم العذاب ويكلفونهم مالايطيقون ويحملونهم على مالايريدون ، ويغيرون عقائدهم بالاكراه والارهاب . . . وفرعون من هؤلاء ـ وعلى أثره يسير الظالمون من أمثاله ، وقد استعاذ موسى من فرعون لعتوه وتكبره فقال فيما يحكيه القرآن الكريم :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١٩٣)

وَعَرَّضَ مؤمن آل فرعون بفرعون حين أراد النصح لهم فلم ينتصحوا وأبوا إلا العتو والضلال ، فقال لهم : لقد طبع الله على قلوبكم فلا أمل فيكم ، وقد حكى القرآن الكريم قوله فقال :

﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ

---

(١٩١) النمل ٢٩
(١٩٢) الزمر ٦٠
(١٩٣) غافر ٢٧

﴿ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾(١٩٤)

والاستكبار هو تكلف الكبر ، وهو ممقوت أيضا ، وقد نعى الله على المستكبرين ووعدهم بشديد العقاب . قال تعالى :

﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(١٩٥)

فلاينبغى لأحد من الخلق أن ينازع الله فيما خص به نفسه من صفات . الكبرياء والعظمة .

ولذلك يجب أن يؤدب الانسان نفسه إن وجد فيها منازعة إلى العلو والاستكبار . وقد جعل الله الجنة لأهل التواضع والتقوى وحرم منها أهل العلو والاستكبار . قال ـ تعالى ـ

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(١٩٦)

وقد جاءت هذه الآية فى أعقاب قصة قارون الذى عثا واستكبر فخسف الله به وبداره الأرض .

على الانسان أن يتذكر أصله فيرتد إليه عقله ويثوب إليه رشده ، فيترك التعالى والتباهى ، ويدرك أنه لا يحق له أن يتباهى وهذا أصله يجبره على أن

---

(١٩٤) غافر ٣٥
(١٩٥) النمل ٢٣
(١٩٦) القصص ٨٣

يكون متواضعا منكسرا . .

مر أحد الملوك على رجل صالح يتحلق حوله بعض التلاميذ يرشدهم ويعلمهم . ولما لم يقم الرجل للملك تحية له ناداه قائلا : أيها الرجل ألا تعرفنى ؟

فقال له : بلى أنا أعرف بك من نفسك .

فقال الملك : فمن أنا إذن ؟

قال : أنت امرؤ ، أولك نطفة مَذِرَة ، وآخرك جيفةٌ قذرة ، وأنت بين ذلك محشوٌ بَوْلاً وعَذِرَة .

ففطن الملك لذلك . واعتذر عن سوء أدبه . .

ويقال : إن أحد الملوك فى تلمسان واسمه « يحيى بن يَغَانٌ » كان سائرا فى موكبه ، فمرٌ على عابد زاهد هو « أبوعبدالله التونسى » وكان عابد وقته . فأراد أن يسخر منه أمام حاشيته ، فوقف عليه ، وقال له : أيها الشيخ ، هل يجوز لى أن أصلى فى هذه الملابس التى أرتديها ؟ - وكان الملك يرتدى ثيابا فاخرة مُوَشّاة »

فضحك الشيخ من سؤاله - فقال له الملك : مم تضحك ؟

فأجاب الشيخ : أضحك من سخف عقلك وجهلك بنفسك . مالك تشبيه عندى إلا بالكلب ، يتمرغ فى دم الجيفة وقذارتها ، فإذا جاء يبول يرفع رجله حتى لا يصيبه البول ، وأنت وعاء ملىء حراما وتسأل عن الثياب ومظالم العباد فى عنقك . .

فبكى الملك ، وخرج من ملكه ، ولزم خدمة الشيخ .

وكان الناس إذا جاءوا يقصدون الشيخ ويطلبون منه الدعاء يقول لهم :

التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان ، فانه ملَكَ وزهد ، ولو ابتليتُ بما ابتلى به من الملك ربما لا أزهد(١٩٧) .

وجاء فى كتاب الأنوار القدسية ما يلى : الذنوب ثلاثة : ذنوب جبروتية ، وذنوب إبليسية ، وذنوب حيوانية .

فالذنوب الجبروتية هى ادعاء العبد صفات الرب من عزة وعظمة وكبرياء .. وعلاج ذلك أن يشهد فى نفسه أن أصله نطفة مهينة وأنه جرى من مجرى البول مرتين ، وأنه يحمل الجيفة فى بطنه ، ونهايته يرقد فى التراب . .

ومن كلمات الامام عَلِيٍّ المشرقة : عجبا لابن آدم تقتله شَرْقَة ، وتؤلمه بقة ، وتنتنه عرقة . فكيف يتكبر؟

والذنوب الابليسية أساسها الحسد ، فابليس حسد آدم وقال : أنا خير منه . . . وعلاج ذلك التنبه لوساوس الشيطان والاستعاذة بالله منه .

والذنوب الحيوانية هى ما تكون بدافع الشهوة والطبع . . وعلاج ذلك التوبة والاستغفار والاقلاع عن الذنب .

لقد حذر النبى ـ ﷺ ـ من الكبر ، فقال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من كبر »

آداب الذكر بهذا الاسم

ويتسنى للذاكر بهذا الاسم أن يتحلى بالزهد والتواضع ، ومعنى الزهد أن

---

(١٩٧) الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى صـ ٢٨ لعبد الحفيظ فرغلى ـ اعلام العرب ـ

ينزه قلبه عما يشغله مما سوى الله . . والاعراض عن متاع الدنيا طمعا فيما عند الله . .

روى أن أبا اليزيد البسطامى ناجى ربه قائلا : يارب بماذا أتقرب اليك ؟ فرأى فى نومه من يقول له : تقرب إلى الله بالتقوى والتواضع والخضوع له والافتقار إليه

ويقول العارفون : إن أبواب الجنة الثمانية مزدحمة بأصحاب الأعمال الصالحة . ماعدا باب الخضوع والافتقار فرواده قليلون . .

ومن دعاء الصالحين :

« يا الله يا عظيم يا على يا كبير ، نسألك الافتقار إليك والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك ، والطف بنا فيهما لطفا علمته يصلح لمن والاك ، واكسنا جلابيب العصمة فى الأنفاس واللحظات ، واجعلنا عبيدا لك فى جميع الحالات ، وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين فى المحيا والممات .

« اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا ، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا ، فكل عز يُمْنَع عنا فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك ، وكل غنى يحجب عنا فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك ، فانه قد ظهرت السعادة على من أحببته ، وظهرت الشقاوة على من وكل نفسه إلى غيرك .

فهب لنا مواهب السعداء ، واعصمنا من موارد الأشقياء »

هل يجوز لأحد التكبر ؟

يقولون : إن التكبر على أهل التكبر صدقة . والذين يرون ذلك يقولون

إن المقصود الاستهانة بالمتكبر ، وعدم الاغترار بما يدعيه لنفسه من صفات العلو والاستكبار . وعدم الوقوف أمامه موقف الذلة والصغار ، بل يجب ان تكون للانسان شخصية قوية أمام هؤلاء المتجبرين المتكبرين ، وأن يكون لديه شجاعة أدبية ترد المتكبر عن جوره وظلمه وتوقفه عند حده ، وقد ورد فى الأثر الشريف « إن من أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »

مناجاة صادقة

ومن ألوان المناجاة ما يقوله أحمد مخيمر فى ظلال هذا الاسم :

منفـــــرد بالكبـريـــــاء فليـس يشـــبهه أحـــد
لـو شـــاء أغلـــق بابـــه عمـــن عصـــاه ومـــن حجـــد
متوحـــــــــد متكبـــــــر سبحانه الفـــرد الصمـــد
وله الكمـــال بغيـــر حـــدٍّ والوجــــود بلا عَـــدَد
طوبـــى لعبـد صالـــــح لجـــلال سيـده سـجد[198]

(١٩٨) أسماء الله الحسنى لأحمد مخيمر

الخالق البارئ المصور

الخالق البارىء المصور

هناك علاقة بين هذه الاسماء الثلاثة الشريفة . .

قال القرطبى : الخالق : المقدر ، والبارىء : المنشىء والمخترع ، والمصور : مُصَوِّر الصور ومركبها على هيئات مختلفة . .

فالتصوير مرتب على الخلق والبرء وتابع لهما .

ومعنى التصوير التخطيط والتشكيل ، وخلق الله الانسان فى أرحام الامهات ثلاث خِلَق : جعله علقة ، ثم مضغة ، ثم جعله صورة . . . . . وهو التشكيل الذى يكون به صورة وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقد جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير ، وليس كذلك وإنما التصوير آخرا ، والتقدير أولا والبرء بينهما . .

وقد وردت الأسماء الثلاثة متصلة على هذا الترتيب فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢٤ ﴾(١٩٩)

وقد ورد اسم الخالق فى غير هذه الآية فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة منها قوله ـ تعالى ـ

﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝١٦ ﴾ (٢٠٠)

---

(١٩٩) الحشر ٢٤

(٢٠٠) الرعد ١٦

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ٦٢ ﴾ (٢٠١)

وورد هذا الاسم بعد صيغة التفضيل فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﴾ (٢٠٢)

وقيل إن أفعل التفضيل هنا على غير بابه لأنه لا يشترك مع الله أحد فى الخلق وهو من قبيل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧ ﴾ (٢٠٣)

وورد الاسم بصيغة المبالغة فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦ ﴾ (٢٠٤)

---

(٢٠١) الزمر ٦٢
(٢٠٢) المؤمنون ١٤
(٢٠٣) الروم ٢٧
(٢٠٤) الحجر ٨٦

وفى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ (٢٠٥)

أما اسم البارىء فقد جاء في غير الآية التى ذكرناها سابقا فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (٢٠٦)

ولم يرد اسم المصور في غير الآية التى ذكرناها ، ولكن ورد ما يفيده ويشير إليه . من ذلك قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٢٠٧)

وفى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (٢٠٨)

(٢٠٥) يس ٨١
(٢٠٦) البقرة ٥٤
(٢٠٧) غافر ٦٤
(٢٠٨) الأعراف ١١

وفى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾(٢٠٩)

المفهوم اللغوى لاسم الخالق

يقول العلماء فى تفسير اسم الخالق : معناه موجد الاشياء من العدم على غير مثال سابق غير مسبوقة بنظير لحكمة يعلمها ، قال ـ تعالى ـ

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾(٢١٠)

ولكن الخلق فى كلام العرب على وجهين : الأول ـ الإنشاء على مثال أبدعه الخالق ، والآخر ـ هو التقدير .

وكل شىء مخلوق لله ـ تعالى ـ لأنه الذى ابتدأه على غير مثال سابق .

ولكنه يرد فى حق المخلوق على أنه شىء مبنى على مثال أبدعه الخالق كقوله ـ تعالى ـ فى حق عيسى :

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى ﴿١١٠﴾ ﴾(٢١١)

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ

(٢٠٩) الانفطار ٧ ، ٨

(٢١٠) لقمان ١١

(٢١١) المائدة ١١٠

ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ (٢١٢)

ويشيع فى لغة العامة هذا التعبير على سبيل المجاز لا على سبيل الحقيقة .

يقول الامام الغزالى : لا مدخل للعبد فى اسمى الخالق والبارىء إلا بنوع من المجاز بعيد ، ووجهه أن الخلق والايجاد برجعان إلى استعمال القدرة بموجب العلم ، وقد خلق الله ـ تعالى ـ للعبد علماً وقدرة ، وله سبيل إلى تحصيل مقدوراته على وفق تقدير الله وعلمه .

ومادة الخلق فى القرآن الكريم كثيرة جداً تشير كلها إلى أن الله جلت قدرته خلق كل شيء فى الوجود . أما المعبودات التى يتخذها الجاهلون أنداداً من دون الله فإنهم لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب .

وقد قال ـ تعالى ـ

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (٢١٣) »

وهناك آثار نبوية كثيرة تتحدث عن خلق الله وقدرته فى ذلك ، وتثبت أنه لا شريك له فى الوجود .

من ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه الترمذى عن عبادة ابن الصامت ـ « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ـ القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد » .

---

(٢١٢) آل عمران ٤٩ (٢١٣) الصافات ٩٦

وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه الحاكم عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ « خلق الله ـ عز وجل ـ أول الأيام يوم الأحد ، وخلق الأرض فى يوم الأحد ويوم الاثنين ، وخلق الجبال وشق الأنهار وغرس فى الأرض الثمار وقدر فى كل أرض قوتها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها فى يوم الخميس ويوم الجمعة ، وكان آخر الخلق فى الساعات يوم الجمعة فلما كان يوم السبت لم يكن فيه خلق » .

وروى الحاكم والترمذى عن أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم جعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصاً من نور ثم عرضهم على آدم فقال : أى رب من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك » .

فالله ـ جلا جلاله ـ هو الذى خلق الخلق على سبيل الحقيقة ، فكل شىء مخلوق لله ، ومن اعتقد أن أحداً يخلق غير الله فقد كفر .

التأدب بأدب هذا الاسم

من عرف أن الله هو الخالق فعليه أن يتفكر فى إتقان هذا الصنع « صنع الله الذى أتقن كل شىء » ليستدل من ذلك على قدرة الخالق المبدع

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥ ﴾(٢١٤)

---

(٢١٤) الأعراف ١٨٥

به ويعبده حق عبادته .

وعليه إن وهبه الله نعمة الاختراع أو الابتكار ، أو منَّ عليه بموهبة من المواهب الفكرية أو الابداعية ، أن يرجع ذلك إلى قدرة الخالق الذى وهبه ذلك . فيزداد إيماناً به ، ويشكره على نعمته التى أنعم عليه بها ، ولا يتخذ ذلك وسيلة إلى التعالى أو التباهى أو الكفر أو الإشراك كما فعل قارون حين قال : إنما أوتيته على علم عندى .

قال القشيرى ـ رضى الله عنه ـ من آداب من عرف أن الله ـ سبحانه ـ هو الخالق . أن يمعن النظر فى اتقان خلقه ، فتلوح بقلبه دلائل حكمة الله صنعه ، فيعلم أن الله خلقه من نطفة بشراً ركب أعضاءه ، ورتب أجزاءه على أحسن تركيب وأفضل ترتيب فتبارك الله أحسن الخالقين ، ومن آداب من عرف أن الله ـ سبحانه ـ هو المتفرد بالخلق والايجاد ـ أن لا يمجد كسب العبد وأن لا يطوى بساط الشرع ، ولا يعتقد أن للعبد على الله حجة .

إن من خير العبادة التفكر حتى قال بعضهم : تفكر ساعة يعدل عبادة سنة . والتفكر إنما يكون فى بديع خلق الله قال تعالى

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ (٢١٥)

---

(٢١٥) آل عمران ١٩٠ ، ١٩١

ومن الدعاء فى ظل هذا الاسم :

إلهى أنت الخالق ، الذى قدرت الأمور ، ودبرت الأشياء وهى فى ظلام العدم ، لأنك النور ، خلقت العباد وخلقت فيهم الأسباب وهى العقل والجوارح . فما يبرز منهم فعل إلا بمشيئتك ، ولا يصدر عنهم أمر إلا بإرادتك وقدرتك .

فامنحنا عيون التوحيد حتى نشهد الخلاق متجليا ينفذ المراد فى النفس والآفاق ، وامنحنا قوة نسوس بها أنفسنا حتى نطهرها من رجس الأغيار ، وتتجلى من اسمك الخالق الأنوار ، إنك على كل شىء قدير . . . . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[٢١٦] »

وللشاعر أحمد مخيمر مناجاة بذلك الاسم الشريف :

خـلق الأشيـاء بقدرتـه ... وبنـور الحكمـة صورهـا
وبراهـا وفـق مشيئتـه ... وبغيـر مثـال قـدرها
فالمـاء لسـر حركـه ... والريـح لأمـر سيـرها
ونجـوم الليـل إذا طلعـت ... من أجـل هداكـم نورهـا[٢١٧]

وقال أيضاً :

يا خالق النطفة الأولى وبارئها ... بلا مثـال تعـالى الخـالق البـارى
مصـور كل شىء وفـق حكمتـه ... فالمـاء والطيـن غيـر النـور والنـار[٢١٨]

---

(٢١٦) أسماء الله الحسنى د احمد الشرباصى جـ١ صـ٩٢
(٢١٧) أسماء الله الحسنى ـ احمد مخمير صـ٣٢
(٢١٨) المرجع السابق

« البارىء »

قال أبن منظور فى معنى البارىء : هو الذى خلق الخلق لا عن مثال ، ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات . وقلما تستعمل فى غير الحيوان . فيقال : برأ الله النسمة وخلق السموات والأرض .

وإن كان ابن سيده عممها . . قال : برأ الله الخلق يبرؤهم برءاً وبروءاً : خلقهم ، ويكون ذلك فى الجواهر والأعراض ، وفى التنزيل :

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢١٩)

والبرية الخلق ، هى من برأ الله الخلق ، وقد تركت العرب همزها ، ونظيره النبىُّ والذرية ، أصلهما النبىء والذريئة .

ويقول بعض العلماء : البارىء هو الموجد للأشياء المعطى كل مخلوق صفته التى علمها فى الأزل ، بارىء النسم من العدم إلى الوجود وخالقها بريئة من التنافر المخل بالنظام .

وينظر بعض العلماء إلى العلاقة اللفظية بين البَرْء وهو الخلق وبين الْبُرْء وهو الشفاء فيقول : البارىء ـ جل جلاله ـ ومعناه المبرىء والمطهر لأمشاج الخلق الأول لعبده المؤمن من الشرك ، قال ـ تعالى ـ (٢٢٠)

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾

---

(٢١٩) الحديد ٢٢

(٢٢٠) التغابن ٢

وبَرْء الخلق أزَلى يشير إليه قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ (٢٢١)

والمؤمن ينجيه الله من ختم القلب والسمع والبصر ، قال ـ تعالى ـ فى حق الكافرين والمنافقين :

﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٢٢٢)

فقد كان هذا الختم يوم الخلق الأول .

والحديث الذى روى فى الصحاح عن ابن مسعود يشير إلى ذلك . قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن أحدكم يُجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون عَلَقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكاً وَيُؤْمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله ، وشقى أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى

---

(٢٢١) الأعراف ١٧٢
(٢٢٢) البقرة ٧

ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة » .

وقد جاء اسم البارىء بين اسمى الخالق والمصور ، لأن الله ابتدأ بالخلق ، ثم برأ وطهر النشأة الأولى للمصطفين الأخيار ، ثم صورهم فى الأرحام كيف يشاء ، فسبحانه من إله خالق بارىء مصور .

وقال الشيخ أحمد العقاد فى كتابه « الأنوار القدسية » : إن البارىء هو الذى قدر الأشياء فى علمه الأزلى ، وأبرزها فى عالم الظهور باقتداره الأبدى ، وهو الذى أدهش العقول وحير الألباب ، حيث أبرز لنا عناصر مختلفة متباينة متضادة :

الذكر بهذا الاسم :

والذكر بهذا الاسم يبرىء القلوب ويطهر الأجساد ، ويكسب النفوس إشراقاً وبهاء . . . . يقول الذاكر به داعياً :

« ويا بارىءُ أبرىء من السُّقم جُملتى »

أى جملة أعضائى وأجزائى ، الظاهرة والباطنة .

قال بعض العلماء إن اسم البارىء يدعى به للسلامة من الآفات ، وَمَنْ أكثر من ذكره نال السلامة من كل مكروه .

ومن الآداب فى ذكره أن يتمثل الداعى بهذا الاسم الأشياء أمامه كائناً حياً يحاوره ، فيسألها متدبراً : من أَنْتِ ؟ وأين كنت ؟

فسترد بلسان الحال قائلة : أنا العدم ، ولم يكن لى وجود ، ولكن بنور البارى تم لى الصعود ، فوجودى حجاب عند أهل الغفلة ، وروح وريحان عند أهل اليقظة ، من رأى أثراً بارزاً هام فى جمال المؤثر ، وتبين الحق للعاقل المفكر .

وينبغى للذاكر بهذا الاسم أن يستحضر التوبة من ذنبه وأن يهتف بالضراعة الى ربه ، فقد قال موسى لقومه : إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم . .

وعليه أن يصحب التوبة بالتضحية بالمال والنفس قرباناً لمولاه الذى يمن عليه بنعمة القبول والعطاء ، ويدخله فى ساحة الأنس والرجاء ، فقد قال موسى لقومه : فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم .

والتضحية بالنفس تعنى التغافل عن الشهوات ، ونسيان الذات ، وقهر الدواعى النفسية لاحياء المعانى الروحية ، والتوبة من الذنب لإجلاء مرآة القلب ، وذوق حلاوة القرب .

قال العلماء : من أكثر من ذكر « البارىء » نال السلامة من كل مكروه ، فلا عيش إلا مع ذكر الله ، ولا عز إلا فى جانب الله .

قال وفى الأذكار المشهورة : « يا بارىء النفوس بلا مثال ويا رازق الخلق فى كل حال .

ومن الدعاء بهذا الاسم ما ذكره الشيخ أحمد العقاد فى كتابه الأنوار القدسية :

« يا بارىء الأكوان وهى عدم ، ومُظهِرها بالرحمة والجود والكرم . . . . الأكوان ظل محدود ، وشمس الحقيقة دليل عليها فى الشاهد والمشهود ، ونورك أبرز الآثار فأنت الموجود قبل كل شىء ، وأنت المعروف قبل كل شىء[٢٢٣] » .

---

(٢٢٣) أسماء الله الحسنى - د . أحمد الشرباصى جـ ١ صـ ٩٦

اسم الله المصور

قال الامام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ قد يظن ظان أن أسماء « الخالق البارىء المصور » مترادفة ، وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع .

وليس الأمر كذلك ، بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود يفتقر إلى التقدير أولاً ، وإلى الايجاد على وفق التقدير ثانياً ، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً . . . . . والله ـ تعالى ـ خالق من حيث انه مقدر ، وبارىء من حيث انه مخترع موجد ، ومصور من حيث انه مرتب صور مخترعاته أحسن ترتيب » .

ومعنى المصور أنه هو الذى أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها ، وليتمايزوا فيما بينهم . قال ـ تعالى ـ

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢٢٤)

وقال ـ تعالى ـ

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ (٢٢٥)

وفى الحديث الشريف ـ فيما يرويه أبو داود والترمذى والحاكم والبيهقى عن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عبليه وسلم ـ « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على

---

(٢٢٤) الروم ٢٢

(٢٢٥) آل عمران ٦

قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود ، وبين ذلك ، والسهل والحزن ، والخبيث والطيب وبين ذلك » .

ويقول بعض العلماء : المصور معناه مبدع صور المخلوقات ومزينها بحكمته ، فهو المعطى كل مخلوق صورته على ما اقتضته حكمته الأزلية قال ـ تعالى ـ

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (٢٢٦)

ولنتدبر فى المعنى اللغوى لكلمة المصور .

المصور مأخوذ من التصوير ، والتصوير هو أن تجعل الشيء على صورة ما ، والصورة هى الشكل والهيئة والحقيقة . وهى التى يتميز بها الانسان عن غيره من مختلف المخلوقات ، وقد اختص الله الانسان بجمال الهيئة وحسن التقويم ، قال ـ تعالى ـ

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (٢٢٧)

كما اختصه الى جانب ذلك بملكات ومقومات ، ووهبه العقل الذى يعد أعظم هبة له .. منحته التفوق على سائر المخلوقات .

فمظهر تكريم الانسان يبدو فى حسن صورته

« وصوركم فأحسن صوركم »

وفى كمال عقله ، وفى تخصيصه من بين الخلق بالتكاليف الشرعية التى

---

(٢٢٦) التين ٤

(٢٢٧) الاسرار ٧٠

تقربه إلى حضرة الحق ، حتى يصير قريباً من الحق سبحانه وتعالى ـ يدعوه فيستجيب له .

التخلق بآداب اسم الله المصور

وربما طمحت همة العبد إلى أن يتخلق بآداب هذا الاسم « المصور » وفى هذه الحالة يجب عليه أن يتأمل فى جمال مخلوقات الله ، واختلاف الصور والأشكال ، وينظر إلى ألوان النبات والزهور والثمار وأشكالها وأصنافها وتباينها واختلاف ريحها ومذاقها . وينظر إلى الكواكب فى حسن نظامها وانسجامها وغير ذلك مما يدل على قدرة الخالق وحكمة البارىء وعظمة المصور .

ثم عليه أن يتدبر فى خلق نفسه ، وكيف خلقه الله فأحسن خلقه ، وصوره فأبدع تصويره ، ولا يقف عند حدود جمال الشكل . . . بل يجب أن ينفذ إلى جمال الروح وكمال العقل ويحمد الله على أن حباه نعمة التمييز بين الخير والشر ، والنفع والضر . . كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا سجد يقول : « سجد وجهى للذى صوره وشق فيه سمعه وبصره »

ومن هذا الحديث يمكن أن ينطلق الانسان إلى تركيبات جسمه ، فيفكر فى جهازه العصبى ، والتنفسى ، والدموى ، والهضمى ، والدورى ، والعضلى ، وغيرها ويدرك كيف تعمل هذه الأجهزة فى دقة متناهية تلقائياً بقدرة الله ـ تعالى ـ الذى سخرها فى خدمة الانسان ومصلحته .

ومقتضى ذلك الشكر لله الذى أحسن كل شىء خلقه .

الدعاء باسم المصور

ومن الأدعية بهذا الاسم هذا الدعاء :

« إلهى - من ماء مهين صورتنى ، وفى ظلام الأحشاء توليتنى ، نفخت فىَّ روحاً من أعظم الأسرار ، وألبستنى حلل الجمال فشرفتنى أمام الأنظار ، إذا نظرت إلى ما صورته سجدت شكراً للمصور ، وإن أظلمت نفسى فأنت لها النور ، فاجعلنى من فضلك ذاكراً شاكراً ، واحفظنى من أن تحجبنى صورةٌ عن المصور ، يا قريب ، يا مصور ، إنك على كل شىء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم(٢٢٨) »

وقال بعض العلماء : من المناجاة فى ظل هذا الاسم قولهم :

سبحان الله - تعالى - ليس كمثله شىء ، جلت قدرته فأنشأ خلقه وصورهم على صرر غير متشابهات .

قال : وحظ العبد الذاكر بهذا الاسم . أن الله يلقى الوضاءة والحسن على صورته ، ويعينه على تحسين أعماله(٢٢٩) » .

وهذا الاسم يجب أن يكثر من ترداده أرباب الصناعات والفنون الجميلة ، فيعينهم الله على إتقان العمل ، ويصل بهم الى طريق التوفيق - والأعمال بالنيات .

---

(٢٢٨) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى حـ ١ صـ ١٠١

(٢٢٩) أسماء الله الحسنى أحمد عبدالجواد صـ ٥٣

الغَفَّار

جاء في لسان العرب : الغفور والغفار ـ الله جل ثناؤه ـ وهما من أبنية المبالغة ، ومعناهما الساتر لذنوب عباده ، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم ، يقال : اللهم اغفر لنا مغفرة وغَفْراً وغفراناً ، فإنك أنت الغفور الغفار يا أهل المغفرة .

وأصل الغَفْر التغطية والستر ـ تقول غفر الله ذنوبه أى سترها . . وقد ورد اسم « الغفار » فى القرآن الكريم فى مواضع منها :

قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٢٣٠)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٢٣١)

وقوله ـ تعالى ـ على لسان مؤمن آل فرعون :

﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي
بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٢٣٢)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ

---

(٢٣٠) طه ٨٢

(٢٣١) ص ٦٦

(٢٣٢) غافر ٤٢

وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ (٢٣٣)

ويلاحظ اقتران هذا الاسم بالعزة . . فالله سبحانه وتعالى ـ غالب متفرد بالعزة لا ترقى الأوهام إلى عظيم كماله ، وهو إلى جانب ذلك عطوف على عباده غفور لذنوبهم .

ولم يرد الغفار منفرداً عن العزة إلا مُنَكَّراً . . وذلك فى آيتين : إحداهما قوله تعالى :

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ (٢٣٤)

والأخرى ـ قوله تعالى ـ

« وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى(٢٣٥) » .

ويلاحظ أن ذلك ورد فى صدد الدعوة إلى الاستغفار وطلب التوبة من العباد .

والله يغفر ذنوب عباده بفضله وكرمه بعد توبة العباد وطاعتهم ، وهو الذى يفتح لهم باب التوبة ليتوبوا فيغفر لهم ـ قال ـ تعالى ـ

﴿ ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ

---

(٢٣٣) الزمر ٥

(٢٣٤) نوح ١٠

(٢٣٥) طه ٨٢

ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ (٢٣٦)

إن اسم الغفار يوحى بأن الله يظهر الجميل ويستر القبيح فى الدنيا ، ويتجاوز عن المؤاخذة به فى الآخرة لمن أراد الله أن يغفر له .

قال بعض العلماء : الغفار هو الذى يغفر الذنوب مرة بعد مرة ، فكلما جدد العبد معصية جدد الله له توبة فمغفرة . قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن عبداً أصاب ذنباً فقال : رب أذنبت ذنباً فاغفره لى . فقال ربه : علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ـ غفرت لعبدى .

« ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً فقال : رب أذنبتُ آخر فاغفر لى . قال : عَلِم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ـ غفرت لعبدى .

« ثم أصاب ذنباً فقال : رب أذنبت آخر فاغفر لى . قال : عَلِم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ؟ قد غفرت لعبدى » . . (٢٣٧)

أما الآيات التى تشير إلى مغفرة الله فكثيرة ، وقد نسب الله المغفرة لنفسه فى أكثر من موضع .

قال ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢٣٨)

---

٢٣٦) التوبة ١١٧

(٢٣٧) رواه احمد والبخارى ومسلم عن أبى هريرة

(٢٣٨) النجم ٣٢

وقال تعالى :

« وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة »(٢٣٩)

وقال ـ تعالى ـ

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾(٢٤٠)

إن ورود اسم الغفار بصيغة المبالغة يدل على كثرة المغفرة من الله لذنوب عباده .

روى أحمد وأبو يعلى والحاكم عن أبي سعيد ـ رضى الله عنه ـ قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الشيطان قال : وعزتك يارب لاأبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم ، فقال الرب : وعزتى وجلالى لاأزال أغفر لهم مااستغفرونى »

كيف يتخلق العبد بهذا الاسم ؟

يتخلق العبد بهذا الاسم الشريف إذا كان صفوحا عفوا متجاوزا عن زلات إخوانه ، ساتراً لعوراتهم ، مقابلاً سيئاتهم بالإحسان ، حافظا غيبتهم ، مدافعاً عنهم ، غاضاً الطرف عن نقائصهم ، مشيداً بفضائلهم .

ولقد حث الله الناس على الصفح والعفو عن الزلات فقال لهم :

﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾(٢٤١)

---

(٢٣٩) المدثر ٥٦

(٢٤٠) الزمر ٥٣

(٢٤١) التغابن ١٤

إن المغفرة الواسعة صفة اتصف بها الغفار ـ جل جلاله ـ ولكنه أودعها فى قلوب من يشاء من عباده ، بل أمرهم بالتأدب بها فقال مخاطباً نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

ووعد أهل الصبر والمغفرة بالثواب الجليل فقال :

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (٢٤٣)

وجعل لهم خير المتاع الباقى عنده فقال :

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٢٤٤)

إنها حوافز تدفع الى الصفح والمغفرة ، وتدعو إلى العفو عند المقدرة ، تخلقاً بأخلاق الله العفو الغفار .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من ستر على مؤمن ستر الله عورته يوم القيامة »

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو الله قائلا : « سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح »

---

(٢٤٢) الجاثية ١٤

(٢٤٣) الشورى ٤٣

(٢٤٤) الشورى ٣٦ ، ٣٧

وهكذا يجب أن نتخلق بهذا الأدب لنرتفع فى عين الحق - جل وعلا - الذكر بهذا الاسم .

قال العلماء : إن حظ العبد من اسم ربه الغفار - جل جلاله - أن الله يغفر لذاكره ويستر قبيح أعماله ، ويغطيها . بجميل ظاهره .

وقالوا : من ذكره إثر صلاة الجمعة مائة مرة ظهرت له آثار المغفرة ، وفى هذا الاسم سر لتغيير مافى النفوس ، وتسكين الغضب لمن غضب عليك .

ومن أحب أن يكثر ماله وولده ويبارك له فى رزقه فليقل : « أستغفر الله إنه كان غفاراً . . فى اليوم والليلة سبعين مرة .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لايحتسب »

أليس الله هو القائل :

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (٢٤٥)

ومن الأدعية فى ظل هذا الاسم :

« إلهى ، إنك فتحت لنا بابا واسعا ، أطمعنا فى عفوك وكرمك وغفرانك فإنك قلت وقولك الحق :

« إن الله يغفر الذنوب جميعاً »

---

(٢٤٥) نوح ١٠ : ١٢

(٢٤٦) الزمر ٥٣

فأشرق على قلوبنا بأنوار اسمك الغفار ، فإنى أنا العبد الضعيف الخطاء ، الفقير الذليل ، وأنت القوى العزيز الغفار .

« أسألك أن تغسل قلبى من الأوزار ، وتملأه بالأنوار ، وأن تخلّقنا بأخلاق هذا الاسم ، حتى نستر عورة الإخوان ، ونقابل السيئة بالإحسان ، لننال الوجاهة فى الدنيا والآخرة ، ونُحْفَظَ من ظلام المعصية الباطنة والظاهرة ، إنك على كل شىء قدير ، و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »

القهار

ورد اسم القهار مقرونا بالواحد لما بينهما من تلازم .

قال ـ تعالى ـ على لسان يوسف ـ عليه السلام ـ :

﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ (٢٤٧)

وقال ـ تعالى ـ

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (٢٤٨)

وقال ـ تعالى ـ على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٢٤٩)

وقال تعالى ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ (٢٥٠)

وقال ـ تعالى :

﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ (٢٥١)

---

(٢٤٧) الرعد ١٦

(٢٤٨) ابراهيم ٤٨

(٢٤٩) ص ٦٥

(٢٥٠) الزمر ٤

(٢٥١) غافر ١٦

وقد ورد هذا الاسم على وزن « فاعل » بدون صيغة المبالغة فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴿٦١﴾ ﴾ (٢٥٢)

والقهر ـ كما يقول ابن منظور فى لسان العرب ـ يعنى الغلبة والأخذ من فوق .

والله القهار ـ قهر خلقه بسلطانه وقدرته ، وصرفهم على ما أراد طوعاً وكرها . والقهار مبالغة فى القهر .

وقال ابن الأثير : القاهر هو الغالب جميع خلقه .

ومن معانى القهار أنه يقصم ظهور الجبابرة ويذل رقاب الفراعنة .

وهو الذى لايطاق انتقامه . .

إنه يُفْنِى الخلق بقهره . . . ونُفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله . . ونادى الحق قائلاً : لمن الملك اليوم ؟ فلا مجيب من الخلائق . . . فيجيب الحق نفسه بنفسه قائلا : لله الواحد القهار . فأين الجبابرة ؟ وأين الأكاسرة والأباطرة ؟ وأين الذين كانوا يسيمون الناس العذاب ويذيقونهم أشد العقاب ؟ أين الطغاة والبغاة ؟ أين هؤلاء وهؤلاء . . . بل أين إبليس وحزبه ؟ لقد تلاشى أمام قهر الله كل شىء . .

ولم يبق إلا الله القاهر القادر الحى القيوم . . . .

إن أدنى سبب من أسباب قهر الله ـ لمخلوقاته ـ الموت ، ولذلك جاء فى

(٢٥٢) الأنعام ٦١

الأثر : سبحان من قهر العباد بكأس الموت . . إذ بينما الإنسان يدب على الأرض ممتلئاً قوة وفتوة ، وأملا وشبابا ونشاطا ، إذ به فى طرفة عين قد طواه الموت ، وأسرع به الناس إلى القبر يوسدونه التراب ، ويسدون عليه الأبواب ، ويتركونه وحيداً فريداً يحيط به الظلام .

فأين قوته وشبابه ؟ وأين آماله وتطلعاته ؟ وأين وعده ووعيده ؟ وأين جنوده وعبيده ؟

لقد تخلى هؤلاء عنه سريعاً ، وتركوه فريداً وحيداً ، لاأنيس له فى قبره إلا عمله ، فلينظر إلى هذا العمل . أهو أنيس خير يفرحه ؟ أم طالع سوء يحزنه ويؤلمه ؟

قال بعض العلماء : القهار هو الذى قهر الكفار بظهور آياته ، وقهر المعاندين بظهور بيناته ، وقهر قلوب أحبابه بالعكوف على بابه ، فأنسوا بجنابه . . . . . قهر الروح وهى نور فسحرها للجسم وهو ظلام ، وقهر العناصر فَأَلَّف بين الحار والبارد والرطب واليابس ، وقهر العباد بالموت ، وقهر الملائكة بالسجود لآدم ، وقهر الإنسان بالجوع والمرض حتى يذل لرب العالمين هاتفا من أعماق أعماقه فى ضراعة : يارب يارب . .

وقهر الإنسان بالنوم وقهر النوم بالهم . . وقهر النار بالماء وقهر الماء بالهواء ، وقهر الهواء بالكِنِّ ، وقهر الصخر بالحديد ، وقهر الحديد بالنار . . . . سبحانه سبحانه هو الواحد القهار . .

كيف يتخلق المؤمن بخلق القهار ؟

يتأدب المؤمن بأدب هذا الاسم ، فيقهر دواعى نفسه ، ويقاوم وساوس

شيطانه ،ويحاول أن يسقط تدبيره لينطوى تحت تدبير الله الذى يفعل مايشاء ويختار .

كان من دعاء الشاذلى ـ رضى الله عنه ـ : اللهم دبرلى يامولاى فإنى لا أحسن التدبير . .

والمرء لايحسن الاختيار لنفسه ، لأنه لايعلم الخير من الشر ولايعرف النافع من الضار ، والقرآن الكريم يقول على لسان سيد الخلق ـ ﷺ ـ :

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾ (٢٥٣)

فإذا استسلم الإنسان لله ، فقد خضع لقضاء الله ، وبذلك يكون قد قهر شهوته ونفسه ، وترك أمره لربه ، وترك اختياره لاختيار مولاه . ومن الأدعية المأثورة : اللهم لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أقل من ذلك .

قال العلماء : وأما السبيل إلى استمداد الانسان من أنوار اسم الله ـ القهار ـ فهو أن يرى نفسه التى بين جنبيه أعدى أعدائه ، فيقهرها ويضيق عليها الخناق ويخالفها حتى تطيع الأوامر الإلهية ، ثم يقهر خصمه العنيد وهو الشيطان ، فيحترس من وساوسه ، ويضيق مجاريه بالصيام ، ثم يقهر شهوته البهيمية بالإعراض عن دواعيها وأسبابها .

يقول الإمام ـ البوصيرى ـ رحمه الله ـ فى بردته :

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

(٢٥٣) الأعراف ١٨٨

الذكر بهذا الاسم

قال بعض العلماء : حظ العبد من اسم ربه القهار ـ جل جلاله ـ بحسب نيته فى قهر نفسه التى بين جنبيه حتى تخلص من حب الشهوات .

ويجب على العبد أن يذكر هذا الاسم عند طلوع الشمس ، وفى جوف الليل لقهر الأعداء وهلاكهم ـ قائلاً :

« يا جبار ياقهار ياذا البطش الشديد »

ثم يقول :

« خذ حقى ممن ظلمنى وعدا علىَّ »

ومن كانت له حاجة يقول : ياقهار مائة مرة ، ثم يرفع يديه كاشفا رأسه متضرعاً الى الله فإن الله لن يخيب رجاءه .

ومن سجد بعد صلاة الضحى ، وقال : يا قهار سبع مرات أغناه الله .

ومن الدعاء بذلك : ياقاهر ياذا البطش الشديد أنت القوى الذى لايطاق انتقامه .

ومن الأدعية به أيضا قولهم :

« إلهى ، قهرت العوالم كلها من دان وعال ، وتجليت بالعظمة فعرفت كل حبيب موال ، أمدنى بقليل من دقائق اسمك القهار ، حتى تنقاد لى نفسى ، وينهزم أمامى الفجار ، وامنحنى صولة على نفسى لأصول بها على إبليس وأنجو من الشهوات الحيوانية ، واجعلنى ملاحظا لأنوار اسمك القهار حتى لاأغتر بأى عظيم فى الوجود ، فالكل عدم إذا انكشفت الأنوار . . .

ومن مناجاة الشاعر أحمد مخيمر بهذا الاسم :

تمــرد أعــداء الحيــاة ضـــلالة إلهــى فاضـربهم ، فإنـك قهـــار
ومـــالك نـــد فى الوجـــود علمتــه وليس لعــاص عنـد بطشـك أنصـــار

الوهاب

جاء فى كتب اللغة : الهبة ـ العطية الخالية عن الأعواض والأغراض . . . . فاذا كثرت سُمِّىَ صاحبها وهَّابا ، وهو من أبنية المبالغة .

والوهَّاب من صفات الله ـ تعالى ـ المنعم على العباد ، والله هو الوهاب والواهب . لأنه يعطى كل أحد على قدر استحقاقه دون عوض ومن غير علة .

ولا هبة فى غير ملك ، فمن شروط الواهب أن يكون مالكا لما يهبه .

وإذا وهب شيئاً فقد أصبح مملوكاً للموهوب له .

والله الوهاب يعطى بغير حساب لأنه رب العباد كثير اللطف والإقبال عظيم المن والنوال ، المانح من غير سؤال ، ولا يقطع نواله فى أى حال .

وقيل : الوهاب هو الذى يعطيك من غير وسيلة ، وينعم عليك بدون سبب ولا حيلة .

وقال بعض العلماء : الوهاب هو الجواد المنعم المتفضل بالعطايا ، كثير النوال ، دائم المعروف على جميع خلقه ، وسع الخلق بجوده ورحمته . هو الوهاب ، عنده خزائن الأرض والسموات ، ويفيض على عباده الرحمة والنعمة ، يداه مبسوطتان كيف يشاء .

سبحانه يهب الولد للعقيم ، والهدى للضال ، والعافية لذوى البلاء ، والحكم والعلم لمن يشاء .

أليس هو القائل :

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا

﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن
يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٢٥٤)

وهو القائل

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ
وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿٢٦﴾ ﴾ (٢٥٥).

والوهاب كثير النعم ، دائم العطاء . . . المعطى كل محتاج مايحتاج إليه ، لالغرض ولا لعوض .

فاذكر مولاك ، فإنه يرعاك فى دنياك وأخراك ، واسأل الوهاب من فضله ، ولاترج غيره ، ولاتتوقع الخير الا منه ، فمن ذكر الوهاب فتح الله له كل باب .

سأل الشبلى أصحاب أبى على الثقفى ـ وهو من كبار أهل العلم : أى اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ يجرى على لسان أبى على ؟

فقالوا : الوهاب . فقال الشبلى : فلهذا كثر ماله .

وقد ورد اسم الوهاب فى القرآن فى مواضع ثلاثة هى : قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ (٢٥٦)

---

(٢٥٤) الشورى ٤٩ ، ٥٠

(٢٥٥) آل عمران ٢٦ (٢٥٦) آل عمران ٨

وقوله :

« أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب »[257]

وقوله :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾[258]

أما مايشير إلى هذا الاسم من مادته فقد ورد فى مواضع كثيرة منها :

قوله تعالى :

« الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق إن ربى لسميع الدعاء »[259]

وقوله :

« ففرت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين »[260]

وقوله :

« ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا »[261]

وقوله :

« والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين »[262]

---

(٢٥٧) سورة ص ٩

(٢٥٨) سورة ص ٣٥

(٢٥٩) ابراهيم ٣٩

(٢٦٠) الشعراء ٢١

(٢٦١) مريم ٥٠

(٢٦٢) الفرقان ٧٤

كيف يتخلق العبد بهذا الاسم ؟

والعبد مهما كان جوادا كريما سخيا فهو ليس بوهاب .

لأن من شروط الهبة الملكية كما قلنا ، والعبد لامِلْك له . . وكل ما تحت يد العبد فهو منحة مملوكة لله على سبيل الحقيقة . . . . قال ـ تعالى ـ :

« وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه »(٢٦٣)

وقال :

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم »(٢٦٤)

ومهما بذل العبد من عطاء ولو كان بغير علة ظاهرة ، فهناك علة باطنة يهدف إليها . وهذه العلة فى حق المؤمن الظفر بثواب الله .

ولكن الله ـ جلت قدرته ـ لايرجو من وراء عطائه ثواباً ولايخشى عقابا .

وذلك لايمنع أن يتخلق العبد بهذه الصفة الشريفة ، فيستجيب لأمر الله ـ تعالى ـ له بالإعطاء والإنفاق ، وأن يقابل نعمة الله عليه بما هو واجب عليه من حق الشكر . . . . والشكر يكون بإعطاء غيره من هذه النعمة التى وهبها الله له ، فيتفضل على الناس بالمنح والعطاء .

كان عبد الله بن جعفر ـ رضى الله عنه ـ كثير العطاء ، لايصل إلى يده شىء من المال إلا واسى به الفقراء وبرَّ به الأصدقاء ـ فلامه بعضهم على ذلك ، وقال له : إن هذا هو السَّرف بعينه .

فقال عبد الله : إن الله عَوَّدنى عادة ، وعَوَّدته عادة : عودنى أن ينعم

---

(٢٦٣) الحديد ٧

(٢٦٤) النور ٣٣

عليّ ، وعوّدته أن أنعم على عباده . فإن أنا قطعت عادتى معه أخاف أن يقطع عادته معى .

وإذا عرضنا لمن اتصف بتلك الصفة من الخلق فلا يجب أن ننسى أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ الذى أنفق ماله كله فى سبيل الله . فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ماذا أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله .

الذكر بهذا الاسم

وقد مرت بنا قصة الشبلى وسؤاله عن ذكر أبى عبد الله الثقفى وترداده لهذا الاسم . وعلم أن كثرة مال الثقفى كانت بسبب إكثاره من ذكر الوهاب .

وهذه إحدى ثمار الذكر بهذا الاسم .

قال بعض العلماء : من داوم على ذكر الوهاب فى سجوده بعد صلاة الضحى يسرّ الله له الغنى والقبول .

ومما يُقرأ لحفظ الإيمان قوله ـ تعالى ـ

« ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »(٢٦٥)

سبع مرات عقب كل صلاة .

ومن الأدعية فى ذلك : إلهى ، هب لنا نوراً نكتشف به محابّك ومراضيك ، ونتجنب به معاصيك ، وهب لنا عافية فى أبداننا ، وسعة

---

(٢٦٥) آل عمران ٨

فى أرزاقنا ، وطولا فى أعمارنا ، وهب لنا لذة المعرفة فى قلوبنا ، والشهود لأرواحنا ، حتى نبذل النفس والمال بدون عوض ولا غرض إلى وجهك الكريم ، يا وهاب يارحيم »

وقال الشاعر أحمد مخيمر فى مناجاته ربه بهذا الاسم :

وهـاب ما ترجـو الخليقـة ، منعـم سـبحانه من منعـم وهـاب
والشـاكرون من العبـاد يزيـدهم نعمـا ويعطيهـم بغـير حسـاب

الرزاق

قال ابن منظور فى لسان العرب : الرازق والرزاق ـ من أسماء الله تعالى وصفاته ـ لأنه يرزق الخلق أجمعين ، وهو الذى خلق الأرزاق ، وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم ، والرزاق من أبنية المبالغة والأرزاق نوعان : ظاهرة ـ كالأقوات للأبدان . وباطنة ـ كالمعارف والعلوم للقلوب والنفوس

قال تعالى :

« وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة »

ولا رزق إلا من الله . . . . روى ابن مسعود عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أن الله ـ تعالى ـ يبعث الملك الى كل من اشتملت عليه رحم أمه فيقول له : اكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد . . . .

وقد ضمن الله الرزق لعباده جميعا وأقسم على ذلك فقال :

« وفى السماء رزقكم وماتوعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون »(٢٦٦)

سمع رجل قارئاً يقرأ هاتين الآيتين فقال : من الذى أغضب الجليل حتى جعله يقسم ؟

قال ذلك تعجباً ، فإنه من البداهة بمكان .

لقد تعارف الناس منذ الأزل على أن الرزق مضمون لهم ، ولكنهم على الرغم من ذلك يتنافسون ويتسابقون فى تحصيله . حتى قال لهم ابن عطاء

---

(٢٦٦) الذاريات ٢٢ ، ٢٣

الله السكندرى فى إحدى حكمه : « اشتغالك بما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك »

ومن ضلال الخلق أن يشركوا بالله الرزاق ويعبدوا من دونه مالا ينفع ولايضر ، قال ـ تعالى ـ ناعيا على هؤلاء :

« ويعبدون من دون الله مالايملك لهم رزقا من السموات والأرض »

وقال فى حديث قدسى :

« أخلق ويعبد غيرى ، وأرزق ويشكر غيرى » ـ

وقيل فى معنى الرزاق : الرزاق هو الذى غذى نفوس الأبدان بتوفيقه ، وجلا قلوب الأخيار بتصديقه . .

وقيل : الرزاق هو الذى خص الأغنياء بوجود الأرزاق ، وخص الفقراء بشهود الرزاق .

وقيل : الرزاق من رزق الأشباح فرائد لطفه ، والأرواح عوائد كشفه .

وقيل : الرزاق هو الذى يرزق من يشاء من عباده القناعة ، ويصرف دواعيهم عن ظلمة الصناعة .

وقيل : الرزاق هو الذى يمد بفضله كل كائن بما يحفظ مادته وصورته ، فيمد العقول بالعلوم ، والقلوب بالمفهوم ، والأرواح بالتجليات والأبدان بالأغذية .

وقيل : الرزاق هو الذى يرزق الأرواح والسرائر ، كما يرزق الأشباح والظواهر .

هذه تعريفات بعض العلماء لهذا الاسم الشريف .

ورود هذا الاسم فى القرآن

وقد ورد هذا الاسم فى القرآن فى آية واحدة فى قوله ـ تعالى ـ :

« إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين »[٢٦٧]

ولكن وردت مادة الاسم فى مواضع كثيرة منها :

قوله تعالى :

﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[٢٦٨]

وقوله :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[٢٦٩]

وقوله :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[٢٧٠]

---

(٢٦٧) الذاريات ٥٨

(٢٦٨) المائدة ٨٨

(٢٦٩) الروم ٤٠

(٢٧٠) البقرة ١٧٢

كيف يتخلق العبد بهذا الاسم ؟

قال العلماء : يستطيع العبد أن يتخلق باسم الله الرزاق ـ إذا أدام ذكر الله ، وجعل يده خزانة لله ، ولسانه وصلة بينه وبين خلق الله ، وطلب من الله أن يرزقه علما هادياً ولسانا مرشداً ، ويداً منفقة متصدقة ، فإن الله ـ تعالى ـ إذا أحب عبدا أكثر حوائج الخلق إليه ، وحبب الى نفسه قضاءها .

جاء فى الأثر :

« اعلموا أن حوائج الخلق إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوها فتملوا نعم الله »

وحظ العبد من اسم ربه الرزاق أن ذاكره يكون فى سعة من الرزق وأن الله يسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

على العبد أن يعلم أن ربه لاشريك له فى رزقه ، كما لاشريك له فى خلقه . . قال تعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٦) ﴾ (٢٧١)

وعليه أن يرضى بقسمة الرزاق الوهاب ، وأن يعرف حقيقة وصف الرزاق ، وأنه لايستحقه الا الله ـ تعالى ـ فلا ينتظر الرزق الا منه ولايتوكل الا عليه .

إن الذى يتخلق بأدب هذا الاسم لايحمل هم الرزق ، لأنه قرأ الحكمة المشرقة التى تقول : « من كان رزقه على الله فلايحزن »

---

(٢٧١) هود ٦

شكا بعض الأعراب إلى عمر بن الخطاب كثرة العيال فقال له : « اذهب إلى بيتك ومن كان منهم رزقه عليك فأخرجه منه »

روى أن جماعة دخلوا على الجنيد ـ رحمه الله ـ فقالوا : نطلب أرزاقنا ؟

فقال : إن علمتم أين هى فاطلبوها . . . . . فقالوا : نسأل الله ذلك ؟

فقال : إن علمتم أنه ينساكم فذكِّروه .

قالوا : ندخل بيوتنا ونتوكل على الله ؟

فقال : التجربة مع الله شك فى الله .

قالوا : ما الحيلة ؟

قال : ترك الحيلة .

والجنيد ـ كان يكلم قوما يريد أن يعلمهم حسن التوكل على الرزاق ، ويريد أن يقطع الشك والوساوس من نفوسهم .

وقال القشيرى : من عرف أن الله ـ تعالى ـ رزاق ، أفرده بالطلب . .

وجاء فى الأثر : لو ركب أحدكم الريح فرارا من رزقه ، لركب الرزق البرق وسبقه :

إلا أن الرزق وان كان مضمونا فإن الله جعل له أسبابا يجب على الانسان سلوكها لطلبه . . . قال ـ تعالى ـ :

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (٢٧٢)

---

(٢٧٢) الملك ١٥

فعلى المسلم أن يسعى لتحصيل رزقه ، ولايقعد عن طلبه ، لأن السماء لاتمطر ذهباً ولافضة .

الذكر بهذا الاسم

قال العلماء : من داوم على تلاوة هذا الاسم فى الصباح الباكر رزقه الله ذهنا يفهم به الغوامض .

ومن تلاه واقفا أمام من له حاجة عنده قضيت حاجته .

ومن دعاء بعض الصالحين قوله :

ياألله ياألله ياألله ، يالطيف يارزاق ياقوى ياعزيز ، لك مقاليد السموات والأرض تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر ، فابسط لنا من الرزق ماتوصلنا به إلى رحمتك ، ومن رحمتك ماتحول به بيننا وبين نقمتك ، ومن حلمك مايسعنا به عفوك ، واختم لنا بالسعادة التى ختمت بها لأوليائك ، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك ، وزحزحنا فى الدنيا عن نار الشهوة ، وأدخلنا بفضلك فى ميادين الرحمة . . .

ومن مناجاة أحمد مخيمر :

ياخالق الرزق للعباد وللوحش وللطير ، أنت رزاق
فكل شىء إليك متجه وكل قلب إليك مشتاق
وأعظم الرزق نور معرفة له وراء الضلوع إشراق

الفتـــاح

لم يرد هذا الاسم فى القرآن الكريم سوى مرة واحدة ، فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ۝٢٦ ﴾(٢٧٣)

وفى معنى هذا الاسم قال ابن منظور فى لسان العرب :

الفتح نقيض الإغلاق ، تقول : فتحه ويفتحه فتحا ، وافتتحه وفتحه فانفتح وتفتح . .

قال : والفتاح : الحاكم ، وأهل اليمن يقولون للقاضى : الفتاح . . . . ويقول أحدهم لصاحبه : تعال حتى أفاتحك إلى الفتاح ، أى أقاضيك إلى القاضى .

وفى معنى قوله ـ تعالى ـ

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »(٢٧٤)

قيل : أى احكم بيننا واقض بيننا . وقال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ : ما كنت أدرى ما قوله ـ عز وجل ـ « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق » حتى سمعت بنت ذى يزن تقول لزوجها : تعال أفاتحك ، أى أحاكمك .

أما اسم الله الفتاح ـ فقد قال ابن الأثير فى معناه : هو الذى يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده ، وقيل : معناه الحاكم بينهم ، يقال : فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما . .

---

(٢٧٣) سبأ ٢٦

(٢٧٤) الأعراف ٨٩

وقال بعضهم : الفتاح الذى يفتح أبواب الرزق والرحمة . كما يفتح عيون بصائر العباد ليبصروا الحق ، ويتبعوا سبل السلام ، وهذه الصفة مقترنة بالعلم والقدرة . .

فبقدرة الله ينفتح كل مغلق ، وبهدايته ينكشف كل مشكل . . إن الله تعالى فتح قلوب المؤمنين بمعرفته وفتح للعاصين باب مغفرته . .

قال الغزالى ـ رضى الله ـ : الفتاح هو الذى يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدى اعدائه ، يقول ـ تعالى ـ :

« **إنا فتحنا لك فتحا مبينا** »(٢٧٥) .

وارتباط هذه الصفة بالقدرة يشير اليه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾ (٢٧٦)

والله ـ سبحانه ـ هو الفتاح العليم . وبيده مفاتيح كل شىء . . قال تعالى :

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩ ﴾ (٢٧٧)

---

(٢٧٥) الفتح ١

(٢٧٦) فاطر ٢

(٢٧٧) الأنعام ٥٩

وكما علمنا من مفهوم هذه الآيات وغيرها مما ورد فى القرآن الكريم من آيات تدور حول مادة الفتح ـ ندرك أن الفتاح ليس قاصرا على فتح أبواب الرزق ، ولكنه يتناول فتح كل شىء . ، فهو سبحانه الذى يفتح الطريق أمام المتعلم ليتعلم ، والعالم ليتفهم ، والمخترع ليخترع ، والمجاهد لينتصر . والمهموم ليفرح ، والمأزوم لتنفرج أزمته ، والمغموم لتذهب ضائقته ،

التخلق بهذا الاسم

يقول القشيرى : من علم أن الله هو الفتاح للأسباب وللأبواب لم يعلق فكره بغيره ، ولم يشتغل قلبه بسواه ، فيعيش معه بحسن الانتظار ، كلما ازداد بلاء ازداد بربه ثقة ورجاء . .

والأدب يقتضى أن يتدبر العبد معنى هذا الاسم الشريف ليحصل على بركته ، ويسعد بنور صحبته ، لايتعجل استجابة الله لدعائه ولايتبرم بما يصيبه من قضائه ، عليه أن يتحلى بالصبر والرجاء استجابة للحكمة الصائبة التى تقول : الصبر مفتاح الفرج . . .

الذكر بهذ الاسم

قال العلماء : من أكثر من ذكر اسم الفتاح ووضع يده على صدره طهر الله قلبه ، وأزال غمه وهمه .

ومن علم أن الله هو الفتاح لكل أبواب اليسر ، لايعلق قلبه إلا به ولايفكر إلا فيه .

ومن الأدعية بهذا الاسم دعاء بعض الصالحين بقولهم :

« ياألله يافتاح ياعليم ، ياغنى ياكريم ، افتح قلبى بنورك ، وارحمنى

بطاعتك ، واحجبنى عن معصيتك ، وامنن عَلَىَّ بمعرفتك ، واغننى بقدرتك عن قدرتى ، وبعلمك عن علمى ، وبإرادتك عن إرادتى وبصفاتك عن صفاتى . .

ومن الأدعية أيضا :

إلهى أنت الفتاح تفتح للعباد أبواب الرزق بكرمك وتمدهم بوافر نعمك ، تفتح القلوب فتطلعها على أسرار الغيوب ، تفتح أبوب السماء بقبول الدعاء . . افتح لنا أبواب رحمتك ، وعلمنا مالم نكن نعلم من سر الجسم والروح فأنت صاحب المدد والفتوح وأنت على كل شيء قدير . . . . . .
وصلى الله على سيدنا محمد . وعلى آله وصحبة وسلم

العليم

ورد اسم العليم فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة جدا تزيد على مائة وخمسين موضعا . منها قوله ـ تعالى ـ :

« قالوا سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم »(٢٧٨)

وقوله :

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ (٢٧٩)

وقوله :

« ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم »(٢٨٠)

وقوله :

« واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم »(٢٨١)

وقوله :

« إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم »(٢٨٢)

وقوله :

« ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير »(٢٨٣)

وورد بصيغة المبالغة فى قوله ـ تعالى ـ :

« قالوا لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب »(٢٨٤)

---

(٢٧٨) البقرة ٣٢
(٢٧٩) البقرة ١١٥
(٢٨٠) البقرة ١٢٧
(٢٨١) البقرة ٢٨٢
(٢٨٢) النمل ٧٨
(٢٨٣) الشورى ٥٠
(٢٨٤) المائدة ١٠٩

وفى قوله ـ تعالى ـ : « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب »[285]

وفى غير ذلك من الآيات .

وورد بصيغة اسم الفاعل فى مواضع عدة منها : قوله تعالى :

« وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة »[286]

وقوله :

« ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بماكنتم تعملون »[287]

وورد بصيغة أفعل التفضيل فى مواضع كثيرة منها : قوله تعالى :

« قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت . . . . »[288]

وقوله :

« إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى »[189]

ومادة علم فى القرآن سخية جدا تشير كلها إلى سعة علم الله وكثرته . . . . . وتقلُّب الاسم بين صيغة اسم الفاعل وصيغة المبالغة واسم التفضيل ـ يدل على قصر العلم على الله ، وأنه بارادته وفضله يمنح بعض العلم لمن يشاء .

ومعنى العليم أنه ـ سبحانه ـ لاتخفى عليه خافية ـ قاصية كانت أو دانية ، « يعلم خائنة الأيمن وماتخفى الصدور »[190] ، وهو العالم بما كان ومايكون

---

(٢٨٥) التوبة ٧٨

(٢٨٦) الأنعام ٧٣

(٢٨٧) التوبة ٩٤

(٢٨٨) آل عمران ٣٦

(٢٨٩) النجم ٣٠

(٢٩٠) غافر ١٩

ومالايكون ، فإن علم الله بالأشياء سابق عليها وسبب لها . . . . لايخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء . . لقد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا . . . . . قال تعالى : « **وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافى البر والبحر وماتسقط من ورقة إلايعلمها ولاحبة فى ظلمات الأرض ولارطب ولايابس إلا فى كتاب مبين** »(٢٩١)

وقد اقترن اسمه العليم ـ جل جلاله ـ باسمه الحكيم كثيرا ، كما اقترن باسمه السميع ، وباسمه الخلاق ، وباسمه العزيز ، وباسمه القدير وباسمه الفتاح ، وباسمه الخبير . . .

كما جاء منفردا دون أن يقترن باسم آخر .

وواضح أن العليم مشتق من العلم ، والعلم هو إدراك الشيء بحقيقته . وهو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع .

والعليم فى حق الله ـ تعالى ـ هو البالغ نهاية العلم وكذلك ـ العلاَّم . . وكل علم للخلق إنما هو مستمد من علم الله .

فعلم المخلوقات جميعا منحة إلهية منه . . سبحانه ـ فهو سبحانه ـ العالم الذى لاتخفى عليه خافيه ، ولايعزب عن علمه شيء جل أو صغر . وعنده علم الغيب وعلم الساعة ويعلم مافى الأرحام .

---

(٢٩١) الأنعام ٥٩

وقد اختص الله نفسه بعلم أشياء لايعلمها الا هو ، وقد يعطى علم بعض هذه الأشياء لمن شاء من رسله وأصفيائه ..... قال تعالى : ـ

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨ ﴾ (٢٩٢)

ومن الأشياء التى اختص بها علم الله ـ تلك التى تشير إليها هذه الآية ....

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾ (٢٩٣)

ويوصف الله جل جلاله ـ بأنه عليم ، ولايوصف بأنه عارف ، لأن المعرفة يسبقها جهل . والله علمه قديم ، بل إن علمه سبب لوجود الموجودات . .

والفرق بين علم الله وعلم العباد واضح ، فعلم الله كثير واسع قديم . أما علم العباد فقليل قاصر حادث ... قال تعالى ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾ (٢٩٤)

---

(٢٩٢) الجن ٢٦ : ٢٨

(٢٩٣) لقمان ٣٤

(٢٩٤) الاسراء ٨٥

هذا مع ملاحظة أن علوم العباد متفاوتة بعضهم يفضل بعضا ـ قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾(٢٩٥)

وقال تعالى : « وفوق كل ذى علم عليم »(٢٩٦)

وقد ذكر العلماء ـ أن الفرق بين علم الله وعلم العباد من ستة وجوه .

أحدها : أن الله يعلم كل شيء بخلاف العبد .

الثانى : أن علم الله لايتغير بتغير المعلومات بخلاف العبد .

الثالث : أن علم الله غير مستفاد من الحواس ولا من الفكر بخلاف العبد .

الرابع : أن علم الله ضرورى الثبوت ممتنع الزوال ، فالله لاتأخذه سنة ولانوم ، والله لاينسى . . قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾(٢٩٧) بخلاف العبد فعلمه يجرى عليه الزوال والنسيان .

الخامس : أن الله تعالى ـ لايشغله علم عن علم بخلاف العبد .

السادس : أن علم الله غير متناه بخلاف علم العبد »(٢٩٨)

التخلق بهذا الاسم

وإذا أنعم الله على عبد وهبه نعمة العلم ، فللعالم منزلة عظمى عند الله بشرط أن يكون عاملاً بعلمه .

ومن عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم ـ والتقوى تنير القلب وتهب

---

(٢٩٥) الانعام ٨٣

(٢٩٦) يوسف ٧٦

(٢٩٧) مريم ٦٤

(٢٩٨) اسماء الله الحسنى د . احمد الشرباصى جـ ١ صـ ١٢٥

العلم قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ (٢٩٩)

وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ (٣٠٠)

والفرقان هو العلم .

وقد رفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات . قال . سبحانه :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ (٣٠١)

والعلم له آداب يجب أن يتخلق بها العالم . أهمها التواضع والتقوى ونفع الناس بعلمه ، وأن لايكون هدفه من العلم المباهاة أو المماراة أو استعمال العلم فى الإضرار بالناس . . . . . روى الطبرانى عن أم سلمة أن النبى - ﷺ - قال : « من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء فهو فى النار »

وروى أبو نعيم عن على بن أبى طالب - أن النبى - ﷺ - قال : « من نعلم أربعين حديثا ابتغاء وجه الله ليعلم به أمتى حلالهم وحرامهم كتبه الله يوم القيامة عالما »

---

(٢٩٩) البقرة ٢٨٢

(٣٠٠) الانفال ٢٩

(٣٠١) الزمر ٩

ومن آداب العالم أن يستحيى من الله حق الحياء ، وأن يتذكر دائما أنه فى حاجة الى المزيد ، ففوق كل ذى علم عليم .

الذكر بهذا الاسم

وكثرة الذكر بهذا الاسم تثمر لصاحبها العلم ، ويرزقه الله الفهم ، ويفقهه فى الدين ، وتظهر على لسانه الحكم الالهية . .

وقد أمر الله نبيه - ﷺ - أن يقول : وقل رب زدنى علما . . فليدع العبد بهذا الدعاء ليفيض الله على قلبه من العلوم ماشاء . . .

ومن داوم على ذكر : ياعلام الغيوب - اشتاقت روحه إلى العالم العلوى . وأصبح من أصحاب الإلهامات والفراسة الصادقة .

ومن دعاء العلماء قولهم :

اللهم انا نسألك إيمانا دائما ، ونسألك قلبا خاشعا ، ونسألك علما نافعا ونسألك يقينا صادقا ، ونسألك دينا قيما ، ونسألك العافية من كل بلية »

ومن الدعاء المأثور : اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع . ومن قلب لايخشع ، ومن نفس لاتشبع ، ومن عين لاتدمع ، ومن دعاء لايُسْمَع . . .

ومن الأدعية أيضا :

اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة ، والمغفرة الشاملة ، والمحبة الجامعة والمعرفة الواسعة ، والأنوار الساطعة ، والحجة البالغة والدرجة العالية . . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

القابض

جاء فى لسان العرب : القبض خلاف البسط . . ومن أسماء الله : القابض ـ أى الذى يمسك الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته ، ويقبض الأرواح عند المات . وفى الحديث : « يقبض الله الأرض ويقبض السماء »

روى أحمد وأبو داود والترمذى وغيرهم عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن الله ـ تعالى ـ هو الخالق القابض الباسط الرزاق المعز ، وإنى لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبنى أحد بمظلمة ظلمتها إياه فى دم ولامال »

ولم يرد هذا الاسم « القابض » فى القرآن الكريم بهذا اللفظ ـ ولكن ورد ما يدل عليه ويشير إليه .

ومن ذلك قوله تعالى ـ :

﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥ ﴾ (٣٠٢)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ٤٥ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ٤٦ ﴾ (٣٠٣)

---

(٣٠٢) البقرة ٢٤٥

(٣٠٣) الفرقان ٤٥ ، ٤٦

وقوله ـ تعالى ـ

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (٣٠٤)

وقد ورد بلفظه فى الحديث الذى سقناه سابقا .

ومما ورد من آيات وأحاديث تدور حول القبض نفهم هذه المعانى :

قبض الأرواح بالموت . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء »(٣٠٥)

وإلى هذا يشير قوله ـ تعلى ـ

« حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون »(٣٠٦)

قبض الرزق ـ وهو ضد البسط . والبسط يعنى السعة فى الرزق ، والقبض عكسه . ويكون قبض الرزق لحكمة يعلمها الله . . . تفهم من قوله ـ تعالى ـ

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ (٣٠٧)

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا »(٣٠٨)

---

(٣٠٤) الزمر ٦٧

(٣٠٥) رواه احمد والبخارى وأبو داود والنسائى عن أبى قتاده رضى الله عنه

(٣٠٦) الأنعام ٦١

(٣٠٧) الشورى ٢٧

(٣٠٨) رواه الطبرانى والحاكم عن قتاده

ومن معانى القبض ماينتاب بعض النفوس من انقباض دون أن يكون لذلك سبب ظاهر ، وليس ذلك الا لأن الله يريد له ذلك ، وهذا يدل على قدرة الله الذى بيده وحده التصرف فى النفوس .

ومن ذلك أيضا قبض الرحمة عن الكفار يوم القيامة ، حتى ييئسوا من روح الله ولاييأس من روح الله الا القوم الكافرون . قال تعالى ـ :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣٠٩)

ومن تلك المعانى قبض اليد عن الإنفاق . وهذه صفة من صفات البخلاء الذين لايتحلون بصفة الاحسان والعطاء ـ قال تعالى ـ

« المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم »(٣١٠)

ومن المعانى اللغوية للقبض : الأخذ . أو هو تناول الشىء بجميع الكف نحو قبض السيف وغيره .

والله سبحانه ـ هو القابض الذى يقبض النفوس بقهره والأرواح بعدله ، والأرزاق بحكمته ، والقلوب بتخويفها من جلاله . .

والقابض هو الذى يقبض العباد بدلائل الخوف من الكبرياء . .

ومن معانى القبض التى أشار اليها الرازى : القبض فى السحاب ـ كما قال ـ تعالى ـ

﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ

---

(٣٠٩) العنكبوت ٢٣

(٣١٠) التوبة ٦٧

كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٣١١)

ومنها : القبض فى الظلال والأنوار كما قال ـ تعالى ـ

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾ (٣١٢)

التخلق بصفة القبض

والمؤمن الذى يتخلق بهذه الصفه ـ هو الذى يقبض يده عن الأذى ، ويقبض لسانه عن الباطل ، ويقبض قلبه عن الخواطر السيئة ، ويقبض سمعه عن الشر .

ويطلب الذاكر بهذا الاسم من الله القابض أن يقبض الشر عنه وأن يكشف السوء عن قلبه ـ قائلا : وياقابض اقبض شر من رام كيدنا »

أما بالنسبة لما يعترى العبد من صفة القبض فقد قال البعض فى ذلك : القبض والبسط قلما يخلو العبد منهما . وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار .

فمن كان وقته القبض فلايخلو من أن يكون له سبب أو ـ لا .

فان كان له سبب كالذنب الذى يحدثه ، أو الدنيا التى أدبرت ، أو الظالم الذى يؤذى ، فذهاب القبض يكون بالتوبة من الذنب والاستغفار ، وبالصبر والاحتمال والشكوى الى الله .

---

(٣١١) الروم ٤٨ ، ٤٩

(٣١٢) الفرقان ٤٥

وان لم يكن هناك سبب فعلى المقبوض أن يسكن حتى تذهب هذه الحالة بقدرة الله تعالى ـ(٣١٣)

ومن الدعاء فى ظل هذا الاسم ماأورده ـ د . أحمد الشرباصى ـ فى كتابه أسماء الله الحسنى ـ عن بعض الصالحين « إلهى أنت القابض على نواصى العباد ، المتصرف فى القلوب والأرواح بمشيئتك . . . . القبض فى الظاهر بلية ، ولكنه عين العطية . فلولا القبض ماتأدب معك العباد بالتوبة ، وتقبض القلوب فتتأدب معك النفوس من جلال الهيبة .

امنحنا اللهم قوة نقبض بها على زمام أنفسنا ، حتى لاتخرج من مرضاتك ، وامنحنا همة نقبض بها على كل من اتصل بنا فيكون قائما بطاعتك إنك على كل شيء قدير . . . . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم(٣١٤)

---

(٣١٣) عن شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى لابن عباد الرندى حـ ١ صـ ٦٨

(٣١٤) اسماء الله الحسنى د . احمد الشرباصى حـ ١ صـ ١٣١

الباسط

« الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » والمعنى أنه يوسع الرزق على من يشاء من عباده .

وقال ابن منظور فى لسان العرب : الباسط من أسماء الله - تعالى - هو الذى يبسط الرزق لعباده ويوسعه عليهم بجوده ونعمته ورحمته ، ويبسط الأرواح فى الأجساد عند الحياة .

والبسط نقيض القبض . .

ولم يرد « الباسط » بهذا اللفظ فى القرآن الكريم ولكنه ورد فى الحديث الشريف « إن الله - تعالى - هو الخالق القابض الباسط »(٣١٥)

وورد فى القرآن الكريم آيات تدل عليه . منها قوله - تعالى - :

﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ (٣١٦)

وقوله تعالى - : (٣١٧)

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾

وقوله

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٣١٨)

وجاء الفعل « بسط » فى القرآن الكريم بمعنى مدَّ . تقول بسط الطائر جناحه بمعنى مده ، وبسط فلان يده بالسيف بمعنى مدها . . . . . .

(٣١٥) رواه احمد وأبو داود والترمذى عن أنس - رضى الله عنه

(٣١٦) البقرة ٢٤٥

(٣١٧) الاسراء ٣٠

(٣١٨) الشورى ٢٧

قال ـ تعالى ـ على لسان ابن آدم : ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٣١٩)

والبسط يأتى بمعنى السرور . . تقول : بسط فلان فلانا بمعنى سره . قال عليه الصلاة والسلام فى حق فاطمة : « فاطمة بضعة منى ، يقبضنى مايقبضها ويبسطنى مايبسطها » أى يسرنى مايسرها . والبسط من لوازم السرور فى الحقيقة . لأن الانسان إذا سر انبسط وجهه واستبشر . قال أهل اللغة : وأصل البسط النشر . وقد أخذ منه البساط وهو ماينشر على الأرض . ومنه أيضا أُخِذَتْ البسيطة ـ وهى الأرض العريضة الواسعة . .

وأول مايتبادر الى الذهن من معنى الباسط . الموسع للأرزاق ، وقد جاء ذلك فى آيات كثيرة ذكرنا بعضها للاستدلال .

وهذا لايمنع من وجود معانى أخرى لهذا الاسم ، فالباسط الذى يبسط النفوس بالسرور والفرح .

ويجىء عكس قبض ـ الذى يفيد قبض الأرواح عند الموت . . فيكون معناه بسط الأرواح فى الأشباح عند البعث من الموت ، لعرض الأعمال بين يدى الله .

ومن المعانى الدقيقة عند بعض العلماء : الباسط هو الذى يؤمنك بعفوه وإطلاقه فيجتبيك .

وللغزالى تعبيرات رقيقة فى هذا المجال . قال : الباسط هو الذى يبسط قلوب العباد بدلائل الرجاء . .

---

(٣١٩) المائدة ٢٨

ولله حكمة فى بسط الرزق وتضييقه ، فهو يبسط الرزق للأغنياء مِنةً ومنحة ، ويقبضه عن الفقراء تجربة ومحنة .

أو هو يبسطه للأغنياء حتى لاتبقى فاقة ، ويقبضه عن الفقراء حتى لاتبقى طاقة . .

والبسط كما يكون فى الرزق يكون فى العلم ويكون فى الجسم . . فهو فى العلم بمعنى السعة والكثرة . . وفى الجسم بمعنى الطول والوفرة ، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ ﴾(٣٢٠)

التخلق بهذا الاسم :

ولمن يريد التخلق بهذا الاسم هناك آداب يجب أن يتحلى بها ـ منها :

أن يبسط يده بالاحسان ولايطويها عن أهل الفقر والامتحان .

والموصوف بهذا الاسم ـ كما يقول الإمام الغزالى ـ هو من ألهمه الله بدائع الحكم ، وأولاه جوامع الكلم . فهو تارة يبسط القلوب بتذكيره الناس بآلاء الله ونعمه ، وتارة يقبضها بما ينذرهم من جلال الله وكبريائه . . وهذه صفات الرسل الذين أرسلهم الله مبشرين ومنذرين . .

وهذان الاسمان ـ القابض الباسط ـ يثمران حالى الخوف والرجاء فى قلب المؤمن . وكما قلنا فى القبض من أن من معانيه ـ مايعترى قلب المؤمن من انقباض قد يكون له سبب وقد لايدرى له سببا فى الظاهر ـ فكذلك الأمر بالنسبة للبسط ، فمن معانيه مايعترى قلب المؤمن من فرح وسرور ، وقد

---

(٣٢٠) البقرة ٢٤٧

يكون له سبب ظاهرى كزيادة فى الطاعة . أو زيادة فى النعمة ، أو زيادة فى مدح الناس له والثناء عليه . .

والعبودية الحقة تقضى أن يقابل العبد هذه الأسباب بشكر الله المنعم ، وعدم رؤية النفس إزاءها ، وترك الغرور المترتب عليها . . . .

وقد لايكون للبسط سبب معلوم ـ فالأدب يقضى بالتزام الأوامر والنواهى وعدم مجاوزة الحد ، والفزع الى الله ، حتى لايخرج الإنسان عن دائرة العبودية مصداقا لقول من يقول :

وإن أجلسوك على بساط ودادهم إياك أن تنسى التقى إياكا .

الذكر بهذا الاسم :

يرى العلماء أنه ينبغى للذاكر أن يجمع بين الاسمين « القابض والباسط » فى الذكر قائلا ـ كما ذكر بعضهم :

وياقابض اقبض شر رام كيدنا ، ويياباسط ابسط رزق عبد بوسعة

ومن أدام ذكر الباسط بسط الله رزقه وأحيا قلبه ، وأزال همه وغمه ، وأحبه كل من يراه .

ومن الأدعية الواردة فى ذلك :

إلهى أنت الباسط للقلوب بشهودك ، والباسط للأجسام بجودك . فتجل لنا بنور اسمك الباسط ، حتى تظهر أنواره على جوارحنا ، فمن رآنا انبسط وانشرح صدره . .

ومن مناجاة الشاعر أحمد مخيمر فى ظل اسمى القابض الباسط :

ياقابض القلوب عن همومها ياباسط الأرواح فى جسومها

.لاتقبض النعمة عن محرومها وابسط له الحكمة عن حكيمها
ماأعظم الرحمة من رحيمها[٣٢١]

---

(٣٢١) اسماء الله الحسنى احمد مخيمر صـ ٤٠

اسم الله « الخافض »

الرافع

المعز المذل

السميع

البصير

الحَكم

العدل

اللطيف

الخبير

الحليم

العظيم

الغفور

الخافض

لم يرد اسم الخافض فى القرآن الكريم . ولكنه ورد فى الأسماء التى ذكرها النبى - صلى الله عليه وسلم - فى حديثه الشريف - قال - صلى الله عليه وسلم - « ان لله - عز وجل - تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » وهذا الاسم الثالث والعشرين بينها .

وقد وردت مادة خفض فى القرآن الكريم فى آيات منها : قوله تعالى -:

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٣٢٢)

وقوله - تعالى - :

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣٢٣)

وقوله تعالى - :

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ (٣٢٤)

وكل هذه الآيات وصايا بالتواضع والمعاملة الحسنة .

وفى الاشارة الى الخفض والرفع ورد قوله تعالى - فى وصف يوم القيامة

---

(٣٢٢) الحجر ٨٨
(٣٢٣) الاسراء ٢٤
(٣٢٤) الشعراء ٢١٥

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ ﴾(٣٢٥)

وقال القرطبى فى معنى خافضة رافعة : يقول العلماء : خَفَضت الصوتَ فأسمعت من دنا ، ورفَعت الصوت فأسمعت من نأى ، أى أسمعت القريب والبعيد . وقال السُّدِّى : خَفَضت المتكبرين ورفعت المستضعَفين .

وقال قتادة : خَفَضَتْ أقواما فى عذاب الله ، ورفعت أقواما فى طاعة الله . وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه : خفضت أعداء الله فى النار ، ورفعت أولياء الله فى الجنة .

وقال محمد بن كعب : خفضت أقواما كانوا فى الدنيا مرفوعين ، ورفعت أقواما كانوا فى الدنيا مخفوضين .

وقال ابن عطاء : خفضت أقواما بالعدل ، ورفعت آخرين بالفضل ، قال القرطبى : الخفض والرفع يستعملان عند العرب فى المكان والمكانة وفى العز والمهانة .

ونسب سبحانه الخفض والرفع ليوم القيامة توسعا على عادة العرب فى إضافتها الفعل إلى المحل والزمان والسبب وغير ذلك . والخافض والرافع على الحقيقة إنما هو الله وحده ، فرفع أولياءه فى أعلى الدرجات ، وخفض أعداءه فى أسفل الدرجات .

فهذه الآية من سورة الواقعة تشير الى اسمى الله ـ الخافض الرافع . وقد أشرنا إلى أقوال بعض العلماء فى معنى الخافض الرافع . . . . وهذه بعض أقوال أخرى للعلماء فى معنى الخافض .

---

(٣٢٥) الواقعة ١ : ٣

قيل : الخافض الذى يخفض بالإذلال من تَعظَّم وتكبر ، وشمخ بأنفه وتجبر ـ يخفض أقواما ، ويخفض الباطل ويذل أهله .

وقيل : الخافض هو الواضع لمن عصاه والمذل لمن غضب عليه ، يخفض الكفار بالإشقاء ويخفض أعداءه بالإبعاد .

وقيل : هو الخافض لاعدائه بالذل .

وقيل : هو الذى خفض أهل الكفر بعزه ، وخفض اهل الكبر بجلاله وخفض اهل الزور باظهار تكذيبهم ، وخفض كل خارج عن شريعته مهما كان غنيا بالمال ، أوعزيزا بالرجال .

سئل بعض العلماء عن قوله تعالى ـ « كل يوم فى شأن » فقيل له : ما شأن ربك اليوم ؟

فأجاب قائلا : أمور يبديها ولا يبتديها ، يرفع أقواما ويخفض آخرين .

التخلق بهذا الاسم

إذا أراد العبد أن ينال حظا من اسم الله ـ الخافض ، فعليه أن يطامن من كبريائه ، ويكفكف من غلوائه ، ويعد نفسه أضعف المخلوقين ، وعليه أن يخفض من شأن عدو الله إبليس فلايطيع هواه ، ولا يستمع الى وسوسته ، وأن يحتقر علوه وادعاءه .

وعليه أن يهون من شأن الكفار فى نفسه فلا يرفع لهم شأناً ولا يخاف لهم بأسا .

وعليه أن يبر والديه ويتواضع لهم ، ويتواضع لكل مؤمن كما أمر الله بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم .

الذكر بهذا الاسم

من الأدعية التى أوردها العلماء فى ظلال هذا الاسم قولهم : « إلهى أنت الخافض للجبارين بقهرك ، المذل للمتكبرين بجبروتك ، المتعالى العلى الكبير ، المتجلى بنصرك ، وأنت نعم المولى ونعم النصير . أسألك أن تمنحنى قوة جبروتيه أخفض بها كل جبار عنيد ، وأُصَغِّر بها نفسى وشيطانى المريد . . . . أتواضع بها لوالدى ، وأتذلل لكل مسلم . وأقدمه علىَّ فيكون لى حظ من نور هذا الاسم الشريف ، إنك على كل شىء قدير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »

الرافع

ورد فى القرآن الكريم قوله ـ تعالى ـ

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) ﴾ (٣٢٧)

كما ورد قوله ـ تعالى ـ فى حق المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ورفعنا لك ذكرك »(٣٢٨)

وجاء فى حق إدريس عليه السلام ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) ﴾ (٣٢٩)

وفى حق المؤمنين وأولى العلم قال تعالى ـ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) ﴾ (٣٣٠)

---

(٣٢٧) البقرة ٢٥٣

(٣٢٨) الشرح ٤

(٣٢٩) مريم ٥٧

(٣٣٠) المجادلة ١١

وفى حق الناس كافة ـ قوله تعالى :

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣٣١)

وكل هذا الرفع رفع معنوى . . أما الرفع الحسى الذى تشاهده الأعين فهو فى قوله تعالى ـ

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (٣٣٢)

فمن المسلم به أننا إذا سئلنا عن السماء نظرنا إلى أعلى لنشاهد قبة زرقاء نشير إليها باليد ، وإن كان لايمكن لمسها ولا يمكن مشاهدتها على حقيقتها وإنما نشاهد ما يدل على سموها وارتفاعها .

ومثل ذلك قوله تعالى ـ

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (٣٣٣) أى عالية ، وان كان ذلك فى الجنة .

وقد ينسب الرفع إلى العمل فى قوله تعالى ـ

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ ﴿١٠﴾ ﴾ (٣٣٤)

---

(٣٣١) الزخرف ٣٢
(٣٣٢) الرعد ٢
(٣٣٣) الغاشية ١٣
(٣٣٤) فاطر ١٠

عند من يفسر أن صعود الكلم الطيب يتم بسبب العمل الصالح . وقد يُفَسَّر : أن الذى يرفعه هو الله تعالى ـ

هذه بعض الآيات الكريمة التى وردت فيها مادة رفع فى القرآن الكريم . . وهى المادة التى أخذ منها « الرافع » الذى هو اسم من اسماء الله الحسنى . .

والرافع هو الله ـ جلت قدرته ـ سواء كان الرفع للمنزلة أو للدرجات أو للكلم الطيب : أو للبناء أو لغير ذلك من أوجه الرفع الحسى ، أو المعنوى .

إن الله هو الذى رفع الغمام على متن الهواء ، ورفع الطير فى جو السماء ، ورفع الكواكب فى أجواز الفضاء ، ورفع اسم الصديقين والشهداء ، ورفع منازل الصالحين والأولياء ، ورفع ذكر المرسلين والأنبياء .

والذى يرفعه الله لا يمكن أن يخفضه مخلوق ، كما أن الذى يخفضه الله لا يمكن أن يرفعه مخلوق . .

ومن معانى الرافع : المدبر لشئون الخلق المتولى أمرهم المتصرف فى مصالحهم ـ قال تعالى ـ

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾(٣٣٥)

فكم من أمير تحيط به رعيته ، يعيش مرفوعا فى أعين الخلق فإذا به بين عشية وضحاها تطيش به سهام القدر فيصبح مغمورا لا يحس به أحد ،

(٣٣٥) آل عمران ٢٦

ولا يأبه له مخلوق . .

وكم من مغمور ضائع فقير ترتفع أسهمه فجأه ، فيصبح وقد ائتمر الناس بأمره ، ورفعوا شأنه وقدره . .

إنها يد الله التي تخفض وترفع ، وتعز وتذل ، وكل ذلك لحكمة يعلمها الله تبارك اسمه ـ

التخلق بهذا الاسم

والذى يعيش فى ظل هذا الاسم عليه أن يتأدب بأدب القرآن الكريم ، فيزكى عمله ، ويصلح سريرته ، وينقى قلبه ، ويجتهد فى تقديم الصالح من الأعمال حتى يرفع الله اسمه فى عليين . . ويصدق عليه الحديث الشريف : « رب أشعث أغبر ذى طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره »

ومن أراد الرفعة حقا فليتحل بحلية التواضع ، فقد ورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : « من تواضع لله رفعه ومن تكبر عليه خفضه »

الذكر بهذا الاسم

وينبغى للذاكر أن يذكر الله باسميه معا : الخافض الرافع ، فيقول : وياخافض اخفض شأن من قصد ذُلَّنَا : ويارافع ارفعْنا بسر الخلافة ـ والخلافة : هى الخلافة عن الله فى الأرض ـ قال تعالى ـ

« وإذ قال ربك للملائكة أنى جاعل فى الأرض خليفة »

ولهذه الخلافة آداب وأخلاق . . من تخلق بها ارتفع إلى مقامها وأصبح جديرا بها .

ومن الأدعية فى ظل هذا الاسم : -

« إلهى ، تجليت باسمك الرافع فرفعت قدر أنبيائك وأوليائك ، فأظهرت لهم المعجزات ، وأبرزت لهم الكرامات ، ورفعت أرواحهم إليك ورققت هممهم فلم يطلبوا سواك ، لأن عيون أرواحهم تراك ، فاجعل لنا أوفر حظ من نور اسمك الرافع ، حتى يرفع شأننا ، فنرفع أحبابك وننفذ أحكامك ، فنكون رافعين مرفوعين ، بفضلك يارافع يامعين ، إنك على كل شىء قدير . . وصلى الله على سيدنا محمد ـ وعلى آله وصحبه وسلم .

ومن مناجاة الشاعر أحمد مخيمر فى ظل هذين الاسمين : -

الله ربى خافضٌ أعداءَهُ

ورافع إليه أولياءَهُ

وخافض بحارَه وماءَهُ

ورافع عن أرضه سماءَهُ

وواهب لخلقه نعماءَهُ(٣٣٦)

---

(٣٣٦) أسماء الله الحسنى لأحمد مخيمر ص ٤٢

المعزُّ المذِلُّ

الله هو العزيز الذى لا عزة إلا به ، وهو المعز الذى يعز من يشاء . جاء فى لسان العرب : المعز الذى يهب العز لمن يشاء من عباده . . وهذا الاسم يفهم من قوله ـ تعالى : ـ

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٣٣٧)

ولا يهب العز لغيره إلا العزيز . . ولا عزة إلا الله ، ولا عزة إلا به ـ سبحانه ـ قال ـ تعالى ـ

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٣٨)

ومفهوم هذه الآية يفيد أن الله يمنح العزة الحقيقية لأوليائه وأحبائه وأساسها الايمان والتقوى والعمل الصالح الذى يقرب من رب العزة . . . . . إن الحق سبحانه وتعالى ـ هو المعز ـ من لجأ إليه احتمى به ، واكتسب به العزة التى لا تضام .

وإذا كان الواهمون يظنون أن الالتجاء لأصحاب الجاه والسلطان يمنحهم العزة والجاه والسلطان ، فقد استندوا فى ذلك إلى ركن واهٍ وحمىً منهار : وقد ورد فى الأثر : « من استعز بقوم دون الله أذله الله على أيديهم » .

وكم رأينا من أقوام تمسحوا بالسلاطين والأمراء ، وتقربوا منهم تعززاً بهم ، فإذا بالأيام تقلب لهم ظهر المجن ، ويذوقون على أيديهم الذل

---

(٣٣٧) آل عمران ٢٦

(٣٣٨) المنافقون ٨

والصغار والهوان والدمار ، بعد أن كانت لهم فى ظلهم دولةٌ ولهم على أيديهم منزلة . .

إن الذى يعزُّ الانسان حقاً هو طاعته لربه ، فالله هو الذى يعز أولياءه بطاعته ويحفظهم برعايته ، ويغمر لهم بفضله ورحمته . فمن داوم على ذكره جعله الله فى مركز العزة ، وأودع فى قلوب الخلق هيبته . قال على ابن الحسين ـ رضى الله عنهما ـ : من أراد عزاً بلا عشيرة ، وهيبة بلا سلطان ، وغنى بلا مال ، فليخرج من ذل المعصية الى عز الطاعة . وما أصدق ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه : « إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعزٍّ يفنى » .

وقال شارح الحكم : العز الذى لا يفنى هو الغنى عن الأسباب بالاعتماد على مسبب الأسباب ، لأنه باقٍ لا يفنى ، فالتعلق به عز لا يفنى ، والعز الذى يفنى هو الغنى بالأسباب مع الغيبة عن مسببها ، لأنها فانية ، فالتعلق بها عز فانٍ لا يبقى ، والتعلق بالله عز لا يفنى . حكى بعضهم قال : رأيت رجلاً فى الطواف وبين يديه جنود يطردون الناس ، فبعد ذلك بزمن رأيته يتكفف الناس على الجسر . .

فسألته عن ذلك فقال : لقد تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله فى موضع يترفع فيه الناس .

وما أصدق الذى يقول :

اجعل بربك شأن عزك يتسقرُّ ويثبتُ .
فإن اعتززت بمن يموت فإن عزك ميتُ .

ولا يُذِلُّ الانسانَ شيء كالمعصية ، لأنها تقطع السبب بين الانسان الضعيف وبين ربه القوى العزيز . .

إلا إذا أعقب المعصية التوبة والندم والخوف من الله والإقبال عليه . . . مصداقاً لقول القائل : « رب معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً »

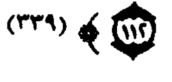
قال شارح الحكم : الذل والافتقار من صفات العبودية ، والعلو والاستكبار مناقضان لها ، لأنهما من صفات الربوبية . ولا خير فى الطاعة إذا أدت إلى شيء يناقض صفات العبودية ، لأنها تحبطها وتبطلها . . . .

وقد سبق أن تحدثنا عن اسم « العزيز » - جل جلاله - وهو من الأسماء التى ورد ذكرها بكثرة فى القرآن الكريم . جاء مقترناً بالحكيم ، وبالقوى ، وبالوهاب ، وبالغفور ، وبالحميد . . .

ولقد ضرب الله الذلة والمسكنة على الذين يعرضون عن الله ، وينأون بجانبهم عنه ، ويخرجون على تعاليمه .

ففى حق اليهود قال - تعالى -

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ

 (٣٣٩)

(٣٣٩) آل عمران ١١٢

وقال فى حق الكفار بصفة عامة :

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٣٤٠) »

أما حالهم فى الآخرة فهو أشد ذلاً وصغاراً

﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣٤١)

وقال ـ جل جلاله ـ :

﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٤﴾ ﴾ (٣٤٢)

إن طريق العزة الحقيقية معروف ، وهو رفع حجاب الغفلة عن القلب ، والتمسك بأسباب الطاعة والقرب ، والإعراض عن دعاوى الهوى والضلال ، والسير على سنن أهل الهدى والكمال .

إن من أسباب العزة القناعة ، ومن أسباب الذل الحرص والطمع ، وقد ورد فى الحكم المستنيرة : عز من قنع ، وذل من طمع .

---

(٣٤٠) يونس ٢٧
(٣٤١) المعارج ٤٣ ، ٤٤
(٣٤٢) طه ١٣٤

كما ورد أيضاً : أذل الحرص أعناق الرجال » وذكروا فى ذلك . أن البازى أو العُقاب الذى يحلق فى الفضاء عزيزاً قوياً يرى قطعة لحم على شبكة فيدفعه الطمع إلى أن يهوى إليها فيعلق بالشبكة ذليلاً مهيناً . وكذلك الانسان مايزال به حرصه وشرهه حتى يوقعه فى شباك من يذله ويتلاعب به ، ثم يجفوه ويحتقره . .

وقال العلماء فى معنى المذل : هو الذى يذل الكافرين بصولة الحق ، ويقهر من يشاء من خلقه بإذلاله . .

وهو الذى أذل العصاة الذين اتخذوا من دونه آلهة يعبدونها . . قال تعالى

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (٣٤٣)

وأذل الذين يعادون الله ورسوله ـ قال سبحانه :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٣٤٤)

ووسائل الاذلال كثيرة فالله يذل الغنى بالفقر ، والجبار بالمرض أو الشهوة فيجعله ذليلاً للمرأة ، أو بالسجن ، أو بالمال ، فيخضع له ويلهث وراء جمعه غير مبال بالحلال والحرام . أو يذله بالحاجة إلى من هو أقل منه . . أو بغير ذلك من الوسائل التى تحكيها لنا الوقائع والأحداث .

ومن الدعاء الصالح : اللهم لا تذلنا إلا إليك وأعزنا بك . .

---

(٣٤٣) الأعراف ١٥٢

(٣٤٤) المجادلة ٢٠

الدعاء بهذين الاسمين

ومما ورد من الدعاء بهذين الاسمين : « اللهم أنت المعز المذل من أردت إعزازه عز ، ومن اردت إذلاله ذل ، فالعزة بك والذل إليك ، فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلاً تصحبه لطائف رحمتك ، وكل وجد يحجب عنا ، فنسألك موضعه فقدا تصحبه أنوار محبتك . . » .

« إلهى أنت المعز لأحبابك ، فأدخلهم فى رحابك . . . . . تكاشفهم بالجمال فيقبلون إليك ، وتلاطفهم بالجنان فيركنون إليك ، فى القلوب يعظمون شعائرك المصونة ، ويعزون كل من اعتز بعزك ، وأغنيته من كنزك .

إلهى تجل لنا باسمك المعز فأعزنا ، حتى لا يرانا مخلوق إلا ويرى تاج عزك على رءوسنا فيخضع لك يا معز . . . انك على كل شىء قدير . . » .

وفى الدعاء باسم المذل قال بعض الصالحين :

« إلهى أنت المذل لأعدائك ، المهين للعصاة بحلول بلائك ، أسألك أن تتجلى علىَّ بمدد اسمك المذل حتى أذل نفسى وشيطانى ، وأذل كل كافر وفاجر ، واحفظنى من ذل المعصية ، وذل الجهل ، وذلل لى كل صعب ، وهون لى كل عسير ، وتوجنى بتاج المهابة ، حتى يذل لى كل كافر وفاجر إنك على كل شىء قدير .

ومن الأدعية أيضاً :

«رب أَحْىِ روحى بزاد من عزتك ، وأرنى بدائع حكمتك فى صنعك ، حتى أحكم بصنعة كل مصنوع ، وأقابل كل شىء بما يجب له علىَّ ، حتى يحيا كل قلب ميت ، وتنقاد كل نفس أبية ، إن شأنك العدل والاصلاح ، وإليك تنقاد النفوس والأرواح . . . انك على كل شىء قدير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

السميع

ورد اسم السميع فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، أغلبها مقترن باسمه العليم . .

ومن هذه المواضع قوله - تعالى :

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ (٣٤٥)

وقوله - تعالى - :

﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٣٤٦)

وقوله - تعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ (٣٤٧)

وجاء مقترنا باسمه البصير فى مواضع - منها قوله - تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٣٤٨)

وقوله - تعالى :

« ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير »

---

(٣٤٥) البقرة ١٢٧

(٣٤٦) البقرة ١٣٧

(٣٤٧) البقرة ٢٢٤

(٣٤٨) الحج ٧٥

وقوله - تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٣٤٩)

وجاء مقترنا باسمه القريب فى قوله - تعالى -

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٣٥٠)

وجاء منفردا غير مقترن باسم آخر فى قوله - تعالى - :

﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٣٥١)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٣٥٢)

واقتصرت الآيتان الأخيرتان على اسم السميع فقط ، لأنهما لسان حال نبيين ضارعين ، دعوا الله فاستجاب دعاءهما ، وقد كان دعاؤهما رجاء

---

(٣٤٩) غافر ٥٦

(٣٥٠) سبأ ٥٠

(٣٥١) آل عمران ٣٨

(٣٥٢) إبراهيم ٣٩

يختلج فى ضمائرهما ، وأمر يراود قلبيهما . . وهما وإن تضرعا بذلك فقد تضرعا به فى نجوى خافتة لا يحس بها أحد ، ولكن الله سمعها فاستجاب لهما ووهبهما ما كانا يأملان . . أما الأول فهو زكريا ، وأما الثانى فهو إبراهيم ـ عليهما السلام ـ

والسميع ـ صيغة مبالغة ـ من السمع ، ومعناه : مدرك المسموع وإن خفى ، لا يفوت سمعه شيء ولا يشغله نداء على نداء ، ولا تخفى عليه أصوات خلقه فى سمائه وأرضه ، ولا تختلط عليه الألسنة واللهجات ، وهو سبحانه يسمع كل شيء . . . . كل جهر وكل همس وكل خاطر ، ويسمع دعاء المضطرين ويجيبهم :

قال تعالى :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٣٥٣)

وكما يسمع دعاء المضطرين والمحتاجين يسمع حمد الحامدين وشكر الشاكرين ويثيبهم عليه ، والله بقدرته يسمع مناجاة الضمائر وخلجات القلوب ، وما يستكن فى النفوس من خواطر قد لا تجد صداها فى نفثة حارة أو دمعة ساخنة أو أنين مؤلم . .

لقد وصف الله نفسه بأنه يسمع تحاور المتحاورين ، وجدال المتجادلين

---

(٣٥٣) النمل ٦٢

ونجوى المتناجين قال ـ جل ذكره ـ

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾ (٣٥٤)

وبعى على الكفار جهلهم بالله وعدم إيمانهم بأن الله يسمع سرهم ونجواهم . فقال : (٣٥٥)

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝٨٠ ﴾

والسمع يقتضى العلم ، ويقتضى الرؤية ، ويقتضى القرب ، ويقتضى القدرة ، ولذلك اقترن بهذه الأوصاف فى المواضع التى وردت فى الآيات المتقدمة . . . . . قال الله ـ تعالى ـ مخاطبا موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ بعد أن توجسا خوفا من لقاء فرعون الطاغية :

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۝٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ ﴾ (٣٥٦)

فسماعه ورؤيته يؤديان إلى حفظهما والقدرة على عدوهما والبطش به إن هم نحوهما بسوء .

والله سبحانه وتعالى ـ وصف الانسان بما وصف به نفسه ـ جلت قدرته ـ قال تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ ﴾ (٣٥٧)

---

(٣٥٤) المجادلة ١ — (٣٥٦) طه ٤٥ ، ٤٦

(٣٥٥) الزخرف ٨٠ — (٣٥٧) الانسان ٢

ومن الله على عباده بأن منحهم نعمتى البصر والسمع ـ قال ـ جل جلاله ـ

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٣٥٨)

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣٥٩)

ونلاحظ أن نعمة السمع مقدمة على نعمة البصر فى الآيتين المتقدمتين ، ذلك لأن الإدراك بالسمع يسبق الإدراك بالبصر . . ولو تدبرت حال الطفل حين يولد ، لوجدته يستجيب للحس قبل أن ترى عيناه .

وقد مَنَّ الله علينا بالسمع لنستعمله فيما يفيد . قال ـ تعالى ـ

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (٣٦٠)

فالواجب على الانسان أن يسمع القرآن ويتدبره ، ويعمل به ، ويكون من الذين قال الله فى حقهم :

---

(٣٥٨) النحل ٧٨
(٣٥٩) الملك ٢٣
(٣٦٠) الزمر ١٨

﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾(٣٦١)

ولا يكون من الذين قال الله فيهم « وقالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العمل بكفرهم »

التخلق بهذه الصفة

إن التخلق بهذه الصفة ينبغى أن يُعَلِّم الانسان المراقبة الدائمة لله ، لأن الله يسمع ما يتحرك به خاطره ، ومايتردد فى فؤاده . فما بالك بما يتفوه به ويتكلم به . .

لقوله ـ تعالى ـ

« ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا »(٣٦٣)

وأن يكون عند سماع القرآن مصغيا منصتا مستجيبا . . . . . لقوله ـ تعالى ـ

« وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون »(٣٦٤)

إن الذى يسمع ولا يعقل أو يسمع ولا يستجيب شأنه شأن الميت أو شأن الحيوان ، والانسان منزه عن ذلك فقد كرمه الله وفضله على غيره من المخلوقات . فليكن جديرا بهذا التفصيل . أما تشبيه الذى لا يستجيب بالميت فقد ورد فى قوله تعالى تعالى :

﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾(٣٦٥)

---

(٣٦١) البقرة ٢٨٥

(٣٦٢) البقرة ٩٣

(٣٦٣) آل عمران ١٩٣

(٣٦٤) الأعراف ٢٠٤ (٣٦٥) فاطر ٢٢

وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝٨٠ ﴾(٣٦٦)

وأما تشبيهه بالحيوان فقد ورد فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٧١ ﴾ (٣٦٧)

قال بعض الصالحين : إن العبد إذ تقرب إلى الله ـ تعالى ـ بالنوافل أحبه الله ، فأفاض على سمعه نورا تنفذ به بصيرته إلى ما وراء المادة . استجابة لما ورد فى الآثر القدسى : « ما تقرب إلى عبدى بشيء أفضل مما افترضته عليه ، ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يسعى عليها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه .

الذكر بهذا الاسم

رأى رجل رجلا يدعو فى الحرم الشريف بهذا الدعاء : ـ

مولاى إنى بائس كما ترى وشملتى بالية كما ترى
وحالتى ضيقة كما ترى وطفلتى بالية كما ترى
فما ترى يا سامعى فيما ترى يا من يرى عبيده ولا يُرَى ؟

فلم يغادر الرجل الحرم حتى هيأ الله له من أغدق عليه بالكثير ـ فقال أحد الحاضرين : ما رأيت دعوة استجيبت بمثل هذه السرعة !

---

(٣٦٦) النمل ٨٠
(٣٦٧) البقرة ١٧١

فقال الرجل : ألا ترى أنى دعوت سميعا قريبا مجيبا ؟

قال بعض العلماء : من أكثر من ذكر هذا الاسم كان مجاب الدعوة . . ومن ردده كثيراً حفظه الله من ثقل السمع .

ومن الدعاء المأثور فى ذلك « ياسميع يا قريب يا مجيب يا ودود احفظنا من فتنة الدنيا وفتنة النساء والغفلة والشهوة وظلم العباد وسوء الخلق ، واغفر لنا ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا ، واكشف عنا السوء ونجنا من الغم واجعل لنا منه مخرجا ـ إنك على كل شىء قدير »

ومن مناجاة بعض الشعراء : ـ

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع   أنت الضمان لكل ما يتوقع
فأمن علينا بالنجاة وبالهدى   فلأنت أعظم من يجير وينفع

ومن مناجاة شاعر آخر : ـ

ياسامعا فى الليلة الظلماء   صوت دبيب النملة السوداء
تدب فوق الصخرة الصماء   أنت السميع هامس الدعاء
تدعو به القلوب فى الخفاء   من غير ما صوت ولا أصداء

البصيـــر

جاء فى لسان العرب عن ابن الأثير : البصير فى أسماء الله ـ تعالى ـ الحسنى ـ هو الذى يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافيها ودقيقها وجليلها . . والبصر فى حقه ـ تعالى ـ عبارة عن الصفة التى ينكشف بها كمال نعوت المبصرات .

وفى القرآن الكريم :

« لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »(٣٦٨)

قال بعض المفسرين : أعلم الله أنه يدرك الأبصار ، وفى هذا الإعلام دليل على أن خلقه لا يدركون الابصار ، أى لا يعرفون حقيقة البصر ، ولا الشيء الذى به صار الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه . فأعلم الله أن خلقا من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه ولا يحيطون بعلمه ، فكيف به ـ تعالى ـ والأبصار لا تحيط به . .

وقد ورد اسم البصير فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم . . . منها قوله ـ تعالى ـ

« والله بصير بما يعملون »(٣٦٩) وقوله **« إن الله بما تعملون بصير »**(٣٧٠) وقوله

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن

---

(٣٦٨) الأنعام ١٠٣

(٣٦٩) البقرة ٩٦

(٣٧٠) البقرة ١١٠

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّـرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ (٣٧١)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (٣٧٢)

وقوله تعالى ـ

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ﴾ (٣٧٣)

وقال العلماء فى تذوقهم لمعنى البصير : ان الله يشاهد ويرى ، لا يغيب عنه مافى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، فهو الحاضر الذى لا يغيب .

سبحانه الذى يرى ما فى ظلمات البر والبحر وما تحت الثرى . . . . . .
والبصير بمعنى المبصر لجميع الأشياء وهو المتصف بالبصر لجميع الموجودات ما ظهر منها وما خفى . . سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . .

قال الامام الغزالى : البصير هو الذى يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ماتحت الثرى ، وإبصاره منزه عن المماثلة أو المشابهة ، ومقدس عن أن يرجع

---

(٣٧١) آل عمران ١٥
(٣٧٢) الاسراء ١
(٣٧٣) فاطر ٣١

إلى انطباع الصور والألوان فى ذاته ، كما فى حدقة الإنسان ، فإن ذلك من التأثر والتغير المقتضى للحدثان .

وإذا نزه عن ذلك كان البصر فى حقه عبارة عن الصفة التى ينكشف بها كمال تفرق المبصرات . وذلك أوضح وأجلى مما يفهم من إدراك البصر القاصر عن ظواهر المرئيات .

التخلق بهذا الاسم

لقد اقترن اسم البصير بالسميع فى كثير من الأحيان ، لأن الصفتين مقرنتان ومتلازمتان ، وقد من الله بهاتين النعمتين على الإنسان ليدرك عطف الله عليه ولطف الله به .

ومقتضى النعمة الشكر ، وشكر نعمة البصر أن يقلبه صاحبه فى ملكوت السموات والأرض ليهتدى من خلالها إلى قدرة الله ، فيعبده حق عبادته . قال ـ تعالى ـ

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾(٣٧٤)

إن واجب من وهبه الله نعمة البصر أن يمعن فى النظر ، وألا يكون كمن عيناه مغمضتان لاتريان شيئا . وقد نبهنا الله إلى ذلك فقال :

« **فاعتبروا يا أولى الأبصار** »(٣٧٥)

---

(٣٧٤) الأعراف ١٨٥
(٣٧٥) الحشر ٢

وقال :

« ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار »(٣٧٦)

ويقضى التخلق بهذه الصفة .. أن يستعمل الانسان بصره فى الخير ، فيقرأ به علما نافعا ، ويطلب به عملا صالحا ، يرى الضعيف فيأخذ بيده ، ويرى الفقير فيعطف عليه ، ويرى المظلوم فينصره ، ويرى اليتيم فيشفق عليه ويمسح بناصيته ، ويرى العالم فيكرمه ويعظمه ، ويرى الظالم فيزجره ، ويرى المنكر فيغيره ، ويرى الحرام فيغض بصره عنه ـ قال ـ تعالى ـ

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾(٣٧٧)

---

(٣٧٦) آل عمران ١٣

(٣٧٧) النور ٣٠ ، ٣١

ووهب نعمة البصر للمبصر لايغض من شأن من ابتلاه الله بالعمى . .

فقد اقتضت حكمة الله أن يوزع المواهب على وفق مشيئته . وربما سلب إنسانا نعمة البصر ووهبه نعمة البصيرة ، وهى أعظم وأكمل . . قال ـ تعالى ـ

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٣٧٨)

والبصيرة نور القلب وفطنة العقل وفراسة المؤمن وإلهام الإيمان . . . . .

ففقد البصر يسيرهَيِّن إذا ماقورن بفقد البصيرة . .

إن من واجب المؤمن أن يفطن إلى أن الله مطلع على أسراره ، فيراقبه حق المراقبة ، ويتقيه حق التقوى . وهذا هو الإحسان الذى أشار إليه النبى ـ ﷺ ـ فى قوله فى حديث جبريل : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

الذكر بهذا الاسم

إن المداوم على الذكر بهذا الاسم يفتح الله بصيرته ويوفقه لصالح القول والعمل .

قال العلماء : من قرأه فى تدبر مائة مرة بين ركعتى الفجر وصلاة الصبح يوم الجمعة ، خصه الله بنظر العناية ، ومن أكثر منه ، شفى الله بصره من الضعف ـ ومن الدعاء به قولهم : « اللهم يا سميع يا بصير متعنى بسمعى وبصرى واجعلهما خيرا لى .

---

(٣٧٨) الحج ٤٦

ومن دعاء النبى - ﷺ - فى ذلك :

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنبك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعل ذلك خيرا لنا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يخافك ولايرحمنا يا أرحم الراحمين »

ومن دعاء بعض الصالحين :

« أقسمت عليك ببسط يديك ، وكرم وجهك ، وكمال أعينك أن تعطينا خير ما نفذت به مشيئتك ، وتعلقت به قدرتك ، وأحاط به علمك ، وجرى به قلمك ، واكفنا شر ما هو ضد لذلك ، وأكمل ديننا وأتمم علينا نعمتك ، وهب لنا الحكمة البالغة مع الحياة الطيبة والموتة الحسنة . . . ومن أدعية الصالحين قول القائل

سميع فأسمعنا لذيذ خطابكم   بصير فأشهدنا تجلى النهاية

يقصد هذا القائل أن يكرمه الله بمشاهدة ما يطمئنه عند نهاية عمره مصداقا لقوله - تعالى :

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (٣٧٩)

---

(٣٧٩) الزمر ٦١

الحكم

الله ـ سبحانه ـ أحكم الحاكمين ، وهو الحكيم ، له الحكم ، وهو الحكم والحكيم والحاكم ، قال ابن منظور ـ راويا عن الليث ـ : ومعانى هذه الأسماء متقاربة ، وعلينا الايمان بأنها من أسماء الله .

وقال ابن الأثير : فى أسماء الله الحكم والحكيم وهما بمعنى الحاكم ، وهو القاضى ـ فهو فعيل بمعنى فاعل ، أو هو الذى يحكم الأشياء ويتقنها . . . .

وورد الحكم فى القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى ـ

« أفغير الله أبتغى حكماً »(٣٨٠)

وقد ورد اسم « الحكم » فى الحديث الذى ذكرت فيه الاسماء الحسنى ، وهو الاسم التاسع والعشرون بينها .

أما فى القرآن الكريم فقد وردت تلك المادة فى آيات ـ منها ـ قوله ـ تعالى :

« وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون »(٣٨١)

وقوله ـ تعالى ـ :

« وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين »(٣٨٢)

وقوله ـ تعالى ـ :

« فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين »(٣٨٣)

---

(٣٨٠) الأنعام ١١٤
(٣٨١) النحل ١٢٤
(٣٨٢) هود ٤٥
(٣٨٣) الأعراف ٨٧

فالذى يحكم بين العباد ويفصل بينهم يوم القيامة هو الحَكَم . ومقتضى الحكم العدالة : فالله حاكم عادل ـ جلا جلاله ـ

قال العلماء : الحكم ـ بفتحتين ـ هو صاحب الفصل بين الحق والباطل ، وبين البار والفاجر ، وهو الذى يجزى كل نفس بما كسبت . .

وقيل : هو الحاكم المُحكِم والمحَكَّم ، والقاضى المسلم بقضائه ، ولا راد لحكمه ولا معقب له .

وقيل : الحكم هو الذى لا شك فى وعده ، ولا عيب فى فعله . .

وقال بعض العلماء : هو الذى حكم على قلوب أوليائه بالرضا والقناعة ، وعلى نفوسهم بالانقياد والطاعة . .

هو النافذ حكمه الذى لا يرد له قضاء ، ولا ينقض له حكم ، ولا يعترض عليه معترض . .

هو الذى ينتصف من الظالم للمظلوم ، ويأخذ من المعتدى حق الضعيف . . . . . والحَكَم من صفات الذات ـ كما يقول الرازى ـ رحمه الله . .

التأدب بأدب هذا الاسم

قال ـ تعالى ـ :

« والله يحكم لا معقب لحكمه »(٣٨٤)

ومقتضى ذلك أن يتذكر العبد نفاذ حكم الله وعدله ، فيحرص على طاعته واتباع أوامره واجتناب نواهيه .

---

(٣٨٤) الرعد ٤١

وحكم الله كما هو نافذ فى الآخرة ، فهو نافذ فى الدنيا قبلها ، فقدره نافذ وقضاؤه لا يرد . ومن أصول العقيدة الايمانية أن يؤمن الانسان بالقدر خيره وشره حلوه ومره . . فإذا أصابه خير حمد وشكر ، وإن أصابه بلاء صبر . قال تعالى :

« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم »(٣٨٥)

والمقصود بالفرح فرح البطر الذى يجحد بمقتضاه الانسان النعمة ، ويبغى الفساد فى الأرض ـ كما حدث من قارون . . . « إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين »(٣٨٦) . .

لقد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، رفعت الأقلام وجفت الصحف . فوجب التسليم بقضاء الله وقدره . . . « **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك** »

ومن آداب هذا الاسم التى يجب أن يتحلى بها العبد ، أنه إذا ولاه الله أمرا أو حكما أو منصبا أو قضاء ، عليه أن يكون عادلا مراعيا حق الله وحق العباد . . كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . .

قال ـ تعالى ـ

« واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به »(٣٨٧)

---

(٣٨٥) الحديد ٢٣

(٣٨٦) القصص ٧٦

(٣٨٧) النساء ٥٨

وقد حذر الله من الظلم فى القضاء « إن الله لا يحب الظالمين » وأمر بالعدل بين الناس وأن يكون الحكم وفق منهج الله .. قال تعالى :

« **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**[٣٨٨] » .

ويجب تحرى العدل بين المتخاصمين حتى ولو كانت هناك عداوة بين القاضى وأحد الخصمين ، أو كانت هناك مودة بينهما قال ـ تعالى ـ

« **ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**[٣٨٩] » .

ذهب رجل إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليُشْهِده على عطية خص بها بعض ولده ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أكل ولدك أعطيته هكذا » ؟

قال : لا . فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا أشهد على جَوْر » .

الدعاء بهذا الاسم :

عَلَّمنا القرآن الكريم كيف ندعو الله فقال تعالى ـ حكاية عن دعاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ « رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين[٣٩٠] » .

ومن أدعية الصالحين فى ظل هذا الاسم :

« اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فهنيئاً لمن عرفك فرضى بقضائك ، والويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك » .

---

(٣٨٨) المائدة ٤٤

(٣٨٩) المائدة ٨

(٣٩٠) الشعراء ٨٣

ومما ورد من الدعاء بهذا الاسم أيضاً :

« إلهى أنت الذى حكمت على جميع المخلوقات وهى فى علمك ، وخصصتها بإرادتك ، وأبرزتها بقدرتك ، فكل شىء فى الوجود محكوم عليه ، فيما هو عليه من علم وعمل ، وقد نشرت أسباب السعادة لأهلها ، فأشهد قلوبنا أقدارك حتى نتنعم فى أنوارك ، ونرضى بأحكامك ، فنصبح بالرضا من خواص خدمك ـ إنك على كل شىء قدير . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

الْعَدْل

العَدْل مصدر الفعل عَدَل ، ويذكر المصدر محل اسم الفاعل من الفعل « عَدَل » ليدل على شدة المبالغة فى العدل .

ويفيد معنى العدْل ـ الاعتدال فى الحكم وعدم الجور فى القضاء ، فالله العادل هو الذى يؤتى كل ذى حق حقه ، ويضع الشىء فى موضعه ، ولا يصدر فى حكمه إلا عن العدل المطلق . .

ولذا فإن هناك علاقة وثيقة بين هذا الاسم والاسم السابق عليه وقد ورد هذا الاسم فى سلسلة الأسماء الحسنى التى ذكرها الحديث الشريف . ورقم هذا الاسم فى السلسلة هو الثلاثون .

ويفيد معنى الْعَدْل ـ الاستقامة والكمال ، ففى حق الانسان يقول الله ـ تعالى ـ

« **الذى خلقك فسواك فعدلك**[٣٩١] » .

قال القرطبى : عَدَّلك ـ أى جعلك معتدلاً سَوِيَّ الخلق ، كما يقال : شى مُعَدَّل ، ويشير إليه قوله ـ تعالى ـ

« **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم**[٣٩٢] » .

وكل خلق الله مبنى على تمام الصنعة وكمالها واعتدالها واستقامتها . . . .

قال تعالى :

« **الذى أحسن كل شىء خلقه**[٣٩٣] » .

---

(٣٩١) الانفطار ٧

(٣٩٢) التين ٤

(٣٩٣) السجدة ٧

وتقتضى صفة العدل من العبد أن يكون عادلاً فى حكمه وفعله ، معتدلاً فى تصرفه مستقيماً فى أمره . .

ولو كان الانسان فطناً لبيباً أدرك قيمة هذا الفعل فى استقامة الحياة وانتظام أمرها فإنه ما دبت الفوضى فيها إلا بإهمال سنة العدل فى الأحكام . وقديماً قال الحكماء : العدل أساس الملك .

ولا يكون الانسان عادلاً بمعنى الكلمة إلا إذا طبق هذا الحكم على نفسه أولاً ـ قبل أن يطبقه على غيره .

فالانسان مملكة ذات عرش ، والعرش هو القلب ، ولو مكن الانسان روحه من اعتلاء هذا العرش لاعتدل النظام فى داخله . . بمعنى : أنه لو ساس نفسه بالعدل ، وطبق عليها قانون السماء ـ انقادت له وخضعت وتخلصت من شهواتها وهواها ، وانقاد جسمه تبعاً لذلك ، فإذا سمع الذِّكْر لان وخشع واستجاب لأمر الله ، مصداقاً لقوله ـ تعالى :

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٣٩٤)

فأين هؤلاء من الذين أخبر الله عنهم بقوله :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ (٣٩٥)

---

(٣٩٤) الزمر ٢٣

(٣٩٥) النساء ١٤٢

ويكمل عدل الانسان بعد عدله فى نفسه ، إذا عدل بين أهله وذويه وأقرب المقربين إليه ، ثم إذا عدل بين مرءوسيه وزملائه والمتصلين به . بهذا تستقيم الحياة وتسير الأمور إلى غايتها المثلى من الكمال .

ومقتضى صفة العدل أن يدرك الانسان نقصه وعجزه عن القيام بالتكاليف والأوامر التى كُلِّفَها على الوجه المطلوب ، وأن ما جبل عليه من صفات دُنْياَ ـ كثيراً ما تحول بينه وبين الصعود فى مدارج الكمال والترقى إلى أعلى . .

ورحمة الله هى التى تحول دون أخذ المقصر بالعقاب عدلاً بسبب تقصيره ، كما تحول دون مؤاخذة المذنب بذنبه . . وكل ابن آدم خطاء . . فعلى المؤمن أن يعتقد أن العدل يقضى بالمؤاخذة ، لأنه لا يستطيع أن يحقق كل ما هو مطلوب منه ، وعليه أن يرجو رحمة ربه ، ويطلب عفوه ورضاه ـ قائلاً بلسان الخضوع والانكسار :

« اللهم إنى عبدك وابن عبدك ، وابن أَمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فىَّ حكمك ، عدلٌ فىَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو عَلَّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، وأسألك بالاسم الأعظم الذى إذا سئلت به أجبت أن تجعل القرآن العظيم نور صدرى ، وربيع قلبى ، وجلاء حزنى وذهاب غمى وهمى » .

الذكر بهذا الاسم

من ذكر الله بهذا الاسم كثيراً ألان الله له القلوب ، وحفظه من ظلم الحكام ، وإن كان حاكماً وفقه الله للعدل فى رعيته ،

ومن الدعاء بذلك : يا كريم العفو يا ذا العدل ، أنت الذى ملأ كل شىء عدله .

ويقرن به فى الدعاء : يا عفو يا كريم . .

ومن المناجاة فى ظل هذا الاسم قول الشاعر :

مدبـر أنـت للأسبـاب جاعلهـا كمـا تشـاء فأنـت العـدل والحكـم

وكـل شـىء بحسبـان تقـدره والكـون متسـق الغايـات منتظـم

فالشمـس تشـرق والأشجـار مثمـرة والسحـب تمطـر والأمـواج تلتطـم

عدل من العدل قد وفت لطائفه وقصـرت عن مـدى ادراكهـا الكـلم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اللطيف

جاء فى لسان العرب : اللطيف صفة من صفات الله ـ تعالى ـ واسم من أسمائه ، وفى التنزيل العزيز : « الله لطيف بعباده » وفيه : «وهو اللطيف الخبير » ومعناه ـ والله أعلم ـ الرفيق بعباده .

قال أبو عمرو : اللطيف الذى يوصل إليك أربك فى رفق ، واللطف من الله ـ تعالى ـ : التوفيق والعصمة .

وقال ابن الأثير : اللطيف هو الذى اجتمع له الرفق فى الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها الى من قدرها له من خلقه .

يقال : لطَفَ به وله ـ بالفتح ـ يلطُف لطفاً إذا رفق به ، فأما لطُف ـ بالضم ـ يلطُف فمعناه رَقَّ ودق ، وقد يأتى المعنى الأول مع ضم العين فى الماضى أيضاً .

ومن معانى اللُّطف ـ بضم اللام وفتحها ـ البر والتكرمة والتَّحَفِّى ـ أى الحفاوة ـ ومن ذلك قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى الافك : ولا أرى منه اللطف الذى كنت أعرفه .

وقد ورد هذا الاسم فى القرآن الكريم فى سبعة مواضع هى : قوله ـ تعالى :

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٣٩٦)

---

(٣٩٦) الأنعام ١٠٣

وقوله - تعالى -

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (٣٩٨)

وقوله - تعالى -

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ (٣٩٩)

وقوله - تعالى -

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ (٤٠٠)

وقوله - تعالى -

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (٤٠١)

وقوله - تعالى -

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (٤٠٢)

---

(٣٩٨) الحج ٦٣

(٣٩٩) لقمان ١٦

(٤٠٠) الشورى ١٩

(٤٠١) الملك ١٤

(٤٠٢) الأحزاب ٣٤

ومعنى اللطيف فى كل هذه الآيات ـ العلم بدقائق الأمور وغوامضها ومشكلاتها ، وإيصال المنافع الى أصحابها فى رفق وتلطف . . . . وإذا كان اللطيف بمعنى العلم بدقائق الأمور ، فهو من صفات الذات ، وإذا كان بمعنى إيصال المنافع إلى أصحابها فى رفق ، فهو من صفات الأفعال . ومن مقتضيات اللطف الإحسان . . . . فاللطيف هو المحسن والمنعم على عباده ومفرج ضوائقهم دون أن يفطنوا لذلك .

فاللطيف كما يقول العلماء هو الذى اجتمع له الرفق فى الفعل مع العلم بدقائق المصالح وإيصالها الى من قدرها له من خلقه .

ولاشك فى أن هذا اللطف يَسُرُّ الملطوف به ، لأنه كشف غمته وأزال همه . .

ومن معانى اللطيف : اللطف بالعباد فى المقدور مع العلم بخفايا الأمور ومن دقائق هذا اللطف . أنه يصاحب القدر فيخفف من وقعه ، حتى قال بعض العلماء ينزل القضاء محفوفاً باللطف .

ومن حكم ابن عطاء الله المشرقة « من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره » .

ومن تعريفات العلماء لمعنى اللطيف قولهم :

اللطيف الذى يريد بعباده الخير واليسر ، وييسر لهم أسباب الصلاح والبر وهو الميسر لكل عسير ، الجابر لكل كسير .

وهو الموفق للعمل فى الابتداء والخاتم بالقبول فى الانتهاء .

ومن مظاهر لطف الله بعباده أنه يلطف بالجنين فى بطن أمه وقد خلقه فى ظلمات ثلاث ، فيحفظه ويغذيه ويربيه حتى ينزل من بطن أمه ، فيكفل له

من يأخذ بيده ويرعاه حتى يصبح قويا ناضجا يستطيع الاعتماد على نفسه . ثم هو مع ذلك يرعاه ببره ويكفل له رزقه ، ويحفظه بعنايته ، وإذا عمل حسنة ضاعفها له ، وإذا عمل سيئة غفرها له - إن استغفر - فإن لم يستغفر كتبها عليه سيئة واحدة . .

ولم يترك الله الناس هملا ، بل أرسل إليهم الرسل يعلمونهم ويرشدونهم ، كما جعل لهم حفظة من الملائكة يكلئونهم ويحفظونهم قال تعالى :

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ (٤٠٣)

لقد أسبغ الله نعمه ظاهرة وباطنة ، وسخر للإنسان كل شيء فى الوجود لخدمته ، فهل بعد ذلك لطف ؟

إن لطف الله مصاحب لجميع المخلوقات فى الحياة الدنيا ، ولم يتخل عن المؤمنين فى الحياة الآخرة .

كيف يتخلق العبد بهذا الاسم ؟

يتخلق به بأن يترك الجفاء فى المعاملة ، والخشونة فى الأخلاق ، وأن يكون رفيقا فى قوله وفعله ، لطيفا فى علاقته مع أهله وإخوانه ومواطنيه . وأن يكون رقيقا فى بره بالفقراء ، حتى لايخدش حياء الفقير أو يؤذى شعوره .

---

(٤٠٣) الرعد ١١

الذكر بهذا الاسم

يقول العلماء : إن الحق سبحانه وتعالى ـ سريع الإجابة لمن يذكره بهذا الاسم فيفرج عنه الكروب ويهون عنه الشدائد .

ومن داوم على ذكره وسع الله عليه ولطف به .

ومن قرأه وقرأ معه قوله وتعالى ـ « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » . . أمن من الخوف .

وإن طلبت الشفاء فاقرأه واقرأ معه آيات الشفاء وهى قوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ (٤٠٤)

ومن الأدعية التى ذكرها العلماء فى ظل هذا الاسم :

« إلهى إن ألطافك أحاطت بالموجودات ، وعمت الكائنات ، وإن لك نفحات إذا سَرَتْ فى قلب عاقل أيقظته أو عبد مذنب قربته ، وإن لك لحظات جعلت أولياءك عندك فى أعلى الدرجات ، ولك ألطاف صيرت الواصلين لايلتفتون إلى الحياة .

إلهى : الطف بنا عند سؤال الملائكة الأطهار ، وأشهدنا تجلى لطفك فى النفس والآفاق فأنت الواحد الأحد الخلاق . . . . وأنت على كل شىء قدير . . فياخفى الألطاف نجنا مما نخاف

---

(٤٠٤) الشعراء ٧٨ ٠ ٨٠

ومن شعر السيدة زينب بنت الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ :

فَكَم لِلّــه مِـنْ لُطْــفٍ خَفِــىٍّ يَدِقُّ خَفَاهُ عَنْ فَهْم الذَّكِىِّ
وَكَـم يُسْـرٍ أَتَى مِنْ بَعْـدِ عُسْـر ففـرّجَ كُرْبَـة القَـلْبِ الشَّجِىِّ
وكـم أمـر تسـاء به صـباحا وتَأْتيكَ المَسَـرَّةُ فِى الْعَشِىِّ
إذَا ضَاقَتْ بِكَ ٱلأَحْوَالُ يَوْمًا فَثقْ بِالْوَاحِد الْفَـرْدِ الْعَلِىِّ
تَشَـــفَّعْ بِالنَّـبِىِّ فَكُـلُّ عَبْـدٍ يُغَـاثُ إذَا تَشَـــفَّعَ بِالنَّــبِىِّ
وَلاَتَجْــزَعْ إذَا مَانَـاب خَطْـبٌ فـكَم لِلّــه مِـنْ لُطْـفٍ خَفـىٍّ

ومن دعاء بعض الصالحين :

« ياألله ، ياجميل ، ياجليل اللطف ، الطف بنا لطفك الذى لطفت به لأوليائك ، وانصرنا بالرعب الشديد على أعدائك ـ إنك على كل شىء قدير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الخبير

الخبير من الأسماء الحسنى التى وردت كثيرا فى القرآن الكريم وجاء فى لسان العرب ـ الخبير : العالم بما كان ومايكون .

وتقول : خَبَرْت الأمر ، وخَبُرت بالأمر إذا عرفته على حقيقته ، كما جاء فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ (٤٠٥)

والخبير هو المخبر بالأنباء والأخبار ، والعالم بدقائق الأمور وحقائق الأسرار ولاتخفى عليه خافية فى الأرض ولافى السماء . . .

ومن التفسيرات لهذا الاسم ـ ما أورده الإمام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ قال : الخبير الذى لاتعزب عنه الأخبار الباطنة ، ولايجرى فى الملك أو الملكوت شىء إلا إذا أراده وقدره وعرفه . . . سبحانه لايخفى عليه شىء فى الأرض ولافى السماء ـ قال تعالى :

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (٤٠٦)

---

(٤٠٥) الفرقان ٥٩

(٤٠٦) الأنعام ٥٩

وقال

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (٤٠٧)

وقال

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٤٠٨)

واسم الخبير يؤكد معنى العليم ، لأنه يؤدى معناه ، ولكن العلم إذا كان للخفايا الباطنة سمى خبرة وسمى صاحبه خبيرا « ٤٠٩ » ....
ومن الأيات التى ورد فيها اسم الخبير فى القرآن قوله ـ تعالى : ـ

« لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولاما اصابكم والله خبير بما تعملون »(٤١٠)
وقوله ـ تعالى ـ : « ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير »(٤٠١)

---

(٤٠٧) فاطر ١١
(٤٠٨) فصلت ٤٧
(٤٠٩) د . أحمد الشرباصى ـ أسماء الله الحسنى حـ ١ ص ١٧٥
(٤١٠) آل عمران ١٥٣
(٤١١) آل عمران ١٨٠

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ① ﴾ (٤١٢)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ⑥③ ﴾ (٤١٣)

وقوله ـ تعالى ـ « وماتدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير »(٤١٤)

وقوله ـ تعالى ـ « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير »(٤١٥)

فأنت ترى أن هذا الاسم جاء منفردا فى بعض الآيات ، وجاء مقترنا باسم الحكيم أو اللطيف أو العليم أو البصير فى آيات أخرى

التخلق بأدب هذا الاسم

متى عرف العبد أن الله مطلع على أسراره عالم بخفاياه ، خبير بأدق أموره أداه ذلك إلى مراقبة الله وهذا يدفعه إلى تهذيب سره ، وتنقية ضميره ، والإخلاص لله فى سره وجهره .

ويثمر ذلك التسليم لله فى قضائه وقدره ، لأن الله قد قضى ولا راد لقضائه ، فعلمه قديم وإرادته نافذة ، وأحكامه ماضية . .

---

(٤١٢) هود ١

(٤١٣) الحج ٦٣

(٤١٤) لقمان ٣٤

(٤١٥) الشورى ٢٧

والمؤمن الحق هو الذى لايرفع حوائجه إلا لله ، وإذا أيقن أن الله خبير بأمره مطلع على سره توجه بقلبه إلى الله فى حاجته ثم يحرك لسانه وشفتيه متضرعا إلى الله مخلصا له الدعاء منفذا أمر الله فى قوله تعالى : « ادعونى أستجب لكم »

الذكر بهذ الاسم

قال العلماء : من كانت له حاجة يريد معرفة أمرها وشأنها . فليقرأ عند النوم قوله ـ تعالى ـ « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »[(٤١٦)]
فلايبعد أن يكشف الله له فى نومه عن وجه الصواب . إن شاء الله ـ تعالى . . وقال بعض الصالحين : من أكثر من ذكر الله بهذا الاسم ـ صفا قلبه ورقت روحه ، وهذبت نفسه . .

وجاء فى كتاب الأنوار القدسية : أنه لاينال الحظ الأوفر من هذا الاسم إلا من خبر دسائس نفسه وأدرك خدائعها ، وعرف الفرق بين خطرات الملك وخطرات الشيطان ، وكان بصيرا بإلهامات الرحمن . .

ومن الدعاء الذى يستظل الذاكر بهذا الاسم وباسم العليم أيضا قول العلماء :

« اللهم إنك تعلم أنى بالجهالة معروف وأنت بالعلم موصوف ، وقد وسعت كل شيء من جهالتى بعلمك فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك واغفرلى إنك على كل شيء قدير

---

(٤١٦) الملك ١٤

اللهم أنت الحميد الرب المجيد الفعال لماتريد ، تعلم فرحنا بماذا ولماذا وعلى ماذا ، وتعلم حزننا كذلك ، وقد أوجبت ماأردته فينا ومنا ، ولانسألك دفع ماتريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين إنك على كل شىء قدير »

ومن مناجاة الشاعر أحمد مخمير قوله :

علم الخبير بواطن الأشياء   علما يحيط بها بغير خفاء
ماذرة سكنت بها وتحركت   إلا بعلم سابق وقضاء
سبحانه أوحى لها فبكت له   شوقا لقرب يشتهى ولقاء

« الحليم »

لأهل اللغة فى تعريف الحلم أقوال منها :

الحلم بالكسر ـ الأناة والعقل ، وجمعه أحلام وحلوم ، وفى التنزيل العزيز

﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٤١٧)

وقيل : هو نقيض السفه .

وأحلام القوم ـ الحلماء منهم ، ورجل حليم من قوم أحلام وحلماء .

وفعله حلم ـ بضم اللام ـ

وتحلم الرجل . إذا تكلف الحلم . قال الشاعر :

تحلم عن الأدنين واستبق ودهم ولن تستطيع الحلم حتى تحلما .

هذا بالنسبة لبنى الإنسان .

أما الحليم فى صفة الله ـ عز وجل ـ فمعناه الصبور . وقيل : معناه الذى لا يستخفه عصيان العصاة ، ولا يستفزه الغضب على الطغاة ، ولكنه جعل لكل شىء مقدارا ينتهى إليه . .

ومعنى ذلك أنه الذى يغفر بعدما ستر ، ولا يسارع بالمؤاخذة ، ولا يعجل بالعقوبة ، يتجاوز عن الزلات ، ويعفو عن السيئات ، يمهل العاصى حتى يتوب ، ويترك الآبق حتى يئوب ، .

وقد ورد هذا الاسم فى القرآن الكريم فى عدة آيات . . منها . قوله ـ تعالى ـ

---

(٤١٧) الطور ٣٢

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ (٤١٨)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (٤١٩)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ (٤٢٠)

وقوله ـ تعالى ـ

---

(٤١٨) البقرة ٢٢٥

(٤١٩) النساء ١٢

(٤٢٠) البقرة ٢٦٣

﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (٤٢١)

ولم يأت هذا الاسم منفرداً ، وإنما جاء مقترنا باسم غيره .

فقد ورد مقترنا باسمه - تعالى - « الغفور » فى ستة مواضع

وورد مقرنا باسمه تعالى « الغنى » فى موضع واحد

وورد مقرنا باسمه تعالى « العليم » فى ثلاثة مواضع .

وورد مقترنا باسمه تعالى « الشكور » مرة واحدة

وَوَصَفَ الله تعالى بهذه الصفة بَعْضَ الأخيار من عباده - فقد وصف ابراهيم - عليه السلام - بها فى قوله - تعالى -

﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ (٤٢٢)

وقال فى حقه مرة أخرى

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٤٢٣)

ووصف بها إسماعيل - عليه السلام - فى قوله - تعالى

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (٤٢٤)

---

(٤٢١) التغابن ١٧

(٤٢٢) التوبة ١١٤

(٤٢٣) هود ٧٥

(٤٢٤) الصافات ١٠١

وأعقب هذه الصفة بمقوماتها التي استحقت من أجلها ، فقد صبر على ابتلاء الله إياه بالذبح ، ولم يفزع ولم يغضب ، بل قال لأبيه : « ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين »

كما وردت هذه الصفة فى القرآن الكريم فى حق شعيب - على لسان قومه حين قالوا له :

﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) ﴾ (٤٢٥)

وقد وصف القوم شعيبا بهذه الصفة على سبيل السخرية منه والاستهزاء به ، ويقصدون بها : أنه السفيه الجاهل ، وهذا من أشد ألوان الاستهزاء عند العرب ، وذلك أن يقول الرجل لصاحبه إذا استجهله : يا حليم - أى أنت عند نفسك حليم وعند الناس سفيه »(٤٢٦) . وعلى ذلك جاء قوله - تعالى -

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) ﴾(٤٢٧)

وحلم الله - تعالى - لا يمكن أن يقاس به حلم مهما بلغ من الكثرة والقوة . .

إنه لا يعجل بالعقوبة على أحد مهما أمعن فى العصيان أو بالغ فى

---

(٤٢٥) هود ٨٧

(٤٢٦) لسان العرب لابن منظور مادة (حلم)

(٤٢٧) الدخان ٤٩

الاستهتار . بل يمهله ويحلم عليه ، وفى الوقت نفسه يرزقه على الرغم من عصيانه ، وربما وسع له فى رزقه أو زاد له فى جاهه ، أو مد له فى عمره لعله يتوب . . فإذا أخذه بعد ذلك أخذه أخذ عزيز مقتدر . جاء فى حديث قدسى رواه ابن عباس : « يابن آدم ، إن ذكرتنى ذكرتك ، وإن نسيتنى ذكرتك ، فإذا أطعتنى فاذهب حيث شئت ، تواليني وأواليك ، وتصافيني وأصافيك ، وتعرض عنى وأنا مقبل عليك . من أوصل إليك الغذاء وأنت جنين فى بطن أمك ؟ لم أزل أدبر فيك تدبيراً حتى أنفذت إرادتى فيك ، فلما أخرجتك إلى دار الدنيا أكثرت المعاصى . ما هكذا جزاء من أحسن إليك »

وجاء أيضا عن أبى هريرة : « يابن آدم ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يابن أدم لو أنك أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة »[٤٢٨]

وحلم النبى - ﷺ - لا يوجد له نظير بين الخلق . وموقفه من قومه الذين أذوه وطردوه وحاربوه وكذبوه ثم صفحه عنهم حين تمكن منهم - لا يمكن لبشر أن يفعل مثله .

ولقد كان أبو بكر - رضى الله عنه - حليما ، ولكن الغضب استفزه وأخرجه عن طوره حين آذاه قريب له كان أبو بكر يقوم بالإنفاق عليه فأقسم أن يقطع معونته عنه . . وقد نزل القرآن الكريم يوجه أبا بكر إلى ما هو أبر وأفضل - فقال عز وجل : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفو وليصفحوا ألا

(٤٢٨) الحديثان من كتاب الأحاديث القدسية ص ٢٢٢ جمع المحدث عبد الرءوف المناوى

تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم »

فقال أبو بكر : حين سمع ما نزل من القرآن : بلى يارب إنى لأحب أن تغفرلى . وعاد الى سابق عهده مع قريبه .

التخلق بهذه الصفة

لقد مدح القرآن الكريم الحلم ودعا المسلمين إلى التحلى بتلك الصفة . وأوصى النبى - ﷺ - المسلمين بالحلم ، ونهاهم عن الغضب وأمرهم بكظم الغيظ ، والعفو عن المسىء وعمن ظلم . .

والأنبياء هم المثل الأعلى بين البشر فى التخلق بهذه الصفة ، لأنهم صبروا على أذى قومهم ، ولم يقابلوا جهلهم بجهل مثله ، بل قابلوه بعفو وحلم . . . . . وسيد الأنبياء فى ذلك هو نبينا - ﷺ -

وعلى نهجه يسير من أراد أن يبلغ الدرجات العلا .

كان لأبى حنيفة - رضى الله عنه - جار إسكافى يقضى ليله فى السكر والعربدة والغناء بصوت منكر وهو يقول :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا　　　ليوم كريهة وسداد ثغر

وكان غناؤه وضجيجة يؤذيان أبا حنيفة ، ويقطعان عليه ورده ومذاكرته ، ولكنه كان يحلم عليه ويصبر على أذاه .

وفى ليلة افتقد صوته فلم يسمعه ، فلما أصبح سأل عنه ، فعلم أنه اقتيد إلى السجن بتهمة السكر .

فذهب أبو حنيفة إلى السجن وزاره وأعطاه . . ثم قال له : هيه أيها

الرجل ، هل أضعناك .

فندم الرجل على ما كان يبدو منه ، وتاب إلى الله وأناب ، وحسنت توبته .

والحلم وإن كان منحة إلهية يضعها الله فى قلب من يشاء من عباده ، إلا أن الانسان يمكن أن يحصل على تلك الصفة بالتطبع والمجاهدة .. والحكماء لهم أقوال رائدة ترسم الطريق لمن أراد أن يسلكها .. ومن ذلك ما ينصحون به من عدم إجابة السفيه فيقولون :

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
فإن النار بالإيقاد تحيا وإن أهملتها كمداً تموت

بل إنهم يبالغون فى ذلك فيقولون : كن كعمتك النخلة ترمى بالحجر فتلقى بالثمر .

وقال رجل للنبى - ﷺ - : أوصنى . قال : لا تغضب
قال : أوصنى . قال : لا تغضب . قال : أوصنى . قال : لا تغضب ثلاث مرات تكررت وصيته - ﷺ - بعدم الغضب . وفى ذلك دلالة على أهمية الحلم .

وروى عنه أنه قال : « ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »

الذكر بهذا الاسم

قال العلماء : من ذكر بهذا الاسم عند جبار وقت غضبه سكن غضبه .

واللائق بذاكر هذا الاسم أن يتجمل بالحلم ، ويتزين بالأناة والصبر ، . ويتحلى بالصفح والغفران وينظر إلى العصاة بعين الرحمة . .

قيل : إن الربيع الجيزى كان يمر فى طريقه فألقى عليه مكتل من تراب فهم تلاميذه بالبطش بمن فعل ذلك . فقال لهم : من استحق النار وصولح بالرماد أفلا يشكر الله على ذلك ؟

ومر عمر بن عبدالعزيز وهو خليفة فى المسجد فعثرت رجله برجل نائم ، فصاح به الرجل : أمجنون أنت ؟ فقال : لا .

فهم الحرس بمعاقبة الرجل . فقال لهم عمر : لم ؟ لقد سألنى سؤالا فأجبته . من أجل ذلك ساد هؤلاء ، ويسود من سار على دربهم .

ومن الأدعية الواردة بهذا الاسم : يا حليم ياذا الأناة فلا يعادله شىء من خلقه .

ويصلح الذكر بهذا الاسم لمن لديه متاعب نفسيه يفرجها الله عنه بهذا الذكر .

من دعاء النبى - ﷺ -

كان النبى - ﷺ - يدعو عند الكرب قائلا : -

لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم »(٤٢٩) ومن دعاء بعض الصالحين .

---

(٤٢٩) رواه أحمد والبخارى ومسلم عن ابن عباس - رضى الله عنهما -

« يا الله يا على يا عظيم يا حليم يا حكيم يا كريم يا سميع يا قريب يا مجيب يا ودود ، حُلْ بيننا وبين الدنيا والنساء والغفلة والشهوة وسوء الخلق ، واغفر لنا ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا ، واكشف عنا السوء ، ونجنا من الغم واجعل لنا منه مخرجاً إنك على كل شيء كل قدير . . . ومن شعر إسماعيل صبرى فى مناجاة الحليم قوله :

واسع الحلم لا يعجل بطشا خير أهل للعفو والغفران
يمهل الظالمين حتى إذا ما شاء ذاقوا عواقب الطغيان
لم يدع ذرة تمر هباءً فى طريق الأعمال للانسان

ومما جاء من ذلك أيضا

يارب أين ترى تقام جهنم للظالمين غداً وللفجار ؟
لم يبق حلمك فى السموات العلا والأرض شبرا خاليا للنار
يارب أهلنى بفضلك كى أرى غضب الحليم ورحمة الجبار

العظيم

قال ابن منظور : من صفات الله - عز وجل - العظيم ، ويسبح العبد ربه فيقول : سبحان ربى العظيم .

والعظيم الذى عظم قدره وجل عن حدود العقول ، حتى لا تتصور الاحاطة بكنهه وحقيقته .

والعظم فى صفات الأجسام : كبر الطول والعرض والعمق ، والله - تعالى - منزه عن ذلك .

قال النبى - ﷺ - أما الركوع فعظموا فيه الرب ، أى اجعلوه فى أنفسكم ذا عظمة ، وعظمة الله - سبحانه - لا تكيف ولا تحد ، ولا تمثل بشىء ، ويجب على العباد أن يعلموا أنه عظيم كما وصف نفسه - وفوق ذلك ، بلا كيفية ولا حد .

والعظمة من صفات الله الخاصة به ، فاذا وُصِفَ الانسان بالعظمة فهو ذم فى حقه ، وفى الحديث : « من تعظم فى نفسه لقى الله - تبارك وتعالى - غضبان » أى والله عليه غضبان(٤٣٠)

فالله - سبحانه - لا شىء أعظم منه ، ليس لعظمته بداية ، ولا لِكُنْهِ جلاله نهاية ، لا يتصوره عقل ، ولا يحيط بكنهه بصر ولا بصيرة .... علا شأنه وتعالى مجده ، فمن غلب على عقله تعظيم الله خضع لهيبته ، ورضى بقسمته ، ولا يرضى بدونه عوضا ، ولا ينازع له اختيارا ، وبذل فى

---

(٤٣٠) لسان العرب مادة عظم

رضاه كل ميسور ، ومن أدرك عظمة الله صغرت الأشياء أمامه ، فإذا أهمك أمر فقل : يا عظيم نسألك باسمك العظيم أن تكفينى كل أمر عظيم .

وقد توصف بعض الأشياء بالعظمة ولكنها عظمة متفاوتة ، فيقال هذا الجسم عظيم ، ولكن هذا الجسم أعظم منه . . وهذا عظيم العقل ، ولكن عقل غيره أعظم . .

أما عظمة الله فغير متفاوتة ، بل لا تقارن أى عظمة بها لأنه فوقها . . ولا يوجد أعظم منه . .

وقد خلع الله ـ عز وجل ـ صفة العظمة على القرآن ، لأنه كلامه ، وكلامه عظيم مثله . . كما خلعه على عرشه ، وخلعه على سطانه وعلى يوم القيامة . .

كما خلع صفة العظمة على خُلق النبى ـ ﷺ ـ فقال له « وإنك لعلى خلق عظيم » لأنه ـ سبحانه ـ هو الذى تولى تأديبه وتهذيبه ، وقال النبى ـ ﷺ ـ فى ذلك : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى »

وقد جاء اسم الله « العظيم » فى القرآن الكريم فى مواضع ـ منها قوله ـ تعالى ـ

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ (٤٣١)

---

(٤٣١) البقرة ٢٥٥

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ (٤٣٢)

﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ (٤٣٣)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٤٣٤)

قال بعض العلماء فى تفسير هذا الاسم : الله عظيم لأن وجوده واجب أبدا وأزلا ، وهو سبحانه ـ أعظم من كل عظيم فى علمه وقدرته وقهره وسلطانه ونفاذ حكمه .

وقالوا : الله عظيم لأن العقول لا تصل الى كنه صمديته ، والأبصار لا تحيط بسرادقات عزه .

وقالوا : الله العظيم لأن عظمته فوق كل شىء ، وجل قدره عن الحد والمقدار .

وقالوا : الله عظيم لأن العقول تسجد على أعتاب عظمته ، والأرواح تصعق عند تجلى عزته ، والموجودات تتلاشى عند ظهور كبريائه ، والكائنات تتضاءل عند ظهور آلائه .

التخلق بآداب هذا الاسم :

تشير العبارات التى قدمناها إلى ما يجب على العبد المؤمن أمام عظمة الله العظيم . وقد امتدح الله مَنْ يعظم شعائره فقال :

---

(٤٣٢) الشورى ٤

(٤٣٣) الواقعة ٧٤ ، ٩٦

(٤٣٤) الحاقة ٣٣

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٤٣٥)

وتعظم شعائر الله يعنى تعظيم أمره ونهيه ، واحترام شريعته وأحكامه ، والسير على نهجه وهديه . .

وكما يخضع الناس للرؤساء والحكام وأصحاب المناصب ومن يسمونهم عظماء فيهم ، يجب أن يكون خضوعهم أتم وأحكم لمن هو أعظم من الجميع . .

إن أوامر الحكام مطاعة ، وإشاراتهم مستجابة . وهم لا يملكون لأحد ضرا ولا نفعا . فمن باب أولى أن تكون الطاعة للحاكم المطلق الذى بيده الضر والنفع واجبة نافذة .

والناس مقهورون فى لجوئهم إلى الله وقت الشدة ، فعليهم أن يلجئوا إليه وقت الرخاء . فإن هذا واجب الولاء لله ـ تعالى ـ وحق الانتهاء لسلطانه القوى القاهر .

إن الله ـ يتجلى ـ بصفة العظمة على بعض أوليائه وأحبابه كما يتجلى بذلك على بعض مخلوقاته . . فتمتلىء نفوس الناس نحوهم هيبة وامتثالا . .

واذا ألبس الله عبدا لباس العز والهيبة والعظمة ، فعليه أن يشكر من وهبه ذلك ، ويعمل بمقتضى الحق الذى أوجبه الله عليه : . فلا يبغى ولا يظلم ولا يستبد ، لأن هذا الرداء الذى ارتداه عارية مستردة ، قد تسلب منه إذا لم يرع حق النعمة ، ولم يقم بواجب الانكسار نحو مُوهِبها .

---

(٤٣٥) الحج ٣٢

الذكر بهذا الاسم :

قال بعض الصالحين فى منظومة أسماء الله الحسنى :

حليم فهبنا الحلم فى كل لحظة   عظيم فعظمنا بإرث النبوة

وإرث النبوة هو العلم .. والعلم أعظم تاج يُلبس وخير رداء يُرتدى ...... ومن مناجاة الشاعر أحمد مخيمر فى كتابه أسماء الله الحسنى :

عظيـــم لا تحيـــط بـــه الظنــــون   بقبضتـــه التحــــرك والســـكون

تعـــالى الله خالـــق كل شــــئ   مقـــدره إلى وقـــت يكـــون

اذا ما فــــزت منه بالتجـــلى   فكـل شــــدائد الدنيـــا تهــــون

ومن دعاء النبى - ﷺ - الذى كان يدعو به عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم »(٤٣٦) .

ومن استدام ذكر الله « العظيم » ألبسه الله لباس الهيبة والعظمة والعز . .

وإذا ردده الخائف من سلطان أو حاكم أمن ووجد منه لطفا .

ومن الدعاء الوارد فى ذلك . ياعظيم ياذا الثناء الفاخر والعز والمجد والكبرياء فلا يذل عزه .

قال بعض العلماء : إذا أهمك أمر فقل : يا عظيم أسألك باسمك العظيم : أن تكفينى كل أمر عظيم .

---

(٤٣٦) رواه أحمد والبخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما

الغفـــور

من معانى الغفور ـ جل جلاله ـ أنه كثير الصفح والغفران للمذنبين . . . كلما أذنب العبد واستغفر غفر الله له ذنبه ، وكفر خطيئته ، وعفا عنه وستره فى الدنيا ، وهو أكرم من أن يفضحه بعدما ستره . .

والله ـ سبحانه الغفور ذو الرحمة ، لم يُقَنِّط أحدا من المغفرة ، بل فتح أمامهم بابها واسعا ، فقال لهم :

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٤٣٧)

جاء فى لسان العرب : الغفور والغفار ـ الله جل ثناؤه ـ وهما من أبنية المبالغة . . . . ومعناهما الساتر للذنوب المتجاوز عن خطايا العباد ـ يقال : اللهم اغفر لنا مغفرة وغَفْراً وغفراناً ، إنك أنت الغفور الغفار يا أهل المغفرة .

والغفر هو الستر . . فمغفرة الذنوب سترها .

ومن الدعاء الوارد فى القرآن الكريم :

﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ (٤٣٨)

قال القرطبى : هو تأكيد ومبالغة فى الدعاء ، ومعنى اللفظين واحد ،

---

(٤٣٧) الزمر ٥٣

(٤٣٨) آل عمران ١٩٣

فان الغَفْر هو الستر والكَفْر هو الستر أيضا . ومنه قيل للزارع كافر لأنه يستر الحبة ويغطيها بالتراب قال تعالى :

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٤٣٩) ٱلْكُفَّارَ أى الزراع

وربما كان هناك فرق دقيق بينهما . فإن المغفرة تفيد الستر ، والتكفير يفيد المحو - أى محو الخطيئة حتى لا يبقى لها أثر - ولذلك كانت إجابة الله لهذا الدعاء بما هو أتم وأكمل - فقال لهم :

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (٤٤٠)

لم يقل لهم : لأغفرن لهم ذنوبهم . بل قال لهم : لأكفرن عنهم سيئاتهم . . وقد سبق أن تحدثنا عن اسم الغفار . .

وورد اسم الغفور فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة تقرب من مائة

---

(٤٣٩) الحديد ٢٠

(٤٤٠) آل عمران ١٩٥

موضع . وأغلبها جاء مقترنا باسمه الرحيم .

من ذلك قوله تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (٤٤١)

ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾ (٤٤٢)

وجاء مقترنا بصفة الحليم . فقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾ (٤٤٣)

وجاء مع « ذو الرحمة »

فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (٤٤٤)

وجاء مع اسمه « العفو » فى قوله ـ تعالى :

---

(٤٤١) البقرة ١٧٣
(٤٤٢) البقرة ١٩٩
(٤٤٣) البقرة ٢٢٥
(٤٤٤) الكهف ٥٨

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٤٤٥)

وجاء مقترنا باسمه الشكور فى قوله - تعالى - :

﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٤٤٦)

وجاء مقترنا مع اسمه « الودود » فى قوله - تعالى - :

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ (٤٤٧)

وورد غير مقترن باسم آخر فى قوله - تعالى - :

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ (٤٤٨)

وفى قوله - تعالى -

﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (٤٤٩)

---

(٤٤٥) الحج ٦٠
(٤٤٦) الشورى ٢٣
(٤٤٧) البروج ١٣ ، ١٤
(٤٤٨) سبأ ١٥
(٤٤٩) الاسراء ٢٥

ومن أقوال بعض العلماء فى تفسير هذا الاسم قولهم :

الغفور : السيد التام القدرة ، وقد يغفر فضلا وإحسانا منه بدون قيد أو شرط . .

وقد جاء فى الحديث الشريف فى حق أهل بدر : « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال لهم : افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم »

والفرق بين الغفور والغفار والغافر . أن الغافر اسم فاعل يفيد حدوث الفعل دون مبالغة أو تكرار ، وقد ورد فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾ (٤٥٠)

وأما الغفار فهو صيغة مبالغة يفيد المبالغة والكثرة ، ومثله الغفور ، إلا أن الغفور ينبىء عن نوع مبالغة ناشئة بالإضافة إلى مغفرة متكررة مرة بعد مرة ، فهو غفور بمعنى تام الغفران كامله حتى تبلغ المغفرة أقصاها .

والمبالغة المستفادة من الغفار هى باعتبار الكم ، والمبالغة المستفادة من الغفور هى باعتبار الكيف بالنسبة للذنوب المغفورة .

ولذلك قالوا : إن الغفور هو كثير المغفرة من جهة الكيفية ، فيغفر الذنوب العظام ، أما الغفار فهو كثير المغفرة من جهة الذنوب الكثيرة(٤٥١)

وقال الغزالى ـ رضى الله عنه ـ فى ذلك : الغفار مبالغة فى المغفرة

---

(٤٥٠) غافر ٣

(٤٥١) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ ١ صـ ١٩٠

بالإضافة إلى مغفرة متكررة لأن الفعّال ينبىء عن كثرة الفعل ، أما الفعول فهو ينبىء عن الكمال والشمول . فهو غفور بمعنى تام الغفران كاملة .

كيف يتخلق المؤمن بآداب هذا الاسم ؟

يتخلق المؤمن بذلك بأن يسامح من أساء إليه ويعفو عمن ظلمه مصداقا لقوله ـ تعالى

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾(٤٥٢)

ولكثرة وصف الله نفسه بالغافر والغفور والغفار ، وورود مادة « غفر » فى القرآن الكريم فى مواضع لا تكاد تحصر ـ يجب على المؤمن أن ينقاد إلى ساحة ربه الغفور ، فيكثر من الاستغفار ويعلم أن الله يفرح بعودة عبده التائب له ، ويفتح أمامه باب القبول والمغفرة . .

يقول ـ تعالى ـ

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾(٤٥٣)

ويقول :

---

(٤٥٢) النور ٢٢
(٤٥٣) آل عمران ١٣٣

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾ (٤٥٤)

والله يحب عباده الذين يقبلون عليه ويستغفرونه ، ويثنى عليهم ويباهى بهم ملائكته ، قال ـ تعالى :

﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٤٥٥)

الدعاء بهذا الاسم

ولا يوجد اسم يكثر دوران الدعاء حوله أكثر من هذا الاسم . . فإن أعظم ما يطمح إليه الداعى أن يظفر بغفران ذنوبه ـ فكل عبد يخطىء ويرجو رحمة الله . . « كل بنى آدم خطاء وخيرهم التوابون . . »

وقد علمنا الله كيف ندعوه فقال ـ تعالى ـ :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا

---

(٤٥٤) البقرة ٢٢١

(٤٥٥) الذاريات ١٧ ، ١٨

﴿... وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ (٤٥٦)

والاستغفار يمنع العذاب قال ـ تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (٤٥٧)

وكان النبى ـ ﷺ ـ يعلم أصحابه الاستغفار . . فقد روى أحمد والبخارى ومسلم وغيرهم أن أبابكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت يا رسول الله علمنى دعاء أدعو به ربى .

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا وإنه لا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أن الغفور الرحيم »

وورد عنه قوله : الاستغفار هو : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »

وورد أن سيد الاستغفار هو : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب الا أنت »(٤٥٨)

---

(٤٥٦) البقرة ٢٨٥ ، ٢٨٦

(٤٥٧) الأنفال ٣٣

(٤٥٨) رواه البخارى والنسائى عند شداد بن أوس ـ رضى الله عنه

أما أقوال الصالحين فى الدعاء وطلب المغفرة فكثيرة لا تحصى من ذلك ما يرويه الأصمعى قال :

وقف أعرابى مقابل الروضة الشريفة فقال :

« اللهم هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك ، فإن غفرت لى سُرَّ حبيبك ، وفاز عبدك ، وغضب عدوك ، وإن لم تغفر لى حزن حبيبك ورضى عدوك ، وهلك عبدك ، وأنت أكرم من أن تحزن حبيبك وترضى عدوك وتهلك عبدك ،

« اللهم إن العرب الكرام إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره ، وإن هذا سيد العالمين فاعتقنى على قبره »

قال الأصمعى : فقلت : يا أخا العرب غفر الله لك وأعتقك بحسن هذا السؤال .

ومن دعاء بعض الصالحين :

« اللهم إنا نسألك توبة سابقة منك إلينا لتكون توبتنا تابعة لتوبتك علينا وهب لنا التلقى منك كتلقى آدم منك الكلمات ليكون قدوة لولده فى التوبة والأعمال الصالحات ، وباعد بيننا وبين العناد والإصرار والشبه بإبليس رأس الغواة ، واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت ، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك والإساءة لا تضر مع الحب فيك . وقد أبهمت علينا الأمر لنرجو ونخاف . فآمن خوفنا ولا تخيب رجاءنا وأعطنا سؤلنا . .

ومداومة ترداد هذا الاسم تثمر المغفرة ، وتشفى من الأمراض والأسقام .

ومن دعاء أحد الصالحين فى أرجوزة :

اغفر لنا يارب كل ذنب　　واستر لنا يارب كل عيب
واكشف إلهى كل كرب عنا　　وللسوى يارب لا تكلنا
ومدنا بفضلك الوسيع　　وحفنا بحرزك المنيع
وهب لنا عناية سنية　　نسمو بها المراتب العلية
مع اتباع الحق والكتاب　　والسنة الغراء والصواب(٤٥٩)

(٤٥٩) من مجموع الأوراد للميرغنى - رضى الله عنه -

الشكور

العليّ

الكبير

الحفيظ

المقيت

الحسيب

الجليل

الكريم

الرقيب

الشكور

ورد اسم الشكور - جل جلاله - فى القرآن الكريم فى أربعة مواضع فى قوله - تعالى - :

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣٠) (٤٦٠)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (٣٤) (٤٦١)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٣٣) (٤٦٢)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٧) (٤٦٣)

والشكور صيغة مبالغة من شكر ، واسم الفاعل منه « شاكر » وقد ورد « شاكر فى القرآن الكريم مرتين فى قوله - تعالى - :

---

(٤٦٠) فاطر ٣٠

(٤٦١) فاطر ٣٤

(٤٦٢) الشورى ٣٣

(٤٦٣) التغابن ١٧

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (٤٦٤)

وفى قوله تعالى :

﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ (٤٦٥)

وهذا الاسم كما يقول ابن منظور فى لسان العرب مأخوذ من الشكر . والشكر : معرفة الإحسان ونشره . . وهو الشكور أيضا ، والشكر لايكون إلا عن يد ، والحمد يكون عن يد وعن غير يد . فالحمد أعم من الشكر .
والشكر من الله المجازاة والثناء الجميل .

وفى حق الناس . تقول : رجل شكور أى كثير الشكر ، وفى التنزيل العزيز

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (٤٦٦)

وفى الحديث الشريف حين رئى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أجهد نفسه بالعبادة فقيل له : يارسول الله ، أتفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ فقال : ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أفلا أكون عبدا شكورا » ؟

---

(٤٦٤) البقرة ١٥٨
(٤٦٥) النساء ١٤٧
(٤٦٦) الاسراء ٣

والشكر فيه معنى الزيادة . تقول : شكرت الأرض إذا كثر فيها النبات وتقول : هذه دابة شكور ـ إذا أظهرت من السمن فوق ماتعطى من العلف ، وأى نبات يكتفى بقليل من الماء فهو شكور . .

والشكور من صفات الله ـ جل اسمه ـ معناه : أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد ، فيضاعف لهم الجزاء ويجازى على يسير الطاعات كثير الدرجات ، وشكره لعباده مغفرته لهم .

ومن كلام بعض العلماء فى معنى الشكور : أنه هو الذى يدوم شكره ويعم فضله ، فيجازى على كل صغير أو كبير من الطاعة كثيرا من النعم ، ترغيبا لخلقه فى الطاعة وإن قلت . إنه يقبل القليل ويعطى الجزيل . . ألا ترى أنه يضاعف الحسنة الى عشرة أمثالها ، وقد يضاعف الى مائة ضعف أو أكثر . . قال ـ تعالى ـ :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (٤٦٧)

ومن معانى الشكور أيضا فى جنب الله ـ تعالى ـ أنه يثيب عبده على الشكر ، فانظر الى جزيل فيض الله ـ تعالى ـ على العبد أولا ، ثم يثيبه على شكره إن شكر ، ويزيده نعمة على نعمة قال ـ تعالى ـ :

---

(٤٦٧) البقرة ٢٦١

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٤٦٨) .. فهو المتفضل أولا وأخيرا .

والشكور بهذا المعنى لايكون الا الله ـ تعالى ـ لأنه الذى يعطى ويزيد فى العطاء ويمنح على شكر العطاء مزيدا من العطاء ، أما العبد فشكره إنما هو فى مقابلة عطاء منح له ، ومهما بذل فى نظير ماقدم له فهو ضئيل بالنسبة لما أنعم به عليه .

والشكر من العبد هو مظهر فرحه بالنعمة التى أُنْعِمَت عليه . لكن تمام الشكر منه يكون بالعمل من أجل استدامة النعمة، ونفع النفس والعباد بالموهوب ، وقدحث الله على العمل من أجل الشكر فقال :

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (٤٦٩)

ولبعض الصالحين مقال جميل فى الشكر . يقول :

شكر الحق سبحانه ـ للعبد مضاعفة الثواب له ، والاحسان إليه ، ومباهاة الملائكة به ثم إن إحسان العبد طاعته لله ـ تعالى ـ وإحسان الحق إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له .

---

(٤٦٨) ابراهيم ٧
(٤٦٩) سبأ ١٣

وشكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب . . .

فالشكر على هذا ينقسم إلى شكر باللسان ، وهو اعترافه بالنعمة وشكر الله عليها .

وشكر بالأركان وهو القيام بالخدمة للمولى ـ جل وعلا ـ وشكر بالقلب والوجدان وهو تنقيته من الشك وإبعاده عن وساوس الشيطان . . . . . فشكر العباد لله يكون باستقامتهم له فى عموم أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم

ومقتضى الشكر من العبد لله أن يخضع له ، وأن يحبه ، وأن يعترف بنعمته ، وأن يثنى عليه بها ، وألا يستعملها فيما يكره الله .ومن واجب المؤمن أن لا يكتفى بالشكر عند الرخاء ، بل يجب الشكر عند البلاء أيضا . لأن البلاء قد يكون نعمة ومنة . . . استئناسا بقول القائل :

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

سأل رجل رجلاً فقال له :
كيف حال الشكر عندكم ؟

قال : إن وجدنا شكرنا وأن فقدنا صبرنا .
فقال له : ليس هذا شكرنا
قال الرجل : فما حال الشكر عندكم ؟
قال له : إن وجدنا آثرنا وان فقدنا شكرنا . .

التخلق بآداب اسم الشكور :

إن ماذكرناه من وجوب شكر المنعم هو بعض مايقتضيه حق التخلق

بآداب هذا الاسم الشريف .

وينبغى معرفة الفرق بين شكر الرب وشكر العبد . فشكر العبد هو أن يلهج اللسان بشكر الله على ماأولاه من نعم مع العمل بالطاعات شكرا لله واعترافا بفضله . .

ولكن شكر الله ليس على نعمة بذلها العبد لربه فيشكرها الله عليها ، لأن الله هو المانح دائما ، والعبد هو الممنوح دائما . وليس لأحد على الله منة . بل المنة كلها من قبل ومن بعد لله ، ولذلك جاء فى تفسير شكر الله : أنه القدرة على إثابة المحسن وأنه لايضيع أجر العاملين .

إن الله ـ سبحانه ـ يطلب منا أن نشكره على نعمه التى وهبها إيانا ، وقال فى ذلك :

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (٤٧٠)

واستعمال نعمه فى النفع وإيصال الخير للناس هو من أوفى آيات الشكر . أما استعمالها فى الشر والاضرار فهو الجحود بعينه ومايجحد بآيات الله الا كل ختار كفور .

لقد استفتح الله كتابه الكريم بالحمد للدلالة على وجوب حمد الله وشكره وأنه أفضل وسيلة للقرب من الله ـ تعالى ـ

قال القرطبى فى تفسيره راويا عن الحسن : مامِنْ نعمة الا والحمد أفضل منها : وروى ابن ماجة عن أنس قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه

---

(٤٧٠) البقرة ١٥٢

وسلم ـ : « ماأنعم الله على عبد نعمة فقال ـ الحمد لله إلا كان الذى أعطاه أفضل مما أخذ »

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لو أن الدنيا كلها بحذافيرها بيد رجل من أمتى ، ثم قال : الحمدلله لكانت الحمد لله أفضل من ذلك »

الدعاء بهذا الاسم

علمنا القرآن الكريم كيف ندعو الله الشكور . فجاء على لسان سليمان ـ عليه السلام ـ قوله تعالى ـ :

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٤٧١)

وجاء أيضا :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٤٧٢)

---

(٤٧١) النمل ١٩

(٤٧٢) الأحقاف ١٥

وورد أن داود عليه السلام قال : يارب كيف أشكرك وشكرى لك نعمة ثانية ؟ فقال الله له : إذا عرفت ذلك فقد شكرتنى .

ودعاء أهل الجنة فى الجنة هو :

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾[٤٧٣]

ومن دعاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك ، سبحانك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . الحمدلله حمدا يوافى نعمه ويكافىء مزيده اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة »

وفى مدرسة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعلم الصحابة الاجلاء ومن جاء بعدهم من الصالحين كيفية الثناء على الله وحمده .

ومن الأدعية المأثورة

« اللهم لك الحمد فى بلائك ، وصنعيك إلى أنفسنا خاصة ، ولك الحمد بما هديتنا ولك الحمد بما أكرمتنا ، ولك الحمد بما سترتنا ، ولك الحمد بالقرآن ولك الحمد بالأهل والمال ، ولك الحمد بالمعافاة ، ولك الحمد بما مننت علينا بهذا النبى الكريم وجعلتنا من خاصته ، ولك الحمد حتى ترضى ولك الحمد اذا رضيت ياأهل التقوى وأهل المغفرة »

---

(٤٧٣) فاطر ٣٤

ومن شعر أحمد مخيمر فى ظلال هذا الاسم :

إنك تثنى على عبادك يا ربّاه إن أحسنوا وإن عملوا
والحسنات التى تضاعفها منك ثناء على الذى فعلوا
إن يشكروا فالمشكور أنت بما تعطى ، وفيض العطاء متصل
وجنة الخلد أنت جاعلها لمن بأعمالهم لها وصلوا[٤٧٤]

ومن منظومة أسماء الله الحسنى :

غفور عن الأسواء فاستر عيوبنا شكور فهبنا الشكر فى كل نعمة[٤٧٥]

(٤٧٤) أسماء الله الحسنى لأحمد مخيمر
(٤٧٥) منظومة أسماء الله الحسنى لمحمد عثمان الميرغنى

ٱلْعَلِـــىُّ

العلى : فعيل من علا يعلو بمعنى يرتفع ، فالعلى الرفيع القدر ، وتعالى : ترفع .

وجاء فى لسان العرب : الله ـ عز وجل ـ هو العلى المتعالى العالى الأعلى ، ذو العلا والعلاء والمعالى ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً . . وهو الأعلى ـ سبحانه ـ بمعنى العالى ، ومعنى « تعالى » جل ربنا وعظم عن كل ثناء ، فهو أعظم وأجل وأعلى من كل ثناء ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وتفسير هذه الصفات لله ـ سبحانه ـ يقرب بعضها من بعض :

فالعلى الشريف ، وهو بمعنى العالى ، وهو الذى ليس فوقه شىء ، ويقال : هو الذى علا الخلق فقهرهم بقدرته .

وأما المتعالى فهو الذى جل عن إفك المفترين ، وتنزه عن وساوس المتحيرين .

واسمه الأعلى ـ أى صفته أعلى الصفات .

والعلاء : الشرف ، وذو العلا ـ أى صاحب الصفات العلا . .

وصفة الله العليا ـ شهادة أن لا إله إلا الله ـ فهذه أعلى الصفات ، ولا يوصف بها غير الله وحده لا شريك له ، ولم يزل الله عليا عاليا متعاليا(٤٧٦)

وقد ورد اسم الله « العلى » فى عدة مواضع فى القرآن العظيم ، منها قوله ـ تعالى ـ

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

---

(٤٧٦) لسان العرب لابن منظور مادة (« علا »

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (٤٧٧)

ومنها قوله ـ تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٤٧٨)

ومنها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٤٧٩)

ومنها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (٤٨٠)

وقال القرطبى فى معنى العلى : يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان ، لأن الله منزه عن التحيز . وروى عبدالرحمن بن قرط أن رسول الله ـ ﷺ ـ ليلة أسرى به سمع تسبيحاً فى السموات العلا : سبحان الله العلى الأعلى ـ سبحانه وتعالى ـ

---

(٤٧٧) البقرة ٢٥٥

(٤٧٨) الحج ٦٢

(٤٧٩) سبأ ٢٣

(٤٨٠) الشورى ٥١

والعلى والعالى : القاهر الغالب للأشياء

وقال العلماء : هذا الاسم من أسماء التنزيه ، ومعناه : الرفيع المنزلة ، المتعالى فوق خلقه بقدرته وجبروته ، هو الذى علا فلا تدرك ذاته ولا تتصور صفاته ، تاهت الألباب فى جلاله ، وعجزت العقول عن إدراك كماله .

وقال الشيخ أحمد عبدالجواد : العلى الأعلى فوق خلقه ، ولا يعلو الى مقامه الرفيع أحد ، وهو المستحق لدرجات المدح والثناء ، قال الله سبحانه :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٤٨١)

وقال بعض العلماء : العلى هو المتعالى عن الأضداد والأنداد ، لا رتبة فوق رتبته وجميع المراتب منحطة عنه .

وقالوا : هو الذى علا بذاته وصفاته عن مدارك الخلق بالكنه والحقيقة ، وقالوا : هو الذى علت عن الإدراك ذاته وكبرت عن التصور صفاته .

وقال الامام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ : إن الله هو العلى المطلق ، فإنه الحى المحيى العالم المطلق الخالق لعلوم العلماء ، المنزه المقدس عن جميع أنواع النقص .

التخلق بآداب هذا الاسم

إن من عرف علو الله وارتفاعه فعليه أن يضع نفسه أمام القدرة ، وأن يذل نفسه أمام عزة الله العزيز . .

---

(٤٨١) الروم ٢٧

وإذا تواضع العبد لله رفع الله قدره ، فمن تواضع لله رفعه ، ومن تكبر عليه خفضه .

ورد فى الأخبار أن الله أوحى إلى الجبال أنى مرس سفينة نوح على أحدكن فتطاولت كل الجبال وشمخت ، ماعدا الجودى فهو الذى تطامن وخضع فأكرمه الله بإرساء السفينة عليه . .

وحكى بعض العلماء أن الله أوحى إلى موسى - عليه السلام - أن يأتى الجبل ليكلمه ، فتطاول كل جبل وتشامخ طمعا فى أن يكون هو محل المناجاة ، ولكن طور سيناء تواضع وتصاغر ، فاختصه الله بذلك الشرف . .

إن الله مَنَّ على بعض أحبائه فمنحهم صفة العلو . . فعن إبراهيم وإسحاق ويعقوب - يقول الله - تعالى

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ (٤٨٢)

وفى حق إدريس يقول

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ (٤٨٣)

الدعاء بهذا الاسم

لقد أُمِرْنا أن نقول فى سجودنا : سبحان ربى الأعلى . .

وما أجمل المناجاة بتلك الكلمات : سبحانك ربى وتعاليت . سبحان الذى يعلو

---

(٤٨٢) مريم ٤٩ ، ٥٠

(٤٨٣) مريم ٥٦ ، ٥٧

ولا يعلو سواه .

ومن الأدعية الواردة فى ذلك : يا عالى فوق كل شيء ويا أعظم من كل شيء .

وكان النبى - ﷺ - يستفتح دعاءه بقوله : « سبحان ربى العلى الأعلى الوهاب »(٤٨٤)

إن مصاحبة هذا الاسم وملازمة ترداده تُعْلِي من مقام العبد وترفع من مكانته .

وهو يفيد فى إصلاح الحال ، فمن كان له زميل سيء أو جار سوء أكثر من ذكر هذا الاسم على نية إصلاح حالهم . .

ومن الدعاء المستحب أن نقول : « اللهم يا عالم الخفيات يا رفيع الدرجات ، ذا العرش ، يلقى الروح على من يشاء من عباده ، غافر الذنب ، قابل التوب ، شديد العقاب ، ذا الطول ، لا إله إلا أنت .

وآية الكرسى المختومة بقول - تعالى - وهو العلى العظيم - لها سر عجيب فى الحفظ وقضاء الحاجات . فقد ورد : من قرأ - حم « المؤمن » إلى قوله تعالى : « إليه المصير » ، وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ، ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح .

وروى القرطبى قال : من داوم على قراءة آية الكرسى دبر كل صلاة أعطى عطاء الشاكرين ، وأجر الصديقين وبسط الله عليه الرحمة

قالوا : وهى تعدل ثلث القرآن .

ومن الدعاء فى ظل هذا الاسم أيضا قول بعض العلماء :

---

(٤٨٤) رواه أحمد والحاكم عن سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه -

« إلهى أنت العلى المنزه من الحدود والجهات ، المقدس عن الأوهام والخطرات ، جعلت الشرف الأعلى لمن لجأ إليك ، وأعطيت المقام الرفيع لمن توكل عليك .

« إلهى إنك منحت سيدنا محمدا ـ ﷺ ـ أعلى الدرجات ، وصيرته مفتاحا لكل المقامات . فاجعل لنا حظا وافرا من ميراثه العالى ، وشرفه الغالى ، حتى نفوز من علو المكانة بحظ أوفر ، وننال بحسن اتباعه السعد الأكبر إنك على كل شىء قدير . . »

الكبيـــر

من أسماء الله الحسنى الكبير . وهو مشتق من الكبر ، وهو نقيض الصغر ، ومعنى الكبير أى العظيم ذو الكبرياء . .

وقيل : معناه المتعالى عن صفات الخلق .

والكبرياء هى العظمة والملك ، وقيل : عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ، ولا يوصف بها إلا الله : جل جلاله ـ

ويفيد معنى الكبير الغنى المستغنى عن خلقه ، وقد كبر الله ـ عز وجل ـ فى ذاته وصفاته عن مشابهة خلقه ـ سبحانه ـ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير . .

فهو ـ سبحانه ـ كبير فى جلاله وعظمته وقدره ، وقد ورد اسم الكبير فى القرآن الكريم فى عدة مواضع ـ منها قوله ـ تعالى ـ

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾ (٤٨٥)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٤٨٦)

وقوله ـ تعالى ـ

---

(٤٨٥) الرعد ٩

(٤٨٦) الحج ٦٢

﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٤٨٧)

لقد اقترن اسم الله الكبير فى هذه الآيات وغيرها باسمه العلى أو المتعال ، لما بين الاسمين من تلازم .

فهو ـ سبحانه ـ الكبير الموصوف بالعظمة وعلو الشأن ، وعِظَم ما خلق . ومن أدلة عظمة خلقه هذا الكون الواسع الكبير ، وما يموج به من أرض وسموات ، وبحار وأنهار ، ونجوم وكواكب ، وألوان من الخلق لا حصر لها ـ تشير إلى عظمة الخالق وقدرته ، وقد أشارت بعض الآيات الكريمة إلى كبر هذه المخلوقات التى هى مظهر اسم الله الكبير :

قال ـ تعالى ـ

﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٤٨٨)

وحين أرى الله ـ جلت قدرته ـ إبراهيمَ ملكوت السموات والأرض أخذ إبراهيم يردد نظره فى أجرام الكون ليعطى لقومه دليلا على أن الله أكبر مما يعبده هؤلاء الناس من نجوم وكواكب وأقمار ، فحين رأى الشمس قال لقومه :

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٤٨٩)

---

(٤٨٧) سبأ ٢٣

(٤٨٨) غافر ٧٥

(٤٨٩) الأنعام ٧٨

وكان استفتاح الصلاة بتكبيرة الاحرام « الله أكبر » ومعنى ذلك أن الله أكبر من كل كبير ، وأعظم من كل عظيم . ومؤدى ذلك أن ينفض الإنسان يديه من كل ما يشغله وهو بين يدى ربه الكبير المتعال . .

لقد أمرنا الله بتكبيره على أى حال ، فقال لنا عن طريق سيدنا محمد - ﷺ - فى القرآن الكريم ؛

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ (٤٩٠)

ولا شك أن الغنى عن الولد والشريك والولى لابد أن يكون كبيرا . . ونحن حين يتملكنا العجب من أى شىء نهتف قائلين : « الله أكبر » وهذا يدل على أن الذى أثار عجبنا ودهشتنا إنما هو من صنع الله الكبير ومن كان كبيرا فلابد من أن يكون الحكم له ، ولا حكم لسواه . . قال - تعالى -

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ (٤٩١)

التخلق بأدب هذا الاسم

إن الكبرياء لله وحده ، ولا ينبغى أن يوصف أحد من الخلق بهذه الصفة . وقد يجرى على لساننا وصف بعض الناس بالكبير ، كما جاء على لسان إخوة يوسف :

---

(٤٩٠) الاسراء ١١١
(٤٩١) غافر ١٢

« ان له أباً شيخاً كبيراً » والمقصود بالكبر هنا كبر السن . . . وقد يقال : إن فلانا كبير قومه . ويقصدون بذلك أنه بلغ حدا من الكمال به ساد قومه ، وليس هناك صلة بين صفة الله وصفة العبد فى هذا الاسم ، إذ ان كمال الله لايتناهى ، أما كمال العبد فهو عارية ، وهو متفاوت ، وهو منتقل زائل ، وقد يكون العبد كاملا فى تصرف ، ناقصا فى تصرف آخر ، وقد يكمل اليوم ثم ينقص غدا . .

وإذا علم الانسان أن الله كبير تصاغرت نفسه وذلت لله وخضعت لجلاله . . ودعاه ذلك إلى أن يتحلى بصفات الكمال التى تقربه إلى الله .

الدعاء بهذا الاسم .

جاء فى منظومة أسماء الله الحسنى :

كبير فكبر شأننا باستقامة على إلى أعلى المقامات عَلِّنا

ومن دعاء بعض الصالحين :

« ياألله يا عظيم يا على يا كبير نسألك الخير والعفو والغنى بك ، حتى لا نشهد إلا إياك ، والطف بنا فيهما لطفا عَلِمْتَه يصلح لمن والاك ، واكسنا جلابيب العصمة فى الأنفاس واللحظات ، واجعلنا عبيدا لك فى جميع الحالات ، وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين فى المحيا والممات »

الحفيظ

قال ابن منظور : الحفيظ من صفات الله ـ عز وجل ـ لايعزب عن حفظه مثقال ذرة فى السموات والأرض ، وقد حفظ على عباده وخلقه مايعملون من خير أو شر ، وقد حفظ السموات والأرض بقدرته ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم ، وفى التنزيل .

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٤٩٢)

ومن معانى الحفظ عدم النسيان ، فالله لاينسى . ومن معانيه عدم الغفلة والله لاينسى ولايغفل ولاينام . .

والله يحفظ عباده ويرسل عليهم حفظة يحفظونهم ويكلئونهم . . ويحصون أعمالهم ويكتبونها . . .

وقد ورد اسم الحفيظ فى قائمة الأسماء التى ذكرها النبى ـ ﷺ ـ فى حديثه الشريف ، وهو الاسم التاسع والثلاثون فى هذه الأسماء .

ويشير إلى هذا الاسم فى القرآن الكريم قوله ـ تعالى ـ

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ

---

(٤٩٢) البروج ٢١ ، ٢٢

﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ (٤٩٣)

كما يشير إليه قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧ ﴾ (٤٩٤)

ويشير إلى ذلك قوله ـ تعالى :

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ ﴾ (٤٩٥)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ١١ ﴾ (٤٩٦)

وقد جاء الاسم صريحاً فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ

---

(٤٩٣) البقرة ٢٥٥

(٤٩٤) الحجر ١٦ ، ١٧

(٤٩٥) الأعراف ٦١

(٤٩٦) الرعد ١١

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾ (٤٩٧)

وفى قوله ـ تعالى ـ

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ (٤٩٨)

ومن أقوال العلماء فى شرح هذا الاسم : الحفيظ هو الحافظ للسموات والأرض ، ولايؤوده حفظهما وهو العلى العظيم ، وهو الحافظ لعباده فى جميع الأحوال .

وقيل : الحفيظ هو العالم بجميع المعلومات علماً لاتغير له ولا زوال ، والمحيط بما فى السموات والأرض ، يحفظ وجودهما ولايؤوده حفظهما .

وقيل : الحفيظ الحافظ لكل شيء .

وقيل : الحفيظ هو البالغ الغاية لما يريد حفظه

وقيل : الذى حفظ مراتب الموجودات ومنازل الكائنات ، فيمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، ويثبت الأرض بالجبال فلا تميد بمن عليها ، ويحفظ الضعفاء من الأقوياء ، ويحفظ النبات من الحشرات ، ويحفظ الأجسام من الأمراض . .

وقيل : هو الذى حفظ القرآن من التغيير والتبديل . . وشاهد ذلك قوله ـ تعالى ـ

---

(٤٩٧) هود ٥٧

(٤٩٨) سبأ ٢١

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (499)

وهو الذى يحفظ الانسان من الشياطين ، ولولا حفظه لاغتالتهم الشياطين .

وقيل : هو الذى يحفظ الحياة من العدم ، ويحفظ الخلائق من الهلكة بيد أعدائها . . .

وقيل : هو الذى يحفظ قلوب الأولياء من التغير والاضطراب عند نزول المحن والشدائد .

التخلق بأدب هذا الاسم

حظ العبد من هذا الاسم أن يحفظ قلبه وجوارحه من نزغات الشيطان وشهوات النفس . وأن يحفظ قوته العملية من الانقياد لمقتضى الغضب والاسترسال مع الهوى .

ومقتضى علم الانسان بأنَّ الله يحفظه أن يحبه ويطيعه فإذا علم أن الله يحرسه ويرعاه ، وجب عليه أن يتقيه ويتولاه..

الدعاء بهذا الاسم

عَلَّمنُا النبى - ﷺ - كيف ندعو الله أن يحفظنا من الشر فقال - فيما يرويه البخارى - « إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى فإنه لايزال عليك من الشر حافظ » .

---

(499) الحجر 9

وفى رواية أخرى عن البخارى ومسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه فإنه لا يدرى ماخلفه عليه ، ثم ليضطجع على شقه الأيمن ، ثم ليقل : باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

وقد ذكر بعض العلماء أن الذى يقرأ آيات الحفظ ثم يقول بعدها : اللهم بحق هذه الآيات الشريفة ، والأسماء المعظمة الأحدية التى لانظير لها أسألك يارب أن تحفظنى من شر كل ذى شر ، ومن جميع المؤذيات الخارجة من الأرض والنازلة من السماء .

اللهم ياحفيظ احفظنى من المعاصى والذنوب والآثام والأمراض ، ومن فتن الليل والنهار ، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يارحمن . . . الذى يدعو بذلك يحفظه الله بقدرته وحفظه .

وآيات الحفظ هى : آية الكرسى ـ وقوله ـ تعالى ـ

« فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين »

وقوله :

« وحفظا من كل شيطان رجيم »

وقوله :

« وحفظناها من كل شيطان رجيم » .

وقوله :

« وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم » .

وقوله :

« إن كل نفس لما عليها حافظ » .

وقوله :

« إن بطش ربك لشديد . انه هو يبدىء ويعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد . هل أتاك حديث الجنود . فرعون وثمود . بل الذين كفرو فى تكذيب . والله من ورائهم محيط ، بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ » .....

ومن مناجاة الشاعر أحمد مخيمر بهذا الاسم :

ياحافظـــا لوجـــود العالميـــن ، فمـــا	يحيـــد عن غاية نقصـا وخســـرانا
وحافـظ الخـــلق أن يلقـــوا بأنفســـهم	إلى الهـــلاك زرافـــات ووحـــدانا
خلقـــت فيهـــم عيـــوناً يبصـــرون بها	وقـد خلقـــت بهـــم للســـمع آذانـاً
لو لم تكـــن أنـــت يا رباه حافظهـــم	لم تشـــهد الأرض فـوق الأرض إنسـاناً

المُقيت

المقيت من القوت ، والقُوت مايمسك الرَّمَق من الرزق ، وما يقوم به بدن الانسان وغيره ـ من الطعام ـ يقولون : فلان عنده قوت ليلة ، والقوت مصدر الفعل قات ، يقال : قاته يقوته قَوْتاً . . .

والله ـ سبحانه ـ هو الذى يُقيت عباده أى يرزقهم . ويقتضى رزقهم حفظ حياتهم ، فيكون من معنى المقيت الحافظ . .

قال ابن منظور : وفى أسماء الله ـ تعالى ـ المُقيت . هو الحفيظ ، وقيل : المقتدر ، وقيل هو الذى يعطى أقوات الخلائق . . . . . وهو من أقاته يقيته إذا أعطاه قوته .

قال : وأقاته أيضاً إذا حفظه ، وفى التنزيل .

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ (٥٠٠)

ويقول الفراء : المقيت هو المقتدر وهو المقدر ، الذى يعطى كل شىء قوته . وقال الزجاج : المقيت القدير ، وقيل : الحفيظ . . . وقال بعض العلماء فى تعريف اسم الله المقيت : المقيت الرقيب والمهيمن والمقتدر والحافظ والشهيد ـ اتسع اللفظ لكل هذه المعانى جملة لأن بعضها يترتب على بعض .

---

(٥٠٠) النساء ٨٥

سبحانه يعطى كل شيء قوته ، فهو يمنح الأبدان الطعام ، والقلوب المعرفة والإلهام ، وهو خالق الأقوات وموصلها للأبدان ، وهو حافظ حياة الخلق بما يقوتهم به . . .

وإذا منح الأبدان الطعام ، فلابد أن يمنح النفس الشهية له ، والقدرة على استساغته وهضمه . . فكم من نفس يتوفر أمامها القوت ويفيض عن حاجتها ، ولكنها لاتقدر على أكله لغلبة المرض أو الهم والحزن . .

والذى يقوت الخلق لابد أن يكون رقيباً عليهم عالماً بهم وبأحوالهم فيعطى بحكمة ويحرم لحكمة . ويبسط لمن يشاء ويقدر لمن يشاء ، وهو الشهيد عليهم فيعرف كيف يتصرفون فيما أعطاهم وخَوَّلهم ، ويحاسبهم على ماقدموا من خير وعلى شحهم بما فى أيديهم من عطاء .

ولايقف معنى المقيت عند حدود الانسان والحيوان ، ولكنه يتناول النبات وغيره مما تقوم حياته واستدامته على الغذاء

قال القرطبى فى معنى قوله ـ تعالى ـ
« وكان الله على كل شيء مقيتاً » .

المقيت المقتدر ، ومنه قول الزبير بن عبد المطلب :

وذى ضَغَنٍ كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتاً

وأستشهد بالحديث الشريف : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يُقيت » أى من هو تحت قدرته وفى قبضته من عيال .

لقد اقتضت حكمة الله أن يقدر القوت لكل مخلوق قبل أن يخلقه .

قال - تعالى -

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٥٠١)

وهذه صفة العليم الحفيظ القادر المقتدر الذى لا يُضَيِّع أمر خلقه ولايكلهم إلى غيره . .

قال عكرمة والضحاك : قدَّر أرزاق أهل الأرض ومايصلح لمعايشهم من التجارات والأشجار والمنافع وجعل فى كل بلدة ما لم يجعله فى الأخرى ، ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار(٥٠٢) . . .

وهناك أسباب للرزق لاتخطر على بال ، هدى الله الانسان والخلق إليها حتى قال بعضهم . دع الناس فى غفلتهم يرزق بعضهم من بعض . . . ومن فتحت بصيرته يسر الله له سبل الحلال ليكسب رزقه منها ، ومن عميت بصيرته لم يهتد إلا إلى طرق الحرام والضلال فيكون مطعمه منها . والكل وسيلةٌ للإقاتة والحفظ . . .

ولم يرد اسم المقيت فى القرآن إلا فى الآية التى ذكرناها وهى قوله تعالى :

« وكان الله على كل شيء مقيتا » .

ولكنه ورد فى سلسلة الأسماء الحسنى التى ذكرها النبى - ﷺ - فى حديثه الشريف . . . والمقيت بينها هو الاسم الأربعون .

---

(٥٠١) فصلت ١٠

(٥٠٢) تفسير القرطبى جـ ١٥ صـ ٣٤٢

التخلق بأدب هذا الاسم :

من علم أن الله يقوته يتأدب معه ، ويشكر نعمته ، ويطيع أوامره ويبتعد عن نواهيه . . وفى مقدمة ذلك البعد عن الحرام فى المطعم والمشرب ، ولو اتبع الحلال ـ كما أمره الله بذلك ـ لاستجاب الله دعوته . . قال النبى ـ ﷺ ـ لسعد بن أبى وقاص ـ رضى الله ـ : ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » .

وقد التزم سعد بهذه الوصية فأكرمه الله بإجابة دعوته »

إن بعض الأصفياء ساروا على نهج سعد فى الالتزام بذلك ، وركبوا مركبا صعبا ارتضوه ، فتحلوا بالورع ، وآثروا أن يظلوا جياعا ولا يقبلوا أن يسيغوا لقمة من حرام أو مشبوهة . .

وكان الحارث المحاسبى ـ رضى الله عنه ـ يتحرك فى يده عرق إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة ، فيسرع بقبض يده عنه .

وبعضهم كان يجد فى الطعام المشبوه مرارة فيسرع بلفظه قبل أن ينزل إلى جوفه .

ومن الأدب أيضا أن يسرع المسلم بِمَدِّ يد المعونة إلى غيره ، و أن يوسع على غيره متى كان عنده فضل ، وألا يقطع عادته مع من جعلهم الله عالة عليه .

إن الذى يتأدب بأدب هذا الاسم لا يرى أحداً رازقا ـ على الحقيقة ـ إلا الله ، وأن اليد التى تقدم القوت هى سبب من أسباب الله سخرها الله لذلك .

وهذا يُعَوِّد الانسان أن يرفع مطالبه إلى الله وحده ، ولا يقصد غيره أو يعتمد على أحد سواه .

إن بعض الأصفياء يعتمدون على الله الرازق ، فلا يهمهم كثرة المال أو الطعام ، ولا يعملون للاستكثار من عرض الدنيا . بل يكتفون منها بما يقوتهم ويقيم أودهم ، لأن الآخرة عندهم خير وأبقى .

وأفضل القوت ما كان وسطا . لا كثيراً فيطغى ويلهى ، ولا قليلا فيشغل همه القلب والنفس .

الذكر بهذا الاسم :

كان إبراهيم ـ عليه السلام ـ يناجى ربه قائلا ـ كما حكى لنا ـ القرآن الكريم : ـ

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ (٥٠٣)

وهو يفتح الطريق لمن يريد مناجاة ربه عن طريق تعداد نعمه وشكر أفضاله .

روى الحاكم أن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ سألت رسول الله ـ ﷺ ـ قائلة : يارسول الله ، هذه الملائكة طعامها التهليل والتسبيح والتحميد فما طعامنا ؟

---

(٥٠٣) الشعراء ٧٨ : ٨٠

فَعلَّمها كلمات ، فقال : يا فاطمة قولى : « يا أول الأولين ويا آخر الآخرين ، ويا ذا القوة المتين ، يا راحم المساكين ، يا أرحم الراحمين » .

ويروى أن فاطمة شكت للنبى - ﷺ - كثرة التعب ، وطلبت خادما . فدلها النبى - ﷺ - على ماهو خير من الخادم ، وهو أن تسبح الله ثلاثا وثلاثين ، وتحمده ثلاثا وثلاثين ، وتكبره ثلاثا وثلاثين ، ثم تكمل المائة بلا إله إلا الله محمد رسول الله .

قالت : فداومت على ذلك فما شكوت تعبا ولا جوعا . . . . . إن الذكر قوت يغذى الروح ، وفى غذاء الروح غذاء الجسم ، والأعمال بالنيات . .

قال بعض العلماء : إن المداومة على ذكر هذا الاسم فيها أمان من الوحشة ، ولا سيما إن أضاف إلى ذلك سورة « لِإيلاف قريش » صباحا ومساء .

ومن الدعاء المنسوب لبعض الصالحين :

« إلهى ، خلقت الأقوات كالستائر ، وأودعت فيها الآيات للقلوب والبصائر ، أنت المقيت والقوت سبب ، وأنت المغيث لمن لجنابك طلب ، اكشف عن بصيرتى حجب المظاهر ، حتى آخذ القوت على يديك يا قادر ، وسهل لروحى قوتها من الحب والايمان ، بمحض الفضل والجود . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »(٥٠٤)

---

(٥٠٤) أسماء الله الحسنى جـ١ صـ٢١٩ د . أحمد الشرباصى

الحسيب

الحسب .. الكرم ، والحسب الشرف الثابت فى الآباء ، والشرف فى الفعل ، وما يفتخر به الانسان من مآثر أجداده ، وهو الفعال الصالح .. هذا ما تعارف عليه الناس بالنسبة لأنفسهم ..

أما بالنسبة لله ـ جل جلاله ـ فله معنى آخر ـ هو الكافى .

فالحسيب من أسماء الله تعالى معناه : الكافى ، وهو فعيل بمعنى مُفْعِل من أحسبنى الشيء إذا كفانى .

ومن معانيه : المحاسب عباده على أعمالهم ، يحاسب الطائعين فيجزيهم على طاعتهم والعاصين فيجازيهم على معصيتهم ..

إنه يحاسب المؤمنين حسابا يسيرا ، ويدخلهم الجنة عَرَّفها لهم . ويحاسب الكافرين حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا نكرا .

تقول : حسبى الله ـ أى يكفينى ، وحسبنا الله ـ أى كافينا ، وهو دعاء المتوكلين الذين يقولون : حسبنا الله ونعم الوكيل .

والله ـ تعالى ـ هو الكافى عباده والمتولى أمورهم ، وهو الذى عليه الاعتماد ، وإليه يلجأ جميع العباد .

واذا فسرنا الحسيب بمعنى الكريم ، فلا كريم إلا هو . واذا اعتبرنا الحسيب مأخوذا من الشرف ، فإلى الله ينتهى كل شرف فى الوجود ، وما نال أحد شرفا على حقيقته الا بانتسابه إلى الله ، حتى قال هاشم بن عبد مناف مفتخرا : نحن آل الله .. أى أهله الذين أكرمهم بجوار بيته ، وقلّدهم أمر هذا البيت .

فكل مجد دنيوى زائل ، وكل شرف مادى لا قيمة له ..

وقد أكد النبى ـ ﷺ ـ هذا المعنى بقوله : « كرم المرء دينه ، ومروءته عقله ، وحَسَبه خلقه » .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : « حَسَبَ المرء دينه ، ومروءته خلقه ، وأصله عقله » .

وقد ورد اسم الحسيب فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع :

فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦) ﴾ (٥٠٥)

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦) ﴾ (٥٠٦).

وفى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ

---

(٥٠٥) النساء ٨٦

(٥٠٦) النساء ٦

﴿ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ (٥٠٧)

ويفيد معنى ـ حسيب ـ فى الآيات أن الله حاسب للأعمال ومجاز عليها . كما يفيد معنى الحفظ والرعاية والكفاية وحسن الجزاء . .

روى النسائى عن عمران بن الحصين قال : كنا عند النبى ـ ﷺ ـ فجاء رجل فسلم ، فقال : السلام عليكم ، فرد عليه رسول الله ـ ﷺ ـ السلام وقال : « عشر » ثم جلس الرجل ، ثم جاء آخر فسلم فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد رسول الله ـ ﷺ ـ وقال : « عشرون » ثم جلس الرجل . وجاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه رسول الله ـ ﷺ ـ وقال « ثلاثون » .

ولما سأل أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ عن ذلك ـ قال :

إن الله يجزى الذى قال « السلام عليكم » فقط بعشر حسنات ، ويجزى الذى قال « السلام عليكم ورحمة الله » بعشرين حسنة ، ويجزى الذى قال « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بثلاثين درجة . . وكذلك الأمر بالنسبة لمن رد عليه . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . .

وقد وردت مادة « حسب » فى القرآن الكريم فى عدة مواضع ـ منها مرتين بلفظ « الحاسب » إحداهما فى قوله تعالى

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٥٠٨)

---

(٥٠٧) الأحزاب ٣٩
(٥٠٨) الأنعام ٦٢

والثانية فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٥٠٩)

ومايفيد حساب الله لعباده ـ ورد فى مواضع متعددة ـ منها قوله ـ تعالى : ـ

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ (٥١٠)

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ (٥١١)

أما مايشير إلى الحسيب بمعنى الكافى والمدافع عن عباده ، فقد ورد فى آيات متعددة ـ منها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ (٥١٢)

---

(٥٠٩) الأنبياء ٤٧
(٥١٠) البقرة ٢٠٢
(٥١١) آل عمران ١٩
(٥١٢) الطلاق ٣

وقوله - تعالى - :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (٥١٣)

وقد دلت التجارب على أن التسلح بهذا السلاح يؤتى ثماره جيدا ، فما استنصر أحد بالله الا نصره ، وما استعز أحد بجناب الله إلا عزه ، وما توكل عليه أحد إلا كفاه ..

التخلق بأدب هذا الاسم :

من علم أن الله كافيه لايستوحش من إعراض الخلق عنه ، ثقة منه بأن الذى قُسِم له لا يفوته ، والذى لم يُقْسم له لايأتيه ، ومن أدرك أن الله هو الرازق والكافى والمعين والقوى والحافظ - وثَّق صلته به ، وتأدب معه ، واطمأن اليه ، واعتمد عليه .. وسار على درب المؤمنين الذين قال الله فى شأنهم :

﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ (٥١٤)

---

(٥١٣) التوبة ١٢٩ (٥١٤) آل عمران ١٧٢ : ١٧٤

لقد نصر الله هؤلاء المؤمنين الذين توكلوا عليه .

ولكن التوكل على الله لا ينافى الأخذ بالأسباب التى تؤدى إلى تحقيق المراد . ويستلزم التخلق بهذا الاسم أيضا ـ أن يحاسب الانسان نفسه أولا بأول استجابة لما جاء فى بعض الآثار : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتهيأوا للعرض الأكبر »

الدعاء بهذا الاسم :

قال بعض العلماء : من خاف من ظالم فقال : حسبى الله الحسيب ـ كفاه الله شر ذلك الظالم .

ومن أقوال الصالحين :

نحـــن بالله عِزُّنـــا	لا بجـــاه ومنصـــب
بـه يعـــز قدرنـــا	وبالحـــبيب المقـــرب
ومـــن أراد ذلنـــا	مـــن قـــريب وأجـــنبى
ســيفنا فيـــه قـــولنا	حســـبنا اللـــه والنـــبى

وهو قول مستمد من قوله ـ تعالى ـ لنبيه ـ ﷺ ـ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٥١٥)

جاء أعرابى للنبى ـ ﷺ ـ فقال : يارسول الله : من يلى حساب الخلق يوم القيامة ؟

---

(٥١٥) الأنفال ٦٤

قال : الله تبارك وتعالى .

قال الاعرابى : هو بنفسه ؟

قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « نعم »

فضحك الأعرابى .

فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما أضحكك يا أعرابى ؟

قال : إن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح . . »

وإذا داوم العبد على ذكر هذا الاسم كفاه الله ما أهمه من أمر دينه ودنياه . أخبر بذلك النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديث رواه ابن السنى عن أبى الدرداء . قال : « من قال حين يصبح وحين يمسى : حسبى الله لاإله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ـ سبع مرات ـ كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة .

ومن مناجاة الشاعر أحمد مخيمر :

الشمس لولا الحسيب ما طلعت والأرض لولاه لم تدر أبداً
سبحانه رازق العباد وكافيهم ومغنى الوجود مذ وُجِدا
تباركت ذاتك العلية ما نعبد إلاك واحداً أحداً
الطفل فى المهد أنت تطعمه والطير تعطيه قادراً صمداً[516]

(٥١٦) أسماء الله الحسنى ـ أحمد مخيمر ٥٩

الجليل

ورد اسم الجليل فى سلسلة الأسماء الحسنى التى ذكرها النبى - صلى الله عليه وسلم - فى حديثه الشريف ، ورقمه فى هذه السلسلة الثانى والأربعون

وورد مايشير اليه فى قوله - تعالى -

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٥١٧)

وفى قوله - تعالى -

﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٥١٨)

فذو الجلال جليل ، كما أن ذا العظمة عظيم ، وذا الملك مَلِك ، وذا المهابة مهيب .

قال ابن منظور فى لسان العرب : جلال الله عظمته ، ولايقال : الجلال الا لله ، والجليل من صفات الله - تقدس وتعالى -

وقد يوصف به الأمر العظيم ، والرجل ذو القدر الخطير . وفى الحديث الشريف ما معناه : أكثروا من النداء

بـ « ياذا الجلال والإكرام »

والمقصود الإكثار من الدعاء بهذا الاسم .

وهو سبحانه وتعالى الجليل الموصوف بنعوت الجلال ، والحاوى لها جميعها ، فله الجلال المطلق . .

---

(٥١٧) الرحمن ٢٧

(٥١٨) الرحمن ٧٨

قال العلماء فى تفسير هذا الاسم : الجليل هو العظيم عما لا يليق به ، الكامل فى الذات والصفات ، كاشف القلوب بأوصاف جلاله ، وكاشف الأسرار بنعوت جماله ، وكل مافى العالم من جلال وكمال وحسن وبهاء من أنوار ذاته وآثار صفاته .

وقيل الجليل : هو الموصوف بنعوت الجلال والعظمة والصفات العليا ، وهى : الغِنى والمُلك والتقديس والعلم والقدرة ـ وغيرها من صفات الكمال .

وهو المستحق بأن يأمر وينهى ، وهو المتجلى على خلقه من غير أن يراه أحد فى الدنيا بعينيه ، لأنهما لاتقدران على مشاهدة جماله وكماله ونوره ، قال ـ تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (٥١٩)

أما فى الآخرة فيرونه كما يقول سبحانه وتعالى ـ :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٥٢٠)

ومن معانى الجليل أيضاً قولهم :

---

(٥١٩) الأعراف ١٤٣

(٥٢٠) القيامة ٢٢ ، ٢٣

الجليل هو المستحق لأن يأمر وينهى ، والذى يصغر دونه كل جليل ، ويتضع معه كل رفيع .

وقيل : الجليل هو الذى يُجِلُّ من قصده ، ويُذِلُّ من طرده .

وقيل : الجليل هو الذى يجل قدره فى قلوب العارفين ، ويعظم خطره فى نفوس المحبين .

وقيل : الجليل هو الذى يجل فى علوه عن أن يشرف عليه أحد ، ويعلو بكبريائه أن يعرف كمال جلاله فرد .

وقيل : الجليل الذى أجلَّ الأولياء بفضله ، وأذل الأعداء بعدله . سبحانه لاجليل الا هو ، ولا كبير إلا هو ، ولا عظيم إلا هو . .

ولكن هل هناك فرق بين هذه الأسماء ؟

لقد تكفل الغزالى ـ رحمه الله ـ بالاجابة عن هذا السؤال فقال : الجليل هو الموصوف بنعوت الجلال ، ونعوت الجلال هى ماسبق أن أشرنا إليها . . . وهى الغنى والملك والتقديس والعلم والقدرة وما إليها . . والموصوف بها على الحقيقة هو الجليل جل جلاله .

فهذا الاسم يرجع إلى كمال الصفات ـ كما قال ابن منظور .
أما الكبير فهو اسم يرجع إلى كمال الذات . .

والعظيم اسم يرجع الى كمال الذات والصفات معا . .
وقد أكد ذلك الرازى ـ رحمه الله ـ فى شرحه لهذه الأسماء .

التخلق بآداب هذا الاسم

قال العلماء : الجليل من العباد هو الذى تحسن صفاته الباطنة وتجمل أخلاقه ، ويتنزه عن العقائد الباطلة والنحل الفاسدة ، والأخلاق المذمومة ، ويتصل بالمعارف القيمة والمبادىء الشريفة . .

إنه بذلك يرتفع قدره ويعلو شأنه ، ويكون له فى قلوب الناس محبة وكرامة .

والذى يعرف هذا الاسم الشريف لابد أن يتواضع ويتذكر أن الله هو الذى أفاض عليه النعم ، فيخضع لله ويعظمه ويجله . .

الذكر بهذا الاسم

إن استدامة الذكر بهذا الاسم تنصر الذاكر به على الشيطان ووساوسه ، ومن أجل ذلك دعانا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الاكثار من ذكره وملازمة الدعاء به . . .

عن سعيد المقبرى أن رجلا كان يكثر من قول : اللهم ياذا الجلال والإكرام . . فكنا نرى حوائجه وقد قضاها له الله . .

ومن أدعية الصالحين بهذا الاسم ماذكره د . أحمد الشرباصى ـ عن بعض الصالحين :

« إلهى أنت الجليل الذى يرتعد الجميع من جلالك ، وتذوب الأكباد من خشية سلطانك ، وأنت الكريم الذى تحن إليك القلوب ، والرحيم المتجلى

بالحنان المنفس من الكروب .

لك الكمال المطلق ، والعز المحقق ، امنحنا عيون البصيرة لنرى أثر قدرتك وعظمتك ، واحفظنا من الغرور بظاهر الأقوال ، والوقوف عند صور الأعمال .

« إلهى تجل لى باسمك الجليل ، فلا أرى مخلوقاً الا وقد سجد لعظمتك ، وأرى الكل ذليلا لتجلى باهر قدرتك ، فلا أقدم على معصيتك إنك على كل شىء قدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »[٥٢١]

قال العلماء : الكريم ـ جل جلاله ـ دائم المعروف ، كثير النوال ، ذو الطول والإنعام ، يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ولله خزائن السموات والأرض .

ابتدأ خلقه بجوده وكرمه منذ أن كانوا فى عالم غيبه ، ثم نقلهم الى عالم الحياة محفوفين بلطفه ، مغذين بكرمه ، . . وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة »

---

(٥٢١) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ ١ صـ ٢٣٠

(الكريم)

والكريم هو كثير العطاء ، دائم الإحسان ، واسع الكرم ، سبحانه إذا قدر عفا وإذا وعد وفى ، وإذا سئل أعطى وكفى ، لايضيع من أقبل عليه ولا يترك من التجأ إليه .

وقال ابن عطاء : الكريم هو الذى لاتتخطاه الآمال .

وقال ابن منظور : الكريم من صفات الله تعالى وأسمائه . . . . وهو الكثير الخير ، الجواد ، المعطى الذى لاينفذ عطاؤه ، وهو الكريم المطلق ، والكريم الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل . . . والكريم اسم جامع لكل مايحمد ، فالله - عز وجل - كريم حميد الفعال ورب العرش الكريم العظيم .

وقد ورد هذا الاسم فى قوله - تعالى -

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (٥٢٢)

وفى قوله - تعالى -

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ (٥٢٣)

وفى قوله - تعالى -

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا

---

(٥٢٢) المؤمنون ١١٦

(٥٢٣) الانفطار ٦

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٥٢٤)

وقد ورد هذا الاسم وصفا للرزق فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (٥٢٥)

وورد وصفاً للمقام فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٥٢٦)

وورد وصفاً للكتاب فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ (٥٢٨)

وجاء وصفاً للرسول فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٥٢٩)

وجاء وصفا للملائكة الكرام فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (٥٣٠)

---

(٥٢٤) النمل ٤٠

(٥٢٥) الأنفال ٤

(٥٢٦) الشعراء ٥٨

(٥٢٧) النمل ٢٩

(٥٢٨) يس ١١

(٥٢٩) الحاقة ٤٠

(٥٣٠) الانفطار ١٠ ، ١١

وقوله :

﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (٥٣١)

وجاء وصف الأكرم لله ـ تعالى ـ فى قوله :

﴿اقرا وربك الأكرم الذى علم بالقلم ﴾

وهو اسم تفضيل ، كما أن كريم صيغة مبالغة وكلاهما يدل على أن الله ـ جلت قدرته بلغ الغاية فى الكرم . فلا كريم على الحقيقة سواه ، ولا يوجد كرم إلا كان هو أصله . .

وكرم غيره مستمد منه . وقد وصف كلامه بتلك الصفة ـ فقال :

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٥٣٢)

ومن أقوال العلماء والصالحين فى معنى هذا الاسم :

يقول الجنيد : الكريم الذى لايُحْوِجُك إلى وسيلة .

وقال الحارث المحاسبى : الكريم هو الذى يعطى بغير حساب .

وقال الدقاق : هو الذى إذا عفا عن عبد عفا عمن له مثل معصيته ، فهو واسع العفو والعطاء .

وقال غيرهم : هو الذى لا يخيِّب رجاء الآمنين . وهو الذى لا يضيع من توسل به ولا يترك من التجأ إليه . ويحفظ الكرماء إذا ماتوا .

ومعنى ذلك أنه يحفظ ذكرهم ، ويحفظ ذريتهم .

---

(٥٣١) عبس ١٦

(٥٣٢) الواقعة ٧٧ ، ٧٨

والكريم هو الذى لا ييئس العصاة من التوبة ، ويتوب عليهم من غير مسألتهم .

والكريم من الناس هو الذى لا يرضى أن ترفع إلى غير ربه حاجته . وإذا أذنبت أمامه اعتذر عنك ، وإذا هجرت وصلك ، وإذا مرضت عادك ، وإذا قدمت من سفر زارك ، وإذا افتقرت أحسن إليك بنفسه وماله . . والكريم هو الذى يعطى من غير منة . .

واستقصاء صفات الكرم على حقيقتها لا تكون إلا لله ـ جل وعلا ـ فهو الكريم حقيقة ، وكرم غيره عارية منه ، وتفضل عليهم من كرمه . .

التخلق بأدب هذا الاسم

الذى يعيش فى ظل هذا الاسم عليه أن يتخلق بالمثل العليا التى تليق بتلك الصفة ـ وقد وصف بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبى الله يوسف وآباءه ـ عليهم السلام ـ حيث قال : « الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » . . . . وكرم يوسف كان عظيما جليلا . .

فقد قابل ـ عليه السلام ـ الإساءة بالإحسان ، وعفا عن إخوته الذين هموا بقتله ، وألقوه فى غيابة الجب ، حتى بيع بثمن بخس دراهم معدودة ، ولم يقل لهم حين عرفوه إلا كلمات تليق بشرفه وكرمه ، قال لهم :

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (٥٣٣)

---

(٥٣٣) يوسف ٩٢

إن المؤمن عليه أن يتوجه بجوارحه إلى ربه ، ويتعود إطعام الفقير ، وكسوة العارى ، وصلة الأرحام ، ومواساة الأيتام ، وعليه أن يتسع قلبه للتجاوز عن الهفوات ، والعفو عن الأخطاء وستر العورات ، ومغفرة الزلات . .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها أمنه الله يوم الفزع الأكبر » .

الذكر فى ظل هذا الاسم

روى البيهقى والديلمى عن أُبَىّ ـ رضى الله عنه ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : جاء جبريل ـ عليه السلام ـ إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضاحكاً مستبشراً فى أحسن صورة .

فقال : السلام عليك يامحمد

قال : وعليك السلام يا جبريل .

قال جبريل : إن الله ـ تعالى ـ أرسلنى إليك بهدية لم يعطها أحداً قبلك ، وإن الله ـ تعالى ـ أكرمك بها

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما هى يا جبريل ؟

قال : كلمات من كنوز عرشه . . قل : « يا من أظهر الجميل وستر القبيح ، ويا من لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر ، يا عظيم العفو ، يا حسن التجاوز ، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالعطية ، يا منتهى كل شكوى ، يا صاحب كل نجوى ، يا كريم الصفح ، يا عظيم المنِّ ، يا مبدى النعم قبل استحقاقها ، يا رباه ، يا سيداه ، يا أملاه ، أسألك النجاة من النار » .

وقد خص الله نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمته بالكثير من المنح والعطايا . . وقد ذكر العلماء أن مَنْ أكثر من ذكر اسم الله « الكريم » أوقع الله فى قلوب الخلق إكرامه .

وقالوا : من ذكر هذا الاسم مع اسمه تعالى « ذى الطَّوْل الوهاب » ظهرت البركة فى أسبابه وأحواله .

ومن الدعاء الوارد بهذا الاسم : يا كريم العفو ياذا العدل أنت الذى ملأ كل شىء عدله .

وقيل : إن من واظب على ذكره مع الاستغفار غفر الله ذنوبه وستر عيوبه كائنة ما كانت . .

ومن منظومة أسماء الله الحسنى :

تفضـل علينـا يا كريـم بسؤلنـا واكلأنـا أنت الرقيـب برأفـة

الرقيب

جاء فى لسان العرب : من أسماء الله - تعالى - الرقيب ، وهو الحافظ الذى لا يغيب عنه شىء ، وهو فعيل بمعنى فاعل - جاء فى الحديث : « ارقبوا محمداً فى أهل بيته » أى احفظوه فيهم .

وفى الحديث : « ما من نبىٍّ إلا أعطى سبعة نجباء رقباء »
أى حفظة يكونون معه ، والرقيب : الحفيظ .

ويقتضى الحفظ الحراسة ، وتقتضى الرقابة الاشراف والعلو . . وقد جاء اسم الرقيب فى قوله - تعالى -

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) ﴾ (٥٣٤)

وفى قوله - تعالى -

﴿ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ ۖ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) ﴾ (٥٣٥)

وفى قوله - تعالى -

---

(٥٣٤) المائدة ١١٧

(٥٣٥) هود ٩٣

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾ (٥٣٦)

وفى قوله ـ تعالى :

﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (٥٣٧)

ويقول العلماء : الرقيب معناه أن الله ـ جل وعلا ـ يراقب عباده ويحصى أعمالهم ويحيط بمكنونات سرائرهم ولا يغيب عنه شيء من أمرهم .

وقالوا : إنه ـ جلت قدرته ـ لا يغفل عن خلقه طرفة عين ، ولا يغيب عليه من أمرهم شيء صغر أو كبر ، يشهدهم ويحفظهم . فسبحانه « لا تأخذه سنة ولا نوم » .

ولقد وكل الله بالانسان ملكين يحفظانه ويسجلان عليه حسناته وسيئاته وهما رقيب وعتيد اللذان ورد ذكرهما فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (٥٣٨)

قال القرطبى فى تفسير هذه الآية : فى الرقيب ثلاثة أوجه : أحدها أنه المتتبع للأمور ، الثانى أنه الحافظ ، الثالث أنه الشاهد .

---

(٥٣٦) النساء ٣
(٥٣٧) الأحزاب ٥٢
(٥٣٨) ق ١٨

وفى العتيد وجهان أحدهما : أنه الحاضر الذى لا يغيب ، والثانى أنه الحافظ المعد إما للحفظ أو الشهادة .

ومن رحمة الله بعباده أن هذين الملكين اللذين أعدهما الله لحفظ عبده إذا مات العبد المؤمن يلزمان قبره يستغفران له إلى يوم القيامة .... فقد روى أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله وكل بعبده ملكين يكتبان عمله ، فإذا مات قالا : ربنا قد مات فلان فائذن لنا أن نصعد إلى السماء ، فيقول الله - تعالى - إن سماواتى مملوءة بملائكتى يسبحوننى فيقولان : ربنا نقيم فى الأرض . فيقول الله - تعالى - إن أرضى مملوءة من خلقى يسبحوننى . فيقولان : يارب فأين نكون ؟

فيقول الله - تعالى - : كونا على قبر عبدى ، فكبرانى وهللانى وسبحانى واكتبا ذلك لعبدى إلى يوم القيامة[٥٣٩] » .

التأدب بهذا الاسم :

والتأدب بهذا الاسم يرفع صاحبه إلى مقام الإحسان الذى ورد معناه فيه الحديث الشريف .... وهو « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

والمراقبة تضبط عمل العبد ، وترفع درجاته عند ربه ، لأنه إذا راقب ربه انتهى عن كل عمل سىء ، وتأدب بكل عمل حسن .

قال بعضهم : من راقب الله فى خواطره عصمه الله فى جوارحه .

---

(٥٣٩) تفسير القرطبى جـ١٧ صـ١٢ - سورة ق -

وحدثوا أن بعض الشيوخ كان يقرب تلميذاً له أكثر من غيره من التلاميذ ، فحدثوه فى ذلك . فقال لهم : سأريكم سبب تفضيلى له . . . ثم دفع إلى كل منهم طائراً وأمره أن يذبحه فى مكان لا يراه فيه أحد .

وعاد كل منهم بطائره مذبوحاً ، وقال : لقد ذبحته فى مكان لا يرانى فيه أحد .

ما عدا هذا التلميذ الأثير عند شيخه فقد عاد بطائره غير مذبوح ، فقال له الشيخ أمام التلاميذ : لماذا لم تذبح طائرك كما ذبحوا ؟

فقال التلميذ : يا سيدى لقد أمرتنى أن أذبحه بحيث لا يرانى أحد ، ولم أجد موضعاً لا يرانى الله فيه . .

إن المراقبة لها سر عظيم وأثر كبير ، وللعلماء فى الحديث عنها دقائق ورقائق . . ومن ذلك ما يقوله بعضهم : إذا جلست للناس فكن واعظاً لقلبك ولنفسك ، ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله ـ تعالى ـ يراقب باطنك .

ومن أقوالهم : علامة المراقبة إيثار ما آثر الله ـ تعالى ـ وتعظيم ما عظم الله ـ تعالى ، وتصغير ما صغر الله . .

إن حظ العبد من اسم الله الرقيب أن يداوم على مراقبة الله فى انفراده واجتماعه مع الناس . وأن يضبط قلبه وحواسه فى صلاته ، مستحضراً حقيقة قوله ـ تعالى ـ إياك نعبد وإياك نستعين »

إن الشيطان يلعب بالانسان فى الصلاة محاولاً صرفه عن مناجاة مولاه ، فيشرد ذهنه فى الصلاة ، فلا يدرى كم صلى وكم سبح ؟

وذلك بلاء يقع فيه كثير من الناس ، ولا ينجو منه إلا من راقب الله واستحضر عظمته . نرجو الله أن يؤدبنا بأدبه ، ويمن علينا بعفوه ، وأن ينعم علينا بنعمة مراقبته وخشيته ، حتى نتمكن من ضبط الحواس وتنقية القلب واستقامة العقل .

الذكر فى ظل هذا الاسم

قال أحد الشعراء :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل علىَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب ... وأن غداً للناظرين قريب ؟

وهذا الاسم يصلح أن يذكره العبد بقلبه ، بمعنى أن يعيش فى ظله بروحه وعقله ، حتى يصبح بذلك فى ذكر دائم لا يفتر ، ويرتفع بذلك إلى ما يسمى بمقام المراقبة أو مقام الاحسان الذى يعبد الانسان ربه فى ظله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه . .

إن هذه المراقبة تثمر الحياء من الله ، والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول : « استحيوا من الله حق الحياء » .

قالوا : إنا نستحى يا نبى الله ، والحمد لله .

قال : « ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وأن تذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » .

وقال بعض العلماء : من ذكر هذا الاسم فى سفر ، حفظه الله وحفظ أهله وولده فى غيبته . فليقرأ العبد قوله ـ تعالى ـ

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ (٥٤٠)

ومن قرأ هذا الاسم على جنين سلّمه الله . .

قال الشاعر أحمد مخيمر :

لك الحمــد ربى ، خلقــت الوجــود ... وأنـــت عليــه حفيــظ رقيــب

فلا الأرض تغفــل عن سيرهـــا ... ولا الشمــس فى كل صبـح تغيــب(٥٤١)

---

(٥٤٠) الحديد ٤

(٥٤١) أسماء الله الحسنى لأحمد مخيمر صـ ٦٤


المجيب
الواسع * الودود
المجيد * الباعث
الشهيد * الحق
الوكيل

المجيب

جاء اسم المجيب في قوله - تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (٥٤٢)

وفي قوله - تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٥٤٣)

ويفهم أيضا من قوله - تعالى :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٥٤٤)

ومن قوله - تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ (٥٤٥)

---

(٥٤٢) هود ٦١

(٥٤٣) الصافات ٧٥

(٥٤٤) النمل ٦٢

(٥٠٥) البقرة ١٨٦

ومن قوله ـ تعالى :

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ (٥٤٦)

قال صاحب لسان العرب : المجيب هو الذى يقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول ـ وهو الحق سبحانه وتعالى ـ

وهو اسم فاعل من أجاب يجيب .... والجواب معروف وهو : رد الكلام .

والفعل : أجاب يجيب .. قال ـ تعالى ـ

« فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى » أى فليجيبونى .

والمصدر الإجابة ، والاسم الجابة مثل الطاعة والطاقة ، من أطاع وأطاق .

والاجابة والاستجابة بمعنى . يقال : استجاب الله دعاءه وأجاب .

والمجيب فى حق الله ـ تعالى ـ هو الذى يقابل مسألة السائلين بالاسعاف ، ودعاء الداعين بالاجابة ، وضرورة المضطرين بالكفاية ، بل

---

(٥٤٦) آل عمران ١٩٥

ينعم قبل النداء ، ويتفضل قبل الدعاء ، يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم ، وقد علم ذلك أزلا فدبر أسباب كفاية الحاجات .

والله ـ سبحانه ـ ندب عباده لدعائه ، ووعدهم الإجابة فقال :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٥٤٧)

والدعاء هو مخ العبادة كما يقول العلماء ، وهو مفتاح الحاجة ومستروح أصحاب الفاقات ، وملجأ المضطرين ومتنفس ذوى المآرب .

وقد ذم الله قوما تركوا الدعاء فقال :

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (٥٤٨)

فقبض الأيدى كناية عن ترك الدعاء .

وعاب على قوم تركوا الدعاء عند البأساء فقال فى حقهم « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون » .

والله ـ سبحانه ـ يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم ، ومن حكمته أنه

(٥٤٧) غافر ٦٠

(٥٤٨) التوبة ٦٧

قضى منذ الأزل أن قضاء الحاجات متوقف فى بعض الأحيان على خالص الدعوات .

والله ـ سبحانه ـ ضمن الإجابة للإنسان فى الوقت الذى يريده الله ـ جلت قدرته ـ لا الوقت الذى يريده العبد ، فعلى الانسان ألا يجزع لتأخر الاجابة فقد يكون فى ذلك الخير له .

ولاجابة الدعاء شروط ـ أهمها طيب المطعم ، وقد مرت بنا وصية النبى ـ ﷺ ـ لسعد بن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ حين قال له : ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة .

والله يحب أن يسمع صوت دعاء عباده إياه ، خصوصا إذا كانوا من المقربين إليه . يقول ـ عز وجل ـ لجبريل : ياجبريل أَخِّر حاجة عبدى فإنى أحب أن أسمع صوته ، وهذا كله حسب مشيئته تعالى . . .

وقد يكون الداعى من المبغضين ، فيقول الله لجبريل : ياجبريل اقض لعبدى حاجته فإنى أكره أن أسمع صوته .

التخلق بهذا الاسم

إن التخلق بأدب هذا الاسم يعنى الافتقار إلى الله والخضوع له ، ولزوم الوقوف ببابه واللجوء إليه فى كل صغيرة وكبيرة ، ولقد ورد أن الله أوحى إلى موسى قائلا : يا موسى سلنى كل شىء حتى الملح .

وهو أمر يدل على مدى فاقة العبد لربه وشدة حاجته اليه . . وعلمه بأن كل شىء بيده سبحانه ، وأن اللجوء إليه فى المهام الكبيرة كاللجوء إليه فى المهام الصغيرة .

ومقتضى التأدب بهذا الخُلُق أن يعين الانسان غيره ويجيب طلبه ، ويقضى حاجته ، ولا يرد السائل ولا ينهر المحتاج .

وعليه أن يستجيب لأمر الله بإطاعة أوامره وترك نواهيه قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٥٤٩)

التذكر بهذا الاسم :

الدعاء بهذا الاسم يثمر سرعة الإجابة إن شاء الله ، ومن أدام الذكر به أجاب الله دعوته بشرط الصلاح والتقوى والورع ، مع وجوب الرضا بالقضاء والقدر . .

حكى عن الليث أنه قال : رأيت ابن نافع ضريراً ثم رأيته بصيراً فقلت له : بم رد عليك بصرك ؟ فقال : جاءنى فى المنام من قال لى : قل ياقريب ، يامجيب ، ياسميع الدعاء ، يالطيفا لما يشاء ، رد على بصرى فقلتها فرد الله علىَّ بصرى . .

ومن دعاء الصالحين :

« يا ألله يا سميع يا قريب يا مجيب يا ودود حُلْ بيننا وبين فتنة الدنيا

---

(٥٤٩) الأنفال ٢٤

والنساء والغفلة والشهوة وظلم العباد وسوء الخلق ، واغفر لنا ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا واكشف عنا السوء ونجنا من الغم واجعل لنا منه مخرجا . إنك على كل شيء قدير » .

ومن أدعية الصالحين أيضا :

« يارب يا ألله ، يا عظيم يا كريم يا سميع يا بصير يا قريب يا مجيب يا ألله ، أعوذ بك من الفتن ماظهر منها وما بطن ، وأعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، وأعوذ بك من الفقر إلا إليك ومن الذل إلا لك ومن الخوف إلا منك ، وأعوذ بك أن أقول زوراً أو أغشى فجوراً أو أصبح مغروراً »

الواسـع

ورد اسم الواسع فى قوله - تعالى - :

﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٥٥٠)

وقوله - تعالى :

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٥٥١)

وقوله - تعالى :

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ (٥٥٢)

ورحمة الله واسعة .. قال سبحانه :

﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ

---

(٥٥٠) النجم ٣٢

(٥٥١) آل عمران ٧٣

(٥٥٢) النساء ١٣٠

أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ (٥٥٣)

وقال :

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ
ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ (٥٥٤)

ويشير هذا الاسم إلى اتساع ملك الله ـ قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ
﴿١١٥﴾ ﴾ (٥٥٥)

وقال سبحانه :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (٥٥٦)

---

(٥٥٣) الاعراف ١٥٦
(٥٥٤) الأنعام ١٤٧
(٥٥٥) البقرة ١١٥
(٥٥٦) البقرة ٢٥٥

يقول بعض العلماء : الواسع هو الذى لا حدود لمدلول أسمائه وصفاته ، فهو تعالى واسع العلم ، واسع الرحمة ، واسع المغفرة ، واسع الملك » . . . . . . لا نهاية لسلطانه ، ولا حد لإحسانه ، فلا يُحَدُّ غناه ، ولا تنفد عطاياه ، ولا يشغله معلوم عن معلوم ولا شأن عن شأن . . سبحانه . وسع بعلمه جميع المعلومات ، وبقدرته جميع المقدورات فهو واسع العلم والسلطان والغنى والقدرة والإحسان .

وقال ابن منظور فى لسان العرب : فى أسمائه - سبحانه وتعالى - الواسع وهو الذى وسع رزقه جميع خلقه ، ووسعت رحمته كل شىء ، ووسع غناه كل فقر .

قال ابن الأنبارى : الواسع من أسماء الله ، الكثير العطاء الذى وسع كل شىء بعلمه .

وقيل : الواسع المحيط بكل شىء من قوله - تعالى : « وسع ربى كل شىء علما » قال أحد الشعراء يمدح نفسه بكثرة العطاء :

« أعطيهم الجهد منى بَلْهَ ما أسع » .

معناه أعطيهم مالا أجده إلا بالجهد ، فدع ما أحيط به .

قال : وقال أبو إسحاق فى قوله - تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ (٥٥٧)

أينما تولوا فاقصدوا وجه الله بتيممكم القبلة ، إن الله واسع عليم . .

---

(٥٥٧) البقرة ١١٥

والسعة نقيض الضيق . والفعل وسع بكسر العين ، والمضارع يسَع
ويسِعُ بفتح العين وكسرها ـ والمصدر سَعَةً .
وقد يأتى مضموم العين فى الماضى تقول : وَسُع ومصدره وَسَاعةً .
أما قوله :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ ﴾ (٥٥٨)

فقال بعضهم : الأيد معناه . القدرة والقوة . وموسعون أى قادرون .
وقال بعضهم : أى جعلنا بينها وبين الأرض سعة .
وقال بعضهم : إنا لموسعون الرزق على عبادنا . .
هذا بعض ما تحدث به اللغويون حول مدلول هذا الاسم الكريم
أما غير أهل اللغة من العلماء فيقولون :
الواسع الذى لا نهاية لبرهانه ولا غاية لسلطانه .
وقالوا : هو الواسع فى علمه فلا يجهل ، والواسع فى قدرته فلا يعجل .
وقالوا : هو الواسع الذى لا يعزب عنه أثر الخواطر فى الضمائر .
وقالوا : الواسع الذى فضله شامل ونواله كامل .
أما سعة علمه فيشهد له قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ

(٥٥٨) الذاريات ٤٧

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (٥٥٩)

وقوله ـ :

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (٥٦٠)

وقوله تعالى ـ :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (٥٦١)

أما سعة عطائه فيشهد لها قوله ـ تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (٥٦٢)

وأما سعة رحمته وفضله وعفوه فيشهد لها قوله ـ تعالى ـ

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا

---

(٥٥٩) البقرة ٢٥٥
(٥٦٠) الأنعام ٨٠
(٥٦١) الكهف ١٠٩
(٥٦٢) البقرة ٢٦١

﴿ فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ ﴾ (٥٦٣)

وأما سعة ملكه فيشهد له قوله تعالى -

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ (٥٦٤)

التخلق بأدب هذا الاسم :

قال العلماء : إن حظ العبد من اسم ربه الواسع - جل جلاله - أن يتخلق بالعلم والحكمة والرحمة . .

ومن الواجب على ذاكر هذا الاسم أن يسع الناس بالجود بقدر ماأعطاه الله ، فيقضى لهم مصالحهم ، وأن يسعهم بالخلق الطيب فيحسن معاملتهم ، جاء فى الأثر : « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم »

وسعة الصدر من الصفات التى يصفون بها المؤمن لحلمه وعفوه ، وهى تعنى عدم التسرع ، وضبط النفس ، وعدم الغضب ، وهذه منحة من الله يمن بها على من يشاء من عباده .

---

(٥٦٣) غافر ٧

(٥٦٤) البقرة ٢٥٥

ومن دلائل التخلق بهذا الاسم أن يدعو الإنسان لنفسه ولغيره من المؤمنين ، ولايخص بالدعاء نفسه أو أقاربه . . وقد أرشدنا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى كيفية الصلاة عليه أن نعم ولانخصص ، فقد ورد فى الجامع الصغير عن أبى هريرة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «صلوا علىَّ وعلى أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثنى»

وجاءه رجل أعرابى فقال : اللهم ارحمنى ومحمدا ولاترحم أحدا معنا ، فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لقد حجرت واسعا .

وقد دعانا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن نوسع على غيرنا مادام الله قد وسع علينا . .

ومن آداب التخلق بهذا الاسم أن يسعى الإنسان فى تنمية علمه ، وتوسيع مداركه ، وزيادة معلوماته ـ وقد طلب الله من نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعو ربه بذلك فقال :

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (٥٦٥)

الدعاء بهذا الاسم :

ومن أثر هذا الاسم فى الدعاء أن ذاكره يرزقه الله الغنى والجاه وسعة الصدر والسلامة من الغل والحرص ، ويجعل له من ضيقه فرجا ، ومن

---

(٥٦٥) طه ١١٤

عسره يسرا . .

ومن الدعوات بهذا الاسم :

« اللهم إنك تعلم أنى بالجهالة معروف ، وأنت بالعلم موصوف ، وقد وسعت كل شيء من جهالتى بعلمك ، فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك واغفر لى إنك على كل شيء قدير »

« ياألله ياملك ياوهاب ، هب لنا من نعماك ماعلمت لنا فيه رضاك ، واكسنا من لدنك كسوة تقينا بها من الفتن فى جميع عطاياك ، ونزهنا عن كل وصف يوجب نقصا مما استأثرت به فى عملك عمن سواك » .

« إلهى أنت الواسع الذى وسعت كل شيء ، وحيرت عظمتك كل حكيم عالم ، حيرتنا فى الوسعة المحدودة ، فكيف تكون سعة أنوارك وصفاتك ؟ غمرت العاصين بنعمتك ، ووسعت الموجودات بقدرتك ، ووسعت الجانى بعفوك الشامل ، ووسعت الضعفاء برزقك الواصل . .

أما الشاعر أحمد مخيمر فيقول فى مناجاته فى ظل هذا الاسم :

جل ربى وسعت رحمته كل شيء سعة ليست تحد
واسع النعمة لاتحصى ولا هى من كثرتها مما يعد
واسع الغفران إن جاء إلى بابه المقصود عاص لايرد
واسع الحلم على قدرته واسع العلم ، وما للعلم حد .

أما صاحب منظومة أسماء الله الحسنى فيدعو ربه قائلا :

أجب لدعانا يامجيب بسرعة وياواسع وَسِّع لنا فيض رحمة

[الحكيم]

جاء فى لسان العرب : الله ـ سبحانه وتعالى : أحكم الحاكمين ، وهو الحكيم الذى له الحكم .

ومن صفات الله ـ تعالى : الحَكَم والحكِيم والحاكم . ومعانى هذه الأسماء متقاربة والله أعلم بما أراد بها ، وعلينا الإيمان بأنها من أسمائه .

أما ابن الأثير فيقول : من أسماء الله الحكم والحكيم وهما بمعنى الحاكم ، وهو القاضى ، فهو فعيل بمعنى فاعل ، أو هو الذى يحكم الأشياء ويتقنها ، فهو فعيل بمعنى مُفْعِل .

فالحكيم ذو الحكمة . والحكمة معناها معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم .

والحكم : العلم والفقه ، وقد تفضل الله بهما على بعض خلقه ، فقد جاء فى حق يحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۢ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ (٥٦٦)

أى آتيناه علما وفقها .

وجاء فى الأثر : « الصمت حكم وقليل فاعله » كما جاء قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ان من الشعر لحكما » أو حكمة .

وجاءت الحكمة من حَكَم الشيء وأحكمه إذا منعه من الفساد .

---

(٥٦٦) مريم ١٢

جاء فى أقوال العرب ، حَكّم اليتيم كما تُحكّم ولدك . أى امنعه من الفساد كما تمنع ولدك . ومنه حكمة الدابة : وهى الآلة التى تمنع الدابة من الجموح .

ولفظة الحكيم مبالغة من الحكمة تفيد تعظيم الحق - جل وعلا - فى حكمته التى تدق عن الأفهام ، وتجل عن التصور فى الأذهان .

الحكيم فى القرآن :

وقد جاء اسم الله الحكيم فى القرآن فى مواضع كثيرة تفوق المائة موضع .

جاء فى كثير منها مقترنا باسمه العزيز . . وذلك فى نحو قوله - تعالى -

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (٥٦٧)

وفى قوله - تعالى -

﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴾ (٥٦٨)

وقوله تعالى -

---

(٥٦٧) البقرة ١٢٩

(٥٦٨) البقرة ٢٠٩

﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (٥٦٩)

وغير ذلك من الآيات .

وجاء فى بعضها مقترنا باسمه العليم مثل قوله ـ تعالى ـ

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٥٧٠)

وقوله تعالى ـ

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٥٧١)

وغير ذلك من الآيات .

وجاء فى بعضها مقترنا باسمه الخبير مثل قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ (٥٧٢)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن

---

(٥٦٩) النساء ١٦٥
(٥٧٠) البقرة ٣٢
(٥٧١) التوبة ٢٨
(٥٧٢) الأنعام ١٨

فَيَكُونُۚ قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٥٧٣)

وجاء فى بعضها مقترنا باسمه التواب قال - تعالى -

﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (٥٧٤)

وجاء فى بعضها مقترنا باسمه الحميد - قال تعالى - :

﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٥٧٥)

وجاء فى بعضها مقترنا باسمه العلى - قال - تعالى -

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (٥٧٦)

وجاء مقترنا باسمه الواسع - قال تعالى - :

﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ ﴾ (٥٧٧)

وجاء فى صيغة التفضيل فى قوله تعالى :

---

(٥٧٣) الأنعام ٧٣
(٥٧٤) النور ١٠
(٥٧٥) فصلت ٤٢
(٥٧٦) الشورى ٥١
(٥٧٠) النساء ١٣٠

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (٥٧٨)

وفى قوله تعالى -

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (٥٧٩)

ولأن القرآن كلام الله فقد وصفه الله بما وصف به ذاته فقال

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ (٥٨٠)

وقال :

﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ (٥٨١)

وقال :

﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٥٨٢)

ووصف الله أمره بأنه حكيم . فقال :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (٥٨٣)

---

(٥٧٨) هود ٤٥
(٥٧٩) التين ٧ ، ٨
(٥٨٠) يسن ١
(٥٨١) الزخرف ٤
(٥٨٢) آل عمران ٥٨
(٥٨٣) الدخان ٣ ، ٤

وإذا كنا قد تعرضنا لأقوال اللغويين فى معنى الاسم الشريف ، فله عند غيرهم من العلماء معان ودلائل .

قال الإمام الغزالى ـ رحمة الله ـ : لايعرف حقيقة الله إلا الله فيلزم أن يكون الحكيم الحق هو الله ، لأنه هو الذى يعلم أصل الأشياء بعلمه الأزلى الدائم الذى لايتصور أحد زواله . ولاتتطرق إليه شبهة أو خفاء .

ذلك لأن الحكمة هى معرفة أفضل المعلومات بأفضل العلوم ، وعلى ذلك فالحكيم هو العليم . .

وقد تفضل الله بالحكمة على من يشاء من عباده فقال :

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (٥٨٤)

واختلف العلماء حول مفهوم الحكمة فى تلك الآية اختلافا يشير الى دقة مرماها وعمق معناها .

فقال بعضهم : هى هنا فى الآية : النبوة ، وقال بعضهم : هى المعرفة بالقرآن ، وقال بعضهم : هى العقل فى الدين ، وقال بعضهم : هى الطاعة . .

وقالوا غير ذلك . وإذا كان هذا التنوع والاختلاف حول حكمة البشر التى يفيضها الله على بعض عباده فما بالكم بحكمة الله ؟ إنها فوق التصور والاعتبار . .

---

(٥٨٤) البقرة ٢٦٩

لقد قال بعض العلماء : الحكيم وهو المقدس المنزه عن فعل مالاينبغى . وحقا ذلك فما من شيء خلقه الله إلا وفق حكمة عليا وغاية مثلى . . قال تعالى :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٥٨٥)

وقال

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (٥٨٦)

وقال

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (٧٨٧)

سبحانه هو ذو الحكمة البالغة الذى يضع كل شيء موضعه . . . . ومن معانى الحكيم المحسن فى التدبير ، اللطيف فى التقدير ، الخبير بحقائق الأمور العليم بحكمة المقدور ، الذى لا علة له فى تدبيره ولا أغراض ، وليس على فعله اعتراض . .

وإذا كان الحكيم بمعنى المتقن ـ فقد ظهر أثر ذلك فى خلقه الذى أبدعه وأتقنه . . قال تعالى :

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٥٨٨)

---

(٥٨٥) القمر ٤٩
(٥٨٦) الحجر ٢١
(٥٨٧) المؤمنون ١١٥
(٥٨٨) النمل ٨٨

وتجلى ذلك واضحا فى الإنسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم ، كما ظهر فى كل شيء مما يقع تحت الحس والمشاهدة من نجوم وأقمار ، وشموس وبحار ، وأنهار وأشجار ، ووحوش وطيور ، وغير ذلك مما لا يحصيه العد ولا يحيط به الحصر

ومظهر الحكمة البالغة سيدنا محمد - ﷺ - الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا . وهو الذى يقول الله فى حقه :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾(٥٨٩)

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إذا كان الله قد مَنَّ علينا برسولنا الذى يعلمنا الحكمة فعلينا أن نتأدب بأدب هذا النبى الكريم ، ونتخلق بأخلاقه ونتبع نهجه .

وقد أرشدنا النبى - ﷺ - إلى ضروب من الحكمة نتبعها . . . . . ومن ذلك الحكم - الصمت - فالصمت حكم وقليل فاعله » فقلة الكلام حكمة . . كما علمنا - ﷺ - أن نتقن أعمالنا والإتقان حكمة ، وقال فى ذلك « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » وذكر لنا أن أساس الحكمة خشية الله ، وقال فى ذلك « رأس الحكمة مخافة الله »

واذا كان الحكيم هو الذى ينظر فى مستقبل أيامه ، ويدبر لأخراه كما يدبر

---

(٥٨٩) الجمعة ٢

لدنياه ، فقد وجب على المؤمن أن يأخذ من دنياه لآخرته ومن صحته لمرضه ، ومن شبيبته لشيبه ، ومن قوته لضعفه .. ومن فعل ذلك فقد أصبح حكيما حقا ، وكان ممن عناهم الله بقوله

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ (٥٩٠)

ومن الحكمة شكر الله مصداقا لقوله ـ تعالى ـ

﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ (٥٩١)

الدعاء فى ظل هذا الاسم

من ذكر الله بالدعاء ذكره الله بالعطاء .

قال العلماء : من أكثر من ذكر الحكيم تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، وفهم أسرار المعانى ولطائف الأمور .

ومن الأدعية فى ذلك ما استشهد به د . أحمد الشرباصى ـ من كتاب الأنوار القدسية :

« إلهى إنك تجليت بنور اسمك الحكيم ، فأبرزت فى كل مخلوق حكما جليلة ، وأظهرت فى كل كائن فضيلة ، فكل شىء لحكمة ، وكل بلية فى

---

(٥٩٠) البقرة ٢٦٩

(٥٩١) لقمان ١٧

طيها نعمة . . أرسلت الرسل بالأحكام وكلها حكم ، وقدرت الأرزاق من خزائن الكرم ، فأنت الباسط لحكمة خفية ، وأنت القابض برحمة إلهية .

« أشرق على قلبى بأنوار الحكيم ، وعلمنى من أسرار الخبير العليم ، حتى تنفجر الحكمة من قلبى على لسانى ، فتداوى نفسى من المرض النفسانى ، وَأَظْهَرُ بين العباد بالحكمة ، وأتحلى بينهم بالرحمة إنك على كل شيء قدير . . »

ومن دعاء بعض الصالحين :

« يا شديد البطش يا جبار يا قهار يا حكيم ، نعوذ بك من شر ما خلقت ونعوذ بك من ظلمة ما أبدعت ، ونعوذ بك من كيد النفوس فيما قدرت وأردت ، ونعوذ بك من شر الحساد على ما أنعمت ، ونسألك عز الدنيا والآخرة كما سألك نبيك سيدنا محمد - ﷺ - عز الدنيا بالإيمان والمعرفة ، وعز الأخرة باللقاء والمشاهدة ، إنك سميع قريب مجيب »

ومن مناجاة الشاعر أحمد مخيمر فى ظل هذا الاسم الشريف :

حكيم ، عليم بالوجود ، محرك لأفلاكه ، مُعْلٍ سمواته السبعا
دعا كل مافيه فأحسن خلقه بحكمته العليا وأبدع صنعا
ومهد فيه الأرض مهداً وربوة ونضرها روضا وفجرها نبعا
فسبح حتى الوحش فى ظل غابة وظبى الفلا فى البيد ، والذئب فى المرعى(٥٩٢)

وقال آخر :

إن الحكيم الذى ميزانه أبدا بالرفع والخفض منعوت وموصوف

---

(٥٩٢) أسماء الله لأحمد مخيمر صـ ٦٨

يرتـب الأمـر ترتيبـا يريـك بـه   علمـا ، وفيـه إذا فكـرت تعريـف
بأنـه اللـه فـرد ، لا شـريك لـه   فـى ملكه ، ولـه فـى الخلـق تصريـف
ميزانـه الحـق لا خسـران يلحقـه   ولا يقوم بـه فـى الـوزن تطفيـف(٥٩٣)

(٥٩٣) هامش أسماء الله لأحمد مخمير صـ٦٨

الـودود

ورد اسم الودود فى القرآن الكريم مرتين فى قوله - تعالى - :

﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾(٥٩٤)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾(٥٩٥)

قال العلماء : فى معنى اسم الله « الودود » . . هو الودود لأهل طاعته والراضى عنهم والمحسن إليهم ، والمادح لهم ، والجاعل بينهم مودة ومحبة .

وقالوا أيضا : هو المستحق للثناء والحمد لكثرة آلائه ورحمته الواسعة ، ولكن الإعراض يكون منهم لما ركب فى طبائعهم من غرور ، ولاستجابتهم لما يدعوهم إليه الشيطان الرجيم من نفور . .

ولنتدبر ما قاله اللغويون حول مادة هذا الاسم ومعناه .

جاء فى لسان العرب : الود مصدر ود ، وهو المودة ، والود - هو الحب ، ويكون فى جميع مداخل الخير .

ويدخل الود فى معنى الأمنية ، فإنك تقول : وددت الشيء أوده بمعنى أتمناه . ومن ذلك قوله - تعالى

﴿ « يود أحدهم لو يعمر ألف سنة »(٥٩٦) أى يتمنى .

---

(٥٩٤) هود ٩٠

(٥٩٥) البروج ١٣ ، ١٤

(٥٩٦) البقرة ٩٩

ووادّه - أى أحبه ، وبينهما مودة وود أى حب . ومن ذلك قوله - تعالى
. « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى »

أى لا أسألكم أجرا على تبليغ الرسالة ولكنى أذكركم المودة فى القربى ، يعنى بسبب القرابة . وقال ابن الأنبارى - فيما يحكيه ابن منظور عنه - : الودود فى أسماء الله - تعالى -

المحب لعباده ، من قولك : وددت الرجل أوده ودا ووداداً ووداداً - بفتح الواو وكسرها -

وهو عند ابن الأثير فعول بمعنى مفعول ، فالودود يعنى المحبوب لأنه مودود فى قلوب أوليائه .

وقد يكون بمعنى فاعل - أى أنه - تعالى - يحب عباده الصالحين ويرضى عنهم . .

وقد وردت هذه المادة فى القرآن الكريم دالة على ما يفيد الحب والتمنى ، ومن ذلك قوله - تعالى -

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٩﴾ (٥٩٧)

أى تمنوا وأحبوا ذلك ومن ذلك قوله - تعالى -

---

(٥٩٧) البقرة ١٠٩

﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩) ﴾ (٥٩٨)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) ﴾ (٥٩٩)

أى تتمنى .. والمودة هى الحب والصداقة ، ومن ذلك قوله ـ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) ﴾ (٦٠٠)

وإن كان ابن الأعرابى ـ فيما يحكيه لسان العرب ـ قد فسر المودة هنا بالكتاب ـ ولعله فهم ذلك من مناسبة النزول حيث أرسل حاطب بن أبى بلتعة كتابا لزعماء قريش يحذرهم فيه من فتح النبى ـ ﷺ ـ مكة .. فنزلت هذه الآية ..

---

(٥٩٨) النساء ٨٩

(٥٩٩) آل عمران ٣٠

(٦٠٠) الممتحنة ١

وتفسير ذلك بالحب أولى لأنها جاءت فى نفس السورة فى مقابلة العداوة - فى قوله - تعالى -

﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ ﴾(٦٠١)

ومن كلام بعض العلماء فى معنى هذا الاسم الشريف أنه يشير إلى حب الله لعباده وتقريبهم إليه بشتى النعم والفوائد . فإذا كانوا طائعين ازدادت محبته لهم وتعطفه عليهم وبره بهم .

وَوُدّ الله - بمعنى عطفه على عباده ليس مقصورا على أهل طاعته ، بل يمتد إلى الخلق جميعا - مسلمين وكافرين - بدليل رزقه للخلق أجمعين .

ألم يقل الله - عز وجل - فى حديث قدسى : « يا بن آدم إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى ، وإن ذكرتنى فى ملأ ذكرتك فى ملأ خير منهم ، وإن دنوت منى شبـ دنوت منك ذراعا ، وإن دنوت منى ذراعاً دنوت منك باعا ، وإن أتيتنى تمشى أتيتك هرولة »(٦٠٢) ؟

ويرى الفخر الرازى أن الودود بثلاثة معان : أحدها بمعنى الواد ، والود بهذا التفسير قريب من الرحمة ، فالَوادّ أى الراحم . والإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود .

والثانى أن يُودِّد أولياءه إلى خلقه كما قال سبحانه

---

(٦٠١) الممتحنة ٧

(٦٠٢) رواه احمد ، وعبد بن حميد عن أنس-الاتحافات السنية للمناوى ص ٢٣٤

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ (٦٠٣)

والثالث : أن يكون بمعنى مفعول - فالله تعالى هو مودود أحبابه ومحبوب أوليائه لكثرة وصول إحسانه إليهم .

وقال بعض العلماء : الودود الذى إذا أحبك قطعك عن الشرور ، وأزال عن قلبك ملاحظة الرسوم والآثار . .

وما أحس أحد حلاوة المحبة إلا قُطِع عن قلبه علائق الالتفات إلى غير المحبوب . والمولى - جل وعلا - مايزال يتألف قلوب عباده بالإحسان إليهم حتى يزدادوا قربا منه ومحبة له . لالحاجته إليهم . بل تفضلا منه وتكرما .

وصدق ابن عطاء الله فى حكمته حيث يقول : « إن لم تحسن ظنك به لأجل وصفه ، فأحسن ظنك به لحسن معاملته معك ، فهل عودك إلا حسنا ، وهل أسدى إليك إلا نعما ؟ »

وعلق شارح الحكم على هذه الحكمة بقوله :

« قال الشيخ . أبو الحسن الشاذلى : إنا لانحب إلا الله .

فقال رجل : إن رسول الله - ﷺ - يقول : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها »

فقال أبو الحسن : إنا لانرى محسنا إلا الله - تعالى - ولانحب سواه . . . . وحديث المصطفى - ﷺ - يقول : « أحبوا الله لما يغدوا بكم من نعمة ،

---

(٦٠٣) مريم ٩٦

وأحبونى بحب الله ، وأحبوا أهل بيتى بحبى »

ومازال الصالحون يحبون الله ويؤثرون حبه على ماعداه لإحسانه إليهم وافتقارهم إليه وغناهم به .. تقول رابعة العدوية فى أغاريدها :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بحبك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولاذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

إنها المناجاة التى يثمرها الحب العظيم الذى استولى على قلوب العارفين الذين أحسوا نعمة هذا الحب ، لقد رباهم الودود على عينه وأذاقهم حلاوة مناجاته . ولذلك ورد فى بعض الآثار أن الله يقول : إن أقل ما أفعله بعبدى إذا مال إلى الدنيا أن أسلبه لذة مناجاتى .

قال ابن القيم - فيما يحكيه عنه . د أحمد الشرباصى - : إن العبد المناجى لربه إذا صفا حاله من الشوائب خلصت له حلاوة المناجاة من الأكدار ، ويشير إلى أن هذا التذوق له ارتباط ما بأسماء الله الحسنى ، ومايصادف القلب من دلالاتها وكشف معانيها . ... فمن تأمل فى اسم الودود مثلا ، وكُشِف له عن معانى هذا الاسم ولطفه ، وتعلقه بظاهر العبد وباطنه ، كان الحاصل له من أدب هذا الاسم أمرا عظيما ، إذ يجد نفسه منساقة إلى حب الله ورسوله ، وإلى حب من يحب الله ورسوله ، وإلى حب المرء لايحبه إلا لله . . .

كيف يتخلق المؤمن بهذا الاسم ؟

قال بعض العلماء: اللائق بذاكر هذا الاسم أن يحب الخير لجميع الخلق ، فيحب للعاصى التوبة ، وللصالح الثبات فى تقواه ، وأن يكون ودوداً لعباد الله ، فيعفو عمن أساء إليه ، وأن يكون لين الجانب لجميع الناس لاسيما أهله وعشيرته ، قال - ﷺ - « إن أردت أن تسبق المقربين فَصِلْ من حرمك واعف عمن ظلمك »

وقال : « نظر الرجل لأخيه على شوق خير من اعتكاف سنة فى مسجدى هذا »

وقد أخذ الشيخ حسن رضوان معنى الحديث الشريف فنظمه شعرا فقال :

وَمَنَ على صدق اشتياقه نظر	إلى أخيه نظرة فاق البشر
وكان مثل من بصدقه اعتكف	عاماً بمسجد النبى ذى الشرف
فكل مؤمن له شفاعة	مقبولة فى أمر هول الساعة[٦٠٤]

الذكر فى ظل هذا الاسم

من استدام ذكر هذا الاسم وعمل بمعناه أحبه الناس وأقبلوا عليه ، وكثر ود الناس لهم فى القلوب نظراً لكثرة دوران اسم الودود على ألسنتهم . واتصافهم بمايعنيه هذا الاسم .

---

(٦٠٤) روض القلوب المستطاب للشيخ حسن رضوان

وذكر بعض العلماء أن من وقع فى مأزق فصلى ركعتين وقال فى دعائه : « اللهم ياودود ، ياذا العرش المجيد ، يامبدى ، يامعيد ، يافعالا لمايريد ، أسألك بنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك ، وبقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك ، وبرحمتك التى وسعت كل شيء ، لا إله الا أنت ، ياغياث المستغيثين ، أغثنى - كتب الله له الخير ، وهيأ له مخرجا مما وقع فيه . .

وذكر الدميرى فى كتاب حياة الحيوان دعاء ورد فى بعضه هذا الاسم قال فيه : « اللهم ياغنى ياحميد ، يامبدىء يامعيد ، ياودود ، ياذا العرش المجيد يافعالا لمايريد ، اكفنى بحلالك عن حرامك ، واغننى بفضلك عمن سواك ، واحفظنى بما حفظت به عبادك الصالحين ، وانصرنى بما نصرت به الرسل إنك على كل شيء قدير »

وقال : من داوم على قراءته بعد كل صلاة ، خصوصا صلاة الجمعة - حفظه الله من كل مخوف ، ونصره على أعدائه وأعفاه ورزقه من حيث لايحتسب ، ويسر عليه معيشته ، وقضى عنه دينه[٦٠٥] . . . ومن منظومة أسماء الله الحسنى :

حكيم فهبنا منك أسرار حكمة ودود تولنـــا بعـــين المحبـــة

وللشيخ الميرغنى صاحب هذه المنظومة دعاء أيضا باسم الودود . جاء فيه : -

« اللهم ياودود ، أنت الذى أعلنت سر المودة والمحبة فى قلوب عبادك الصالحين ، وأنت الذى أكملت ذوات الطالبين بنور الأنوار ، وتجليت بالعز

---

(٦٠٥) اقرأ الدعاء بتمامه فى حياة الحيوان حـ ٢ صـ ٨٠ باب الشاة

الدائم والنور القائم ، فأجليت الأكوان وأظهرت الإنسان ، وتجليت باسمك الودود الملقى على الأرواح المؤمنة المتوادة . . . . اللهم إنى أسألك بنور ودك الذى ألقيته على أنبيائك وأصفيائك وأوليائك أن تلقى ودى ومحبتى فى قلوب عبادك أجمعين ، كما ألقيت الوحى على عبدك ونبيك محمد - ﷺ - . . . . . . »

المجيد

قد يصف الناس الرجل الكريم بأنه ماجد ، وعلماء اللغة يقولون : المجد . المروءة والسخاء ، والمجد : الكرم والشرف ، أو هونيل الشرف ، وقالوا : لايكون المجد إلا بالآباء ، بل قالوا : المجد كرم الآباء خاصة ، وهو الأخذ بقدر عظيم من الشرف والسؤدد . . .

هذا بالنسبة للناس . . . .

ولكن المجيد الذى هو من أسماء الله ـ تعالى ـ له معنى آخر أشار إليه اللغويون أيضا . فقالوا : هو الكريم المفضال الذى تَمَجَّدَ بفعاله ومَجَّدَه خلقه لعظمته . . .

والمجيد هو الرفيع ، وهو الكريم . . . .

والمجيد فى حق الله أيضا ـ هو الذى انفرد بالشرف الكامل والملك الواسع منذ الأزل . . . . . وقد جاء لفظ المجيد فى القرآن الكريم وصفا لله فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٦٠٦)

وجاء وصفا له أو لعرشه فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ (٦٠٧)

---

(٦٠٦) هود ٧٣

(٦٠٧) البروج ١٤ ، ١٥

فمن جعله وصفالله رفع « المجيد » ومن جعله وصفا للعرش جر المجيد .

وجاء وصفا للفرآن الكريم مرتين فى قوله - تعالى -

﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ ﴾ (٦٠٨)

وقوله - تعالى - :

﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢ ﴾ (٦٠٩)

بل إن بعضهم فى الأية الأخيرة أضاف القرآن الى - مجيد - فقرأ : « بل هو قرآنُ مَجِيدٍ » فجعل « مجيد » اسماللّه - تعالى - . كأنه قال : بل هو قرآن رب مجيد . . .

والله - تعالى - مجيد - أى عظيم القدر جليل - وفى بعض الكتب السماوية « المجد لله فى الأعالى وفى الأرض المسرة وعلى الناس السلام »

وفى حديث الفاتحة « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ماسأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين - قال الله : حمدنى عبدى ، فإذا قال : الرحمن الرحيم - قال الله : أثنى علىَّ عبدى ، فإذا قال العبد : مالك يوم الدين - قال الله : مجدنى عبدى ، وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين - قال الله : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل ، فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم . . . . قال : هذا لعبدى ولعبدى ماسأل(٦١٠) »

---

(٦٠٨) ق ١

(٦٠٩) البروج ٢١ ، ٢٢

(٦١٠) رواه أحمد ومسلم والترمذى وغيرهم - الاتحافات السنية صـ١٢٨

ومعنى مجدنى عبدى - أى شرفنى وعظمنى . . .

ولم ترد مادة المجد فى القرآن الكريم إلا فى الآيات الأربع التى ذكرناها . وربما أشار ذلك إلى عزة المجد وندرته .

ويقول بعض العلماء : صفه المجد لله - تعالى - : فهو المجيد - جل جلاله - ومعناه شريف الذات ، جميل الفعال ، حسن الخصال ، واسع الكرم ، منيع لايرام ، هو المستحق لكل صفات المجد .

وهذه الصفات لاتجتمع فى مخلوق قط ، وإنما للعبد من كل صفة حظ .

يقول الامام الغزالى فى صفة المجيد : المجيد هو الشريف ذاته الجميل أفعاله ، الجزيل عطاؤه ونواله ، وشرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمى مجدا . . . والمجيد هو الماجد أيضا إلا أن أحدهما أدل على المبالغة . ولهذا الاسم نصيب كبير من معانى أسماء الله - الجليل والوهاب والكريم -

و يرى الامام الرازى أن اسم المجيد يفيد أمرين : أحدهما أنه ذو الشرف التام الكامل . قال تعالى « ق والقرآن المجيد » أى الشريف ، فلله الشرف والمجد والعلو والعظمة .

والثانى : أن المجد يفيد السعة ، فلا يقال : رجل ماجد إلا إذا كان سخيا فاضلا كثير الخير ، وقد وصف الله قرآنه بالمجيد لكثرة فوائده وغزارتها واتساعها .

أما وصفه نفسه بذلك فيفيد كثرة إحسانه وأفضاله .

ويقول بعض الأئمة فى معنى المجيد : هو العظيم ، الرفيع القدر الكثير الإحسان .

وقيل : المجيد الذى لا يقطع العطاء وله النفوذ فيما يشاء .

التخلق بأدب هذا الاسم

وإذا عرفنا أن المجد يعنى الشرف والجود والعطاء والسخاء فعلى المؤمن أن يتحلى بهذه الصفات ليستحق الانتساب إلى المجد .

كان سعدبن عبادة - رضى الله عنه - يقول : اللهم هب لى حمدا ومجدا ، ولامجد الا بفعال ولافعال إلا بمال . كأنه أراد أن يطلب من الله الغنى ليحقق المجد بما أنعم الله عليه من المال .

وكان النصر بن شميل يقول : الماجد هو الحسن الخلق السمح ، ورجل ماجد ومجيد إذا كان كريما معطاء . . . وكان الامام على - كرم الله وجهه - يقول : أما نحن بنو هاشم فأنجاد أمجاد . . . أى أشراف كرام .

وقد ضُرِبَ بالهاشميين المثل فى السخاء والبذل ، وكم عوتبوا على كثرة عطائهم الذى يتركهم صفر اليدين ، ولكنهم كانوا لا يبالون بذلك ولسان حالهم يقول :

أماوى إن المال غاد ورائح
ويبقى من المال الأحاديث والذكر

الذكر بهذا الاسم :

قال العلماء : من ولاه الله شئون خلقه فعليه بأن يكثر من قول الله - تعالى -

« ذو العرش المجيد فعال لما يريد »

فاذا أدام ذلك ، وأخلص الأقوال ، وأحسن الأفعال أراه الله من عجائب صنعه ما به يتسع نفوذه ويقوى سلطانه ، ويوفقه الله لصالح العباد

والبلاد .

وقد عَلَّمنا النبى - ﷺ - الصلاة الابراهيمية حين سأله ابن عمر - رضى الله عنهما - قائلا : يارسول الله - هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف نصلى عليك ؟

فقال : قولوا : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد »

فهذه الصلاة التى أمرنا أن نقولها بعد التشهد فى كل صلاة نصليها - حتى قال بعض الأئمة : لا تقبل الصلاة إلا بها - قد احتوت على اسم الله المجيد ، وماذلك الا لخاصية فيه . .

إن المداومة على ذكر هذا الاسم تطهر العبد ظاهرا وباطنا من أرجاس الشهوات وعلل النفس .

وقال بعض العلماء : إن المداومة عليه تشفى باذن الله من أمراض القلب ومن أمراض الجذام والأمراض المتقيحة ومن داء البرص .

« ومن داوم عليه أيضا أكسبه الله عزة وهيبة ومودة بين أقاربه وسائر الناس »

ويقول الشاعر أحمد مخيمر فى المناجاة بهذا الاسم :

جليل ، ووهاب كريم ، ومنعم رحيم ، ومعبود الجلال ، مجيد
تسبح كل الكائنات بحمده وتطوى جناح الذل وهو شهيد
فليس لشىء فى الوجود إرادة إذا كان رب العالمين يريد

ومن كلام بعض الصالحين فى تمجيد البارى :

« اللهم لك الحمد ، ولك المجد ، حمدا لا نهاية له ولا حد ، ولا يدرك له قبل ولا بعد ، لا أستطيع أن أحمدك كما أنت أهله ، ولا يستطيع لسانى ولا جنانى أن يحمدك حق حمدك .

ومن الذكر بهذا الاسم :

« يا ألله يا حميد ، يا مجيد ، يا بر ، يا رحيم ، يا ألله يا قوى ، يا متين ، هب لى من رحمتك ما أحمدك به وأكون من المؤمنين ، وارزقنى من لطائف العز ما أكون به قويا متينا حاملا محمولا فى العالمين . . .

ومن ذلك أيضا . .

« اللهم أنت الحميد ، الرب المجيد ، الفعال لما تريد ، تعلم فرحنا بماذا ولماذا وعلى ماذا ، وتعلم حزننا كذلك ، وقد أوجبت ما أردته فينا ومنا ، ولا نسألك دفع ما تريد ، ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد ، كما أيدت أنبياءك ورسلك والصديقين من خلقك إنك على كل شىء قدير » .

الباعـــث

جاء اسم الله الباعث فى سلسلة الأسماء التى وردت فى حديث النبى - ﷺ - « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة . . » ورقم هذا الاسم الشريف فى تلك السلسلة هو الخمسون .

وقد ورد فى القرآن الكريم ما يشير إلى هذا الاسم . . مثل قوله - تعالى -

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٦١١)

وقوله - تعالى - :

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٦١٢)

وقوله - تعالى -

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ (٦١٣)

وقوله - تعالى -

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

---

(٦١١) النحل ٨٩

(٦١٢) الأنعام ٦٥

(٦١٣) الحج ٧

﴿ ... ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ (٦١٤)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (٦١٥)

فاسم الفاعل من هذه الافعال هو الباعث ، والمقصود به الحق ـ سبحانه وتعالى ـ

ومفهوم البعث فى اللغة الإرسال والانهاض والإثارة والاندفاع . .

فالله ـ سبحانه ـ باعث الرسل أى مرسلهم لهداية الناس وإرشادهم الى طريق الخير .

وهو باعث الخير فى نفوس الناس .

وهو باعث الخلق يوم البعث والنشور ـ أى محييهم من قبورهم وناشرهم بعد موتهم .

يقول الإمام الرازى : الباعث فى حق الله ـ تعالى ـ له معانٍ منها : أنه ـ تعالى ـ يبعث الخلق يوم القيامة ، ومصداق ذلك قوله ـ تعالى ـ

---

(٦١٤) البقرة ٢١٣

(٦١٥) الاسراء ٧٩

« وأن الله يبعث من فى القبور »(٦١٦)

ومنها أنه ـ جل وعلا ـ باعث الرسل ، ودليله قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ (٦١٧)

ومنها أنه ـ سبحانه ـ يبعث عباده على الأفعال المخصوصة بأنه يخلق الإرادات والدواعى والدوافع فى القلوب .

ومنها أنه ـ تعالى ـ يبعث عباده بالمعونة والإغاثة ، وعند الذنب بقبول التوبة .

ويضيف بعض العلماء الى هذه المعانى معنى آخر . وهو أنه ـ تعالى ـ يبعث النيام بيقظة الأجسام قال ـ تعالى ـ

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) ﴾ (٦١٨)

ولعل البعث بعد الموت هو أول معنى لهذا الاسم الجليل ، لأنه لا يقدر على إعادة الحياة الى الأجسام بعد فنائها إلا الله ـ جلت قدرته ـ ولذلك أنكر

---

(٦١٦) الحج ٧٠
(٦١٧) النحل ٣٦
(٦١٨) الأنعام ٦٠

كثير من الناس البعث والنشور . .

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٦١٩)

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٦٢٠)

وتحداهم المولى جل وعلا ـ فقال :

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٦٢١)

وأعلمهم أن هذا أمر سهل ليست فيه مشقة فقال سبحانه :

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٦٢٢)

وكانت مهمة الرسل جميعا تذكير الناس بيوم البعث ، وأنه حقيقة واقعة لاشك فيها ، وقد ضرب القرآن أمثله كثيرة لإمكانية البعث وعدم استحالته ، وأقرب مثل على ذلك ـ اليقظة بعد النوم وهو أمر مشاهد محسوس فى كل لحظة من لحظات الحياة .

---

(٦١٩) الجاثية ٢٤
(٦٢٠) النحل ٣٨
(٦٢١) التغابن ٧
(٦٢٢) لقمان ٢٨

جاء أبي بن خلف بعظم قدرَث إلى النبى ـ ﷺ ـ وقال له :
أتزعم أن هذا العظم البالى يحيا مرة أخرى بعد ما رمَّ ؟ ثم فتته بيده ونفخه جهة النبى ـ ﷺ ـ

فقال له النبى ـ ﷺ ـ : « نعم ، ويبعثك الله ويدخلك النار » .
وفى ذلك نزل قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٦٢٣)

التخلق بأدب هذا الأسم :

قال الغزالى ـ رحمه الله عنه ـ : وحقيقة البعث ترجع إلى إحياء الموتى وإنشائهم نشأة أخرى ، والجهل هو الموت الأكبر ، والعلم هو الحياة الأشرف ، وقد ذكر الله ـ تعالى ـ العلم والجهل فى القرآن الكريم وسماهما حياة وموتا ، فمن رقى من الجهل الى العلم فقد انتقل من موت إلى حياة ، وأحياه الله حياة طيبة ، فإن كان للعبد مدخل فى إفادة الخلق العلم ودعائهم إلى الله ـ تعالى ـ فذلك نوع من الإحياء وهى رتبة الأنبياء ومن يرثهم من العلماء . .

ولعل هذا مايشير اليه شوقى فى قوله عن معجزات الرسول ـ ﷺ ـ :

أخوك عيسى دعا ميتا فأيقظه   وأنت أحييت أجيالا من العدم

فعلى المؤمن أن يكون قوة هادية تأخذ بأيدى الناس من الظلمات الى

---

(٦٢٣) يس: ٧٧ : ٧٩

النور ، ومن الضلالة الى الهدى ، ومن التأخر إلى التقدم .

قال العلماء : حظ العبد من اسم ربه الباعث - جل جلاله - أن يجعل الله على يديه الهداية ، فكأنه بذلك يحيى النفوس بإخراجها من الظلمات الى النور بإذن الله .

وعلى العبد أن يبعث فى نفسه دواعى العمل على مرضاة الله وطاعته ، وأن يكون متذكراً يوم البعث والنشور ، ليعد نفسه له بالعمل الطيب الصالح الذى يلقى به ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

الذكر بهذا الاسم :

يقول بعض الصالحين : من قرأ هذا الاسم عند النوم بطريق المناجاة بأن يقول : يا ألله ياباعث ، وهو يضع يده على صدره - ملأ الله بنور المعرفة قلبه ، وغمر بفيض اليقين نفسه .

وقال الأستاذ أحمد مخيمر مناجيا ربه فى ظل هذا الاسم :

يحيى العظام الرميم بالية باعثها للحساب سبحانه
من آمنوا يدخلون جنته ومن عصوا يدخلون نيرانه
جاء الشفيع الذى نؤمله يطلب للصابرين غفرانه
طوبى لعبد أعماله صلحت فأثقلت فى الحساب ميزانه

ويقول بعض الشعراء فى هذا الاسم :

يا باعث الخلق فى زحام رهيب والسموات وردة كالدهان
ستقوم الأجساد من عالم الذر سراعا لم تختلط ذرتان
قدرة أودع المهيمن فيها ماتناءى علما عن الأذهان
علمه قد أحاط بالكون قدما قبل خلق الأرواح والجسمان

روى ابن ماجة أن الرسول ـ ﷺ ـ كان يضع عند النوم يده اليمنى تحت خده الأيمن ، ثم يقول : « اللهم قنى عذابك يوم تبعث ـ أو تجمع ـ عبادك » .

وعند الاستيقاظ كان يقول : « الحمد لله الذى أحيانا بعد ماأماتنا واليه النشور »

واستشهد د . أحمد الشرباصى ـ بهذا الدعاء ـ من كتاب الأنوار القدسية : ـ

« إلهى أنت الباعث للأرزاق من غيب علمك ، الباعث للرسل . بمحض كرمك وحلمك ـ الباعث من فى القبور بنفخ الصور . . انفخ يارب فى هيكلى روح العمل بالقرآن حتى تنبعث قواى قائمة بالخدمة منفذة لكل ماأمرت به .

ومن منظومة أسماء الله الحسنى جاء :

مجيد فمجد سرنا بفنائه   ويا باعث ابعثنا على خير حالة

ومن الأدعية بهذا الاسم :

« ياباعث ، ياوراث ، ياجامع ، يامقسط ، أنت الذى تجمع الخير لمن شئت كيف شئت ، وأنت الجامع المقسط ، فكل محبوب يكون لى ولايكون لك فاصرفه عنى حتى لايكون لى إلا مايكون لك ، وغذنى بلطائف من عندك كما غذيت محمدا نبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنك على كل شىء قدير »

الشهيد

المعنى المتبادر إلى الذهن من هذا الاسم الجليل هو أن الله حاضر لايغيب عن شيء ، ولايغيب عنه شيء في ملكه ، وقد جاء ذلك في أسلوب الاستفهام التقرير في قوله ـ تعالى :

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ (٦٢٤)

وقد جاء اسم الشهيد في القرآن الكريم في مواضع عدة . . منها هذه الآية المتقدمة ، ومنها قوله ـ تعالى ـ

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ (٦٢٥)

وقوله تعالى ـ :

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾. (٦٢٧)

لقد جاء هذا الاسم في القرآن الكريم على أنه اسم الله تعالى ـ وجاء في مواضع أخرى لايقصد به اسم الله تعالى :

مثل قوله ـ تعالى ـ

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ (٦٢٨)

---

(٦٢٤) فصلت ٥٣
(٦٢٥) آل عمران ٩٨
(٦٢٦) المائدة ١١٧
(٦٢٧) البروج ٩
(٦٢٨) النساء ٤١

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) ﴾ (٦٢٩)

وقوله تعالى ـ

﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾

وقوله تعالى

﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٧٥) ﴾ (٦٣١)

ومادة « شهد » تتقلب بين عدة معان منها العلم فتكون ـ شهد بمعنى علم ، أو بمعنى رأى ـ والشاهد العالم الذى يبين ماعلمه . وتأتى شهد بمعنى حلف ، وتقول : أشهد بكذا أى أحلف .

وتأتى شهد بمعنى قضى ، ومنه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ

---

(٦٢٩) المائدة ١١٧

(٦٣٠) النحل ٨٩

(٦٣١) القصص ٧٥

﴿إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨﴾ (٦٣٢)

وشهد الشاهد عند الحاكم أى بين مايعلمه وأظهره .

وقال ابن منظور فى لسان العرب فى مفهوم اسم الله « الشهيد » . . . . الشهيد من أسماء الله ـ تعالى ـ الأمين فى شهادته .

وقيل : الشهيد الذى لايغيب عن علمه شيء

وقيل : الشهيد أى الحاضر ، وهو فعيل بمعنى فاعل ، من أبنية المبالغة . فاذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم ، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير ، وإذا أضيف الى الأمور الظاهرة فهو الشهيد . ويضاف إلى هذا أنه يشهد على الخلق يوم القيامة .

وقال ابن القيم فى معنى هذا الاسم : الشهيد الذى لايغيب عنه شيء ولايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولافى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر . . . بل هو مطلع على كل شيء شاهد له عالم بتفاصيله .

إطلاق كلمة الشهيد على من قتل فى سبيل الله :

وقد تطلق هذه الكلمة على المستشهد فى سبيل الله ـ تعالى ـ ومعناها فى هذه الحالة الاشارة إلى أنه حى عند ربه يرزق ، فهو يشاهد ويرى ، كما تشير إلى أن الملائكة يشهدون له بالجنة كما شهد الله له بذلك ، أو إلى أنه يشهد عند خروج روحه ماأعده الله من نعيم مقيم وعز دائم ، أو إلى أن الملائكة تشهده وتصعد بروحه الى الملأ الأعلى ، أو إلى أن الله شهد له

---

(٦٣٢) آل عمران ١٨

بالايمان ، أو إلى أنه أحد الشهداء الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة .

ويفيد معنى الشهيد بالنسبة لله تعالى : أنه ـ سبحانه ـ رقيب على عباده مطلع على أفعالهم يسمع لأقوالهم ، ولاتخفى عليه خافية مما يقومون به . فهو عالم الغيب والشهادة وهو معكم أينما كنتم والله على كل شيء شهيد »

قال تعال :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٦٣٣)

واذا كان الله معنا دائما فهو خير شاهد على مانقول ونفعل . . ثم يوم القيامة يحاسب كلا على ماقدمت يداه . . قال تعالى ـ

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ (٦٣٤)

والله ـ جلت قدرته ـ شهيد على جميع الخلق بنفسه وشهيد بملائكته الذين وكل إليهم مراقبة عباده وتسجيل أعمالهم وشهيد بأنبيائه ورسله الذين بعثهم الله مبشرين ومنذرين ، كما يأمر جوارح الانسان بأن تشهد عليه . . وقد مرت الآيات الدالة على أن الله على كل شيء شهيد . .

---

(٦٣٣) المجادلة ٧

(٦٣٤) المجادلة ٦

وشهادة الملائكة يشير إليها قوله تعالى ـ :

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (٦٣٥)

وشهادة الرسل يشير إليها قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (٦٣٦)

وشهادة الجوارح يشير إليها قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٦٣٧)

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم :

إذا كان العبد يعلم أن الله يشهده فى كل حركة وسكون فقد وجب عليه أن يخشاه ويتقيه ويعمل لهذا اليوم الذى يناقش فيه الحساب ويجد أعماله

---

(٦٣٥) ق ١٧ ، ١٨

(٦٣٦) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦

(٦٣٧) فصلت ٢٠ : ٢٢

وقد أحصيت عليه ودونت فى كتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها . فاذا حجد شيئا وجد من جوارحه شاهدا يشهد عليه .

والتأدب بأدب هذا الاسم يتطلب الأمانة فى أداء الشهادة وعدم كتمانها . وقد توعد الله كاتم الشهادة بقوله :

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ (٦٣٨)

كما يتطلب أيضا أن يشهدوا الناس على معاملتهم وعقودهم ـ استجابة لقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا أَن

---

(٦٣٨) البقرة ٢٨٣

تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ (٦٣٩)

إن استحضار هذا الاسم يعلمنا دوام المراقبة والمحاسبة للنفس ، وفى ذلك نجاة للمؤمن من المؤاخذة وعصمة من التردى فى مهاوى الضلال والفساد ، أو الاستجابة لوساوس النفس ونزغات الشيطان

الذكر فى ظل هذا الاسم :

قال العلماء : من وقع فى تهمة باطلة وأراد الخلاص منها فليناج ربه قائلا : ياألله ياشهيد فى جوف الليل نجنى مما ألصق بى . فاذا فعل ذلك مخلصا صادقا نجاه الله تعالى :

وقال بعض العلماء : « إذا قرىء هذا الاسم فى السحر ، أو فى الصباح بنية إصلاح الولد العاق أو الزوجة المشاكسة أصلح الله حالهما .

وإذا استدام الانسان ذكره أثمر حال المراقبة فى قلبه .

ومن الدعاء فى ظل هذا الاسم مايحكيه د . أحمد الشرباصى ـ عن بعض الصالحين يقول :

---

(٦٣٩) البقرة ٢٨٢

« إلهى أنت المطلع على أعمال العباد ، الظاهر الحاضر الناظر للوجود بعين الوداد ، وأنت الشاهد علينا فى كل الحركات ـ اجعلنا شهداء لأنوارك فى سائر اللحظات وأقمنا مقام المجاهدين حتى نشهد على أنفسنا بالتقصير والظلم فى كل حين ، وامنحنا الشهادة فى سبيل جهاد النفس والهوى فهو الجهاد الأكبر ، واقتل شهوة أنفسنا حتى نرضى بالمقدر إنك على كل شىء قدير »

« الحق »

جاء اسم الله « الحق » فى القرآن الكريم فى مواضع منها ـ قوله ـ تعالى ـ

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (٦٤٠)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾ (٦٤١)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٦٤٢)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ (٦٤٣)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٦٤٤)

---

(٦٤٠) طه ١١٤
(٦٤١) الحج ٦
(٦٤٢) الحج ٦٢
(٦٤٣) المؤمنون ١١٦
(٦٤٤) النور ٢٥

وفى غير ذلك من الآيات

وقد وردت مادة الحق فى أكثر من مائتى موضع ، منها ما يقصد به اسم الله عز وجل - ومنها ما يقصد به القرآن ، ومنها ما يقصد الدين ، ومنها ما يقصد به البعث ، وغير ذلك من المعانى .

والمعنى اللغوى لكلمة الحق أنه نقيض الباطل . وقال ابن منظور : إن الحق من أسماء الله - عز وجل - ، وقيل : من صفاته .

وقال ابن الأثير : الحق هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته . . جاء فى التنزيل :

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ (٦٤٥)

وقال ثعلب فى قوله - تعالى -

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ (٦٤٦)

- الحق هنا هو الله - عز وجل - ويجوز أن يكون هو القرآن - كما يقول غيره - أى لو كان القرآن بما يحبونه لفسدت السموات والأرض . .

يقول العلماء : الحق هو اليقين ، وهو العدل ، وهو الاسلام ، وهو الصدق ، وهو البعث والجزاء ، وهو الموت . . وهو فوق ذلك - الله - جل

---

(٦٤٥) الأنعام ٦٢

(٦٤٦) المؤمنون ٧١

جلاله ـ الذى لا شك فى وجوده ، ولا معقب لحكمه ، ولا ناقض لقوله ، هو الذى يحق الحق بكلماته ، ويؤيد الأحباب بآياته ، ويمحق الباطل بصولته ، ويقضى على الشر بقدرته .

هو الله الحقيق بالعبادة ، ولا معبود بحق سواه ، وهو الثابت الذى لا يزول ، ويفنى كل شىء سواه ، هو المتحقق وجوده أزلا وأبدا ، وهو الباقى عزه دائما .

هو الواجب الوجود لذاته ، ولا وجود لموجود إلا به ، هو الثابت الذى لا يزول ولا يحول ، المظهر للحق ، الموجد للأشياء كما تقتضيه حكمة الحق ـ هو الذى له الحكم وإليه ترجعون .

هو الله الحق المستحق وحده للعبادة ، ولا معبود بحق سواه ، وهو الذى يقول :

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (٦٤٧)

إنه الحق الذى يأخذ منه كل حق حقيقته ، وبدون الحق لا يصبح لأى شىء قيمة . . فالباطل مهما زيفت له من حجج وركبت له من براهين لا يثبت أمام مجهر اليقين وصولة الحق . . قال ـ تعالى لحبيبه ـ ﷺ ـ

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ (٦٤٨)

وقال :

---

(٦٤٧) يونس ٣٢

(٦٤٨) الاسراء ٨١

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٦٤٩)

والحق له صولة تزلزل أقدام المبطلين .... روى أن امرأة ارتفع صوتها فى ظلامة لها فى مجلس بعض الخلفاء ، وكان الخصم فيها ابن الخليفة ، فأراد بعض الجالسين أن يزجرها حتى لا ترفع صوتها فى حضرة الخليفة . فقال الخليفة له . دعها فإن الحق أنطقها وأخرس خصمها .

وإذا كان الحق بهذه الصورة فهو أحق أن يتبع ..

التخلق بأدب هذا الاسم

إن حق الله على عبده المؤمن باسم الحق ، أن يكون الحق على لسانه ويده وقلبه . فإذا نطق نطق بالحق ، وإذا جاهد جاهد بالحق ، وإذا اعتقد اعتقد الحق .. واذا دعا دعا الى الحق ... لقد لعن النبى - ﷺ - قوما ضاع الحق بينهم . وجاء فى الحديث : « الساكت عن الحق شيطان أخرس » وعلى المؤمن ألا يرى غير الله حقا ، لأن كل شىء قائم بالله ، ووجوده مستمد من الله .... وقد قال الشاعر لبيد كلمة حق زكاها النبى - ﷺ - حين قال : أصدق كلمة قالها لبيد :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل ..

وإذا تخلق المؤمن بصفة الحق وضح طريقه واستبان قصده ، ونطق بالحكمة واستنار قلبه ، وتفجرت العلوم من ينابيع عقله . إن الحق منهج ينبغى للمؤمن أن يتبعه ولا يحيد عنه ، وهو واضح وضوح الشمس لمن

.(٦٤٩) الأنبياء ١٨

يطلبه ، ومن تسلح به سلك طريق النجاة وفاز فوزاً عظيما . حكى بعضهم أن أحد الخلفاء اشتكى قلة المخلصين حوله ، وطلب نصيحة بعض الوعاظ فى ذلك ، فقال له : اعرف الحق يتبعك أهله . . .

قال بعض الصالحين من وقف بهمته على شيء سوى الحق فاته الحق ، لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك .

وقال ذو النون المصرى : إن الحق شاهد لأهل الحق والله هو الحق وقوله الحق .

الذكر بهذا الاسم

من دعاء النبى - ﷺ - « اللهم لك الحمد ، أنت رب السموات والأرض وما فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولك حق ، ووعدك حق ، ولقاؤك حق . والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفرلى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهى لا إله إلا أنت »

ومن الذكر المستطاب : لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، ومحمد رسول الله الصادق الوعد الأمين .

يقول العلماء : من لازم ذكر هذا الاسم كل يوم مائة مرة استغنى من فقره وتيسر أمره .

ومن أدامه حسنت أخلاقه وصلحت أحواله . . . . . ومن الدعاء الكثير الدوران على ألسنة الصالحين : اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا

الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .

ومن الأدعية الصالحة : اللهم أدرنا مع الحق ، وأدر الحق معنا ، واجعل الحق فى قلوبنا وعلى ألسنتنا فأنت الحق المبين . .

قال الشاعر أحمد مخيمر مناجيا الحق تعالى : ـ

هــو الحــق والأشـياء وهـم وباطــل وكـل وجــود غيــره فهــو زائــل
تبــارك ربـى مـا تــزال بحمــــده تســبح أفــلاك وتدعــو محـــافل
ســهرنا لــه فـى حبــه ونجــومـه أمـام دعـاء الســاهرين مشــاعـل
لقــد طـال بالركــب المســير ، وليــله متـى يـا فجاج الشوق تـدنو المنازل ؟

ومن أدعية منظومة أسماء الله الحسنى :

شــهيد قنــا شــر نفــس وغيــرها ويــاحق حققنــا بعلــم اللدنــة

الـــوكيل

جاء اسم الوكيل - جل جلاله - فى القرآن الكريم فى مواطن متعددة .

جاء فى قوله - تعالى -

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣ ﴾ (٦٥٠)

وفى قوله - تعالى -

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢ ﴾ (٦٥١)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ١٢ ﴾ (٦٥٢)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ٦٦ ﴾ (٦٥٣)

---

(٦٥٠) آل عمران ١٧٣

(٦٥١) الأنعام ١٠٢

(٦٥٢) هود ١٢

(٦٥٣) يوسف ٦٦

وفى قوله ـ تعالى :

﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٦٥٤)

وفى قوله ـ تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾ (٦٥٥)

وفى قوله ـ تعالى :

﴿ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ (٦٥٦)

وفى غير ذلك من الآيات .

وتعنى كلمة الوكيل فى حق الله ـ كما يقول أهل اللغة » ـ المقيم الكفيل بأرزاق العباد ، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه . . حتى لقد قال الله لعباده محذرا إياهم أن يتخذوا وكيلا من دونه قال تعالى :

﴿ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ (٦٥٧)

ومعنى ذلك كما يقول الفراء : ألا تتخذوا من دونى ربا ، أو كافيا . وقال ابن الأنبارى فى معنى الوكيل : هو الحافظ

وقال أبو إسحاق : الوكيل فى صفة الله ـ تعالى ـ : الذى توكل بالقيام بجميع ما خلق .

---

(٦٥٤) الزمر ٦٢

(٦٥٥) النساء ٨١

(٦٥٦) المزمل ٩

(٦٥٧) الاسراء ٢

وقال بعضهم : الوكيل هو الكفيل بالأرزاق . . . . . أما معنى قوله ـ تعالى

« حسبنا الله ونعم الوكيل »

فمعناه نعم الكافى كما تقول : رازقنا الله وهو نعم الرزاق .

وقد استعملت العرب الوكيل ـ بمعنى صاحب الشىء ـ قال الشاعر :

وداخلة غوراً وبالغور أخرجت وبالماء سيقت حين حان دخولها
ثوت فيه حولا مظلما جاريا لها فسرت به حقا وسر وكيلها

وقد فسر ابن منظور البيتين بقوله : إن جنين الناقة غار فى رحمها ، وقد دخل الجنين الرحم بالماء فحملته الناقة ، وحين وضعته بعد الحول سُرَّت الناقة بخروجه كما سُرَّ وكيلها ـ أى صاحبها »(٦٥٨) والإنسان يقول : وكلت أمرى إلى الله أى ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه . . . . .

وعلى ذلك فالمتوكل على الله هو الذى يعلم أن الله كافل رزقه وأمره ، فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره .

ويقال : وكل فلان فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته ، أو عجزا منه عن القيام بأمر نفسه .

والوكيل فى مفهوم الناس . هو الذى يوكله المرء عنه ليقوم له ببعض الأشياء . وقد يفى الوكيل بأدائها كلها ، أو يفى ببعضها ويقصر فى بعضها ، وقد يكون توكيله بالتفويض فى كل الأمور ، وهو ما يسمى بالتوكيل الرسمى العام . . وأداء الوكيل لمهامه القائم بها مقصور على حدود

---

(٦٥٨) لسان العرب لابن منظور مادة (وكل)

إمكانياته التى لا تتجاوز مقدرته البشرية المتاحة له بحسب عقله وخبرته وحسن تصرفه . .

ولكن الوكيل القادر الذى لا يعجزه شيء ، والذى ينوب عن الموكل فى كافة أموره بحسب ما تقتضيه الحكمة العليا ـ هو الحق ـ جل جلاله ـ إنه الوكيل الأعلى على كل شيء ـ كما قال سبحانه « وهو على كل شيء وكيل »

إن الوكيل البشرىّ مهما تعددت مواهبه ينتابه العجز أو الفتور أو الملل أو غير ذلك مما يعرض للبشر من نقص تختلف أنواعه وأهدافه وبواعثه .

أما الله ـ جلت قدرته ـ فهو حسب موكله يكفيه بقدرته كل شيء ويقيه من كل سوء . ويدافع عنه أمام كل عدو ، ويدفع عنه كل مكروه قال ـ تعالى ـ : « وكفى بالله وكيلا » وقال « ومن يتوكل على الله فهو حسبه »

روى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ فى قوله تعالى ـ : « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » أن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال هذه الآية حين ألقى فى النار ، وان محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ قالها حين قال الناس إن الناس قد جمعوا لكم .

لقد روت الأخبار عن سيدنا إبراهيم أنه حين ألقى فى النار جاءه جبريل يسأله : ألك حاجة ؟ قال له إبراهيم : أما إليك فلا . قال له : أرفعها الى ربى . قال إبراهيم ـ عليه السلام ـ : علمه بحالى يغنى عن سؤالى .

لقد وثق إبراهيم عليه السلام ـ فى ملاحظة الله إياه وعنايته به وكلئه له . وكان الله عند حسن ظنه فقال : يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم .

ولو قال : كونى بردا فقط لأوذى إبراهيم من شدة البرد ، ولكنه قرن السلامة بالبرد ، فكان اللطف الإلهى الدقيق الذى لايدرك مداه أحد .

التأدب بأدب هذا الاسم :

إن من يدرك جلال هذا الاسم ولطف معناه . عليه أن يحسن توكله على الله ، وينزل حاجته بساحته لايتعداه الى غيره . فهو وحده خير مسئول ، وهو القادر على تفريج كرب المكروبين وإجابة حاجة السائلين .

والتوكل من شروط المؤمنين . قال الله تعالى ـ

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ (٦٥٩)

والله يحب المتوكلين عليه قال تعالى ـ :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (٦٦٠)

وقد أراد موسى ـ عليه السلام ـ أن يختبر إيمان قومه فاختبرهم بالتوكل على الله ، فقال لهم حين طلب منهم دخول الأرض المقدسة . .

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ

---

(٦٥٩) آل عمران ١٦٠

(٦٦٠) آل عمران ١٥٩

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (٦٦١)

والتوكل على الله لاينافى الأخذ بالأسباب التى أمرنا الله باتخاذها لتحقيق الغايات ، وقد قال لنا:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (٦٦٢)

وقال لنا:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ (٦٦٣)

وقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرجل أراد أن يترك ناقته بلا قيد ظنا منه أن هذا ينافى التوكل ـ قال له : « اعقلها وتوكل »

وكما يدعونا هذا الاسم إلى حسن التوكل على الله والاعتماد عليه والتفويض إليه . يدعونا كذلك الى أن نكون فى حاجة المؤمن ، وأن نكون أهلا لثقة من وثق بنا فى قضاء حاجة من الحاجات ، أو ندبنا للسعى فى مهمة من المهمات ، أو وكل الينا التصرف فى وجه من وجوه التصرفات .

---

(٦٦١) المائدة ٢٣
(٦٦٢) الأنفال ٦٠
(٦٦٣) الملك ١٥

الدعاء فى ظل هذا الاسم :

قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من قال حين يصبح وحين يمسى : حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ماأهمه من أمر الدنيا وأمر الآخرة صادقا كان أو كاذبا »(٦٦٤)

وقد علمنا القرآن الكريم الدعاء بهذا الاسم حيث وضع أمامنا المثل فى ذلك بقوله ـ تعالى ـ

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾(٦٦٥)

وحين ذكر لنا وجوب التأسى بإبراهيم ـ عليه السلام ـ فى قوله :

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾(٦٦٦)

وقد روى أبو نعيم عن شداد بن أوس عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(٦٦٤) رواه البيهقى وابن عساكر عن أبى الدرداء ـ أسماء الله الحسنى لأحمد عبد الجواد ص ١٤٤

(٦٦٥) آل عمران ١٧٣ ، ١٧٤

(٦٦٦) الممتحنة ٤

قال : « قال الله عز وجل « حسبى الله ونعم الوكيل أمان كل خائف »(٦٦٧)

وقد ذكر العلماء أن الله سمى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الكتب المقدسة السابقة « المتوكل » وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى توكله مثلا أعلى لأمته استجابة لقوله تعالى ـ

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝٧٩ ﴾(٦٦٨)

والتوكل على الله ييسر السبل ، ويحقق الأمل ، ويعصم من المكروه ، وينجى من المخاوف .

ومن أدعية الصالحين : « يامن بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولايجار عليه ، انصرنى بالخوف منك والتوكل عليك حتى لاأخاف غيرك . ولاأخشى شيئا سواك ، ياخالق السموات السبع ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ، أشهد أنك على كل شىء قدير وأنك قد أحطت بكل شىء علما »

---

(٦٦٧) أسناء الله الحسنى لأحمد عبد الجواد ص ١٤٤

(٦٦٨) النمل ٧٩

القـــوى

المتيـــــن

الولــــــى

الحميــــد

المحصــــى

المبدىء المعيد

الحــى المميت

الحــى القيوم

الواجــــد

القـــوى

ورد اسم الله « القوى » فى القرآن الكريم فى عدة مواضع منها قوله تعالى ـ

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٦٦٩)

وقوله تعالى ـ :

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (٦٧٠)

وقوله تعالى

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٦٧١)

وقوله تعالى

﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ (٦٧٢)

---

(٦٦٩) هود ٦٦
(٦٧٠) الأنفال ٥٢
(٦٧١) الحج ٤٠
(٦٧٢) الحج ٧٤

وقوله تعالى ـ

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (٦٧٣)

لقد اقترن هذا الاسم فى أغلب المواضع باسم الله العزيز ، لما بين القوة والعزة من تلازم . واقترن بقوله : « شديد العقاب » فى موضعين وجملة المواضع التى ورد فيها هذا الاسم تسعة مواضع .

ومفهوم القوى يأتى فى مقابل الضعيف . والضعف من شأن المخلوق العاجز ، أما الخالق فهو القوى القادر .

والقوة تدل على القدرة وفى قوله تعالى ـ

﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (٦٧٤)

اختلف العلماء فقال بعضهم : هو الله ـ عز وجل ـ ولكن سائر المفسرين على أنه جبريل عليه السلام ـ

ويفيد معنى القوى بالنسبة لله تعالى ـ أنه صاحب القدرة التامة البالغة الكمال ، كما يفيد أنه المتناهى فى القوة . تتصاغر كل قوة أمام حضرته ، ويتضاءل كل عظيم أمام عظمته . .

إنه مانح القوة لمن يشاء ، وقد أعطى الذى عنده علم من الكتاب القدرة على نقل عرش بلقيس من مكانه الى حيث يوجد سليمان عليه السلام . .

---

(٦٧٣) الأحزاب ٢٥

(٦٧٤) النجم ٥

وقد قص القرآن الكريم علينا ذلك - فى قوله تعالى :

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ (٤٠) ﴾ (٦٧٥)

وإنا لنشاهد من مظاهر القوة التى يفيضها الله - عز وجل - على بعض خلقه عجائب مدهشة . لايسع المشاهد أمامها إلا أن يقول سبحان الله - تعجبا - مما يرى .

فإذا كان ممنوح القوة يستطيع بقوته أن يفتت المعادن ، وأن يلوى الحديد ، وأن يحمل الأثقال الشداد وأن يجر أو يزحزح بيديه مالايستطيع الجم الغفير جره أو زحزحته - كما قرأنا فى الأنباء منذ أيام ان شخصا استطاع أن يجر طائرة تزن كذا طنا - نقول إذا كان ذو القوة المستعارة يستطيع أن يفعل ذلك ، فما بالكم بواهب القوة ذاتها ومانحها ومفيضها على من يشاء من خلقه ؟

إن القوة ملك لله - تعالى - وحده وهو الذى يعطى منها بحكمته من يشاء ويسلبها ممن يشاء ، فبينما الرجل فى أوج قوته ونضرته إذا بالمرض يدهمه فلا يقوى أن يصلب عوده ، أو يرفع رأسه ، ويضعف عن حمل أقل الأشياء ،

---

(٦٧٥) النمل ٣٩ ، ٤٠

حتى يمن الله عليه بنعمة الصحة فتعود إليه القوة وترتد إليه العافية ، فسبحان واهب القوة ومانح القدرة .

وكما يبث الله القوة فى الانسان والحيوان يبثها كذلك فى بعض المعادن والمخلوقات التى سخرها الله لخدمة الانسان .

فقد خلق الله الطاقات التى يستغلها الانسان بقدرته التى أودعها الله فيه .

ومن ذلك استخدام الانسان لطاقة الحديد التى قال الله فيها:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٦٧٦)

وطاقة البترول التى أصبحت عماد التقدم العمرانى والحضارى فى القرن العشرين .

ومن قبلها كانت طاقة الفحم التى استغلها الانسان فى تقدمه فترة طويلة من الزمن حتى أزاحها البترول عن عرشها وتربع مكانها .

وجاءت الذرة التى تمكن الانسان من تفجيرها وتحويلها الى طاقة جبارة تخدم الحرب والسلم .

ثم هذه الطاقة الشمسية التى نلمسها فى حياتنا اليومية وندرك أثرها العظيم القوى الذى يشهد بقدرة الله وعظمته وإسباغ نعمته إلى خلقه . .

---

(٦٧٦) الحديد ٢٥

والتى تمكن الانسان من استغلالها وتسخيرها فى مجالات متعددة .

هذه قُوىً وهبها الله ، وسخرها فى خدمة الانسان الذى سخره لعبادته فكيف يغفل الانسان عن شكر هذه النعم ؟

إن مظاهر القوة فى الحياة تشهد أن القوة لله جميعا ـ كما قال ـ سبحانه ـ

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (٦٧٧)

التخلق بهذا الاسم :

إن هذا الاسم يدعونا إلى الالتجاء إلى حمى واهب القوة،نستمد منه العون على مانقوم به من أعباء .

وعلى ذاكر هذا الاسم أن يكون قوى الإيمان والثقة بالله ، مستشعرا أن قوة الخالق فوق كل قوة ، باذلا كل ما منحه الله من قوة لخدمة الناس ونفعهم ، فإنه بذلك يخدم نفسه ومجتمعه ، ويرضى ضميره وربه .

وعلى المؤمن أن يكون قويا فى نصرة الحق ، والدفاع عن المظلوم والجهاد فى الدين ، فقد ورد فى الأثر الشريف « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » .

وقد أمرنا الله بإعداد القوة للعدو . . . . قال سبحانه:

---

(٦٧٧) البقرة ١٦٥

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾(٦٧٨)

وبين لنا وسائل إعدادالقوة على لسان النبى - ﷺ - بما يشير إليه قوله « ألا إن القوة الرمى » . .

وإذا وُهِبَ المؤمن القوة فليس له أن يغتربها ، بل يتذكر دائما أن الحول والقوة لله وحده - جل جلاله - فعلى العبد ألا يتجاوز قدره وعليه أن يبذل قوته فى الخير والدفاع عن الحق ونصرة الضعيف وإنصاف المظلوم وعليه ان ينتهز فرصة قوته وشبابه ويجعلها فى الطاعة - فالنبي - ﷺ - يقول « فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت » .

الذكر فى ظلال هذا الاسم :

قال العلماء : ماتلا هذا الاسم ذو همة ضعيفة أو جسم ضعيف إلا وجد القوة ، ولا ذكره مظلوم إلا كفى أمره ، وَذِكْرُه يَصْلُح أيضا لتوسيع الرزق فالله - يقول - :

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾(٦٧٩)

وفى الأثر النبوى الشريف :

---

(٦٧٨) الأنفال ٦٠

(٦٧٩) الشورى ١٩

« إذا وقعت فى ورطة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء »(٦٨٠)

وروى محمد بن المنكدر عن جابر - رضى الله عنه - فيما يرويه أبو نعيم الأصفهانى - قال جابر : شكونا إلى رسول الله - ﷺ - حر الرمضاء فلم يُشْكِنا .

وقال : « استعينوا بلا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها تذهب سبعين بابا من الضر أدناها الهم » .

قال بعض الصالحين مناجيا ربه فى ظل هذا الاسم :

إذا كان القوى يشد ركنى فلست أخاف من ضعف يكون
إذا عسرت على أمور كونى فمن تيسيره أبدا تهون

وفى منظومة أسماء الله الحسنى فى الاسمين - الوكيل والقوى :

وكيل فثبتنا بتوكيلك الأعلى قوىٌّ فقونا على فعل طاعة

---

(٦٨٠) رواه ابن السنى عن على - رضى الله عنه - أسماء الله الحسنى لأحمد عبد الجواد ص ١٤٦

المتيـــن

يرتبط اسم المتين ـ جل جلاله ـ باسمه القوى . ويقولون فى معنى المتين : إنه شديد القوى ، أى بالغ القدرة ، لا يستولى عليه عجز ولا يوهنه ضعف .

وقال بعض العلماء : المتين هو الكامل القوة ، الذى بلغت قدرته أقصى الغايات ـ سبحانه ـ لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السموات ، ولا مؤثر فى الموجودات غيره .

وقد ورد اسم الله المتين فى القرآن الكريم مرة واحدة فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (٦٨١)

وجاء لفظ « المتين » وصفا لكيد الله الذى يرد به على كيد الكفار من قبيل المشاكلة اللفظية ـ فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (٦٨٢)

ومعناه ـ إن كيدى قوى . .

وقال ابن منظور فى لسان العرب : قوله ـ عز وجل ـ :

إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

معناه ذو الاقتدار والشدة . والمتين صفة الله القوى ، قال ابن الأثير : هو القوى الشديد الذى لا يلحقه فى أفعاله مشقة ولا كلفة ولا تعب ،

(٦٨١) الذاريات ٥٨

(٦٨٢) الأعراف ١٨٣ ـ والقلم ٤٥

والمتانة الشدة والقوة ، فهو قوى من حيث انه بالغ القدرة تامها ، ومن حيث انه شديد القوة متين .

وقد قرىء المتين بالرفع على أنه وصف « ذو القوة » وقرىء بالخفض على أنه نعت للقوة ، وتأنيث القوة كتأنيث الموعظة فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ (٦٨٣)

قال : والقوة ـ اقتدار . . والمتين من كل شىء القوىّ .

ومظهر قوة الله أجل من أن تنكر ، فهو الذى يحفظ السموات والأرض بقدرته ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم .

ومعنى لا يؤوده ـ لا يعجزه ـ والقوى لا يعجزه شىء مهما عظم .

قال القرطبى فى تفسير قوله ـ تعالى ـ

« إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين »

أى الشديد القوى ، والمتين وصف للرزاق بعد وصفه بذى القوة .

وقد جاءت هذه الآية كالدليل على ما تقدمها من قوله ـ تعالى ـ

« ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون »

لأن المستقل برزق العباد لابد أن يكون قويا قادرا مقتدرا .

---

(٦٨٣) البقرة ٢٧٥

وقد جاء فى هذه السورة ذاتها ما يشير إلى قوة الله وقدرته فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٦٨٤)

فالأيد معناه ـ القوة والقدرة ، وموسعون ـ أى قادرون على ذلك .

واضاف علماء اللغة إلى ما سبق من معانى « المتين » قولهم : أصل المادة فى اللغة يدل على صلابة فى الشىء مع امتداد وطول ، والمتن ما صلب من الأرض وارتفع ، والمماتنة المباعدة فى الغاية ، وسار سيرا مماتنا ـ أى شديداً بعيداً .

والمتين مشتق من المتانة التى تعنى شدة الشىء واستحكامه وصلابته . ولا يمكن أن تقارن تلك الأوصاف الحسية التى نراها لبعض الأشياء فى الكون بقوة الله ، لأن قوة الله ومتانته تعنى شدته وعظمته وقدرته الفائقة الغالبة التى لا يحيط بها وصف .

وقوته مستمدة من ذاته ـ سبحانه ـ وهى ليست فى حاجة إلى معونة من أحد ، أو مساندة من جند ، أو مكاثرة من عدد .

ويقضى التخلق بهذا الاسم ما يقضى به التخلق بأدب اسمه ـ تعالى ـ القوى . من وجوب تمثل قدرة الله الغالبة وقوته القاهرة التى يقهر بها الاعداء والمكابرين .

انظر إلى قوله ـ تعالى ـ فى قصة قارون :

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ

---

(٦٨٤) الذاريات ٤٧

ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ (٦٨٥)

ولا يقهر الأقوياء إلا من هو أقوى منهم .

ويقول ـ تعالى ـ :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ (٦٨٦)

فمن تدبر معنى هذه الآيات وأمثالها يطمئن إلى قوة الله التى تساند المؤمن وتحفظه وترعاه ، وأنه إذا استعان بها استعان بجاه عريض وركن شديد . .

إن من أدب المؤمن أن يستعين بالله القوى فى كافة أموره ولا يلتجىء إلى أحد سواه .

يقول العلماء ـ فيما يحكيه د . أحمد الشرباصى : إن من علم أن مولاه على كل شىء قدير ـ قطع بقطع الرجاء عمن سواه ، وأفرد له سره ، كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام ـ :

« ربنا إنى أسكنت من ذرينى بواد ذى زرع عند بيتك المحرم »

والمراد أنى سهلت طريقهم إليك وقطعت رجاءهم عمن سواك ، ثم قال : « ليقيموا الصلاة » أى شغلتهم بخدمتك خاصة ، وأنت أولى بهم منى

---

(٦٨٥) القصص ٧٨

(٦٨٦) فاطر ٤٤

ومنهم ، ثم قال : « فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم » أى إذا احتاجوا إلى شيء ذللت عبادك لهم فإنك على كل شيء قدير »[٦٨٧]

وليتأمل كل إنسان نشأته ، كيف كان نطفة فعلقة فمضفة ثم نزل من بطن أمه ضعيفا فأمد الله له فى القوة شيئا فشيئا حتى أصبح قادرا باطشا ، ثم رده إلى الضعف مرة أخرى ، إن ذلك من شأنه أن يقوى إيمان الإنسان بربه ، وإفراده بالطاعة والاقبال عليه . . قال - تعالى -

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾[٦٨٨]

الدعاء فى ظل هذا الاسم

من ابتهالات الشاعر أحمد مخيمر قوله :

هـذه الشـمس ترسـل النـور والدفء فحيوا إلهنا شـاكرينا .

لم تزل با قتداره تصنع الصبح ، وتلقى على الفضاء السنينا .

والنجوم الزهر التى تملأ الليل وتهدى مسالك الحائرينا .

هو سبحانه محركها ، وماسكها أن تحطـم العـالمينـا »[٦٨٩]

أما الشيخ محيى الدين بن عربى فيقول :

إن المتانـة حـال ليـس يدريهـا إلا الـذى هـام وجـداً فى معانيهـا

وقـوة اللـه أبدتهـا لناظرنـا وحكمهـا أبـدا فيمـن يعانيهـا

---

(٦٨٧) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ ١ ص ٢٩٤

(٦٨٨) الروم ٥٤

(٦٨٩) أسماء الله الحسنى . لأحمد مخيمر ص ٧٧

إن الذكر بهذا الاسم ، وباسمه تعالى « القوى » يفيد ذاكره ظهور القوة ، وقوة اليقين . '' ستقامة . . ومن ابتهالات ابن عطاء الله السكندرى فى نهاية حِكَمِه قوله :

« إلهى أنا الفقير فى غناى فكيف لا أكون فقيرا فى فقرى ؟

« إلهى أنا الجاهل فى علمى فكيف لا أكون جهولا فى جهلى ؟

« إلهى وصفت نفسك باللطف والرأفة بى ولى بعض قوة ، أفتمنعنى منهما بعد ضعفى ؟

« إلهى إن ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة علىَّ ، وإن ظهرت المساوىء منى فبعدلك ولك الحجة علىّ .

« إلهى كيف تكلنى إلى نفسى وقد توكلت بى ؟ وكيف أضام وأنت النصير لى ؟ أم كيف أخيب وأنت الحفى بى ؟

« إلهى أغنى بتدبيرك عن تدبيرى ، واختيارك عن اختيارى ، وأقفنى على مراكز اضطرارى . . . . » .

الوَلِيُّ

جاء فى معنى اسم الولى ـ فى كتب اللغة ـ أنه الناصر ، وقيل : هو المتولى لأمور العالم والخلائق القائم بها .

ومن أسمائه أيضاً الوالى وهو مالك الأشياء جميعها المتصرف فيها . وقد يكون بمعنى الولىّ .

وجاءت مادة هذا الاسم لتدل على معان متعددة تشير الى التصرف والحكم : تقول : وَلِىَ الشىء وولِىَ عليه وِلاية وولاية ـ بفتح الواو وكسرها ـ فى المصدر ، وهى تفيد معنى السلطان ، وتفيد أيضاً معنى النصرة ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ:

« مالكم من وِلَايتهم من شىء »

بالفتح والكسر .

والولاية ـ بكسر الواو ـ بمعنى الإمارة

وولىُّ اليتيم هو الذى يلى أمره ويقوم بكفايته ، وولى المرأة هو الذى يلى عقد النكاح عليها ، وفى الحديث : « أيما امرأة نكحت بدون إذن وليها فنكاحها باطل »

ويقال : فلان أولى بهذا الأمر ـ أى أحق به ، وهما الأوليان ـ أى الأحقان .

ومن معانى المولى ـ الولى الذى يلى أمرك ، والحليف ، والسيد ومن تقلبات هذه المادة ندرك أن الولى يأتى لمعان عدة منها :

● أنه بمعنى الوالى كالجليس بمعنى الجالس . وإذا كان الوالى يعنى الحاكم ،

فالولى الذى هو الله ـ هو الحاكم المطلق فى أمور عباده .

● ويأتى بمعنى المحب ، فالله ولى الذين آمنوا ، يعنى يحبهم ، وموالاة الله للعبد تعنى محبته إياه .

● ويأتى بمعنى المتكفل بأمور العباد الناصر لمن أطاعه منهم ، ولاشك أن الله ينصر أولياءه ويقهر أعداءه

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز »

● الولى بمعنى المتولى للأمر القائم به على خير وجه ، كولى اليتيم الذى يعنى بشئونه ، وهو أقرب الناس إليه .

وقد ورد اسم الولى « فى القرآن الكريم فى عدة مواضع منها : قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾(٦٩٠)

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾(٦٩١)

---

(٦٩٠)البقرة ٢٥٧

(٦٩١) آل عمران ٦٨

وقوله - تعالى -:

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾ (٦٩٢)

وقوله - تعالى -:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٦٩٣)

وقوله - تعالى -:

﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٦٩٤)

وقوله - تعالى -:

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ (٦٩٥)

وقوله - تعالى -:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٦٩٦)

---

(٦٩٢) الشورى ٩

(٦٩٣) الشورى ٢٨

(٦٩٤) الشورى ٤٤

(٦٩٥) النساء ٤٥

(٦٩٦) المائدة ٥٥

وقوله - تعالى -

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۝١٥٥﴾ (٦٩٧)

قال القرطبى فى تفسير معنى الولى فى قوله - تعالى -

« الله ولى الذين آمنوا » :

الولى فعيل بمعنى فاعل ، وهو الذى ينصر عباده المؤمنين .

وقد مر بنا فى تفسير معنى الولى أنه بمعنى المحب ، فلعل المراد هنا - والله أعلم - أن الله يحب الذين آمنوا ، والدليل على حبه إياهم أنه يخرجهم من الظلمات إلى النور ، فمن أحبه الله أراد له الخير وأرشده الى طريق السلامة والبر .

ولبعض العلماء أقوال فى معنى الولى . فهم يقولون : هو الولى الحميد الذى يتولى أمر عباده بالحفظ والتدبير ، وينصر أولياءه ويقهر أعداءه ، يتخذه المؤمن وليا فيتولاه - سبحانه - ويحفظه برعايته ويختصه برحمته .

ويقولون : هو مالك التدبير . فلا مدبر غيره ولاقائم بالأعمال سواه .

وقال الامام الغزالى - الولى هو المحب الناصر ، يقمع أعداء الدين وينصر أولياءه لأنه ولى المؤمنين ، ألا ترى قوله:

---

(٦٩٧) الأعراف ١٥٥

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾(٦٩٨)

ويقول الامام الرازى : إن قرب الله ـ تعالى ـ من العبد أعظم مما يستطيع العبد أن يفهمه من الآيات الكريمة التى وردت فيها كلمة الولى والمولى .

وإنما وردت هذه الأمثلة على وفق أفهام الخلق ، وإلا فلطف الله وقربه أدق من أن يصل العقل الى فهمه ، ويكفى فى الدلالة على ذلك قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾(٦٩٩)

التخلق بأدب هذا الاسم

ينبغى لذاكر هذا الاسم أن يكون وليا لله قريباً منه خاضعا له ، وأن يكون وليا للناس أيضاً ، يرعى مصالحهم ، ويتفقد شئونهم ، على قدر طاقته ، فقد ورد فى الأثر « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »

والمؤمن إذا اتخذ الله وليا عادى الشيطان وحزبه ، وعداوة الشيطان أمر مطلوب شرعا .

وموالاة الله تفرض على المرء أن يكون خادما لمولاه حقا ، حتى يستحق أن يكون ولياً لله . وقد تطلق كلمة الولى على بعض الناس . . . . . وقد

---

(٦٩٨) محمد ١١

(٦٩٩) ق ١٦

وصف الله أولياءه المؤمنين فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٧٠٠)

والولى من العباد ـ كما يقول الامام الغزالى ـ هو الذى يحب الله ويحب أولياء الله

ومن خصائص الولى أن يمده الله بعونه ويؤيده بنصره ، وفى الأثر الكريم « **من آذى لى وليا فقد استحل محاربتى ، وما تقرب إلىَّ عبدى بمثل أداء الفرائض ، ومايزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت عينه التى يبصر بها ، وأذنه التى يسمع بها ، ورجله التى يمشي بها ، وفؤاده الذى يعقل به ، ولسانه الذى يتكلم به ، إن سألنى اعطيته ، وإن دعانى أجبته** »(٧٠١)

ولقد نهانا الله عن موالاة أعدائه فقال

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ

---

(٧٠٠) يونس ٦٣ : ٦٤

(٧٠١) رواه أحمد ، والحكيم . وأبو يعلى ، والطبرانى ، وأبو النعيم ، وابن عساكر عن عائشة ـ الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية للمناوى ص ١٦٦

﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ (٧٠٢)

الذكر فى ظل هذا الاسم

جاء فى منظومة أسماء الله الحسنى :

متين فشدد حبل وَصْلِي دائما ولىٌّ فَرَقِّنــــا لأعلى الولايـــة

وقال العلماء : من لازم الذكر بهذا الاسم أحبه الله وأكرمه وأنار له طريقه وهداه إلى وسائل الخير .

قالوا : ومن أكثر من ذكره خصوصا ليلة الجمعة وجد تيسيراً فى أموره وصار وليا من أولياء الله ـ تعالى ـ

قال ابن عطاء الله فى مناجاته :

« أنت الذى أَشْرقت الأنوار فى قلوب أوليائك . وأنت الذى أزلت الأغيار عن قلوب أحبابك .

« أنت المؤنس لهم من كل موحش من العوالم ، وأنت الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم .

« ماذا وجد من فقدك ؟ وما الذى فقد من وجدك ؟

« لقد خاب من رضى دونك بدلا ، ولقد خسر من بغى عنك متحولا . .

« الهى كيف يُرْجى سواك وأنت ماقطعت الإحسان ؟

وكيف يطلب من غيرك وأنت مابدلت عادة الامتنان . . . ؟

« يامن أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين .

ويامن ألبس أولياءه ملابس هيبته فقاموا بين يديه بعزته مستعزين »

---

(٧٠٢) الممتحنة ١

الحميد

يقول العلماء في معنى الحميد ، إنه المحمود على كل حال ، المستحق الحمد . . . الحميد بحمده لنفسه أزلا ، وبحمد عباده له أبداً .
إنه الحميد المطلق الذى لاحميد سواه .

ويقصد بالحمد ـ ذكر أوصاف الجلال والكمال . . . والله ـ سبحانه ـ قد حمد نفسه بنفسه من قبل أن يحمده أحد من خلقه ـ تنبيها لهم لكى يسبحوا بحمده على ماأسبغ عليهم من نعم ظاهرة وباطنة ـ قال تعالى ـ

« وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها »

والحمد نقيض الذم ، والفرق بينه وبين الشكر ـ فيما يقول ثعلب ـ : أن الحمد يكون عن يد وغير يد ، والشكر لايكون إلا عن يد . وبعض اللغويين لايفرق بينهما .

والحمد معناه الثناء أيضاً ، فالحمد لله يعنى الثناء عليه بما هو أهله .
وجاء فى لسان العرب فى معنى اسم الحميد : الحميد من صفات الله ـ تعالى وتقدس ـ بمعنى المحمود على كل حال ، وهو من الأسماء الحسنى ، وحميد بمعنى محمود . . . . والحمد والشكر متقاربان ، وإن كان الحمد أعم ، فإنك تحمد الانسان وتثنى على صفاته الذاتية وعلى عطائه ، ولاتشكره على صفاته الذاتية ـ جاء فى الحديث : « الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لايحمده »

والإمام الغزالى ـ رحمه الله ـ يقول : الحميد هو المحمود المثنى عليه ، والله هو الحميد بحمد نفسه أزلا ، وبحمد عباده له أبداً . وهو اسم يرجع

إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوباً الى ذكر الذاكرين له . فان الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال .

ولبعض العلماءعبارات أخرى تشير الى دقة فهمهم وعمق مراميهم . .

فقد قالوا : إن الله ـ تعالى ـ هو مستوجب الحمد ومستحقه ، ـ المحمود على أى حال ـ

وهو الذى لايحمد على مكروه سواه ، وهو الذى يوفق العبد للخيرات ويجزيه عليها ويمحو بها عنه السيئات

وقد ورد ذكر الحميد فى القرآن فى عدة مواضع منها ـ قوله تعالى ـ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ (٧٠٣)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٧٠٤)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ (٧٠٥)

---

(٧٠٣) البقرة ٢٦٧

(٧٠٤) هود ٧٣

(٧٠٥) ابراهيم ١

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾(٧٠٦)

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾(٧٠٧)

التخلق بأدب هذا الاسم

لقد استفتح الله بالحمد كتابه الكريم ، ودل ذلك على أهمية الحمد ووجوبه . وقد أفاض العلماء فى شرح صفة الحمد الذى ورد فى أول الكتاب العزيز ـ فمن ذلك ما ذكره القرطبى قال : الحمد فى كلام العرب معناه الثناء الكامل ، والألف واللام لاستغراق الجنس من المحامد ، فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه ، لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلا ،

وقد ورد فى الحديث الشريف عن أنس بن مالك أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذى أعطاه أفضل مما أخذ »

وجاء فى نوادر الأصول عن أنس أيضا قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لو أن الدنيا كلها بحذافيرها بيد رجل من أمتى ثم قال : الحمد لله ـ لكانت الحمد لله : أفضل من ذلك »

وقيل هى من الباقيات الصالحات التى ذكرها الله فى قوله :

---

(٧٠٦) فصلت ٤٢

(٧٠٧) الحديد ٢٤

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ (٧٠٨)

فهذا كله يشير إلى فضل الحمد ووجوبه على العبد فى كل وقت ، لأن نعم الله لا تنفد وإحسانه دائم .

وقد يوصف العبد، بالحميد إذا حسنت عقيدته وأخلاقه وأعماله وأقواله . . ولم تظهر هذه الصفة كاملة فى مخلوق إلا فى سيد الخلق - ﷺ - وحمد الله سار فى الكائنات كلها . . . . . قال تعالى :

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ (٧٠٩)

وقال:

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ (٧١٠)

وقال:

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ (٧١١)

(٧٠٨ الكهف ٤٦

(٧٠٩) الإسراء ٤٤

(٧١٠) الرعد ١٣

(٧١١) غافر ٧

وتسبيح الكائنات جميعا بحمد الله تلقائى ، والانسان هو الكائن المطالب بتذكر نعمة الله وحمده عليها ، قال - تعالى -

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ (١٣٠) ﴾(٧١٢)

وإذا كان الخطاب هنا للنبى - ﷺ - فهو لأمته أيضا . .

وحمد الله يقتضى الاقرار بفضله ومعرفة حق المنعم قبل النعمة ، وحفظ النعمة عن استعمالها فيما لا يليق بها .

الذكر فى ظل هذا الاسم

لقد علمنا النبى - ﷺ - أدعية فى ظلال هذا الاسم . . . . . من ذلك ما رواه ابن ماجة عن ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - حدثهم « أن عبدا من عباد الله قال : يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك . . فلم يعرف الملكان كيف يكتبان ثوابها ، فصعدا إلى السماء وقالا : ياربنا ، إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها . قال الله - عز وجل - وهو أعلم بما قال عبده : ماذا قال عبدى ؟ قالا : يارب إنه قد قال : يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك .

فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى ، حتى يلقانى فأجزيه بها »

وفى الحديث : « الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض »

وقال الرسول - ﷺ - فيما يرويه أبو هريرة - : « ألا أعلمك كلمات تذهب

---

(٧١٢) طه ١٣٠

عنك الضر والسقم ، قل : توكلت على الحى الذى لا يموت ، والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا »

وآيات القرآن الكريم التى تحمل صيغ الحمد كثيرة وهى أولى بالاستعمال والذكر . ويليها ما جاء فى الحديث الشريف ، ويليها ما جاء على ألسنة الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

قال العلماء ؛ من داوم على ذكر « الحميد » أغناه الله غنى لا حصر له ونصره الله وأعزه ، وأكسبه المحامد فى صفاته وأقواله ، وكان ذلك سببا فى الشفاء من الأمراض والأسقام . كما رأينا فى الحديث السابق .

المحصى

جاء فى لسان العرب : فى أسماء الله - تعالى - المحصى ، وهو الذى أحصى كل شيء بعلمه ، فلا يفوته دقيق منها ولا جليل .

والإحصاء العد والحفظ ، وأحصى الشيء : أحاط به ، وفى التنزيل « وأحصى كل شيء عددا » معناه : أحاط علمه - سبحانه - باستيفاء عدد كل شيء . . . . . . وأحصيت الشيء : عددته .

ولم يرد اسم المحصى بلفظه فى القرآن الكريم ، ولكنه ورد فى سلسلة الأسماء التى جاء بها الحديث الشريف « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » ورقم هذا الاسم بينها الثامن والخمسون .

ولكن ورد فى القرآن ما يشير إليه ، وذلك فى قوله - تعالى -

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ (٧١٣)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ (٧١٤)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا

---

(٧١٣) مريم ٩٣ : ٩٥

(٧١٤) يس ١٢

ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ (٧١٥)

وقال بعض العلماء فى معنى اسم المحصى : إنه العالم بمقادير الحوادث ، وما يحيط به الخلق من علم ومالا يحيطون به كالأنفاس والأرزاق وعامة الموجودات ، فهو الشاهد على ما كان وما يكون ، وهذا يرجع إلى القدرة التامة ونفى العجز الذى هو صفة المخلوق لا الخالق . .

ومن معانى المحصى عند أهل المعرفة : أنه الذى يحصى الأعمال ويعدها ليوم اللقاء والجزاء .

وهو العالم بدقائق الأمور وأسرار المقدور ، البصير بالظاهر الخبير بالباطن .

هو المحصى للطاعات ، المحيط بجميع الحالات .

هو المحصى لجميع الأنفاس ، الخبير بخفى الوسواس . .

وقال بعضهم : هو المحيط بكل شيء علما . وعلى هذا فسروا الحديث الشريف « إن لله تعالى - تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » بمعنى علمها - وقال بعضهم : هو المحيط بكل موجود جملة وتفصيلا ، لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء . قال - تعالى

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (٧١٦)

---

(٧١٥) الكهف ٤٩

(٧١٦) الحاقة ١٨

وكيف تخفى عليه خافية وهو العليم الخبير بكل ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . . . . وقد يتضمن معنى المحصى ـ الحفظ . . . قال بعض العلماء : هو الحافظ لأعداد طاعتك ،. العالم بجميع حالتك .

لقد عَرَّف الامام الغزالى ـ رحمه الله ـ المحصى بالعالم ، فإذا أضيف العلم إلى المعلومات من حيث إحصائها وعدها والإحاطة بها سمى ذلك العلم إحصاء .

والله هو المحصى المطلق ، الذى ينكشف فى علمه حد كل معلوم وعدده ومبلغه . إن العبد وإن كان فى مقدوره أن يحصى بعلمه بعض المعلومات إلا أنه يعجز عن حصر الكثير منها . فإحصاؤه ناقص وعلمه قليل .

ومازال علم الإحصاء الحديث على الرغم من تطوره وتدخل الأجهزة الحديثة فيه ، واختراع الحاسبات « الألكترونية » التى سجلت بعض المعلومات ـ مازال يتعرض للخطأ والتشويش والنسيان .

وبالاضافة إلى ذلك فإن عمل هذه الحاسبات يتوقف على علم الانسان القاصر ، وهو لا يتعدى ما يلقن له من خبرات وبرامج .

أما إحصاء الله فقديم ، وهو يتناول كل صغير وكبير من ذرات هذا الكون الواسع المترامى الأطراف ، ما يدرك بالحس ومالا يدرك به ، وما يقع فى دائرة العلم الإنسانى ومالا يقع .

يقول الرازى ـ رحمه الله ـ : إن إحصاء الله راجع إلى علمه ـ سبحانه ـ بعدد أجزاء الموجودات وعدد حركاتهم وسكناتهم ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (٧١٧)

كما أن إحصاء الله لا يجرى عليه النسيان ـ قال ـ جل وعلا ـ:

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ (٧١٨)

كيف يتخلق العبد بآداب هذا الاسم ؟

إن المؤمن إذا علم أن الله يحصى عليه كل شىء ، ويقدم له يوم القيامة كتابا قد سجلت فيه أعماله كلها ـ حتى إن العبد ليقول « يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » إذا علم المؤمن ذلك ـ دعاه هذا إلى وجوب مراقبة ربه وحساب نفسه . .

وإذا فعل العبد ذلك عن طريق المران والتدريب لم يلبث أن يتحول ذلك عنده إلى فطرة وطبيعة ، فيصبح عبدا ربانيا يكون محل نظر الله فى الأرض .

قال العلماء فى معنى المراقبة : هى دوام النظر بالقلب إلى الله تعالى ، ومراقبة ما يبدو من أفعاله وأحكامه . وثمرة ذلك حسن الآداب والسلامة من شدائد الحساب ، والتحلى بحلية الأولياء ذوى الألباب

كان ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ فى سفر ، فرأى غلاماً يرعى غنماً ، فقال له : أتبيع من هذه الغنم واحدة ؟

فقال الغلام : إنها ليست لى .

---

(٧١٧) النبأ ٢٩

(٧١٨) المجادلة ٦

فقال ابن ـ عمر ـ وهو يختبر الغلام ـ : قل لصاحبها إن الذئب عدا عليها وأخذ واحدة منها .

فقال الغلام : فأين الله ؟

فظل ابن عمر يردد هذه الكلمة دائماً : قال العبد : فأين الله .

قال العبد فأين الله . وكان يرفع بها صوته . إعجاباً بما قال ذلك الغلام ، وحثاً للناس على الاقتداء به فى تعلم المراقبة .

ويقتضي التأدب بهذا الاسم وجوب شكر المنعم على نعمه الكثيرة ، فمتى علم العبد أن هذه النعم تفوق العد والاحصاء استوجب منه ذلك دوام الشكر ، والخروج من دائرة الجحود التى يحاول الشيطان حصر الناس فيها قال ـ تعالى ـ:

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٨﴾(٧١٩) .

وشكر المنعم على نعمه يستوجب زيادتها ، فقد جاء فى القرآن الكريم قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾(٧٢٠)

وقال ابن عطاء الله السكندرى فى ذلك « من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ، وَمَن شكرها فقد قيدها بعقالها » .

ومقتضى شكر النعمة عدم عصيان الله بها ، مصداقاً لقول الشاعر :

---

(٧١٩) النحل ١٨

(٧٢٠) ابراهيم ٧

إذا كنت فى نعمة فارعها   فإن المعاصى تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله   فإن الإله سريع النقم
إذا تم شىء بدا نقصه   توقع زوالاً إذا قيل تم

الذكر فى ظل هذا الاسم

قال العلماء : من أكثر من ذكر هذا الاسم أورثه الله مقام المراقبة ، وإذا أضاف إليه اسم ـ المحيط ـ أحاط من العلم بما لم يحط به غيره من الناس .

وقالوا : إن من استدام الذكر به سخر الله له الخلق ، ونجاه الله من مشقة الحساب والعقاب يوم القيامة .

ومن الأدعية الواردة فى ظل هذا الاسم :

« إلهى أنت المحصى لحركات العباد ، المحيط بعمل أهل الجفاء وأهل الوداد ، أحصيت جميع الأسرار فى الانسان ، وجمعت فيه سائر الأكوان ـ اكشف عن قلوبنا الحجاب ، حتى نشهد فى أنفسنا أنوار المعطى الوهاب ، وامنحنا نور المراقبة حتى نراقب جميع أعمالنا ، ونحصى سائر أحوالنا إنك على كل شىء قدير[٧٢١] . . » .

ومن دعاء بعض الصالحين :

« يا محصى الأشياء وزناً وعداً ، طولاً وعرضاً ، قرباً وبعداً ، نوراً وظلاماً ، مكاناً وزماناً ، يا خالق ما نرى وما لا نرى من فوق السموات العلا وما وراءها إلى ما تحت أطباق تخوم الثرى وما بعدها ، يا مسكن المتحركات الحارة الملتهبة النارية فى سريع دورانها ، ومحرك الساكنات الباردة

---

(٧٢١) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ ١ ص ٣١١

المائية والترابية فى عميق سكونها ، يا خالق الكون والمكان والزمان بنظام عجيب وصنع بديع من غير سابق مثال ، لا إله إلا أنت عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال[٧٢٢] . . » .

---

(٧٢٢) فى ملكوت الله مع أسماء الله للشيخ عبد المقصود محمد سالم ص ١٧٧

المبدىء المعيد

يرتبط هذان الاسمان الشريفان ويتلازمان غالباً ، وقد وردت مادتهما معاً في القرآن الكريم في عدة مواضع ـ منها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٧٢٣)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (٧٢٤)

وفي قوله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ ﴾ (٧٢٥)

ويفيد معنى المبدىء ـ كما جاء في لسان العرب ـ أنه هو الذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداء من غير سابق مثال . والبدء ـ هو فعل الشيء بداية ، تقول : بدأ به وبدأه يبدؤه بدءاً ، وأبدأه وابتدأه ـ بمعنى أوجده من عدم .

ويفيد معنى المبدىء أن الله كان ولا شيء معه ولا قبله ، ثم بدأ الخلق من العدم إلى الوجود ، فأحسن كل شيء خلقه بتقدير كامل وتدبير محكم وعلم سابق وحكمة بالغة ـ قال ـ تعالى ـ :

---

(٧٢٣) الأعراف ٢٩

(٧٢٤) الأنبياء ١٠٤

(٧٢٥) البروج ١٣

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ (٧٢٦)

وتكلم العلماء فى بدء الخلق استناداً إلى الحديث الذى أورده البخارى « كان الله ولم يكن شىء غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السموات والأرض(٧٢٧) . . » .

فقالوا : أول ما خلق الله الماء ثم خلق العرش ثم خلق القلم فقال له : اكتب ما هو كائن ، ثم خلق السموات والأرض وما فيهن .

وحين خلق الله القلم وقال له اكتب ـ قال ، القلم : ما اكتب ؟ قال : اكتب القدر ـ فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة .

وجاء فى تفسير القرطبى ـ سورة العلق ـ أن الله خلق أربعة أشياء بيده ، ثم قال لسائر الحيوان : كن فكان : القلم ، والعرش ، وجنة عدن ، وآدم عليه السلام ـ

ولما خلق الله الخلق كتب فى كتاب ـ فهو عنده فوق العرش : « إن رحمتى تغلب غضبى » .

وقال العلماء : إن الله ـ تعالى ـ بعد أن خلق الماء أيبس أجزاء منه فهى الأرض ، وثار من الماء دخان فارتفع فصار سماء ، وهذا هو قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (٧٢٨)

---

(٧٢٦) السجدة ٧

(٧٢٧) فتح البارى جـ ٦ ص ٣٣١ كتاب بدء الخلق

(٧٢٨) فصلت ١١

ويلتقى معنى المبدىء مع المبدع والفاطر . فالله هو الذى بدأ الخلق وأبدعه وفطره على غير مثال سابق . سبحانه هو الخلاق العليم .

والله هو الذى أظهر جميع الخلق من العدم إلى الوجود . . وأفاض عليهم من نور اسمه الموجود . وأتحفهم باتحافات البر والجود .

واسم المبدىء له نور يشرق على قلوب المحبين ، فيطيّرون شوقاً إلى رب العالمين ، لأنهم تذكروا البداية فحنوا ، وتفكروا فى الأصل فتأدبوا . . . . وقال شاعرهم فى ذلك :

قلوب العارفين لها عيون ... ترى ما لا يراه الناظرونا
وأجنحة تطير بغير ريش ... إلى ملكوت رب العالمينا

ولعل هذا المعنى هو ما يشير إليه ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه حيث يقول موجها القول إلى الأنسان : « جعلك فى العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ، ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته ـ قال تعالى ـ :

« ولقد كرمنا بنى آدم »

أما ما يتعلق باسم المعيد . فقد قال العلماء : إنه من أعاد إعادة ، والله ـ تعالى ـ يعيد الحياة إلى الأجسام بعد موتها ، ويبعثها يوم نشورها ، قال تعالى:

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٧٢٩)

قال ابن منظور : بدأ الله الخلق فأحياهم ، ثم يميتهم ، ثم يعيدهم

(٧٢٩) البقرة ٢٨

أحياء كما كانوا . قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٧٣٠)

وقال تعالى ـ:

﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (٧٣١)

فهو سبحانه الذى يبدأ الخلق ، ثم يميتهم بعد الحياة فى الدنيا ، ثم يعيدهم بعد الممات إلى الحياة يوم القيامة .

ويطلق على الآخرة ـ المعاد ، كما يطلق على الصلة ـ العائدة ، لأنها تعود بالشكر على صاحبها وبالإحسان على الموصول .

ويطلق على الأمر لا يقلع عنه صاحبه عادةً ، لأنه يعود إليه المرة بعد المرة .

ويطلق على زائر المريض عائد ، لأنه يعود عليه بالسؤال .

هذه بعض المعانى التى تتقلب فيها مادة يعيد .

أما المعيد فى صفة الله ـ تعالى ـ فهو الذى يعيد الخلق للحساب ، ويحشرهم إليه بعد أن فنوا فى التراب ، فيناقشهم فيما قدمت أيديهم ، فإما

---

(٧٣٠) الروم ٢٧

(٧٣١) الاسراء ٥٠ : ٥٢

مسوق إلى الجنة وإما مسوق إلى العذاب .

ولا يقدر على ذلك إلا الله القادر الذى يقول للشيء كن فيكون .

كيف يتأدب المؤمن بأدب هذين الاسمين ؟

إن من واجب المؤمن أن يتذكر أصله الترابى ، الذى بدأ منه ، فيخشع قلبه ويتواضع لله - تعالى -

كما يتذكر كيف جعل الله منه إنساناً قوياً مكرماً مفضلاً على كثير من الخلق تفضيلاً ، فيشكر الله على نعمته ويداوم على طاعته .

وواجبه أن يتذكر نهايته ، وأن مصيره إلى الفناء ثم الاعادة للجزاء ، فيعمل لهذا اليوم الذى لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

إذا تذكر الانسان أن ما مضى من أيامه لا يعود ، وما ذهب لا يرجع ، حسب حساب وقته وأنفقه فيما يفيد ، وتذكر الحكمة القائلة ، الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك . .

إن طلب الفراغ للطاعة جفاء من العبد لمولاه ، فمن حق المولى على عبيده أن يقدموا طاعته على كل ما عداها من أعمالهم . وألا يؤثروا أنفسهم أو مشاغلهم عليه . . علينا أن نتدبر جيدا قوله - ﷺ - « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى »

الذكر فى ظل هذا الاسم

إذا ردد الذاكر اسم « المبدىء » مع اليقظة وحضور القلب ، وفقه الله للخيرات

ومن كان ناسيا فقال : يامبدىء يا معيد مرارا - مع طلبه من الله أن يذكره ما ينسى - يذكره إن شاء الله - تعالى .

ومن أكثر من ذكر اسم المعيد ذهبت حيرته ، واهتدى لما فيه صلاحه . ومن الذكر بذلك : « يامبدىء البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته » و« يا معيد ما أفناه إذا برز الخلائق لدعوته . . . . » وذكر المعيد مفيد لمن تعتريهم الهموم والكروب والأحزان ، فما يلبثون حتى تسبقهم الإجابة بالفرح وشرح الصدر بإذن الله .

قال بعض الصالحين فى الدعاء باسم المبدىء : - « إلهى أنت المبدىء للخلق من العدم ، والمظهر للجميع بمحض الكرم ، خلقت الروح من النور لتشهد الجمال ، وخلقت الجسم من الأرض فلبس حلل الديباج ، أشهد أرواحنا نور الهداية والبداية ، وأشرق علينا أنوار الأسماء وجملنا بأنوار البهاء ، فأنت المبدىء وأنت المعيد ، وأنت على كل شىء قدير .

وقالوا فى الدعاء باسم المعيد :

« إلهى أنت المعيد للعباد يوم الحشر ، المعيد لأوليائك إلى فسيح قدسك ونعيم جنتك . .

إلهى تجل لنا باسمك المعيد فأعد قوانا إليك ، حتى يكون ذلك هو البعث والنشور ، . وقيامنا من سجن الأجسام التى هى لنا قبور ، فندخل جنة الرضا بغير حساب ، ونصل الى حضرة الوهاب - إنك على كل شىء قدير وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »[٧٣٢]

---

(٧٣٢) أسماء الله الحسنى د. أحمد الشرباصى جـ ١ ص ٢١٧

المحيى المميت

ورد هذان الاسمان فى سلسلة الأسماء التى ورد بها الحديث الشريف ، ورقماهما الحادى والستون والثانى والستون .

ومعنى المحيى . أنه باعث الحياة فى مخلوقاته بعد موتها ، فهو الذى ينفخ فى الانسان الروح فيحيا من الموت ، وهو الذى يحيى الأرض بالماء فتنبت بالرزق ـ قال تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٧٣٣)

وقال تعالى :

﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٧٣٤)

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (٧٣٥)

إنه الذى يحيى القلوب بنور المعرفة والإيمان .

وقد خلق الله الموت والحياة لحكمة ـ أشار اليها الحق فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ (٧٣٦)

---

(٧٣٣) الأنبياء ٣٠

(٧٣٤) الروم ٥٠

(٧٣٥) الدخان ٨

(٧٣٦) الملك ٢

وقدم الموت لأنه للقهر أقرب ، وقيل : قدمه لأنه أقدم ، فالأشياء فى الابتداء كانت فى حكم الموت كالنطفة والتراب .

وقال قتادة : كان رسول الله - ﷺ - يقول : « ان الله أذل بنى آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت ، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء »

وقال بعضهم : قدم الموت على الحياة لأن أكثر الناس عملا وطاعة لله من نصب الموت بين عينيه . .

ومن العلماء من يرى أن الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته ، والحيلولة بينهما ، وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار . . . . . والحياة عكس ذلك .

بل إن بعض العلماء يتحدثون بأن الحياة تسرى فى الجمادات ، التى يظنها الإنسان لا تحس ولا تعقل . . . . . قال تعالى

﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٧٣٧)

وقال :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (٧٣٨)

ومن المعجزات المشهورة للنبى - ﷺ - أن الحصى سبح بين يديه ، ووضعه فى يد أبى بكر فسبح . ووضعه فى يد عمر فسبح .

---

(٧٣٧) النمل ٦٨

(٧٣٨) الاسراء ٤٤

فكيف يسبح من لا حياة فيه ؟

وقد وردت مادة الحياة والموت فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، تشهد بقدرة الله - تعالى - وقيوميته .... من ذلك قوله - تعالى -

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٧٣٩)

وقوله - تعالى -

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (٧٤٠)

وقوله - تعالى -

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (٧٤١)

ومظاهر الإحياء كثيرة سبقت الإشارة إليها ، فهى ليست قاصرة على إحياء الأجسام ، بل تتناول أيضا الإحياء المعنوى بالإيمان والعلم والمعرفة

---

(٧٣٩) فصلت ٣٩

(٧٤٠) البقرة ٢٥٨

(٧٤١) الأعراف ١٥٨

والمشاهدة ، وغير ذلك من القوى المعنوية التى تؤثر فى الأشباح كما تؤثر فى الأرواح . .

ولذلك قال بعض العلماء فى تفسير اسم الله ـ المحيى : هو الذى أحيا العوالم بسره ، وغمر الموجودات بوافر بره ،

وهو الذى أحيا قلوب الصالحين بنور المشاهدة ، وجمل نفوس المخلصين بجمال المجاهدة .

وهو الذى أمد المحبين بنور المحبة ، ووصلهم بحبال المودة ، وشملهم بلطائف الرحمة ، وأنعم عليهم بنعمة الصحبة .

أما معنى المميت ، فهو مقدر الموت على كل من أماته ، والموت هو نقيض الحياة ، وهو من خلق الله ـ تعالى ـ ليقهر به الخلق ، فقد جاء فى التسابيح : سبحان من قهر العباد بكأس الموت .

وللموت حكمة عليا ـ منها حفظ الحياة نفسها . فلا يدرى أحد كيف يكون طعم الحياة لو استمرت هكذا دون فناء ، مع ما يتراكم فيها على الخلق ، من ضروب المعاناة والشقاء . ؟

وفى إشارة إلى هذا المعنى قال أحد الشعراء فى رثاء صديق له :

ولولا وجود الموت فينا لأصبحت ... أزاهرنا شوكا يُصَدُّ ويُبْعَدُ
ولاجتمعت فينا من الأمس حيرة ... وضاق بها فى عالم الغد مورد
سبيل جميع الخلق هذا وقد مشى ... على دربه موسى النبى وأحمد
ولم ينج نوح رغم طول حياته ... من الموت ، بل ناداه للقبر موعد
فعمر كما عمرت إنك ميت ... وسوف على رغم السلامة تُلْحَدُ

ولذوى النظر فكر فى الموت يهون مصيبته .. قال المعرى :

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد

وقال أحد العلماء وهو على فراش الموت ، وقد رأى تلاميذه يجزعون عليه :

لا ترعكم سكرة الموت فما هى إلا نقلة من هاهنا
أنا عصفور وهذا قفصى طار عنه فتخلى رهَنا

وأيا ما كان الأمر فإن للموت لذعة ولوعة ، وكان النبى - ﷺ - يقول فى دعائه : اللهم أعنى على سكرات الموت .

وهذا هو ما يظهر عجز الإنسان وضعفه ، فإنه لا يقدر على دفع ما هو واقع به من كربة الموت الذى يسلمه الى هذا المصير المحتوم الذى ينتظره .

ولأن الموت له رهبة يحذرها الناس جميعا حتى المقربون منهم ، فإن الله قد محاه من ديوان الآخرة ، وكتب الخلود فيها للسعداء والأشقياء على السواء كل يخلد حسب عمله .. فقد ورد أن الله يأتى بالموت فى صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار ، وينادى منادٍ فى أهل الجنة : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، وينادى منادٍ فى أهل النار : يا أهل النار خلود بلا موت ..

وفى ذلك مضاعفة السعادة للسعداء ، ومضاعفة الشقاء للأشقياء . والله - تعالى يميت الخلق بذاته أو بواسطة رسله ..

فهو الذى يتوفى الأنفس حين موتها - وهو الذى يرسل ملائكته « حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا »

والموت من خلق الله لا شك فى ذلك ، وحدوثه بأمر الله ، وقد يكون بيد الله أو بيد رسل الله من الملائكة .

ولبعض الصالحين كلمات رقيقة لمعنى المميت . فهم يقولون : المميت الذى أمات المذنبين بالمخالفات . وهو الذى أمات الجبابرة رحمة بأحبابه ، وأمات الظَّلَمَة لعدم احترامهم لجنابه .

وهو الذى أمات الأرض إذا خلت من النبات ، وأحياها إذا جاءت بالثمرات .

وهو الذى أحيا السنن وأمات البدع بالعارفين من العلماء ، وهو الذى أمات شهوة النفس عند الصالحين ، وخذل بقدرته مكائد الشيطان .

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذين الاسمين ؟

إذا كان ذكر الله يحيى القلوب فعلى المؤمن أن يكثر من ذكر الله حتى يحيا قلبه .

وعليه أن ينير عقله بالعلم والمعرفة ، ويحيى نفسه بنور الإيمان . فكم من حى ميت ، وكم من ميت حى ، وصدق الشاعر الذى يقول :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وإذا كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، فعلى المؤمن أن يسابق لنيل هذه الدرجة ـ درجة الاستشهاد فى سبيل الله ـ

وعلى المؤمن أن يكون وسيلة للإحياء ببث العلم النافع ، والإرشاد المفيد والأخذ بيد الحيارى إلى طريق الخير والصلاح

وعليه أن يتأدب بأدب المميت فيميت البدعة ويحيى السنة ، وينشر

العدل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقضى على الباطل وأهله ، والشرك وحزبه .

الدعاء فى ظل هذا الاسم

قال أهل المعرفة : من أكثر من ذكر اسم المحيى أحيا الله قلبه بنور المعرفة ، وأضاء نفسه بأسرار المكاشفة .

ومن استعصت عليه قيادة نفسه فليقرأ فى جوف الليل قدر طاقته اسم المحيى ـ فإن الله يمن عليه ـ إن شاء الله ـ بانقياد نفسه له . . وترداد اسم المميت مفيد فى القضاء على الظلم وأهله .

ومن الأدعية فى ظلال هذين الاسمين .

« إلهى أنت المحيى لكل مراتب الأكوان ، والمتجلى على البرايا بالفضل والإحسان ، أحييت الأشباح بالماء ، وأحييت الأرواح بظهور الضياء ، وجعلت نبيك مظهر اسمك ـ المحيى القادر ـ فأحييت به من شئت فى الأوائل والأواخر نسألك أن توصل أرواحنا بحضرته ، وتجعلنا بفضلك فى معيته . . »

وكان من دعاء النبى ـ ﷺ ـ إذا أوى إلى فراشه ـ يقول :
« الله باسمك أحيا ، وباسمك أموت »

وإذا أصبح كان يقول : « الحمد لله الذى أحيانا بعد موتنا وإليه النشور »
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الحـى القـيوم

يرى بعض العلماء « أن الحى القيوم » اسم الله الأعظم

فقد جاء فى تفسير القرطبى ـ عند تفسير آية الكرسى ـ : يقال : إنه اسم الله الأعظم ،

ويقال : إن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ كان إذا أراد أن يحيى الموتى يدعو بهذا الدعاء : ياحى ياقيوم . ويقال : إن آصف بن برخيا ـ لما أراد أن يأتى بعرش بلقيس إلى سليمان دعا بقوله : ياحى ياقيوم . ويقال : إن بنى إسرائيل سألوا موسى عن اسم الله الأعظم فقال لهم : « أياهيا شراهيا » يعنى : ياحَىّ ياقيوم .

ويقال : هو دعاء أهل البحر إذا خافوا الغرق يدعون به .(٧٤٢)

واسم « الحى » مشتق من الحياة التى هى نقيض الموت .

وهذه الصفة تفيد أن الله هو الباقى حيا بذاته أزلا وأبداً ، له الاطلاق الكلى والنفوذ الفعلى ، وكل حى سواه ليس حيا بذاته ، وإنما يستمد حياته منه .

قال بعض العلماء : الحى هو دائم الحياة الذى له البقاء المطلق ، وكما لم يسبق وجوده عدم لايلحق بقاءه فناء ، ولاتأخذه سنة ولا نوم ، ـ سبحانه ـ له وحده الدوام والبقاء . كل شىء هالك إلا وجهه »

وقد ورد اسم الحى فى القرآن الكريم فى عدة مواضع ، جاء فى بعضها مقترنا بالقيوم .

---

(٧٤٢) تفسير القرطبى ـ جـ ٣ ص ٢٧١ آية الكرسى

وجاء فى بعضها غير مقترن به .

وهذه هى المواضع التى جاء فيها هذا الاسم :

قال تعالى

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (٧٤٣)

وقال

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ (٧٤٤)

وقال

﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ (٧٤٥)

وقال

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ (٧٤٦)

---

(٧٤٣) البقرة ٢٥٥

(٧٤٤) آل عمران ٢

(٧٤٥) طه ١١١

(٧٤٦) الفرقان ٥٨

وقال :

﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٧٤٧)

ويقول الامام الغزالى ـ رحمه الله ـ فى تفسير معنى الحى . . انه هو الفعّال الدرّاك ـ فالحى الكامل المطلق هو الذى تندرج جميع المدركات تحت إدراكه ، وجميع الموجودات تحت فعله ، حتى لايشذ عن علمه مُدْرك ، ولاعن فعله مفعول ، فالله هو الحى المطلق ، وكل حى سواه فحياته بقدر إدراكه وفعله .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ حى ، وحياته صفة من صفاته وهو وحده الدائم البقاء الذى لاسبيل إلى فنائه

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٧٤٨)

إن الذى يطلق عليه اسم الحى من الكائنات هو كل متكلم ناطق متحرك ، والحى من النبات ماكان طرياً غضاً يهتز . وفى الحياة المعنوية الحقيقية يوصف المسلم بأنه حى

ويوصف الكافر بأنه ميت ، وهذا مايدل عليه قوله ـ تعالى :

﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٧٤٩)

---

(٧٤٧) غافر ٦٥

(٧٤٨) الرحمن ٢٦ ، ٢٧

(٧٤٩) فاطر ٢٢

لقد شبه الله الكفار بالأموات الذين لايجيبون من يدعوهم . . . . . . هم يسمعون ولكنهم لايجيبون فكأنهم أموات ، لأن الحى الذى هو على ظهر الدنيا يجيب من يدعوه . .

وقد صم الكفار آذانهم عن دعوة الحق فلم يجيبوا من دعاهم إليها فأشبهوا الأموات الذين لايجيبون .

أما المسلمون فقد حيوا بالايمان وطاعة الله ، واستجابتهم لما جاء به رسول الله . . وحياة كل شيء مستمدة من الله الذى يحيى ويميت وهو الحى الذى لايموت

وقد دعانا الله الى التوكل عليه والالتجاء إليه والاعتصام به .

وهذا هو مانتعلمه من أدب هذا الاسم الكريم .

مات لرجل ابن فبكى عليه حتى عمى ، فقال له رجل معاتباً : الذنب فى عماك ذنبك ، لأنك أحببت ميتا ، ولو أحببت حيا لما حاق بك ماحاق .

وذلك يشبه ما وعظ به عيسى ـ عليه السلام ـ قوماً خزنوا أموالاً فسرقت ، وخزنوا غلات فأكلها السوس . فقال لهم : اخزنوا الأموال والغلال فى السماء ، حيث لاصدأ ولاسوس ، ولا حرق ولاغرق ولاضياع . .

وقصد بذلك أن يتصدقوا وينفقوا فى سبيل الله فتكون مدخراً لهم عند الله الذى لاتضيع عنده الودائع .

أما القيوم فمعناه القائم بتدبير أمر خلقه فى إنشائهم ورزقهم وعلمه بحاجاتهم ومعايشهم وأماكنهم .

قال القرطبى : القيوم مِنْ قام ـ أى القائم بتدبير ماخلق . وقال الحسن : القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجاز يها بعملها من حيث هو عالم بها لايخفى عليه شىء منها .

وقال ابن عباس معناه لايزول ولايحول .

وقد تنبه لمعنى هذا الاسم شاعر جاهلى ـ كان يتوقع أن يُوحى إليه ـ وهو أمية بن أبى الصلت ، وكان قد قرأ الكتب القديمة واهتدى بها إلى أن هناك دينا جديداً سيظهر ، وأن نبياً سيبعث فى العرب ـ فقال :

لم تخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر يقوم
قدره مهيمن قيوم والحشر والجنة والنعيم
إلا لأمر شأنه عظيم

وهذا الشاعر هو الذى قال عنه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : آمن شعره وكفر قلبه »

ومن معانى القيوم : الذى لاينام ، وقد جاء قوله ـ تعالى ـ

« **لا تأخذه سنة ولا نوم** » كالتفسير له .

ومن معانى القيوم أيضاً : **القائم الحفيظ لكل شىء المعطى لكل شىء مابه قوامه ، المقيم لكل شىء مايحفظه وكل شىء قائم بأمره .**

وقال ابن منظور فى لسان العرب : القيوم والقيَّام والمدبِّرواحد ، واستشهد بكلام الزجاج : القيوم والقيَّام فى صفة الله ـ تعالى ـ وأسمائه الحسنى : ـ هو القائم بتدبير أمر خلقه فى إنشائهم ورزقهم وعلمه

بأمكنتهم ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦ ﴾ (٧٥٠)

وإذا كان الكلام مع أهل اللغة فإنهم يتحدثون عن اشتقاق هذا الاسم فيقولون : إنه على وزن فيعول .

وهى صيغة مشتقة من قام ، زادوا فى مبناها ليزيدوا فى معناها ، ومن هذا الفعل جاء قَيِّم ـ بمعنى قائم .... وقيِّم المسجد إمامه ، وقيم المكان رئيسه ، والدين القيم هو المعتدل والأمة القيمة كذلك ، « وذلك دين القيمة » أى دين الأمة القيمة المعتدلة ، ومرد ذلك إلى الاستقامة ... كما تقول : رمح قويم أى معتدل ، وخلق قويم ـ أى مستقيم وأهل التفسير يقولون : القيوم ـ القائم على كل شىء . هذا قول مجاهد .

وقال قتادة : القيوم القائم على خلقه بآجالهم وأعمالهم وأرزاقهم ..

وقد ورد فى الاسم كما قلنا : القيَّام ـ بالألف ـ وفى حديث الدعاء « ولك الحمد أنت قيَّام السموات والأرض »

قال العلماء : والقيوم من أسماء الله المعدودة ، وهو القائم بنفسه مطلقا لابغيره ، وهو مع ذلك يقوم به كل موجود ، فلايُتَصوَّر وجود شىء ولا دوام وجود شىء إلا به ـ سبحانه ـ

وقد ورد اسم القيوم فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع هى التى ذكرناها

---

(٧٥٠) هود ٦

فى صدر هذا الحديث ـ عند الكلام على اسمه ـ تعالى ـ « الحىّ »

كيف يتأدب المؤمن باسم الله « القيوم » ؟

أدب المؤمن فى ظل هذا الاسم أن يقطع قلبه عن التعلق بالخلق ليصله بالخالق . لأن الله هو القائم بأمره . ومتى علم ذلك استغنى به عمن سواه .

فيجب على المؤمن أن يكون توكله على الله الغنى ، وأن يكون الله حسبه وعليه معتمده .

قال بعض أهل المعرفة : حسبك من التوكل ألا ترى لنفسك ناصراً غير الله ، ولا لرزقك خازنا غيره ، ولالعلمك شاهدا غيره .

ومتى علم المؤمن أن الله قائم بأمره استراح قلبه من الهموم وذهبت عنه الأحزان والغموم . . فمن كان رزقه على الله فلايحزن ، ومن كان حسبه الله فلايخاف .»

الذكر فى ظل هذا الاسم

رُوِىَ عن أبى على الكنانى ـ رضى الله عنه ـ قال : رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنام ، فقلت : يارسول الله ادع الله ألا يميت قلبى ، فقال : إذا أردت أن يحيا قلبك فلايموت أبداً فأكثر من ترديد هذا القول وتكراره ـ

« يا حى ياقيوم لاإله إلا أنت » .

وعن على ـ رضى الله عنه ـ قال : لما كان يوم بدر قاتلت ، ثم جئت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : انظر ماذا يصنع ، فاذا هو ساجد يقول :

« ياحى ياقيوم » لايزيد على ذلك شيئاً ، ثم رجعت الى القتال ، ثم جئت إليه فوجدته يقول ذلك ، فلا أزال أذهب وأرجع وأنظره فأجده لايزيد على ذلك إلى أن فتح الله علينا بالنصر المبين .

قال بعض العلماء : من قال : ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث وبقوتك أستعين بعث الله فى نفسه النشاط ،

وجنبه الخمول والكسل ، وفتح له باب الحفظ والفهم والعلم والعمل

وقيومية الله هى التى يستمد منها المؤمن يقينه بأن الله معه يحفظه ويعينه .

وقد ورد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أوصى ابنته فاطمة - رضى الله عنها - أن تقول صباحا ومساء : « ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لى شأنى كله ، ولاتكلنى إلى نفسى طرفة عين »

وجاء فى صحيح البخارى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان إذا قام يتهجد بالليل دعا ربه فقال : « اللهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، ولك ملك السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر لاإله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله »

الواجـد

لم يرد هذا الاسم الكريم فى القرآن الكريم ، ولكنه ورد فى سلسلة الأسماء الشريفة التى جاء بها الحديث الشريف ، ورقم هذا الاسم فى هذه السلسلة الخامس والستون .

والواجد عكس الفاقد . والفاقد فقير عاجز ، أما الواجد فهو غنى قادر .

وهذا الاسم مأخوذ من وَجد . تقول : وجد الشيء يجده وُجوداً وَوَجْداً وَوُجْداً وجدةً ـ قال تعالى :

« أسكنوهن من حيث سكنتم من وُجْدكم »

قال العلماء : أى من سعتكم والوُجد فى المال معناه الاتساع والغنى والكثرة .

والواجد معناه الغنى قال الشاعر :

الحمد لله الغنى الواجد

وأوجَدَه الله أى أغناه . تقول : الحمد لله الذى أوجدنى بعد فقر ووسع علىَّ بعد ضيق .

وفى الوجد معنى القدرة والقوة تقول : هذا من وجدى أى من قدرتى ، قال الشيخ عبد المقصود محمد سالم : هذا الاسم غير وارد فى القرآن ولكنه مجمع عليه . . . .

ومعناه : الغنى الواجد كل مايشاء ويطلب ، المدرك كل مايريد ، القادر على تنفيذ مراده ، سبحانه يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء ، ولا يفوته مراد ، ولايستعصى عليه مطلوب ، رفيع القدر ، عظيم الشرف ، كامل

القدرة ، واسع الجود والعطاء .

وذكر بعض العلماء :

أن معناه المالك لكل مافى الوجود القادر على كل موجود ، ولاتخفى عليه خافية ، وكل شيء تحت سمعه وبصره ، وهو الغنى له مافى السموات ومافى الأرض ومابينهما وما تحت الثرى .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تشير الى معنى هذا الاسم الذى يشير إلى الغنى والقدرة ، وإلى أن الله لايغيب عنه شيء ولايفوته شيء وهو قريب من كل شيء .

قال - تعالى -

﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾ (٧٥١)

وقال - تعالى -

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ۝٢٠ ﴾ (٧٥٢)

(٧٥١) الضحى ٧ ، ٨

(٧٥٢) سورة المزمل ٢٠

وقال ـ تعالى ـ

﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٠) [٧٥٣]

فالله الذى لايغيب عنه شيء ، ويحفظ كل شيء مهما دق وصغر ـ لابد أن يكون قويا محيطا عظيما .

وإذا كان علماء اللغة قد تكلموا عن معنى الوجد ، فإن لغيرهم من العلماء قول فى فهم معناه . . .

قال الامام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ الواجد الذى لا يعوزه شيء ، وهو فى مقابلة الفاقد .

والله هو الواجد المطلق ، ومن عداه إن كان واجداً لشيء ما من صفات الكمال وأسبابه فهو فاقد لأشياء ، فلا يكون واجداً الا بالاضافة .

والواجد الذى لا يضل عنه شيء ، ولا يفوته شيء .

وهو الذى يجد كل ما يطلبه ويريده ، ولا يعوزه شيء من ذلك ، ولا يعجزه شيء .

وجاء فى لسان العرب : الواجد بمعنى الغنى ، وهذا المعنى يدل عليه الحديث الشريف « لَيُّ الواجد ظلم » ومعنى « ليُّه » مماطلته فى سداد ماعليه ، ويدل عليه قولهم : مطلُ الغنى ظلم .

كيف يتخلق المؤمن بآداب هذا الاسم ؟

وحظ المؤمن من هذا الاسم أن يكون يقظاً لنفسه ، معتمداً على ربه ، واثقا فى كلئه وحفظه ، ملقيا كل أحماله ببابه ، فهو وحده الغنى القادر الذى

---

(٧٥٣) سبأ ٣٠

يأخذ بيد عبده وينهضه ، ويغنيه ويسعده . وعليه أن يتمثل مفهوم هذا الاسم ويدرك منه أسرار الوجود الذى يتقلب الانسان فى جنباته ، وأنه نعمة من الموجود الغنى القادر الذى وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم .

وعليه أن يتذكر نعمة الوجود التى تعنى الاهتداء إلى الله والتعرف عليه ، وسلوك الطريق الموصلة اليه ، وهذه لذة روحية لا يمكن لكل تعبيرات اللغة أن تتحدث عنها أو توفيها حقها . . وان كان ابن عطاء السكندرى قد أشار إليها إشارة قصيرة فى قوله « ماذا وجد من فقدك ؟ وما الذى فقد من وجدك ؟ » .

وقد عبر شارح الحكم عن مضمون هذه الحكمة بقوله : ماذا وجد من فقدك ؟ فقال

إن وَجَد كل كنوز الدنيا وفقد رضا الله فهو فاقد ، لتلاشى ماأوتيه فى جنب مافاته » .

وما الذى فقد من وَجَدَك ؟ فإن فقد كل شىء فى الوجود فليس بفاقد إذا كان الله بجانبه .

أجل لقد خاب من رضى دون الله بدلا ، وخسر من بغى عن الله متحولا . . إن أثمن ما فى الوجود أن يجد الانسان نفسه ، ومعنى وجودها أن تعرف طريق ربها ـ فمن أجل ذلك خلقها . . إنها كلمة وردت على لسان المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ وهى كلمة حق : ماذا يفيد الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ ؟

الذكر والدعاء فى ظل هذا الاسم

ومن شعر الشاعر أحمد مخيمر فى ظل هذا الاسم :

واجـــد ســـبحانه وتعـــالى كل أســـباب الكمـــال القـــديم
واجـــد دون احتيـــاج لشـــىء واجـــد علـم العليـــم الحكيـــم
لو ســـمعت الطـــير غـنت وقـالت جـــل ربـــى من عــلى عظيـــم
فاعبـــدوه واســـألوه وتوبـــوا واطلبـــوا عفـو العفـــو الرحيـــم
لا ينـــال الخـــير فى النـــاس إلا « من أتـى الله بقلـــب ســـليم »

قال العلماء : من أكثر من ذكر هذا الاسم نور الله قلبه وبصيرته . ومن كثر ذكره به عند تناول طعامه قوى الله قلبه .

ومن دعاء الصالحين : اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا . وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا ، فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله ذلا تصحبه لطائف رحمتك ، وكل وجد يحجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك ، فانه قد ظهرت السعادة على من أحببته . وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكه ، فهب لنا من مواهب السعداء . واعصمنا من موارد الأشقياء » .

الماجد

الواحد

الصمد

القادر

المقتدر

المقدم والمؤخر

الأول والآخر

الظاهر والباطن

الماجـــد

لم يرد اسم الماجد فى القرآن الكريم ، ولكنه ورد فى سلسلة الأسماء التى ذكرها الحديث الشريف ، ورقم هذا الاسم فى السلسلة ـ السادس والستون .

ولكن ورد اسم المجيد فى القرآن الكريم ، وقد سبق أن تحدثنا عنه .

ومعنى الماجد أنه عظيم الجاه ، جميل الصفات ، حسن الفَعال ، شريف الذات ، عَلِىّ الهمة ، جواد سخى . وهذه الصفات لا توجد مجتمعة فى مخلوق ، وللأنبياء منها نصيب . .

والماجد والمجيد مشتقان من المجد ، أولهما اسم فاعل ، والثانى صيغة مبالغة .

وقد فرق ابن منظور بين اشتقاق الاسمين فقال مسندا القول إلى ابن سيده : مَجَدَ ـ بفتح الجيم ـ يمجُد ـ بضم الجيم ـ مَجْداً فهو ماجد . ومجد ـ بضم الجيم ـ مَجَادةً فهو مجيد . والمعنى فيهما هو كرم الفعال . . وجاء فى معنى المجيد أنه الكريم المفضال ، وإذا قارن شرف الذات حُسن الفعال سمى مجدا ، وفعيل أبلغ من فاعل ، فكأنه يجمع معنى الجليل والوهاب والكريم .

والله ـ تعالى ـ تمجد بفعاله ، ومجَّده خَلْقُه لعظمته واتساع سلطانه .

واذا كان الذى يتصف بالمجد من البشر يأنف أن يعامل الناس بالسوء ، أو يحاسبهم على التقصير فما بالكم بمن له الكمال المتناهى ، والمجد العظيم ، والعز الذى لا يرام ؟

قال العلماء : الماجد فى حق الله ـ تعالى ـ هو الذى له الكمال فى الأوصاف والفعال ، وهو الذى يعامل عباده بمنتهى الجود والاحسان ، هو الذى يتجلى عليهم بمدد الاقبال ، وينادى عليهم بنداء العطاء والأفضال . يقول الله ـ تعالى ـ فى حديث قدسى : « يابن آدم إن ذكرتنى ذكرتك ، وإن نسيتنى ذكرتك ، فاذا أطعتنى فاذهب حيث شئت محلٌ توالينى وأواليك ، وتصافينى وأصافيك . وتعرض عنى وأنا مقبل عليك ـ من أوصل اليك الغذاء وأنت جنين فى بطن أمك ؟ لم أزل أدبر فيك تدبيرا حتى أنفذت إرادتى فيك . فلما أخرجتك إلى دار الدنيا أكثرت المعاصى . ما هكذا جزاء من أحسن اليك »(٧٥٤) سبحانك ربى ما أوسع رحمتك وأكرم عفوك !

إن الله يجزى على القليل من الطاعات بالجزيل من الحسنات ، ويغض الطرف عن كثير من الهفوات ، ويفتح الطريق أمام المذنبين للتوبة ، ويأخذ بأيديهم إلى الانابة ، ويبدل سيئاتهم ـ إن تابوا ـ حسنات .

قال تعالى :

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾(٧٥٥)

ويقول بلسان العفو والاقتدار : « إن تابوا إلىَّ فأنا حبيبهم وإن أعرضوا عنى فأنا طبيبهم » فهل هناك أرحم أو أبر من هذا الرب الكريم ؟

---

(٧٥٤) رواه أبو نصر ربيعة بن على العجلى عن ابن عباس ، والرافعى عن ابن عباس ـ الاتحافات السنية لعبد الرءوف المناوى ص ٢٣٢

(٧٥٥) الفرقان ٧٠

إن المخلوق مهما بلغ من المجد ، وعفا عن الجانى ، فإن طلالا من الجفاء تبقى فى القلب ، وتطفو على السطح بين الحين والحين ، وقد تكدر العلاقة وتطبعها بطابع الحذر ، فلا يكون الجانى فى مأمن أبداً . . ويعبر بعض الشعراء عن ذلك بقوله :

إن القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرها لا يشعب
فاحرص على ود القلوب من الأذى فرجوعها بعد التنافر يصعب

ولكن عفو الله شامل ، وصفحه كامل ، لأنه عَفْو الماجد القديم ، وَصَفْح المجيد الرحيم ، الذى خلق عبده بيديه ، وسواه بقدرته وغناه بنعمته ، وأكرمه برحمته ، وقال له فى تألف وعفو : عبدى أطعنى أجعلك ربانيا مستجاب الدعوة .

فانظروا الى هذه النعمة السابغة ، وهذه الرحمة الواسعة ، وهذه المكرمة التى لا تدانيها مكرمة ، وذلك الفضل الذى لا يقاربه أى فضل .

ومن أقوال بعض الصالحين فى تعريف معنى الماجد : الماجد تأكيد لاسم الواجد ، ومعناها : الغنى المغنى . ومن لوازم الغَنِيٍّ الكريم - إغناء غيره ، ومن كمال صاحب النعمة الوهاب المنح والاعطاء . . . فتعالى الله الملك الحق ، الذى يهب الفضل ابتداء ، ويرزق عباده من غير سؤال منهم بل يمنحهم جوداً منه وفضلا .

كيف يتأدب المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إذا عرف المؤمن أن ربه هو الماجد ، وأنه المجيد ، وأنه الوهاب ، وأنه

المعطى بغير حساب ـ سمت همته اليه ، واعتمد فى كل أموره عليه .

ومن قطع أمله من عطاء الخلق ووصله بالله ، أغناه الله فى الدارين ، ومنحه القربى وقرة العين ، وأسعده سعادة أبدية لا يخفى أثرها ولا ينقطع مددها .

وإذا كان المؤمن يدرك أن المجد لا يحققه الانسان إلا بفعال ، فعليه أن يجتهد فى أن يُحلِّ نفسه بكريم الصفات وحسن الخصال حتى يستحق أن يكون ماجدا بين قومه . محبوبا بين الناس . . إن المجد ثمنه غال . . قال فيه الشاعر :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله   لن تكسب المجد حتى تلعق الصَّبرا

أى لن تحققه إلا بتعب ومشقة .

ومن الصفات الحسنة التى يجب أن يتحلى بها المؤمن ـ أن يعفو عمن أخطأ فى حقه ، ويصفح عن المسىء إليه بل ويحسن إليه . . وكان النبى ـ ﷺ ـ سيد الماجدين فى الخلق ، وقال له الله ـ جل وعلا ـ « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »

وهذا هو الطريق إلى تحصيل المجد والمكارم .

الدُّعاء فى ظل هذا الاسم :

قال العلماء : من أكثر من ذكر هذا الاسم نوّر الله قلبه .

قال : وربما كشف الله عن بصيرته فأدرك مالايدركه غيره من الخلائق . . وليس هذا غريبا ، فالعلماء ورثة الأنبياء . .

ومن مأثور الدعاء بهذا الاسم :

« اللهم أنت الماجد المجيد ، الفعال لما يريد ، نسألك الأمن يوم

الوعيد » .

وقال الشاعر أحمد مخيمر مناجيا ربه الماجد :

الماجد المعبود قُدِّسَ كاملا يعلو على كل الوجود كما لَه
رَبٌّ غنى عالم ذو قدرة متفرد بالذات جل جلاله
التائبون العابدون دعاهم للصالحات عطاؤه ونواله
وتضرعت زلفى إليه نجومه وشموسه وبحاره وجباله
وإذا الصباح أطل فهو بهاؤه وإذا الوجود أضاء فهو جماله(٧٥٦)

(٧٥٦) اسماء الله الحسنى ـ لأحمد مخيمر ص ٩٠

الواحد

ورد اسم الواحد فى القرآن الكريم فى مواضع عدة ، منها قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (٧٥٧)

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ (٧٥٨)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٧٥٩)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٧٦٠)

---

(٧٥٧) البقرة ١٦٣

(٧٥٨) النساء ١٧١

(٧٥٩) المائدة ٧٣

(٧٦٠) يوسف ٣٩

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ (٧٦١)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (٧٦٢)

وغير ذلك من الآيات .

وقد ورد هذا الاسم كما رأينا فى بعض الآيات مقرونا باسمه القهار لما بينهما من ترابط ، فمن كان واحداً لا شريك له قهر المعاندين وأخزى المشركين الذين يجعلون لله شريكا ـ تعالى ـ الله عن ذلك علوا كبيراً .

قال القرطبى فى تفسير قوله ـ تعالى ـ « وإلهكم إله واحد » : لقد جاءت هذه الآية بعد تحذير الله الكاتمين الحق . . . فبعد أن بين أن أول مايجب إظهاره ولا يجوز كتمانه أمر التوحيد ، وصل ذلك بذكر البرهان ، وعلَّم طريق النظر ، وهو الفكر فى عجائب الصنع ، ليعلم الإنسان أنه لابد لهذا الصنع من فاعل لا يشبهه شىء » . .

---

(٧٦١) الرعد ١٦
(٧٦٢) الأنبياء ١٠٨

« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »

وكان للمشركين ثلثمائة وستون صنما فبين لهم أن الله واحد .

ومعنى الواحد - كما يقول العلماء - أنه الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - أى أنه لم يتفرع من شيء ، ولم يتفرع منه شيء ، بل هو الفرد الصمد الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وقال العلماء : الله الواحد - أى المنفرد فى ذاته وصفاته وأفعاله . والواحد أول الأعداد ولا يسبقه شيء . . والله - سبحانه لا أول لوجوده ولا آخر لبقائه .

وأهل اللغة يقولون : الوحدة الانفراد ، يقال : رأيته وحده ، وجلس وحده - أى منفرداً ، والله - سبحانه - لا شريك له . فهو متفرد بذاته وصفاته وأفعاله وجلاله وجماله وكماله .

وديانة التوحيد هى التى تقضى بتوحيد الله وعدم الاشراك به . . . . جاء فى لسان العرب : الله الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد .

وقال ابن سيده : الله الأوحد والمتوحد وذو الوحدانية ، ومن صفاته الواحد الأحد .

والفرق بين الواحد والأحد أن الأحد بُنِي لنفى ما يُذكر معه من العدد ، تقول : ما جاءنى من أحد .

والواحد اسم بنى لمفتتح العدد تقول : جاء واحد من الناس ، ولا تقول : جاءنى أحد .

فالواحد منفرد بالذات فى عدم المثل والنظير ، والأحد منفرد بالمعنى .

وقيل : الواحد هو الذى لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل . ولا يَجْمَعُ هذين الوصفين (الواحد الأحد) إلا الله - عز وجل -

قال ابن الأثير فى معنى اسم الواحد - جل جلاله - : هو الفرد الذى لم يزل وحده ولم يكن معه آخر .

وقال الأزهرى : وأما اسم الله - عز وجل - « الأحد » فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره ، لا يقال : رجل أحد ، أو درهم أحد ، كما يقال رجل وَحَد - أى فرد ، لأن أحداً من صفات الله - عز وجل - استخلصها لنفسه ولا يشركه فيها شيء . .

ومعنى اسم الواحد أنه لا ثانى له . تعالى الله عن الشريك والصاحبة والولد . .

وقال الأزهرى أيضا : يقول بعض الناس : توحد الله بالأمر وتفرد .

وهو صحيح من جهة المعنى ، ولكنى لا أحب أن يلفظ فى صفة الله - تعالى - إلا بما وصف به نفسه فى التنزيل أو السنة ، ولا يوجد فيهما المتوحد ولا المتفرد »(٧٦٣)

والله - سبحانه وتعالى - لم يرض بالوحدانية لأحد غيره .

وكل ذرات الوجود تشهد بأن الله واحد لا شريك له ، وفى ذلك يقول الشاعر :

ولله فى كل تحريكة ... وفى كل تسكينة شاهد
وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

---

(٧٦٣) لسان العرب مادة وحد

والتوحيد هو أساس العقيدة ، وعليه تقوم كلمة الاخلاص : لا إله إلا الله ـ وبدون الأساس لا يصلح أى بناء .

وكلام العلماء فى معنى التوحيد يدق عن كلام اللغويين فهم يقولون :

التوحيد هو شهود قيومية الرب . . فلا مدبر لأمر عباده سواه ، ولا مطلع على خفاياهم غيره ، وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين .

ومؤدى ذلك أن يجمع العبد همه على الله ، فلا يعبد سواه ، ولا يعرف إلاه . .

ومن اعتقد أن هناك نافعا أو ضارا مع الله نقص ذلك من إيمانه ومن توحيده لله .

قال بعض الصالحين : معنى الواحد أنه الذى تناهى فى سؤدده فلا شبيه يساميه ، ولا شريك يساويه .

وقال الامام الشبلى الذى كان شيخ وقته وتوفى عام أربع وثلاثين وثلثمائة ببغداد : الواحد هو الذى يكفيك عن الكل ، والكل لا يكفيك عنه .

وهى عبارة رائعة لها معنى عميق .

أما الحسين بن منصور فيقول : الواحد الذى لا يُعد ، وقيل : الأحد الذى ليس لوجوده أمد ، ولا يجرى عليه حكم أحد . .

إن واحدية الله يقتضيها نظام هذا الكون واعتداله ، فلو كان هناك شريك مع الله لاختل النظام ، ولما جاء الكون على هذه الصورة من الكمال

المتناهى ، الذى يقول عنه العلماء ليس فى الامكان أبدع مما كان .

والقرآن الكريم يخاطب العقل السليم قائلا :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) ﴾ (٧٦٤)

ويقول :

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾ (٧٦٥)

أدب المؤمن مع هذا الاسم :

إن مقتضى الايمان بهذا الاسم أن يبرأ الانسان من الشرك ، وأن ينزه قلبه عن اعتقاد القدرة لأحد مع الله ـ تعالى ـ

إن كثيرا من الناس يظنون أنه بمقدور بعض الناس أن يصنع شيئا مع الله ، فيقبلون عليهم راغبين أو خائفين ، وهذا لون من الشرك ، وقد علّمنا النبى ـ ﷺ ـ أن نفرد الله وحده بالطلب ، وقال لابن عباس « ياغلام ، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، إذا سألت فأسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، جف القلم بما هو كائن ، ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئا لم يكتبه الله ـ عز وجل ـ لك لم يقدروا على ذلك وإن اجتمعوا على أن يمنعوك شيئا كتبه الله ـ عز وجل ـ لك لم

---

(٧٦٤) الأنبياء ٢٢

(٧٦٥) المؤمنون ٩١ ، ٩٢

يقدروا على ذلك ، فاعمل لله ـ تعالى ـ بالرضا فى ا ليقين ، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »(٧٦٦)

إن اعتقاد وجود شىء مع الله يقدح فى حقيقة التوحيد ، فقد كان الله ولا شىء معه ، وهو الآن على ما عليه كان . .

الله قل وَذَر الوجودَ وماحوى إن كنت مرتاداً لنيل كمالِ
فالكل دون الله إن حققته عدم على التفصيلِ والاجمال

وهو قريب من عباده لايحجبه عنهم شىء . . . . وكيف يتصور أن يحجبه شىء وهو يقرب إليك من كل شىء ؟

وكيف يتصور أن يحجبه شىء ولولاه ماكان وجود شىء ؟

يحكى أن رجلاً قال أمام رجل من الصالحين : الحمد لله ـ ولم يقل رب العالمين .

فقال له الرجل الصالح : قلها ياأخى وقل : رب العالمين .

فقال الرجل : وأى قدر للعالمين حتى يذكروا معه ؟

فقال الصالح : قلها ياأخى ، فإن الحادث إذا قرن بالقديم تلاشى الحادث وبقى القديم .

ما أجمل مانتعلمه من هذا الاسم الجليل « الواحد » فإننا لو حررنا قلوبنا من الشرك الخفى الذى يدب فيها لذقنا حلاوة التوحيد التى لاحلاوة تفوقها ولا لذة تدركها . .

---

(٧٦٦) أبو نعيم الاصفهانى فى حلية الأولياء جـ ١ ص ٣١٤

الدعاء فى ظل هذا الاسم

روى الرواة أن النبى - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلا يقول فى دعائه : « اللهم إنى أسألك بأنك أنت الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد »

فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : « لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى »(٧٦٧)

وقال بعض العلماء : من ذكر هذا الاسم ألف مرة أخرج الله من قلبه خوف الخلق ، وكفاه شرهم وقت الشدة .

وسورة الاخلاص - التى تشتمل على اسم الله الأحد - فيها سر عجيب - وقد ورد فيها أنها ثلث القرآن . . . فقد قال النبى - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة ؟ فشق ذلك عليهم ، وقالوا : أينا يطيق ذلك يارسول الله ؟ فقال :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾(٧٦٨) تعادل ثلث القرآن

وورد فى فضلها أيضاً « من قرأ « قل هو الله أحد » فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره ، وأمن من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط »(٧٦٩)

---

(٧٦٧) رواه أبو دواد والترمذى وابن ماجة عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه .
(٧٦٨) أخرجه مسلم ، وذكره القرطبى فى تفسير سورة الاخلاص .
(٧٦٩) تفسير القرطبى - سورة الاخلاص .

ومن الدعاء الوارد فى ظل هذا الاسم :

« يا ألله ياأحد يا واحد ، ياموجود ، ياجواد ، ياباسط ، ياكريم ، ياوهاب ، ياذا الطول، ياغنى يامغنى ، يافتاح يارزاق ، ياعليم ياحكيم ، ياحى ياقيوم ، يارحمن يارحيم ، يابديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والاكرام ، ياحنان يامنان ، انفحنى منك بنفحة خير تغننى بها عمن سواك »

الصَّـــمَد

أصل الصَّمد فى اللغة ـ القصد ، تقول : صَمَدَه يصمِده صمداً ، وصَمّد إليه : قصده ، يأتى متعديا ولازما ، وتقول : صَمَد صَمْدَ الأمر ـ أى قصد قصده واعتمده ، وتصمَّد له بالعصا أى قصد . قال معاذ بن عمرو بن الجموح حين قتل أباجهل : فصمدت له حتى أمكنتنى منه غرة . أى قصدت إليه له وتهيأت له وانتظرت غفلته ، وتقول : هذا بيت مُصَمَّد ـ بالتشديد ـ أى مقصود ، ويتعدى هذا الفعل بالهمزة فتقول : أصمدت إليه الأمر أى أسندته اليه .

والصَّمد ـ بالتحريك ـ معناه السيد المطاع الذى لايقضى أمر دونه ، والذى يقصد فى الحوائج . . وقد وصف أحد الشعراء رجلا بتلك الصفة ـ فقال :

علـوته بحسـام ثـم قـلت لـه خـذها حُـذَيْفُ فـأنت السيد الصَّـمَدُ

وإنما ذلك على سبيل العارية ، لأن السيد الحقيقى الذى لاتكون الطاعة إلّاله ، والذى يقضى ولايُقضى عليه هو الله ـ جل جلاله ـ

ومن معانى الصمد أيضاً الذى لايطعم . . ومن معانيه : الدائم . والذى يناسب الحضرة الالهية من هذه المعانى ـ أنه المقصود من جميع خلقه ، وأنه السيد المطاع ، وأنه الذى لايشبه خلقه . وأنه الدائم الباقى بعد جميع خلقه .

وقد جاء اسم الصمد فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣
وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ (٧٧٠)

قال علماء التفسير فى معنى « الله الصمد » : إنه الذى يُصمد إليه فى الحاجات كما قال ـ تعالى ـ

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝٥٣ ﴾ (٧٧١)

وقال قوم : هو الدائم الباقى الذى لم يزل ولايزال .

وقال قوم : تفسيره هو ماجاء بعده « لم يلد ولم يولد » فقد قال أبى بن كعب : الصمد الذى لم يلد ولم يولد ، لأنه مامن شىء يلد أو يولد إلا سيموت ، ولاشىء يموت إلايورث .

وقال علىّ وابن عباس وغيرهما : الصمد السيد الذى انتهى إليه كل أنواع الشرف والسؤدد .

وقال أبو هريرة : إنه المستغنى عن كل أحد ، والمحتاج إليه كل أحد
وقال السُّدِّى إنه المقصود فى الرغائب والمستعان به فى المصائب .
وقال الحسين بن الفضل : إنه الذى يفعل مايشاء ويحكم مايريد .
وقال مقاتل : إنه الكامل الذى لاعيب فيه .

وعلق القرطبى على هذه الأقوال بقوله : والصحيح من هذه المعانى ماشهد به الاشتقاق ـ وهو الذى يصمد اليه فى الحاجات .

---

(٧٧٠) سورة الاخلاص
(٧٧١) سورة النحل ٥٣

وتعليق القرطبى من منطلق مراعاته ظواهر الألفاظ ، ولكن بعض العلماء لهم أفهام يستنبطونها من وحى الإلهام الصادق والفطرة الصافية ـ وهى مع ذلك معان لاتنبو عنها اللغة ولاتبعد عن معنى الاشتقاق . .

فقول القائل : إنه الذى تقدست ذاته عن إدراك الأبصار والعيان ، وتنزه جلاله عن أن يدخل تحت الشرح والبيان ـ هو الباقى والدائم والمقصود من جميع خلقه . فإن العاقل لايقصد إلا من اتسم بالقدرة واتصف بالكمال وتنزه عن مشابهة الحوداث .

ولم يرد هذا الاسم إلا فى سورة الإخلاص التى قال العلماء إنها نزلت فى مناسبة . . . . . . ذكر ابن كثير فى تفسيره قال : لما قالت اليهود : نحن نعبد عزير ابن الله ، وقالت النصارى : نحن نعبد المسيح ابن الله ، وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر ، وقال المشركون : نحن نعبد الأوثان ـ أنزل الله على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم

« قل هو اللّه أحد الله الصمد »

وكان لاسم الصمد فيها أهمية خاصة ـ لأنه يشير الى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى يقصده الخلق جميعا على وجه الحقيقة .

فما من عبد إلا وهو يقصد الله فى عبادته ، وقد يهتدى فيها إلى وجه الحق . وقد يضل ، ولكنك إذا سألت أى إنسان مهما كانت ديانته من تعبد ؟ يقول : الله . . .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم

مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ (٧٧٢)

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إذا أنعم الله على عبد بأن جعله مقصد الناس فى الحوائج فعليه أن يحمد الله على هذه النعمة ـ امتثالاً للأثر الشريف « اعلموا أن حوائج الخلق اليكم من نعم الله عليكم فلاتملوها فتملوا نعم الله »

إن نعمة قضاء مصالح الخلق نعمة عظمى قلَّ من يعرف لها حقها ، ويحفظ قدرها ـ ومن تمام معرفة حقها ، أن يؤدى هذه الخدمات لوجه الله ـ لايمنُّ ، ولايضِنُّ ، ولا يكَلُّ . وعليه أن يتذكر قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته »

والله فى عون المرء ماكان المرء فى عون أخيه . .

كما أن عليه أن يتذكر دائماً أنه لايقضى حاجة أحد إلا بإذن الله وتوفيقه له . .

لقد أخذ الذى يقصده الناس فى حوائجهم بحظ من هذا الاسم الشريف الذى سمى الله به نفسه ، وضمنه سورة الاخلاص التى تعدل ثلث القرآن كما وردت بذلك الآثار .

ومن أحب أن يزداد تحليا بوصف الصمد ، فعليه بالاقلال من الطعام

---

(٧٧٢) الزمر ٣٨

والشراب ، ومداومة الصيام ، وقلة الكلام ، فإن الله ـ تعالى ـ يكسبه صفات مثلى تقربه من حضرة الحق ، وترفعه إلى معية الصديقين ، ويشرف بصحبة الملائكة الذين لايأكلون ولايشربون ولا ينامون .

ومن مظاهر التأدب بأدب هذا الاسم أن يفرد المؤمن ربه بالطلب ، وأن يقصده وحده بالسؤال ، وأن يرجوه وحده لطلب النوال .

الدعاء فى ظل هذا الاسم

قال بعض الصالحين :

ألجأت ظهرى إلى ركنى ومستندى إلى المهيمن رب الناس والصمد
وقلت يامنتهى الآمال أجمعها لك التحكم فى الأدنى وفى البعد

وأفضل الذكر فى رحاب هذا الاسم ـ الإكثار من تلاوة سورة الإخلاص التى تحتوى على هذا الاسم .

أورد ابن كثير فى تفسيره عن عقبة بن عامر قال : لقيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فابتدأته ، فأخذت بيده ، فقلت : يارسول الله ، بم نجاة المؤمن ؟

قال : ياعقبة أخرس لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك .

قال : ثم لقينى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فابتدأنى فأخذ بيدى . . فقال : « ياعقبة بن عامر ، ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت فى التوارة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم ؟ »

قلت : بلى ـ جعلنى الله فداك .

قال :

« اقرأ . قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس »

ثم قال : « ياعقبة ، لاتنسهن ، ولاتبت ليلة قط حتى تقرأهن »

قال عقبة : فما نسيتهم منذ قال « لاتنسهن » ومابتِ ليلة قط حتى أقرأهن .

قال عقبة : ثم لقيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فابتدأته ، فأخذت بيده فقلت : يارسول الله ، أخبرنى بفواضل الأعمال ،

فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ياعقبة ، صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، وأعرض عمن ظلمك »[773]

ومن الأدعية الواردة فى ذلك : « ياصمد من غير شبه ، فلاشىء كمثله »

ومن منظومة أسماء الله الحسنى فى الواحد الصمد :

وياواحـــد وحـــد فـــؤادى لحبكـــم وياصـــمد قو التجـــائى لركـــزتى

وركزته هى وجهته إلى الله ونيته فى قصده إياه .

قال بعض العلماء : من قرأ هذا الاسم كثيراً فى السحر ظهرت عليه آيات الصدق ، ولايحس ذاكره بألم الجوع . . .

---

(٧٧٣) تفسير ابن كثير . سورة الاخلاص ـ تحفة الأحوذى أبواب الزهد . حديث رقم ٢٥١٧

القــادر

ورد اسم القادر فى عدة مواضع من القرآن الكريم منها قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٧٧٤)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٧٧٥)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (٧٧٦)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ (٧٧٧)

وغير ذلك من الآيات .... وورد بصيغة الجمع فى قوله ـ تعالى :

---

(٧٧٤) الأنعام ٢٧
(٧٧٥) الأنعام ٦٥
(٧٧٦) الأسراء ٩٩
(٧٧٧) يسن ٨١

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (٧٧٨)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (٧٧٩)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ ﴾ (٧٨٠)

وغير ذلك من الآيات .

والقادر اسم الفاعل من الفعل قدر ، وصيغة المبالغة منه قدير .

وقد ورد قدير فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة .

منها قوله ـ تعالى

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٧٨١)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ (٧٨٢)

---

(٧٧٨) المؤمنون ١٨

(٧٧٩) المؤمنون ٩٥

(٧٨٠) القيامة ٤

(٧٨١) البقرة ٢٠

(٧٨٢) النحل ٧٠

قال ابن منظور فى لسان العرب : القدير والقادر من صفات الله ـ عز وجل ـ يكونان من القدرة ، ويكونان من التقدير ، فقوله ـ تعالى ـ

« إن الله على كل شىء قدير »

من القدرة ، لأن الله على كل شىء قدير فعلا وحقا ، والله ـ سبحانه مقدر كل شىء وقاضيه .

ومن أسمائه ـ تعالى ـ أيضا المقتدر ، وسيأتى الكلام عليه .

قال ابن الأثير : فى أسماء الله ـ تعالى ـ القادر والمقتدر والقدير ، فالقادر اسم فاعل من قدر يَقْدِر ، والقدير فعيل منه ، وهو للمبالغة ، والمقتدر مفتعل من اقتدر وهو أشد مبالغة .

قال العلماء : القادر يفيد ـ ذو القدرة التامة الذى لا يعجزه شىء ، ولا يتقيد بأسباب ـ قال ـ تعالى ـ

﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٧٨٣)

وقال :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٧٨٤)

فمعنى ذلك أنه المقدر لقضائه ، المدبر لشئون كونه بقدر وحكمة .

والقدير لم يأت فى سلسلة الأسماء الحسنى ، لأن كلا من القادر والمقتدر يشيران إليه .

---

(٧٨٣) المرسلات ٢٣

(٧٨٤) القمر ٤٩

ومعنى القدير أنه الفاعل لما يشاء على مقتضى الحكمة ، لا زائدا عليها ولا ناقصا عنها .

والقادر من مادة القدرة ، والله ـ جل وعلا ـ هو ذو القدرة والمقدرة ، وهو الذى أنعم علينا بليلة القدر المتسمة بالشرف والعظمة . وأنزل فيها القرآن العظيم .

والله ـ جل وعلا ـ لا يعرف قدره إلا هو ـ سبحانه ـ أما الخلق فما قدروه حق قدره

قال ـ تعالى ـ

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾(٧٨٥)

قال العلماء فى تفسير هذه الآية : ـ ما عظموا الله حق عظمته .

ـ لأنهم عبدوا معه غيره ، مع أنه خالق الأشياء ومالكها . . . . ومن مظاهر قدرته أن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ـ تعالى عما يشركون .

جاء فى الترمذى عن عبدالله بن عمر ـ قال : جاء يهودى إلى النبى ـ ﷺ ـ فقال : يا محمد إن الله يمسك السموات على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول : أنا الملك .

---

(٧٨٥) الزمر ٦٧

فضحك النبى - ﷺ - حتى بدت نواجذه ، ثم قال : « وما قدروا الله حق قدره »[786]

والقادر فى صفة الله - تعالى - المتمكن من الفعل بلا معالجة ولا واسطة فلا يلحقه عجز فيما يريد إنفاذه .

وهو القادر المتصرف فى سائر الأكوان ، وهو وحده الذى يملك أن يقول للشىء كن فيكون .

أدب المؤمن فى ظل هذا الاسم

قد ينعم الله على عبده بشىء من القدرة ، فيمكنه من التصرف فى بعض الأمور ، وقد يمنح الله العبد كلمة نافذة ، وقد يمنحه السلطان والتحكم فى شىء من الأمور . فعليه فى هذه الحال أن يتأدب بأدب القدرة فلا يبطش ولا يظلم ولا يَغُل ولا يأخذ البرىء بإثم العاصى ،

وليعلم أن الله إذا كان قد منحه شيئاً فقد منح غيره أشياء ، وإذا كان قد فتح عليه بعلم فقد فتح على غيره بما هو أكثر « وفوق كل ذى علم عليم » وصدق الشاعر الذى يقول :

فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة ... حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

وفى الأثر الكريم : إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك .

ومن حكمة الله أن يمنح ظالما قدرة ينتقم بها من ظالم مثله ، ولكن ذلك

---

(٧٨٦) تفسير القرطبى جـ ١٥ ص ٢٧٧ سورة الزمر

لن ينجى الظالم من العقاب . وفى الأثر : الظالم سيف الله فى أرضه ينتقم به ثم ينتقم منه .

إن جمال القدرة يتم بالعدل والتواضع ، فإذا منح الله عبدا قدرة فزينها بالخلق الفاضل ، وتواضع معها لله ، وعدل بها بين خلق الله فقد منحه الله نعمة عظمى وحباه فضلا كبيرا .

ومن تمام الأدب فى ظل هذا الاسم ـ أن يظل الانسان على حذر من قدرة الله عليه فلا يسترسل فى المعاصى ، ولا ينساق وراء الشهوات ، لأن عين القادر لا تنام ، وأعمال الانسان محصاة عليه ، وسيأتى اليوم الذى يحاسب فيه على ما قدم . . فليبادر بالتوبة ، وليقدم لغده ما ينفعه . .

الدعاء فى ظل هذا الاسم

قال العلماء : من ذكر اسم القادر كثيرا بعد صلاة ركعتين قواه الله ظاهرا وباطنا على العبادة .

ومن الدعاء الوارد فى ظل هذا الاسم :

إلهى أنت القادر الظاهر ، وأنت الشاهد الناظر ، أبرزت الوجود بالقدرة العلية ، وأوصلت الأرزاق بالحكمة الرحمانية .

امنحنا قدرة على أنفسنا فلا نخالف ، وأشهدنا الكرامة على موائد اللطائف ، واسقنا رحيقا صافيا من لا حول ولا قوة الا بالله ، فأنت ولى المؤمنين وأنت على كل شىء قدير . .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .

المقتدر

ورد اسم الله « المقتدر » فى القرآن الكريم فى أربعة مواضع هى ـ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٧٨٧)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٧٨٨)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ (٧٨٩)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٧٩٠)

ومقتدر اسم فاعل من الفعل اقتدر . والاقتدار على الشىء القدرة عليه .

وذكر بعض العلماء أن الفرق بين القادر والمقتدر ـ أن القادر هو الذى يقدر على إيجاد المعدوم وإعدام الموجود .

---

(٧٨٧) القمر ٤١ ، ٤٢

(٧٨٨) القمر ٥٤ ، ٥٥

(٧٨٩) الكهف ٤٥

(٧٩٠) الزخرف ٤٢

والمقتدر هو الذى يقدر على إصلاح الخلائق على وجه لا يقدر عليه غيره فضلا منه وإحسانا .

والاقتدار مبالغة فى القدرة ، فمن المعروف أن زيادة المبنى تدل على زيادة فى المعنى .

ففى المقتدر معنى القادر وأكثر ، فهو المتناهى فى القدرة ، أو هو المستولى على كل شىء ، أو هو المقتدر على جميع الخلائق . والمراد أنه المتحكم فى جميع الآثار .

وانظر الى اقتران المقتدر بالمليك فى قوله - تعالى - « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » تجد عظمة هذا الملك الذى لا يقدر على صنعه إلا الله ، ولا تليق عظمته إلا بالله .

قال العلماء فى تفسير هذه الآية : إن المتقين فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم عند مليك يقدر على ما يشاء . وعند - هنا - تعنى عندية القرب والزلفى ، والمكانة والرتبة ، والكرامة والمنزلة . قال عبدالله بن أبى بريدة :

إن أهل الجنة يدخلون على الجبار - تبارك وتعالى - فيقرءون القرآن عند ربهم . وقد جلس كل إنسان مجلسه على منابر من الدر والياقوت والزبرجد والذهب والفضة بقدر أعمالهم ، فلا تقر أعينهم بشىء قط كما تقر بذلك ولا ينعمون بشىء قط أعظم من ذلك . .

وقال خالد بن معدان : بلغنا أن الملائكة يأتون المؤمنين يوم القيامة فتقول الملائكة : يا أولياء الله انطلقوا . فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة .

فيقول المؤمنون : إنكم تذهبون بنا إلى غير بغيتنا .

فيقولون : فما بغيتكم ؟

فيقولون : مقعد صدق عند مليك مقتدر(791)

قال الغزالى ـ رحمه الله ـ فى معنى القادر والمقتدر : إن معناهما ذو القدرة . لكن المقتدر أكثر مبالغة . والقدرة هى المعنى الذى به يوجد الشيء مقدرا بتقدير الإرادة والعلم واقعا على وفقها .

إنه مما لا شك فيه أن معنى المقتدر يفيد عظم القدرة ، فإن الهمزة والتاء لم تزد فى بناء الكلمة عبثا . ولك أن تتأمل كل الأبنية التى وردت على مثال ذلك ، فإنك ستجد مزيد معنى فى البناء الذى ورد مزيدا .

وانظر الفرق بين قرب واقترب تجد أن « اقترب » تفيد زيادة القرب أكثر من قرب .

وهناك فرق أيضا بين قولك : ارقب وارتقب .

وبين قولك : بنى وابتنى ، ورقى وارتقى ، وهكذا . . إن زيادة التاء تفيد زيادة المعنى فى الفعل .

وعظم القدرة فى مقتدر يعنى التأكيد على إحاطة قدرة الله بكل صغيرة وكبيرة فى ملكه ، كما يقتضى السيطرة التامة على الكون الذى هو مظهر من مظاهر اقتداره .

أدب المؤمن مع هذا الاسم :

ينبغى للمؤمن أن يرعى مقام الله وجلاله ، ويدرك عظمة قدرته

---

(٧٩١) تفسير القرطبى جـ١٧ ص ١٥٠ ـ سورة القمر

واقتداره ، ويعرف أن الله لاتخفى عليه خافية . . فيبذل جهده فى مرضاة ربه ، ويخشاه حق خشيته ، ويلجأ إليه فى كل أمر من أموره .

ويتعلم المؤمن من أدب هذا الاسم أن يكون مراقبا لله فيما خوله إياه من سلطة وماملَّكه من أمر . فإن الله على الرغم من اقتداره حليم لايعجل بالعقوبة على أحد ، عادل لايظلم أحدا . .

وإذا أدرك العبد قدرة الله وإحاطته دعاه ذلك إلى الاستعانة به دائما ، والتفويض اليه والتوكل عليه فى كل حال .

الدعاء فى ظل هذا الاسم :

قال الشاعر أحمد مخيمر مناجيا ربه فى ظل القادر المقتدر :

جل ربى القادر المقتدر ... من على الخلق سواه يقدر ؟
خالق الأفلاك والنجم وما ... تحمل الأرض وتطوى الأعصر
باعث الموتى ومحييها إلى ... موعد فيه البرايا تحشر
مبدع آياته شاهدة ... أنه من كل شىء أكبر
فاعبدوه واشكروا آلاءه ... فاز بالجنة عبد يشكر(٧٩٢)

ومن مظاهر قدرة الله ماعبر عنه أحد الصالحين فى قوله مناجيا ربه القادر المقتدر الذى يقدر على كشف الضر وتفريج الكروب ـ فقال :

● لاإله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين . .

● ولقد شكا إليك يعقوب فخلصته من حزنه ، ورددت عليه ماذهب من بصره ، وجمعت بينه وبين ولده .

---

(٧٩٢) أسماء الله الحسنى لأحمد مخيمر ص ٩٤

- ولقد ناداك نوح من قبل فنجيته من كربه
- ولقد ناداك أيوب من بعد فكشفت مابه من ضره .
- ولقد ناداك يونس فنجيته من غمه .
- ولقد ناداك زكريا فوهبت له ولدا من بعد يأس أهله وكبر سنه .
- ولقد علمت مانزل بإبراهيم فأنقذته من نار عدوه .
- وأنجيت لوطا وأهله من العذاب النازل بقومه .

فهاأنذا عبدك إن تعذبنى بجميع ماعلمت من عذابك فأنا حقيق به ، وإن ترحمنى كما رحمتهم مع عظيم إساءتى فأنت أولى بذلك وأحق مَنْ أُكْرم به ، فليس كرمك مقصورا على من أطاعك وأقبل عليك ، بل هو مبذول لمن شئت من خلقك وإن ظلم نفسه بمعصيتك .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

وفى منظومة أسماء الله الحسنى ....

وياقادر ارفع لى عجزى بقوة ويامقتدر توج لى وجهى بهيبة

قال العلماء : من أكثر من ذكر اسم المقتدر دبره الله فيما يريد ، واذا أضاف الى القادر والمقتدر أسماء الشديد والقوى والقاهر ، وذكر الله بها واستنجد به على ظالم قهره الله وأنصف المظلومين منه .

المقـــدم والمؤخـــر

والمقدم من الأسماء التى وردت فى سلسلة الأسماء التى جاءت فى الحديث الشريف ـ ورقم هذا الاسم الحادى والسبعون .

والمؤخر كذلك ورقمه الثانى والسبعون .

ويفيد معنى المقدم والمؤخر أن الله ـ سبحانه وتعالى ينزل الأمور منازلها ـ فيقدم مايشاء ويؤخر مايشاء ، فكل شىء عنده بمقدار .

وقد قدم الله ـ سبحانه ـ خلق بعض المخلوقات على بعض ، فخلق الماء فالأرض فالسموات ، وقدر فى الأرض أقواتها ، وجعل فيها كل مايحتاج إليه الخلق من منافع ، ثم خلق الانسان فى آخر ساعة من يوم الجمعة بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، ثم قال للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين .

إن تقديم خلق بعض الأشياء يعنى تقديم الأسباب على المسببات ، وهذه حكمة عالية .

والله سبحانه ـ قدم بعض الخلق على بعض ، وقدم بعض الأزمان على بعض ، كما فضل بعض الخلق على بعض ، وبعض الناس على بعض ، وبعض الأماكن على بعض ، وبعض الأزمنة على بعض .

وفضل جنس بنى آدم على غيرهم من المخلوقات ـ فقال ـ تعالى ـ

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (٧٩٣)

---

(٧٩٣) الاسراء ٧٠

كما فضل بعض الأنبياء على بعض فقال ـ تعالى ـ

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) ﴾ (٧٩٤)

وفضل ليلة القدر على غيرها من الليالى ـ قال ـ تعالى ـ

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴾ (٧٩٥)

وفضل الكعبة والمسجد النبوى والمسجد الأقصى على غيرها من المساجد . فكانت الصلاة فى تلك المساجد أفضل وأكثر ثوابا من الصلاة فى غيرها . . . . . وكان شد الرحال مقصورا عليها .

ويقاس على ذلك أن دور العبادة عموما أفضل من غيرها من الأماكن الأخرى . فقد سئل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن خير الأماكن فقال : المساجد ، وسئل عن شرها فقال : الأسواق .

والحكمة فى ذلك لاتخفى على أى لبيب ، فان المساجد يرفع فيها ذكر الله

---

(٧٩٤) البقرة ٢٥٣

(٧٩٥) سورة القدر

ويذكر فيها اسمه ويسبح بحمده وتؤدى فيها العبادات ، ويتعلم فيها العلم . . أما الاسواق فمكان رائج للغش والأيمان الكاذبة وظلم الناس . .

ولاشك أن الذى يسير على نهج الأنبياء مفضل ومقدم على غيره من الناس ، فقد ورد فى الأثر الشريف« العلماء ورثة الأنبياء » والأنبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما ولكنهم ورثوا الناس العلم والحكمة وإن الملائكة والطيور حتى الحيتان فى البحر لتصلى على من يعلمون الناس الخير .

وبعض العلماء مقدم على بعضهم - كما أن بعض الأنبياء مقدم على بعض ، وأولى العلماء بالتقديم الذين يعملون بعلمهم . أما الذين لايعملون بعلمهم فمؤخرون عن جميع الناس ، حتى لقد ورد فى حقهم قول القائل :

عالم بعلمه لم يعملن معذب قبل عباد الوثن

وفى القرآن الكريم جاءت آية يمكن اشتقاق اسم المقدم من فعلها ، هى قوله - تعالى -

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾ (٧٩٦)

فاسم الفاعل من الفعل - قدم - الوارد فى الآية هو مقدم - وهو الله - سبحانه وتعالى - وهو يعنى أن الله - تعالى - قدم إرسال الرسل مبشرين ومنذرين ومحذرين الذين لايستجيبون لدعوة الحق من هول ذلك اليوم الذى يناقشون فيه الحساب ، ثم يذوق الكفار بعده أليم العذاب .

واذا كان المؤمن يعرف أن الله هو المقدم ، وأنه خلق الأشاء بترتيب

---

(٧٩٦) ق ٢٨

ونظام ، فأحرى به أن يتعلم من ذلك أن ينظم أوقاته ، وأن يقدم الأهم على المهم .

والأهم بالنسبة للإنسان هو التزود للآخرة . وتفضيل ذلك على متاع الحياة الدنيا . . . . قال ـ تعالى ـ

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ (٧٩٧)

إن المعتاد بالنسبة للكثرة الغالبة من الناس أنهم قد انهمكوا فى طلب الدنيا انهماكا أعماهم عن السعى فى طلب نعيم الآخرة . وشغلهم زخرف الدنيا عن الجنة ومتاعها الباقى الخالد . وصدق الله العظيم الذى يقول

﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ (٧٩٨)

ولقد لفت الله ـ تعالى ـ نظر الناس الى وجوب تقديم مايبقى على مايفنى فقال

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ (٧٩٩)

---

(٧٩٧) البقرة ١٩٧
(٧٩٨) الأعلى ١٦ ، ١٧
(٧٩٩) الاسراء ١٨ ، ١٩

ويقول ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه مبينا غفلة من يؤثر الأولى على الآخرة « اجتهادك فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك ـ دليل على انطماس البصيرة منك »

وتفسير هذه الحكمة يوضح خطأ من يقدم ماحقه التأخير على ماحقه التقديم . . . يقول شارحها . . انطماس البصيرة منك لأنك أتيت بالشيء على غير وجهه . ووضعته فى غير محله ، إذ عكست ماحقك أن لاتعكسه ، فتركت ماأمرت بالقيام به ، وقمت بما كفيت أمره . . . . . .

كيف يثبت لك عقل أو بصيرة ، واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك فيما طلب منك . حتى قال بعضهم : إن الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة ، فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا .

وهناك أدب آخر نتعلمه من هذا الاسم الشريف « المقدم » هو أننا إذا علمنا أن الله هو المقدم والمؤخر ألجأنا ذلك إلى وجوب التضرع إلى الله واللياذ بجنابه وملازمة خشيته ، وعدم الركون إلى الأعمال فقط . . . فقد أثر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » قالوا : حتى أنت يارسول الله ؟ قال : حتى أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته »

وليس معنى هذا أن يترك الانسان العمل ، ولكن معناه أن يضاعفه مع الوثوق فى رحمة الله ، والتضرع إلى الله أن يقبل هذا العمل ولا يرده . . إن على العبد أن يقدم العمل الصالح الذى يكون له ذخرا عند ربه ولا ييأس من عفو الله ، إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

الذكر فى ظل هذا الاسم

قال العلماء : الاكثار من ذكر اسم الله « المقدم » فى ساحة الحرب يقوى القلب ويمنح النصر إن شاء الله ـ تعالى ـ

ومن الأدعية التى ذكرها العلماء فى ظل هذا الاسم :

« إلهى أنت المقدم للأرواح الطاهرة ، وللنفوس الذاكرة ، أنت المقدم للأنبياء على سائر البرية ، والرافع لشان الصالحين أهل العطية ، اكشف عن عين بصيرتى حجب الأغيار ، حتى يصير الليل عندى كالنهار ، فأقدم كل ما قدمته ، وأعظم كل من عظمته ، واجعل حبك فى قلبى هو المقدم على كل الأشياء ، وتعظيم نبيك ـ ﷺ ـ هو الشرف لى بين الناس ، وحب أوليائك هو عين الدواء ، وحب الفقراء هو باب الشفاء إنك على كل شىء قدير »

أما المؤخر فهو اسم فاعل من الفعل « أَخَّر »

ومعناه ـ أنه الذى يؤخر الأشياء فيضعها فى مواضعها .

وقد وردت فى القرآن الكريم آيات يشتق من أفعالها اسم « المؤخر » . . من ذلك قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (٨٠٠)

---

(٨٠٠) هود ٨

وقوله - تعالى -

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ (٨٠١)

وقوله - تعالى -

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ (٨٠٢)

وقوله - تعالى -

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ (٨٠٣)

وقوله - تعالى -

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾ (٨٠٤)

وقوله - تعالى -

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ (٨٠٥)

---

(٨٠١) هود ١٠٣ ، ١٠٤

(٨٠٢) المنافقون ١١

(٨٠٣) نوح ٤

(٨٠٤) ابراهيم ٤٢

(٨٠٥) النحل ٦١

فاسم الفاعل من أخر ويؤخر « مؤخر » وهو من أسماء الله سبحانه وتعالى . . قال بعض الصالحين فى معنى المؤخر ـ هو الذى يؤخر إيجاد بعض الأشياء عن بعض بمشيئته ، ويؤخر من شاء من عباده فى الشرف والرتبة ، والقرب والحب ، والتقوى والطاعة ، والعلم والهداية ـ سبحانه ـ يقدم ويؤخر ما شاء ومن شاء على مقتضى حكمته ، ولا يقع شىء فى ملكه إلا وفق إرادته .

وقد يكون تأخير ظهور بعض الأشياء عن بعض لفضل ومزية ، وحكمة بالغة أزلية . .

فقد أخر الله ـ كما يقول العلماء ـ خلق آدم إلى آخر ساعة من ساعات الدنيا ، ليظهر فضل الإنسان الخليفة ، ويشوق الملائكة والجن إليه . . وحين خلقه بيديه وسواه بحكمته ، ونفخ فيه من روحه ، وأظهره فى أحسن تقويم علمه الأسماء كلها ، ثم أمر الملائكة بالسجود له .

وأخر إرسال النبى ـ ﷺ ـ وهو أفضل الرسل ، وجعله خاتم النبيين ، مع أنه ـ تعالى ـ قد أخذ عليهم العهد أن يؤمنوا به ويبشروا أممهم بمبعثه ، فقال ـ جل وعلا ـ

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (٨٠٦)

---

(٨٠٦) آل عمران ٨١

وما تأخيره ـ ﷺ ـ إلا لمزيد فضله ، وكمال رسالته ، وعموم رحمته ، وشمول بركته . وأفضلية دعوته التى جعلها الله دينا عاما للبشرية جمعاء ـ قال تعالى

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (٨٠٧)

وقال

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (٨٠٨)

وآخر يوم القيامة ليكون فى الموعد الذى حدده فى سابق علمه وادخره فى أزل حكمته ، لأنه اليوم الذى يجمع فيه الخلائق جميعا ، فيحاسبهم على ما قدموا من أعمال ، ويجزى المسيء إساءة والمحسن إحسانا ويتجاوز عمن يشاء ـ قال تعالى

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ

---

(٨٠٧) آل عمران ٨٥

(٨٠٨) المائدة ٣

يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ﴿١٠٤﴾ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (٨٠٩)

وقال بعض العلماء فى معنى « المؤخر » : هو الذى يؤخر المشركين ويرفع المؤمنين ، وهو الذى يؤخر العصاة ويهب للطائعين هداه ، وهو الذى يؤخر العقوبة للظالم ، لأنه ـ تعالى ـ هو الرءوف الرحيم .

إن تأخير العقوبة عن الظالم فيها رحمة له ، فلعله يقلع عن ظلمه ، ويتوب من جرمه ، ويعرف الطريق إلى التوبة ، ويحسن إلى الله الأوبة . فيبدل الله له سيئاته حسنات .

إن الله حليم لا يعجل ، وهو يمهل ولا يهمل . وهو ـ كما جاء فى الأثر ـ يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

إن الأدب فى ظلال هذا الاسم يقتضى أن يتدبر المؤمن فى أخراه ، ويدخر لنفسه أعمالا صالحة تنفعه يوم يناقشه الله الحساب ، ويقف أمامه فى موقف العرض فإما موفق أو مخذول ، وإما سعيد أو شقى .

ويعلمنا مفهوم هذا الاسم الشريف أن نقدم من الأعمال ما هو أولى بالتقديم ، ونؤخر ماهو أحق بالتأخير . كما نقدم ما هو أهم ونؤخر غيره مما ليس مهما . ولا يكون شأننا إيثار العاجلة على الآخرة والرضا بزهرة الدنيا الفانية على متاع العاقبة الباقية .

ويعلمنا ذلك أيضا الاجتهاد فى الطاعات ، والحذر من الكسل والتمنى ،

---

(٨٠٩) هود ١٠٣ ، ١٠٥

وإحالة الأعمال الصالحة إلى أوقات الفراغ . وقد جاء فى الحكم الجليلة « لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد »

وقد أحسن ابن عطاء الله السكندرى فى قوله « إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس »

ويقصد بالأعمال الأعمال الصالحة .

وإذا كان تأخير العمل - أى عمل - عن وقته يوقع فى الارتباك ويؤدى إلى الفوضى وسوء النظام ويترتب عليه أوخم العواقب - فهذا فى حق الأعمال الصالحة أولى ، وفى أداء الطاعات أحق . .

قال ابن عباد الرندى فى شرح هذه الحكمة : إذا كان العبد متلبسا بحال من أحوال الدنيا ، وكان له فيها شغل يمنعه من العمل بالأعمال الصالحة ، وأحال ذلك العمل على فراغه من تلك الأشغال ، وقال : إذا فرغت عملت ، فذلك من رعونة نفسه ، والرعونة حماقة . . لأن الإنسان فى تلك الحالة يكون مؤثراً للدنيا على الآخرة ، ومسوفا بالعمل إلى وقت لا يضمنه ، فقد يوافيه الأجل ، أو قد يأتيه شغل آخر . . . وحاجات من عاش لا تنقضى . والشاعر يقول :

فما قضى أحد منها لبانته ولا انتهى أرِب منها إلا إلى أرَب

أو قد يتبدد عزمه وتذهب نيته . .

قال عمر بن الفارض محذرا من تأخير العمل وطول الرجاء :

وعد من قريب فاستجب واجتنب غداً وشمر عن الساق اجتهاداً بنهضة
وكن صارماً كالوقت فالمقت فى عسى وإياك مهلا فهى أخطر علة

وعلى الإنسان العاقل أن يقضى على التسويف بقوة عزمه وحزم إرادته . . .

الدعاء فى ظل هذا الاسم

قال العلماء : إن الإكثار من ذكر اسم الله « المقدم » يفتح باب التوبة والتقوى .

كان النبى - ﷺ - يدعو قائلا : « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير »[٨١٠]

قال الشاعر أحمد مخيمر يناجى ربه فى ظلال هذا الاسم :

أنت المقدم أولياءك والمؤخر جاحديكا
وأجل ما تعطى عبادك أن تقرب عابديكا
والبعد أقسى ما تنيل من العذاب لمبعديكا
الجاعلين لربهم فى ملكه الباقى شريكا

وفى منظومة أسماء الله الحسنى :

مقــدم قدمنــا لأعلــى مكانــة مؤخــر أخــر لــى عــن الخبــث نيتــى

---

(٨١٠) رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه

الأول والآخر

جاء فى المصباح المنير : الأول الذى لا ثانى له ـ والآخر الذى لا نهاية له . وجاء فى كتب اللغة : أن لفظة الأول تستخدم فى عدة أحوال . منها المتقدم بالزمان ، والمتقدم بالرياسة فى الشيء ، والذى يحتذى به غيره .

وتستعمل أيضا فى بيان التقدم فى المواضع كأن تقول : القاهرة أولا ثم الإسكندرية ـ أو فى بيان التقدم فى الأعمال كأن تقول : البسملة أولا ثم المقدمة فالموضوع ، أو تقول : الأساس أولا ثم البناء بعد ذلك . وهكذا . .

أما إذا كان المراد بـ « الأول » اسم الله جل جلاله فيكون المعنى أنه الذى لم يسبقه وجود . . وعلى ذلك الحديث الشريف . . كان الله ولا شيء معه »

فهو الذى يحتاج إليه غيره ولا يحتاج هو إلى شيء . أو نقول هو المستغنى بنفسه ، ولا يستغنى غيره عنه .

وقد جاء اسم الأول فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾

واذا كان الأول بمعنى المتقدم ، فإن التقدم فى حق الله ـ تعالى ـ ليس تقدما زمانيا أو مكانيا . ولكنها أولية لا يحيط بها العقل ولا يدركها الذهن .

---

(٨١١) الحديد ٣

وفى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ غناء كثير عن شرح المكثرين والمقلين ، فقد قال ـ ﷺ ـ « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ـ اقض عنا الدين وأغننا من الفقر »(٨١٢)

ولكن بعض العلماء لهم مع ذلك ـ أقوال تشير إلى تذوقهم وتعمقهم فى المعانى ، وإدراكهم مالا يدركه غيرهم .

فقد قال بعضهم : إن أولية الله تعنى أنه قديم أزلى وآخريته تعنى بقاءه الدائم المستمر . . فهو الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا إنتهاء .

وأولية الله يقتضيها وجود الخلق ، فما من موجود إلا وله موجد يوجده وكل ما فى الكون موجود وموجده الله ـ جل وعلا ـ ولابد أن يكون هذا الموجد الأعلى أقدم الموجودات وأولها على الإطلاق . .

ولابد أن تكون هذه الأولية قديمة أزلية ، فالله هو الأول ، وهو القديم الأزلى الذى لا سابق على وجوده .

وإذا كان الله أظهر من كل ظاهر فهو كذلك أبطن من كل باطن . فاذا ما حاولت بعقلك إدراك حقيقة أوليته عجزت ، وإذا حاولت أن تحيط بكنهه تحيرت . . فكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك . .

وكيف يدرك كنه الخالق مخلوق ؟ أم كيف يفهم حقيقة المحيط محدود ؟

ذلك أن الله كان ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان .

ومعنى ذلك أنه لا شيء مع الله فى أبده كما لم يكن شيء معه فى أزله ،

---

(٨١٢) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ـ تفسير القرطبى جـ ١ ص ٢٣٦ سورة الحديد

لأنه الواحد أزلا وأبدا .

قيل لبعضهم : أين الله ؟

قال : حيث كان قبل أن يخلق المكان

قال : فأين كان ؟

قال : حيث هو الآن .

وصدق الذى يقول فى عجز العقول عن إدراك حقائق أسماء الله وصفاته :

أسماؤه وسائر الصفات مجهولة لغيره كالذات
فحدها بالعقل غير منضبط لعجزه ، فبالقديم لم يحط
وإنما بها لخلقه ظهر تعز بمالها من الأثر
ليعرفوا بأنه الموجود بنفسه ، والواحد المعبود
وأنه الاله قيوم السما وسره فى كل موجود سما
والكل محتاج إليه فى الظهور وما عليه شأن خلقه يدور
وكل ما سواه نجم آفل بل فى شهود العارفين باطل(٨١٣)

ويفيد معنى الآخر أنه الباقى بعد كل شىء ، قال ـ تعالى ـ
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ (٨١٤)

سوف تفنى الخلائق جميعا ، ويبقى الله وحده يخاطب بلسان القدرة من لا يملك الرد على تساؤله .. « لمن الملك اليوم » ؟ فيرد ـ سبحانه ـ على

(٨١٣) مطهرة النفوس وروض القلوب المستطاب للشيخ حسن رضوان ص ٢ مطبعة عموم الأوقاف المصرية .

(٨١٤) الرحمن ٢٦ ، ٢٧

نفسه بنفسه قائلا « لله الواحد القهار » هذا تفسير بعضهم .

وبعضهم يقول : يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة ، لم يعص الله ـ جلّ وعلا ـ عليها ، فيؤمر مناد فينادى : « لمن الملك اليوم » فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم : « لله الواحد القهار » ، فالمؤمنون يقولون ذلك سرورا وتلذذا ، والكافرون يقولونه غما وانقيادا وخضوعا . »(٨١٥)

والقرطبى يرجح التفسير الأول ، لأن المقصود إظهار انفراده ـ تعالى ـ بالملك عند انقطاع دعاوى المدعين وانتساب المنتسبين ، إذ قد ذهب كل ملك وملكه ، وكل متجبر وتجبره ،

ويقول الله ـ جل وعلا ـ : أنا الملك فأين ملوك الأرض؟ ولا مجيب .

وقد تحدث الغزالى عن معنى هذين الاسمين . . الأول والآخر . . فقال : الأول إنما يكون أولا بإضافته إلى شيء ، والآخر يكون آخرا باضافته إلى شيء ، وهما متناقضان ، فلا يتصور أن يكون الشيء الواحد من وجه واحد بالاضافة إلى شيء واحد أولا وآخراً جميعا .

ولكنك إذا نظرت إلى ترتيب الوجود ولاحظت سلسلة الموجودات عرفت أن الله ـ تعالى هو الأول ، فالموجودات كلها استفادت الوجود منه ، أما هو فموجود بذاته ، ولم يستفد الوجود من غيره .

واذا نظرت إلى ترتيب السلوك ، ولاحظت السائرين إليه عرفت أن الله ـ تعالى ـ آخر ما يرتقي إليه . . . . فكل معرفة تحصل قبل معرفته هى مرقاة إلى معرفته ، وأقصى منزلة هى معرفة الله ـ تعالى ـ فهو ـ سبحانه ـ

---

(٨١٥) تفسير القرطبى جـ ١٥ ص ٣٠٠ ـ سورة غافر

آخر بالإضافة إلى السلوك ، وأول بالاضافة إلى الوجود فمنه المبدأ أولا ، وإليه المصير والمرجع آخرا .

ومن أقوال بعض الصالحين فى معنى الاسمين الجليلين : -

هو الأول قبل كل شيء بالقدم والأزلية والآخر بعد كل شيء بالأبدية والسرمدية . . سبحانه هو الأول الذى أوجد الخلق ، وهو الآخر الذى يعيد الخلق بعد فنائه ويبعثه بعد صعقه وانمحائه .

هو الأول الذى يقدم كل مقدم ، وهو الآخر الذى يؤخر كل مؤخر ، إنه الأول الذى سبقت رحمته غضبه ، والآخر الذى قهر الظالمين بقهره وأذلهم بكبريائه وأدبهم بعدله ، ووسعهم بفضله .

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذين الاسمين ؟

حظ المؤمن من هذين الاسمين أن يشغل نفسه بما يبقى على ما يفنى .

وأن يكون من السباقين إلى فعل الخيرات وترك المنكرات . وأن يكون أول من يطيع وآخر من يعصى - كما جاء فى المثل المشهور - وليس معنى آخر من يعصى أن يشترك فى العصيان ، ولكن معناه ألا يكون مجيبا لدعوات العصاة ، مسرعاً إلى تلبية همزات الشيطان .

لقد جاء فى القرآن الكريم أمر الله للنبى - ﷺ - أن يكون أول المؤمنين ، وأول المسلمين . . وجاء ذلك فى قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾(٨١٦)

---

(٨١٦) الأنعام ١٤

وقوله

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (٨١٧)

وهو أول العابدين كما جاء فى قوله - تعالى -

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (٨١٨)

ومعناه كما يقول بعض العلماء : أن الله لا ولد له ولا شريك ، وكيف يكون له ولد ولا يعلم رسوله ذلك ، وهو أول العابدين

والعابدين بمعنى الموحدين المصدقين . .

والاقتداء بالأنبياء شرط فى قوة الإيمان ، والقرآن الكريم يدعونا إلى التأسى بالنبى - ﷺ - قال - تعالى -

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (٨١٩)

إن التسابق إلى العمل الصالح من دلائل الإيمان ، وكان أبوبكر الصديق - رضى الله عنه - له القدح المعلى فى ذلك ، وقد بذل نفسه وماله فى سبيل الله ، وكان أول من صدق برسول الله - ﷺ - وآمن به من الرجال ، ولذلك سمى بالصديق .

---

(٨١٧) الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣
(٨١٨) الزخرف ٨١
(٨١٩) الأحزاب ٢١

وكان غيره من أصحاب رسول الله - ﷺ - يتنافسون فى الجهاد ويقدمون أرواحهم رخيصة فى سبيل الله . . ولعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أوليات مشهورة ، فهو أول من سمى بأمير المؤمنين ، وهو أول من أرخ بالتاريخ الهجرى ، وأول من دون الدواوين ، وأول من عسَّ بالليل وأول من اتخذ الدرَّة ، وأول من فرض لكل مولود عطاء ، وأول من وضع حد الخمر وأقامه على أقرب الناس إليه وهو ابنه . . . . إلى غير ذلك مما هو مدون فى التاريخ . ولاشك فى أن الفاروق قدوة يقتدى بها المسلمون فى أعماله الصالحة .

وكان مصعب بن عمير أول سفير فى الاسلام ، وأول معلم فى الاسلام ، وأول من أقام الجمعة فى المدينة فى الاسلام ، قالوا : إنه جمع المسلمين وكانوا اثنى عشر رجلا يوم الجمعة وذبح لهم شاة .

والتسابق فى الخير دعا إليه الله - تعالى - فى قوله

﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٨٢٠)

كما وعد السابقين بالثواب الجزيل فى قوله -

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (٨٢١)

وفضل السابقين فى الجهاد على القاعدين درجة فى قوله تعالى

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ

---

(٨٢٠) المطففين ٢٦

(٨٢١) الواقعة ١٠ ، ١١ ، ١٢

﴿ وَقَـٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ ﴾ (٨٢٢)

كل ذلك نتعلمه مما يدعو إليه اسم الله « الأول »

اما اسم الله « الآخر » فهو يدعونا إلى التأمل فى بقاء الله وقهره لخلقه وأنه الباقى بعد فناء كل شيء ، القاهر لكل شيء ، الحى الدائم الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون . وهذا يدعونا إلى خشيته وطاعته ، والاستعداد لذلك اليوم الذى يجمعنا فيه حين يقول : لمن الملك اليوم ؟ فعسى أن نكون من المؤمنين الذين يلبون ربهم قائلين : لله الواحد القهار . نقولها اطمئنانا وإيمانا وابتهاجا ، حتى نكون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

الدعاء فى ظل هذين الاسمين :

جاء فى منظومة أسماء الله الحسنى :

ويا أول قوِّ ابتدائى لحبكم ويا آخر حسن رجوعى لآخرتى

وقال الشاعر مناجيا ربه فى ظل هذين الاسمين : -

أنت ياخالقى بذاتك موجود بلا حاجة إلى موجود
ليس من سابق فأنت هو الأول جلَّ العلىُّ من معبود
ووراء الوجود أنت هو الآخِر سر الوجود بعد الوجود

وقال بعض العلماء : اذا واظب المسافر على ذكر اسم الله « الأول » جمع الله شمله على من يحب .

---

(٨٢٢) الحديد ١٠

ومن ذكر اسم الله « الآخر » فى كل يوم مائة مرة صفا قلبه وخرج منه ما سوى الله - جل جلاله -

ومن الأدعية المأثورة عن النبى - ﷺ -

«اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان ، فالق الحب والنوى ، أعوذ بك من كل شيء وأنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر »(٨٢٣)

ومن أدعيته - ﷺ - : « يا كائن قبل أن يكون شيء ، والمكون لكل شيء ، والكائن بعد ما لا يكون شيء ، أسألك لحظة من لحظاتك الحافظات الغافرات المنجيات »(٨٢٤) .

---

(٨٢٣) رواه الترمذى وابن ماجه - وابن حبان عن أبى هريرة - أسماء الله الحسنى للشيخ أحمد عبد الجواد ص ١٨٠

(٨٢٤) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ ١ ص ٣٦٧

الظاهر والباطن

يفيد الفعل ظهر معانى عدة ـ فهو يؤدى معنى الوضوح ، تقول : ظهر الشيء بمعنى وضح وبدا . . ويأتى فى مقابل : بطن ـ بمعنى خفى ، وللانسان ظهر وبطن وهما متقابلان . . ويأتى ظهر بمعنى علا وارتفع ، تقول : ظهرت البيتَ أى علوته ، وتقول : أظهرت بفلان أى أعليت به .

وظهر به ـ بمعنى قوى به ، وظهر عليه ـ بمعنى قوى عليه وانتصر . . . . وقال العلماء فى معنى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٨٢٥)

واستظهر به إذا استعان ، والمظاهرة ، المعاونة ، والتظاهر التساند والتعاون . وظاهر عليه ـ أى أعان عليه .

والظهير العون ، الواحد والجمع فى ذلك سواء قال ـ تعالى ـ

---

(٨٢٥) النور ٣١

﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (٨٢٦)

والظهور العلو والارتفاع قال ـ تعالى ـ

﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (٨٢٧)

أى ما قدروا أن يعلوه . والظهور النصر والفوز والظفر .

والظاهر من أسماء الله ـ تعالى ـ معناه الذى ظهر فوق كل شيء وعلا على كل شيء . . . وقيل : عُرِف بطريق الاستدلال العقلى بما ظهر لهم من آثار أفعاله وأوصافه .

هذا بعض ما جاء فى كتب اللغة عن مادة ظهر التى اشتق منها اسم الله ـ تعالى ـ الظاهر ـ جل جلاله ـ

وللعلماء فى معنى هذا الاسم أقوال .

فهم يقولون : هو الظاهر بالقدرة على كل شيء ، والظاهر لكل شيء بالأدلة العقلية والكونية ، فقد خلق الله كل الكائنات والموجودات لتظهر آثار قدرته فيها ، وهو ـ سبحانه ـ ظاهر عليها من جميع الجهات .

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ (٨٢٨)

---

(٨٢٦) التحريم ٤
(٨٢٧) الكهف ٩٧
(٨٢٨) البقرة ١١٥

فالكون كله بما فيه ومن فيه مظهر من مظاهر قدرة الله وصفاته ، فإن وراء ظواهر الأشياء بواطن تحمل أسرارا دقيقة ، وحكما خفية عميقة ، لا يدرك كنهها العقل البشرى ، ولا يصل اليها الفكر الانسانى .

وقال بعض العلماء : معنى الظاهر البادى بأفعاله العظيمة لذوى البصائر والأبصار ، وما من ذرة فى الوجود إلا وتدل على الواحد الموجود ، الذى لا يخفى ولا يغيب ، فهو معكم أينما كنتم يسمع ويرى ، وهو الظاهر فوق كل شيء بقدرته .

وقد ورد اسم « الظاهر » فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾(٨٢٩)

وللامام فخر الدين الرازى تعاريف لهذا الاسم . منها : ـ أنه بمعنى الغالب لخلقه ، فمن معنى الظهور الغلبة والقهر . ومنها أنه العالم المطلع . . . . . ومنه يقال : ظهرت على سر فلان ـ اذا اطلعت عليه .

ومنها أنه ـ سبحانه ـ ظاهر لكثرة البراهين الظاهرة والدلائل النيرة على وجوده .

أما ابن عطاء الله السكندرى فيتحدث حديثا روحيا عن معنى ظهور الله . . . يقول فيه :

« كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذى أظهر كل شيء ؟

« كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذى ظهر بكل شيء ؟

« كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذى ظهر فى كل شيء ؟

(٨٢٩) الحديد ٣

« كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذى ظهر لكل شيء ؟
« كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟
« كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء ؟
« كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذى ليس معه شيء ؟
« كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء ؟
« كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود شيء ؟

وهى عبارات تدل على روح خيرة ، ومشاهدة صادقة ، فالله سبحانه ظاهر فى آثار صنعه ، بادٍ فى مظاهر خلقه ، وصدق الشاعر الذى يقول :

لقد ظهرت فما تخفى على أحد   إلا على أكمه لا يعرف البصرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجبا   وكيف يُعْرف من بالعزة استترا ؟

وقديما قال الحكماء : الحق من شدة ظهوره اختفى . أجل ، وهذه هى الشمس طالعة فى رابعة النهار ، ولكن من الذى يستطيع أن يفتح عينيه فيها ؟ فهل عدم رؤيتها يقدح فى وجودها ؟

والبوصيرى يقول :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

ومن معانى « الظاهر » عند بعض الصالحين . .

أنه الظاهر وجوده لكثرة دلائله ، فهو البادى بالأدلة عليه ، فلا يمكن أن يجحد وجوده .

قيل أمام شخص من مستورى الحال : لقد ألف أحد العلماء كتابا فيه ألف دليل على وجود الله .

فقال الرجل : ياسبحان الله ، وهل خفى حتى يحتاج إلى دليل ؟ ثم استشهد بقول الشاعر :

وليس يصح فى الأذهان شىء   اذا احتاج النهار إلى دليل

أينما وجهت نظرك وقلبت بصرك وأرعيت سمعك ، وأجلت فكرك وجدت آثار قدرة الله الدالة عليه ، ومظاهر أياديه المشيرة إليه ، والله ـ جل وعلا ـ يقول :

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٨٣٠)

ونفسك أقرب شىء إليك . . فهلا استشهدتها لتشهد بلسان صدق أن قدرة الله بادية فيها ، وحكمة الله ناطقة فى جوارحها وأجهزتها الظاهرة والخافية ؟ وقدرتها الباطنة والبادية ، وحركتها وسكونها ، وابداعها وخمولها ، وقوتها وضعفها ، وإعطائها ومنعها ؟

إنه ـ سبحانه الظاهر بحججه الناطقة وأياديه الظاهرة والباطنة ، ونعمه التى لا تعد ولا تحصى .

هو المتجلى بأنوار هدايته وآياته ، وهو المتنزه بمعانى أسمائه وصفاته .
أينما وليت لم تر غيره محيطا . . . . وصدق أمير الشعراء شوقى حين يقول :

تأمل فى نبات الأرض وانظر   إلى آثار ما صنع المليك .

---

(٨٣٠) الذاريات ٢١

التخلق بأدب هذا الاسم

إن اسم الله الظاهر يدفعنا إلى التسبيح بحمده ، والتفكر فى خلق السموات والأرض استجابة لقوله ـ تعالى ـ

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ (١٩٠) ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٩١) ﴾ (٨٣١)

إن التأمل فى خلق الله يهدى إلى الله ، ويُعرِّف الإنسان طريقه إليه ، فلا يلجأ إلا إليه ، ولا يدعو غيره ، ولا يؤمن إلا به ، ولا يشرك به أحدا . فلا خالق غيره ، ولا شريك معه .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) ﴾ (٨٣٢)

الدعاء فى ظل هذا الاسم

إذا ردد العبد اسم الظاهر أظهر الله عليه نوره وأرشده إلى الطريق الواضح ، وأمده بالإلهامات والفيوضات .

ومن أدعية الصالحين :

« إلهى أنت الظاهر لعيون الأرواح بنورك وصفاتك ، المتجلى للعقول

(٨٣١) آل عمران ١٩٠ ، ١٩١

(٨٣٢) المجادلة ٧

بأنوار آلائك وآياتك . .

« احفظنا من حجاب الغفلة ، واكشف لنا أنوار الهداية إنك على كل شيء قدير . »

ومن مناجاة الصالحين :

« إلهى ما أقربك منى وما أبعدنى عنك

ياقريب أنت القريب وأنا البعيد ، قربك منى آيسنى من غيرك ، وبعدى عنك ردنى للطلب من غيرك ، فكن لى ، وقربنى منك بفضلك حتى استغنى بطلبك عن طلب غيرك .

« إلهى كيف يُستَدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك ؟ وهل يكون لغيرك من الظهور ماليس لك ، حتى يكون هو المظهر لك ؟

« متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك .

« إلهى عميت عين لاتراك عليها رقيبا ، وخسرت صفقة عبد لم يجعل لك من حبه نصيبا .

عجبت لمن يبغى عليك شهادة وأنت الذى أشهدته كل شاهد . »

وأما اسم الله « الباطن » فهو من الفعل بَطَنَ

قال ابن منظور : الباطن من أسماء الله ـ تعالى ـ وفى التنزيل العزيز :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾ (٨٣٣)

---

(٨٣٣) الحديد ٣

وتأويله ما روى عن النبى - ﷺ - فى تمجيد الرب : اللهم أنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء »

ومعناه أنه علم السرائر والخفيات كما علم ما هو ظاهر الخلق .

وقيل : الباطن هو المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم ، فلا يدركه بصر ، ولا يحيط به عقل .

وقيل : هو العالم بكل ما بطن - يقال : بطنت الأمر إذا عرفت باطنه(٨٣٤) ،

قال علماء التفسير فى معنى الظاهر والباطن فى الآية المشار اليها : الظاهر : الغالب ، والباطن : العالم .

وقال بعض العلماء : الباطن المحتجب عن عيون خلقه لشدة ظهوره ، والباطن بكنه ذاته عن إدراك العقول والأفهام ، فهو - جل شأنه - قوة قدسية باطنة من وراء هذا الكون الرحيب العجيب - سبحانه - الظاهر بالقدرة على كل شيء ، الباطن العالم بحقيقة كل شيء . . الظاهر لكل شيء بالدلائل اليقينية ، الباطن عن المظاهر الحسية والمعنوية ، سبحان من احتجب عن الخلق بنوره ، وخفى عليهم بشدة ظهوره(٨٣٥) .

ومعنى الباطن عند الإمام الرازى يدور حول بعض التعريفات .

● فهو باطن من حيث إن كنه حقيقته غير معلوم للخلق .

● أو هو باطن من حيث ان الأبصار لا تحيط به ولا تدركه ، كما تشير بذلك

---

(٨٣٤) لسان العرب مادة - بطن -

(٨٣٥) فى ملكوت الله للشيخ عبد المقصود محمد سالم ١٠١

الآية السابقة .

● أو هو باطن من حيث انه يعلم ما خفى ودق وبطن .

● أو هو باطن من حيث إنه حجب الخلق عن رؤيته فى الدنيا .

تفسير قوله ـ تعالى ـ « لا تدركه الأبصار »(٨٣٦)

وقد تحدث العلماء عند تفسير قوله ـ تعالى ـ « لا تدركه الأبصار » عن إمكان رؤية الله ـ تعالى ـ وهذا موضوع له صلة بهذين الاسمين الشريفين « الظاهر والباطن » .

ولا يمكن استقصاء كل ما كتبه العلماء فى ذلك ، ولكننا نكتفى بما قرره الإمام القرطبى فى تفسيره وهو من أئمة التفسير المحققين . .

قال : قوله تعالى

« لا تدركه الأبصار » يبين أنه ـ سبحانه ـ منزه عن سمات الحدوث ، ومنها الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد كما تدرك سائر المخلوقات . .

قال الزجاج : معنى « لا تدركه الأبصار » أى لا يبلغ أحد كنه حقيقته ، كما تقول : أدركت كذا وكذا . . وقد صح عن النبى ـ ﷺ ـ الأحاديث فى الرؤية يوم القيامة .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : « لا تدركه الأبصار » فى الدنيا ، ويراه المؤمنون فى الآخرة ، لإخبار الله ـ تعالى ـ بها فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(٨٣٧)

قال السدى : وهذا أحسن ما قيل لدلالة التنزيل ، والأخبار الواردة

---

(٨٣٦) الأنعام ١٠٣

(٨٣٧) القيامة ٢٢ ، ٢٣

برؤية الله فى الجنة .

وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٦) ﴾ (٨٣٨)

فقد قال النبى - ﷺ - وقد سئل عن هذه الأية - : « للذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم » وهو قول أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وعلى بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وغيرهما من بعض الصحابة والتابعين ، وهو الصحيح فى هذا الباب . روى مسلم عن صهيب عن النبى - ﷺ - قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة - قال الله - تبارك وتعالى - : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم - عز وجل - ثم تلا « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »

وقيل : لا تدركه الأبصار ، أى لا تحيط به وهو يحيط بها .

وعن ابن عباس أيضا : لا تدركه أبصار العقول ، أى لا تدركه العقول فتتوهمه ، إذ ليس كمثله شىء

وقال بعض العلماء : لا تدركه الأبصار المخلوقة فى الدنيا ، لكنه يخلق لمن يريد كرامته بصرا وإدراكا يراه به كالرسول - عليه السلام - إذ رؤية الله فى الدنيا جائزة عقلا ؛ إذ لو لم تكن جائزة لكان سؤال موسى - عليه السلام -

---

(٨٣٨) يونس ٢٦

مستحيلا ، ومحال أن يجهل نبى ما يجوز على الله ـ تعالى ـ ومالا يجوز ، بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل[٨٣٩] .

اقتران الظاهر والباطن

وكثير من العلماء يتحدثون عن الاسمين مقترنين . . . وقال الامام الغزالى ـ رحمه الله ـ فى ذلك : هذان الوصفان من المضافات ، فإن الظاهر يكون ظاهراً ، لشيء وباطنا لشيء ، ولا يكون من وجه واحد ظاهرا وباطنا ، فإن الظهور والبطون إنما يكون بالاضافة إلى الإدراكات ، والله ـ تعالى باطن إن طلب من إدراك الحواس وخزانة الخيال ، ظاهر إن طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال .

ـ سبحانه هو ظاهر بنعمته ، باطن برحمته .

هو ظاهر بالكفاية باطن بالغاية

ظاهر بالقدرة على كل شيء ، باطن عالم بحقيقة كل شيء . .

ـ سبحانه أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، وأمرنا أن نترك ظاهر الإثم وباطنه .

فظاهر النعمة ما يدرك ويحس ، وباطن النعمة ما يخفى ويدق .

وظاهر الإثم ما يؤدى بالجوارح وباطنه ما يخفى بين الجوانح .

التخلق بآداب اسم الباطن

وحظ العبد من اسم الله الباطن ، أن يزين باطنه بالتقوى ، كما يزين

---

(٨٣٩) راجع تفسير القرطبى جـ ٧ صـ ٥٦ تفسير سورة الأنعام ، جـ ٨ صـ ٣٣٠ تفسير سورة يونس

ظاهره بالأدب . فالمؤمن الحق هو الذى يراقب سره ، وينقى قلبه ، ويحرر نيته فلا يكون إلا لله .

وعليه أن يشهد وجود الله محيطا به فى كل لحظة من لحظات حياته ، وإذا صح ذلك منه عاش فى مقام الإحسان ، الذى يعبد الإنسان فيه ربه كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه

الدعاء فى ظل هذا الاسم

يرى كثير من العلماء أن يكون ذكر الله بهذه الأسماء مجتمعه « الأول الآخر الظاهر الباطن » كما جاء فى الحديث الشريف الذى سبق أن ذكرناه :

« اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء . اقض عنا الدين وأغننا من الفقر »

والدعاء كما يقول بعض العلماء ، لابد أن يكون توجها بالروح والقلب ، وأن يكون الداعى كالعطشان عندما يسمع صوت الماء . . .

وهذا هو دعاء المضطر .

قال تعالى :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٨٤٠)

وعلى الإنسان أن يتجه دائما إلى الله ، ولا يتوجه لغير الله فى الدعاء ،

---

(٨٤٠) النمل ٦٢

وليتذكر دائما هذه الآية القرآنية :

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (٨٤١)

وقراءة الأسماء الأربعة مجتمعة فى الآية « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » بعد صلاة ركعتين ، وتكرار ذلك . مفيد لقضاء المطالب إن شاء الله -

وفى منظومة أسماء الله الحسنى :

ويا ظاهر أظهر على سناءكم ويا باطن أبطن فى الفؤاد هدايتى

وروى أن النبى - ﷺ - كان يكثر من قول : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ، لا حول ولا قوة الا بالله ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، بيده الخير ، يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير »

وقد ناجى الشاعر أحمد مخيمر ربه فى ظل هذين الاسمين قائلا : -

لأنك ظاهر فى كل شىء خفيت عن الخلائق فى ظهورك
وأنت الباطن الأزلى ، تاهت سفائن للحقيقة فى بحورك
وما شهدت سوى لألاء نور يمد الباقيات على دهورك
ونورك أيها المولى حجاب يوارى بالصفاء صفاء نورك
تحير عاشقوه ، وقد تجلى فما عرفوا شموسك من بدورك(٨٤٢)

---

(٨٤١) الأنعام ٧٩

(٨٤٢) أسماء الله الحسنى لأحمد مخيمر صـ٩٨

ومن مناجاة ابن عطاء الله السكندرى :

إلهى ، هذا ذلى ظاهر بين يديك ، وهذا حالى لا يخفى عليك ، منك أطلب الوصول إليك ، وبك أستدل عليك ، فاهدنى بنورك إليك ، وأقمنى بصدق العبودية بين يديك . .

إلهى . أنت الذى لا إله إلا أنت ، علمت كل شيء ، وعرفك كل شيء ، فرأيتك ظاهرا فى كل شيء ، فأنت الظاهر لكل شيء .

« يامن احتجب فى سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار ،

«يا من تجلى بكمال بهائه فتحققت عظمته بالأسرار .

«كيف تخفى وأنت الظاهر ؟

« أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر ؟

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الوالي

المتعالي

البرّ

التواب

المنتقم

العفو

الرؤوف

الوالى

ورد اسم الولى - جل جلاله - وتحدثنا عنه قبل ذلك .

وهذا الاسم « الوالى » لم يرد فى القرآن الكريم ، ولكنه ورد فى سلسلة الأسماء التى جاء بها الحديث الشريف ، ورقم هذا الاسم فى تلك السلسلة السابع والسبعون .

ولكن كلمة الوالى ، وردت فى القرآن الكريم فى قوله - تعالى -

﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾(٨٤٣)

وهى تنفى ولاية غير الله وتثبت الولاية لله حقا .

ووالٍ فى الآية بمعنى ملجأ ، أى ما لهم ملجأ ولا نصير دون الله يمنعهم من عذابه . واذا انتفت ولاية البشر لعجزهم عن النصرة ، فقد ثبتت الولاية لله القادر القوى القاهر . قال الشاعر :

* ما فى السماء سوى الرحمن من والٍ *

ولا فى الأرض كذلك .

والوالى والولى كالقادر والقدير . قال ابن منظور : من أسمائه - تعالى - الوالى ، وهو مالك الأشياء جميعها ، المتصرف فيها . قال ابن الأثير : وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل ، والذى لايجمع ذلك لا يطلق عليه اسم الوالى .

---

(٨٤٣) الرعد ١١

وقال ابن سيده : وَلِيَ الشيءَ وَوَلِيَ عليه ولاية ـ بكسر الواو وفتحها ـ وقيل : الوِلاية بالكسر الخِطة كالامارة ، كأن تقول : وِلاية مصر مثلا . والوَلاية ـ بالفتح ـ المصدر من وَلِيَ .

وقال ابن السكيت : الوِلاية ـ بالكسر فقط ـ السلطان ، وبالفتح وبالكسر النصرة .

قال العلماء : الوالى هو الذى يتولى أمور خلقه ويتصرف فيها كيفما شاء ، وينفذ فيها أمره ، ويجرى فيها حكمه بقدرته وأنعمه .

وقالوا بأسلوب آخر : هو المتولى أمور خلقه بالتدبير والقدرة والفعل ، فهو ـ سبحانه ـ المالك للأشياء المتكفل بها ، القائم عليها بالإدامة والابقاء ، المنفرد بتدبيرها ، المتصرف بمشيئته فيها ، ينفذ فيها أمره ، ويجرى عليها حكمه ، فلا والى للأمور سواه ـ قال تعالى ـ :

﴿ إِنَّ وَلِيِّـۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ (٨٤٤)

ومعنى الآية : أن الذى يتولى نصرى وحفظى هو الله . . وولى الشىء : الذى يحفظه ويمنع عنه الضرر .

وهذا هو الذى أشار إليه الحق ـ سبحانه ـ فى قوله :

﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (٨٤٥)

---

(٨٤٤) الأعراف ١٩٦

(٨٤٥) التحريم ٤

والفرق بين الولى والوالى أشار اليه الغزالى ـ رحمه الله ـ بقوله : الوالى هو الذى دبَّر أمور الخلق ، وَوَليها أى تولاها وكان عليها بولايتها .

أما الولىُّ فهو المحب الناصر ، وحبه يظهر فى هدايته للمؤمنين وإحسانه لهم ، ونصرته تظهر فى أنه يقمع أعداء الدين ، وينصر أولياءه المؤمنين « الله ولى الذين آمنوا » .

ففى الولاية إشعار بالتدبير والقدرة والفعل . وقد أشار ابن الاثير الى ذلك فيما سبق أن قدمناه .

ومن معانى الوالى عند بعض العلماء : أنه المالك للأشياء المتصرف فيها . ويمكن إدراك هذا المعنى ـ على وجه التقريب . حين نقول : والى البلدة فعل كذا وكذا ـ من وجوه الاصلاح وأصدر من المرسومات كذا وكذا . . وهو فى هذه الحالة مستمد ولايته من الله الوالى الأكبر . . وقد تطلق على الأب أو العم أو من يكبرك من أفراد أسرتك اسم ولى الأمر ، ولا تطلق عليه اسم الوالى . ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض .

فالوالى الأعظم هو الله ـ جل جلاله ـ لأنه الذى يتولى أمور الخلق جميعا ولا معقب لحكمه . وهو الناظر بعين الحكمة فى إصلاح أمورهم ، وهو المتفرد بتدبير شئونهم ، القائم بنفسه على كل شىء ، ولا بقاء ولا دوام إلا بإذنه ، ولا شىء يجرى فى ملكه وسلطانه إلا بأمره ووفق حكمته ، هو الذى يقبل الدعاء ، ويدفع البلاء برحمته ، ويفيض العطاء بحكمته ، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء . ولا ناقض لحكمه فى الأرض ولا فى السماء .

وقد ورد اسم المولى فى القرآن الكريم ، ويقصد به السيد المطاع والناصر

المعين لأوليائه قال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ (٨٤٦)

والله الوالى هو المتصرف بمشيئته فى العوالم ، وهو الذى يوالى عباده بالاحسان ، ويمدهم بفيوض الامتنان ، ويثبتهم عند نوازل الامتحان ، ويبسط عليهم جناح الرحمة والحنان .

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إذا علم العبد أن الله هو الحاكم المطلق ، وأنه يحكم لا معقب لحكمه ـ اتخذه وليًّا ونبذ كل الأولياء دونه .

وجدير بمن تولى الله أمره أن يأخذ بيده من غواشى الظلام الى سرادقات النور والاكرام . اقرأ قوله ـ تعالى ـ

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ (٨٤٧)

والذى يعيش فى رحاب هذا الاسم الجليل لا يوالى من الناس إلا من صفت سريرته ، وحسنت أحواله ، وسمت خصاله ، وكان ممن تولاهم الله من عباده المؤمنين . . . اقرأ قوله ـ تعالى ـ

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(٨٤٦) محمد ١١

(٨٤٧) البقرة ٢٥٧

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾[848]

وقوله - تعالى -

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾[849]

وفى ظل هذا المعنى قال ابن عطاء الله فى حِكَمِه : « لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله »

وإذا امتحن الله عبدا بولاية ، وخوله سلطانا ، فعليه أن يراعى حقوق العباد ، ويحكم بالحق ، ويحسن اختيار البطانة التى تحيط به - ممن يعينه على العدل ويجنبه الظلم ، امتثالا لقول الله - تعالى - لداود عليه السلام - :

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ

---

(٨٤٨) الأنفال ٧٢

(٨٤٩) الممتحنة ١

﴿ يَوْمَ الْحِسَابِ ۝٢٦ ﴾[٨٥٠]

ومن واجب المؤمن أن يكون والياً على نفسه ، يسوسها بالحكمة ، ويعمل على ترويضها وتهذيبها ، حتى يجتاز بها مراتب سلوكها ، من أمّارة بالسوء إلى لوامة إلى راضية ، فمرضية ، فمطمئنة . .

وإذا أحسن الانسان سياسة نفسه صلح لسياسة غيره من الناس . .

الدعاء فى ظل هذا الاسم

الدعاء باسم الله « الوالى » يصلح لمن ولّاهم الله أمرا من أمور الرياسة . فإذا أكثر من ذكره سدده الله ، ووفقه للعدل فى رعيته ، وإنصاف المظلوم منهم .

ومن أَكْثَرَ من ذكره وهو على وضوء وطهارة كان عند الله مقّربا محبوبا وعند الناس محترما مهيبا .

وقالوا : إن الاكثار من ذكره يرد الصواعق والآفات . . ومن دعاء بعض الصالحين :

« إلهى ، أنت الوالى المتصرف النافذ الأحكام ، وأنت المالك المتصرف فى ناصية العباد وفى قلوبهم وأرواحهم ياذا الجلال والاكرام ، أشرق على روحى نور اسمك الوالى ، فأكون مَظْهَراً للسر المتعالى ، وأشهد فى الخلق قدرتك ، وأفوز برضاك ، إنك على كل شىء قدير »[٨٥١]

---

(٨٥٠) ص ٢٦

(٨٥١) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ ١ صـ ٢٧٦

ومن الأدعية المشهورة التى يمكن استمدادها من اسم الوالى أيضا قولهم :

« اللهم إن حسناتى من عطائك ، وسيئاتى من قضائك ، فجد اللهم بما أعطيت على مابه قضيت ، حتى تمحو ذلك بذلك ، اللهم اجعلنا مع من أطاعك ، ولا تجعلنا مع من عصاك ، وأكرمنا بعطاياك ، لأنك قلت وقولك الحق « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون »

« اللهم لولا عطاؤك لكنت من الهالكين ، ولولا رحمتك لكنت من الخاسرين وأنت أجل وأعظم ، وأعز وأكرم من أن تطاع إلا بإذنك ورضاك ، أو أن تعصى إلا بحكمك وقضاك . . »(٨٥٢)

---

(٨٥٢) درة الأسرار لابن الصباغ صـ٩٦

المتعالى

المتعالى اسم فاعل من الفعل ـ تعالى ـ وأصل الفعل بعد حذف زوائده علا يعلو ، بمعنى ارتفع وعظم .

والله ـ تعالى ـ هو العلى ، المتعالى ، العالى ، الأعلى ، ذو العُلا والعَلاء والمعالى .

ومعنى تعالى : جلَّ وعظم عن كل ثناء ، فهو أعظم وأجل وأعلى مما يثنى به عليه . ولذلك كان النبى ـ ﷺ ـ يقول فى ثنائه :

« اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »(٨٥٣)

والعلوُّ الرفعة والعظمة ، وقد يَدَّعِى بعض المخلوقين الاتصاف بذلك ، فيدفعهم ذلك الى التجبر والافساد فى الأرض . . ولذلك قيل فى معنى قوله تعالى :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا »(٨٥٤)

العلو : التكبر . وقد يكون بمعنى الطغيان . . . . كما فسروا بذلك أيضاً قوله ـ تعالى

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ

---

(٨٥٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ
(٨٥٤) القصص ٩٣

﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾(٨٥٥)

والعلو فى جانب الله هو العظمة والرفعة والقدرة على كل شىء .

قال ابن منظور : والله ـ عز وجل ـ هو العلى المتعالى . تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وتفسير أسماء الله ـ تعالى ـ المشتقة من مادة عَلاَ يقرب بعضها من بعض . فالعلى الشريف ، وهو بمعنى العالى . إلا أن العلى صيغة مبالغة ـ على وزن فعيل ـ والعالى اسم فاعل ، وهو الذى ليس فوقه شىء . وهو الذى علا الخلق فقهرهم بقدرته .

وأما المتعالى فهو الذى جل عن إفك المفترين ، وتنزه عن وساوس المتجبرين . وقد يكون بمعنى العالى ، إلا أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

وأما الأعلى ، فهو اسم التفضيل من الفعل علا ، ومعناه ـ أنه هو الأعلى عن كل ماعداه صفة وذاتا واسما . إلا أن أفعل التفضيل على غير بابه ، لأن الله لا يشترك أحد معه فى صفة فيكون هو جل جلاله أفضل منه فيها ـ كما يقضى بذلك معنى المفاضلة . . ويقاس على ذلك قولنا : الله أكبر ، كما يقاس قوله : وهو أهون عليه . وصفة الله العليا ـ كما يقول ابن منظور ـ شهادة أن لا اله إلا الله ، فهذه أعلى الصفات ، ولا يوصف بها غيره . . وكان الله .

---

(٨٥٥) القصص ٤

ولم يزل عليا عاليا متعاليا ، وهو العلى العظيم »(٨٥٦)

وقال بعض العلماء : المتعالى ـ جل جلاله ـ البالغ الرفعة والعلو إلى مقام لا تدركه الأبصار ، فهو ـ جل جلاله ـ على عرشه فوق السموات العلا ، وهو العظيم فى ذاته ، المتعالى فى صفاته عن الحوادث التى تجوز على المخلوقين ، قال ـ جل ـ جلاله ـ :

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩ ﴾ (٨٥٧)

ولم يرد هذا الاسم فى غير هذه الآية ـ ولكن ورد فى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تشير إلى علو الله وعظمته وارتفاعه .

وقد سبق أن ذكرنا بعض الآيات التى ذكر فيها اسم الله « العلى » .

وهذه آيات ورد فيها اسم الله الأعلى . . قال ـ تعالى ـ

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ (٨٥٨)

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ ﴾ (٨٥٩)

وكل صفات الله تشير الى علوه وارتفاعه وعظمته . فخالق الكون ومبدعه ، ورازق الخلق ، والعليم بهم ، والمجيب لدعائهم ، والرءوف بهم والسميع لهم ، والبصير بهم ، لابد أن يكون عليا متعاليا . .

---

(٨٥٦) لسان العرب لابن منظور مادة علا

(٨٥٧) الرعد ٩

(٨٥٨) الأعلى ١

(٨٥٩) الليل ٢٠

ويقول بعض العلماء فى معنى اسم الله « المتعالى » : إنه المستعلى على كل شىء بقدرته ، العلى الكامل فى العلو والعظمة ، البالغ الغاية فى الرفعة والكبرياء فى ذاته وصفاته وأفعاله .

والله المتعالى هو المستعلى على كل شىء بكمالاته ، فقد تعالى عن كل شريك ، وتنزه عن كل نقص ، وهو المنعوت بكل كمال ، الموصوف بكل جلال المنزه عن الشريك والمثل .

والله المتعالى هو الذى يجل عن الشبيه ، ويرتفع عن المماثله ، فهو ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

وعلو الله علو مكانة وارتفاع قدر وإحاطة ، واستواؤه على عرشه لا يعنى الجلوس المعروف فى مفهومنا ، ولكن العلماء الأجلاء والسلف الصالح أوضحوا لنا هذه الحقيقة بما يرفع اللبس عن الأذهان ، ويدفع الوهم عن الأفهام ، وينفى الشبه بالحوادث عن الواحد العلام .

إن استواء الله على العرش حقيقة كما أخبر بذلك فى كتابه الكريم ، ولكن كيفية هذا الاستواء يعلمها هو - جل جلاله - قال مالك - رحمه الله - وقد سئل عن ذلك : الاستواء معلوم - أى فى اللغة - والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة .

وقد تأول بعض العلماء معنى استوى بأنه الاستيلاء والظهور . . . كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

أو يقصد به العلو والرفعة كما قال الشاعر :

فأوردتهم ماءً بفيفاء قفرةٍ   وقد حلّق النجم اليمانى فاستوى[860]

أى علا وارتفع .

وقد تنزه الحق ـ جل وعلا عن اتخاذ الصاحبة والولد قال ـ تعالى ـ :

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[861]

وقال سبحانه

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾[862]

كيف يتأدب المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إذا أدرك المؤمن سمو الله ورفعته وتعاليه فى ملكه ـ ارتفعت همته اليه ، وسلك الطرق المؤدية الى حضرته ، ليتعرف على مالك الملك وبديع السموات والأرض .

ولا يصلح لحضرة الملوك إلا من أدب نفسه بأدبهم ، وسما بهمته إلى حضرتهم ، ولا يكون ذلك إلا بسياسة النفس . وتربيتها وتأديبها وتهذيبها .

حكى العلماء فى ترجمة الفضيل بن عياض المتوفى بمكة المكرمة سنة سبع وثمانين ومائة ـ وكان من كبار تابعى التابعين ومن أجلة العلماء العارفين .

---

(٨٦٠) راجع تفسير القرطبى جـ ٧ صـ ٢١٩ ـ سورة الأعراف ـ آية رقم ٥٤

(٨٦١) المؤمنون ٩١

(٨٦٢) الأنعام ١٠١

قالوا : إنه كان فى أول أمره قاطع طريق . ثم سمع مرة قارئا يقرأ قوله ـ تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (٨٦٣)

فقال : يارب قد آن . وتاب وعزم على المجاورة فى بيت الله الحرام . . ثم قال : إنه لا يصلح لجوار الملوك إلا من تأدب بأدبهم . فأقبل على مجالس العلم يتعلمه فى كل مكان ، حتى أنس من نفسه أنه يصلح لمجاورة بيت الله الحرام ، فقصد مكة ، وأقام بها ، وأصبح عالمها وأحد كبار رواة الأحاديث فيها ، ومات وقد ترك من الاقوال والآثار مايشهد بعلمه وفضله . .

الذكر فى ظل هذا الاسم

قال العلماء : إذا أردت الدخول على الحكام فأكثر من ذكر اسم الله المتعالى فان الله يخضعهم لك .

والذكر به يصلح للتخلص من الأعداء وقهرهم .

ومن الذكر الوارد فى ذلك . ياقريب أنت المجيب المتعالى فوق كل شىء . . . .

---

(٨٦٣) الحديد ١٦

ومن مناجاة الشاعرة أحمد مخيمر ربه فى ظل اسمه المتعالى قوله :

تعاليت أنت الواحد المتعالى تباركت موصوفا بكل كمال
وكل عَلِيٍّ فى الوجود علمته فدونك فى قدسية وجلال
تعاليك يارب الخليقة مطلق بغير حدود أو بغير مثال
لأنك سر البدء مالك أمره وحافظه من ضيعة وزوال(٨٦٤)

وفى منظومة أسماء الله الحسنى فى الاسمين : الوالى والمتعالى :

وياولياً أمرى برفق تولَّه ويامتعالٍ أَعْلِ قدرى وحُرْمتى

ومن أقوال بعض الصالحين

« اللهم إنك لم تُشْهِدنا على خلقنا ولا على خلق غيرنا ، ولم تتخذ أحدا من المضلين عضدا ، ولم يكن لك شريك فى الملك ، ولم يكن لك ولى من الذل ، كبرّت نفسك قبل أن يكبرك المكبرون ، وعظمت وجودك قبل أن يعظمك المعظمون .

« فنسألك بذلك التعظيم عزًّا لاذل به ، وغنًى لا فقر معه ، وأنسا لا كدر فيه ، وأمنا لا خوف بعده .

وأسعدنا فى إجابة التوحيد فى طاعتك ، حسبما كنا يوم الميقات الأول فى قبضتك ، إنك على كل شىء قدير »(٨٦٥)

---

(٨٦٤) أسماء الله لأحمد مخيمر صـ ١٠٩
(٨٦٥) درة الاسرار صـ ١٠١

البَــــرُّ

ورد اسم « البر » فى قوله تعالى

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (٨٦٦)

وقد وردت على لسان المؤمنين فى الجنة .

جاء فى لسان العرب : البرُّ من صفات الله تعالى وتقدس ـ ومعناه : العطوف الرحيم اللطيف الكريم .

وقال ابن الأثير : فى أسماء الله ـ تعالى ـ البرُّ دون البار ـ وهو العطوف على عباده ببره ولطفه .

والبَرّ والبار بمعنى ، وإنما جاء فى أسماء الله ـ تعالى ـ البَرّ دون البارّ . . . .

والبر مشتق من الفعل « بَرَّ » بمعنى صدق ، ومنه كلمة « البر » بكسر الباء بمعنى الصدق والطاعة ، ومنه قوله ـ تعالى ـ

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ (٨٦٧)

---

(٨٦٦) الطور ٢٨

(٨٦٧) البقرة ١٧٧

ويأتى بَرَّ بمعنى صلح ، وتقول : فلان بر فى يمينه إذا صدق ، ولم يحنث ، وبر والديه إذا أطاعهما ولم يعقهما ، وهو برٌّ وبار - من قوم أبرار وبررة ، والحج المبرور - هو المقبول المقابل بالبر وهو الثواب .

وقال بعض أهل اللغة : يجمع بر على أبرار ، ويجمع بار على بررة .

قال أهل التفسير فى قوله تعالى - « إنه هو البر الرحيم » : أى اللطيف - قاله ابن عباس - فيما نقله القرطبى - ونقل عنه أيضا : أنه الصادق فيما وعد . وجاء فى روح المعانى وغيره : إنه المحسن .

ومن أكثر إحسانا من الله ؟

وجاء فى كتاب : « فى ملكوت الله مع أسماء الله » البرُّ واسع الإحسان ، صادق الوعد ، عظيم الجود لعباده ، سبحانه واسع البر ، يمن بعطائه على عباده فى الدنيا والآخرة ، ولايقطع الإحسان بسبب العصيان .

وقال بعض العلماء : البر هو العطوف على عباده ، المحسن اليهم - عم بره جميع خلقه ، فلم يبخل عليهم بالرزق ، وهو البر بأوليائه إذ خصهم بولايته ، وأذاقهم حلاوة مناجاته ، وهو البر بمن يحسن من عباده بمضاعفة الثواب له ، والبر بمن يسيء من عباده فى الصفح والتجاوز عنه .

ولقد جاء فى القرآن الكريم هذا الاسم مقترنا باسم الله « الرحيم » وكلاهما من معين رحمة الله وعطفه وبره وإحسانه ، وقد علمنا فى تفسير معنى الرحيم أن رحمة الله وسعت كل شيء حتى طمع فيها البر والفاجر ، والمؤمن والعاصى .

وقيل إن البر - بفتح الباء - فاعل البر ، وبالكسر هو الإحسان والاتساع ، وهو الصلة والخير والتوسع فى الاحسان والصدقة .

وجاء فى تاج العروس للزبيدى : البر خير الدنيا والآخرة ، فخير الدنيا مايبسره الله ـ تعالى ـ للعبد من الهدى والنفحة والخيرات ، وخير الآخرة الفوز بالنعيم الدائم فى الجنة .

أما البر فى حقه ـ تعالى ـ فهو فاعل البر والاحسان ، الذى يحسن على عباده بالخير .

ويقول الامام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ : البر هو المحسن ـ والله هو البر المطلق الذى منه كل مبرة وإحسان ـ والعبد يكون برا بقدر مايتعطاه من البر ، لاسيما بوالديه وأساتذته وشيوخه .

روى أن موسى ـ عليه السلام ـ لما كلمه ربه ، رأى رجلا قائما عند ساق العرش ، فتعجب من علو مكانه . فقال : يارب ، بم بلغ هذا العبد هذا المحل ؟ فقال : إنه كان لايحسد عبدا من عبادى على ماأتيته ، وكان بارا بوالديه .

ويتحدث الرازى عن هذا الاسم : فيذكر أن معناه كثرة الاحسان إلى العباد ، وأشار إلى مظاهر سعة بر الله بعباده الذى يشمل الدنيا والدين .

فبره بعباده فى الدنيا أنه منحهم الصحة والقوة وكفل لهم الرزق ، وأجزل لهم العطاء من المال والجاه والولد والسلطان ، وسخر لهم مافى السموات والأرض جميعا منه ،

وأما فى الدين فقد منَّ عليهم بالايمان والطاعة وهداهم إليه

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟

﴿ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (٨٦٨)

ونعم الله لاتعد ولاتحصى قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٨٦٩)

وقال

﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٨٧٠)

كيف يتخلق المؤمن بهذا الاسم ؟

إذا أدرك المؤمن معنى هذا الاسم عاش فى ظله فى نعمة سابغة ، قريرة عينه بما وهبه الله من عطاء ، وما منحه من هدى ، وماأفاض عليه من كرم . ويتعلم من ذلك كيف يكون شكورا على النعماء ، مشاركا غيره فى السراء والضراء .

إن الله ـ جل وعلا ـ يعطى بغير منٍّ . ويمنح بدون مقابل ـ فليتعلم المؤمن من ذلك أن يكون إحسانه لغيره كذلك ، ويقتدى بما يهدى إليه مضمون قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ

---

(٨٦٨) الأعراف ٤٣

(٨٦٩) لقمان ٢٠

(٨٧٠) ابراهيم ٣٤

﴿مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ (٨٧١)

ذكر أن ضيفا طرق باب إبراهيم ـ عليه السلام ـ وكان إبراهيم عليه السلام مضيافا ، ولكنه حين وجد هذا الرجل الضيف لايدين بدين الله ـ رفض إكرامه وانصرف الرجل حزينا .

فأوحى الله إلى إبراهيم : إنى أرزق هذا سبعين عاما ولايؤمن بى . أفتضيق به ساعة من نهار ؟

فأسرع إبراهيم ـ عليه السلام ـ خلف الرجل ، واعتذر اليه ، وقال له : لقد عاتبنى الله بسببك .

وكان ذلك سببا فى هداية الرجل وإقباله على دين إبراهيم وإيمانه بربه .

وقد دعانا الله إلى أن نتخلق بالأخلاق الحسنة ، وفى مقدمتها مقابلة الإساءة بالاحسان ـ قال تعالى ـ

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥﴾ (٨٧٢)

ودعانا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الإكثار من الحسنات ، وحثنا على فعل الصالحات وغض النظر عن السيئات ، وأخبرنا بما وعد الله به المحسنين من جزيل الثواب .

ومن ذلك مارواه أحمد ومسلم عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال رسول

---

(٨٧١) الانسان ٨ ، ٩

(٨٧٢) فصلت ٣٤ ، ٣٥

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « يقول الله تعالى من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد ، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر ، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقينى لايشرك بى شيئا جعلت له مثلها مغفرة »

ومن مدلول لفظ البر نتأدب بما يدعونا الله إليه فى قوله تعالى ـ

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا (٢٤) ﴾ (٨٧٣)

وقد ورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن من أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله ـ عقوق الوالدين وعدم برهما .

والبر بالوالدين يرفع صاحبه إلى أعلى عليين ، ويكفر كبائر الذنوب ويفرج الكروب . . . . وفى قصة الصخرة التى انطبقت على فم غار فيه ثلاثة رجال وتوسلوا الى الله بصالح أعمالهم ليفرج عنهم ماهم فيه ـ أن أحدهم توسل الى الله ببره بوالديه . وقد فرج الله عنهم ضيقهم وأزاح الصخرة عن طريقهم .

ومن محاسن يحيى وعيسى ـ عليهما السلام ـ البر بالوالدين . ففى حق يحيى قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) ﴾ (٨٧٤)

---

(٨٧٣) الاسراء ٢٣ ، ٢٤ (٨٧٤) مريم ١٣ ، ١٤

وفى حق عيسى قال ـ تعالى ـ

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٨٧٥)

والبَرُّ من المؤمنين هو الذى يجتهد فى الطاعات ، وينأى بجانبه عن السيئات ويسرع فى إجابة دعوة الحق ، ويؤثر الخير والبر والصدق ، ويتضرع إلى الله قائلا

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ (٨٧٦)

وعلى المؤمن أن يبر نفسه وذلك بالاقبال على تأديبها وتهذيبها وتغيير صفاتها السيئة بأخرى حسنة ، وإن لم يفعل ذلك فقد ظلم نفسه . . . . وأظلم الظالمين من ظلم نفسه .

وليثق المؤمن أن البر مدخر لصاحبه مجزى عنه خير الجزاء . كما جاء فى الحديث الشريف الذى رواه ابن عمر « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لاينام ، وكما تدين تدان »

الذكر فى ظل هذا الاسم :

قال العلماء : إذا قرىء هذا الاسم على الصبى فإن الله يصلحه وينشئه نشأة بارة ويحفظه .

ومن خصائص قراءة هذا الاسم أن الله يرزق قارئه القبول والعزة وعلو

---

(٨٧٥) مريم ٣٢
(٨٧٦) آل عمران ١٩٣

المرتبة والمنزلة .

ويصلح ذكره لمن عاداه الناس ولم يجد خلاصا من عداوتهم .

وقال الشاعر أحمد مخيمر مناجيا ربه فى ظلال هذا الاسم :

وهبت لكل الخلق برا ورحمة ... وقد زدت فى النعمى لمن زاد فى الشكر

ولم تنس حتى الدود فى الصخر ساريا ... ولاالطير فى جو ، ولا الوحش فى قفر

لأنك أنت البر بالخلق كلهم ... ومرشدهم للنور فى ظلمة الكفر

ومن أجلهم أرسلت رسلك بالهدى ... لكى يطرقوا باب العناية بالعذر

وزينت وجه الأرض فى الصبح بالسنا ... ليسعوا وفى الظلماء بالأنجم الزهر[٨٧٧]

ومن الدعاء الذى يستوجبه شكر الله المنعم البر الرحيم قول الامام الشاذلى : « أشكرك على أنعمك التى لاأحصيها ، شكرا يقتضى زيادتها ويستدعيها ، مع أنى عاجز عن شكرك ، والقيام بواجب ذكرك ، لأنى إن عرفت الشكر فبالعقل الذى أعطيت ، وإن تكلمت فبالنطق الذى آتيت ،وإن تحدثت فبالقوة التى أوليت ، فأين الشكر الذى أضيفه لنفسى ؟ وكل ذلك بك ومنك »

---

(٨٧٧) أسماء الله الحسنى لأحمد مخيمر صـ١٠١

التــــــوَّاب

ورد اسم الله التواب فى القرآن الكريم فى أحد عشر موضعا . جاء فى تسعة منها مقترنا باسمه « الرحيم » وفى واحد غير مقترن باسم آخر ، وفى واحد مقترنا باسمه ـ تعالى ـ الحكيم .

فالموضع الذى اقترن فيه باسمه الحكيم هو قوله تعالى ـ

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾(٨٧٨)

والموضع الذى جاء فيه غير مقترن بغيره ، هو قوله ـ تعالى ـ :

« فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا »(٨٧٩)

ومن المواضع التى جاء فيها مقترنا باسم الله الرحيم قوله تعالى :

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾(٨٨٠)

وقوله تعالى ـ :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾(٨٨١)

---

(٨٧٨) النور ١٠

(٨٧٩) النصر ٣

(٨٨٠) البقرة ٣٧

(٨٨١) البقرة ١٦٠

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (٨٨٢)

والمادة التى اشتق منها هذا الاسم وهى « تاب » وردت فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة جدا . وهى تدل على أن الله سبحانه يحب من عباده أن يقبلوا عليه بالتوبة ، ويتفضل هو عليهم بقبولها ، بل هو سبحانه ـ الذى يفتح لهم بابها ليدخلوا منه إلى ساحة العفو والمغفرة . قال تعالى ـ

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (٨٨٣)

وهو ـ سبحانه ـ « يحب التوابين ويحب المتطهرين »

بل لقد نزلت سورة بأكملها سميت بسورة التوبة ـ تشير الى سعة رحمة الله وفضله على المؤمنين وقبوله توبة التائبين .

وقد بدأت هذه السورة بالتبرى من المشركين ، وختمت بالرأفة بالمؤمنين حيث أرسل الله إليهم رسولا منهم رءوفا بهم ـ قال تعالى :

---

(٨٨٢) النساء ٦٤

(٨٨٣) التوبة ١١٨

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟
فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ (٨٨٤)

والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو مظهر رحمة الله الواسعة ، وهو الذى عرف المؤمنين باب التوبة ودلهم عليها فكان يقول لهم حاثا على التوبة والاستغفار :

« والله إنى لاستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة »(٨٨٥)

ومعنى التوبة عند أهل اللغة : الرجوع عن الذنب ، والعودة إلى الله . جاء فى الحديث : « الندم توبة » وقد تأتى التوبة بدون تاء : فتقول التوب . وفى القرآن الكريم

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ (٨٨٦)

وتقول : تاب إلى الله يتوب توبة وتوبا ومتابا . . . وتاب الله عليه : وفقه للتوبة ، وقبل توبته .

وتواب : صيغة مبالغة من الفعل تاب ، ومعناه فى جانب الله : أنه كثير

---

(٨٨٤) التوبة ١٢٨ ، ١٢٩

(٨٨٥) رواه البخارى عن أبى هريرة ـ رى الله عنه ـ

(٨٨٦) غافر ٣

التوبة على عباده سريع العفو عنهم ، ومعناه فى حق العبد : أنه كثير التوبة عن الذنوب .

قال أهل التفسير : تكرر قوله ـ تعالى ـ فى القرآن الكريم « التواب الرحيم » وجاء معرفا ومنكرا واسما وفعلا . . وقد يتصف بعض العباد بذلك كما جاء فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ (٨٨٧)

وقال العلماء توبة العبد رجوعه من حال المعصية الى حال الطاعة . وتوبة الله على العبد قبوله توبته .

قال العلماء ، ولايصح استعمال اسم الفاعل من الفعل تاب فى حق الله ـ تعالى ـ ذلك أنه ليس لنا أن نطلق على الله تعالى ـ من الأسماء والصفات إلا ماأطلقه هو على نفسه . أو أطلقه نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليه ، أو جماعة المسلمين وإنما قيل تواب للمبالغة فى الفعل وكثرة قبوله توبة عباده لكثرة من يتوب عليهم (٨٨٨)

وقال بعض العلماء فى معنى التواب : إنه المهيىء أسباب التوبة لعباده ، فهو الذى يحذرهم من المعصية ، ويمهلهم مرة ومرة حتى يرجعوا ويتوبوا

---

(٨٨٧) البقرة ٢٢٢

(٨٨٨) تفسير القرطبى ـ جـ ١ آية فتلقى آدم من ربه كلمات ـ رقم ٣٧ ـ

وهو الذى يعود بصنوف الاحسان عليهم ـ فيوفقهم بعد خذلان ، ويعطيهم بعد حرمان ، ويخفف عنهم بعد تشديد ، ويعفو عنهم بعد وعيد .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٨٨٩)

فهو ـ جل شأنه ـ تواب يوفق عباده للتوبة المقبولة تفضلا منه وتعطفا وإحسانا ، فإذا صدقت نية العبد فى الرّجوع الى الله وفقه للتوبة النصوح ، ومعناها العزم الصادق على ترك المعاصى والندم عليها .

وقد ذكر القشيرى فى رسالته للتوبة معانى منها ـ الانابة ، والأوبة ، فالتوبة هى بداية . والأوبة نهاية . والإنابة بينهما .

فمن خاف العقوبة فهو صاحب توبة ، ومن تاب طمعا فى الثواب فهو إنابة ، ومن تاب مراعاة للأمر ، لاخوفا من عقاب ولاطمعا فى ثواب فهو صاحب أوبة .

وقال أيضا : التوبة صفة المؤمنين ـ قال تعالى ـ

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ

---

(٨٨٩) الشورى ٢٥

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١) ﴾ (٨٩٠)

والانابة صفة الأولياء والمقربين .. قال تعالى

﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣) ﴾ (٨٩١)

والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين .. قال تعالى -

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (٤٤) ﴾ (٨٩٢)

وذكر أن التوبة درجات ، فهناك توبة من الزلات ، وهناك توبة من الغفلات ، وهناك توبة من السيئات .

وقال بعض العلماء فى معنى « التواب » : إنه المعيد الى عبده فضل رحمته إذا هو رجع إلى طاعته وندم على معصيته - فلا يحبط له ماقدم من خير ، ولايمنعه ماوعد به المطيعين من الاحسان ، وكلما تكررت توبة العبد تكرر القبول من الرب التواب .

وتفسير الغزالى - رضى الله عنه - لاسم الله « التواب » أنه الذى ييسر أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى ، بما يظهر لهم من آياته ، ويسوق لهم

---

(٨٩٠) النور ٣١
(٨٩١) ق ٣٢
(٨٩٢) ص ٤٤

من تنبيهاته ، ويطلعهم على تخويفاته وتحذيراته ، حتى إذا اطلعوا على غوائل الآثام ، واستشعروا الخوف من عواقب الإجرام رجعوا إلى التوبة فيرجع إليهم فضل الله ـ تعالى بالقبول .

ومن تعريفات العلماء للتواب أيضا .

أنه هو قابل الدعاء بالعطاء ، والاعتذار بالاغتفار ، والانابة بالاجابة ، والتوبة بغفران الحوبة »(٨٩٣)

والتواب هو الذى يفتح أمام العصاة الأبواب ولاييئسهم من رحمته بأليم العقاب ، بل يؤلفهم بعفوه وفضله لاستحقاق الثواب بعد المآب .

وبين التواب والغفور والغافر ألفة فى المعنى ، فتوبة الله على عباده تستوجب غفرانه ذنوبهم والاعراض عن مؤاخذتهم ثم دخولهم الى حظيرة أمنه ورضوانه .

قال الرازى : التواب هو الذى يوفق عباده بعد الخذلان ويعطيهم بعد الحرمان ، ويخفف عنهم بعد التشديد ويعفو عنهم بعد الوعيد ، ويكشف عنهم أنواع البلاء ، ويفيض عليهم أقسام الآلاء ، فهو تعالى ـ ناسخ المكروه بالمحبوب . وقابل التوبة من الذنوب ، وكاشف الضر عن المكروب .

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إذا تأمل المؤمن فى مضمون هذا الاسم الكريم ، عاش فى رحابه ، وأسرع إلى الإنابة وأقبل على واسع رحابه ، ودق بالتضرع والدعاء على مصراع بابه ، فالحق ـ يقبل عليه . ويستجيب له . . أليس هو القائل فى

(٨٩٣) الحوبة الاثم

حديث قدسي . . « من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا ، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت باعا ، ومن جاءنى يمشى أتيته هرولة » ؟

والله يفرح بتوبة عبده إليه ، فليحرص المؤمن على أن يظفر بفرح الله ويفرح بذلك . قال تعالى :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾ (٨٩٤)

وليقتد العبد بأبيه آدم الذى تلقى من ربه كلمات فتاب عليه ، وماكانت هذه الكلمات سوى حسن الثناء على الله ، والاقبال عليه بصدق الإنابة . والتوسل اليه بخالص الأعمال وصدق الدعاء والاستغفار .

واذا كان الله توابا على عباده التائبين ، غير ميئس لهم من رحمته ـ فليتعلم المؤمن من ذلك الصفح والعفو عمن أساء إليه . وليقبل عذر من اعتذر إليه ، فإن الله يحب من عباده أن يتخلقوا بأخلاقه .

الدعاء فى ظل هذا الاسم :

ورد فى الأثر الشريف : « كل ابن آدم خطاء وخيرهم التوابون »

وأدعية التوبة المأثورة كثيرة . .

منها ماجاء فى ختام سورة البقرة :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا

---

(٨٩٤) يونس ٥٨

وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾(٨٩٥)

وماجاء على لسان آدم عليه السلام

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾(٨٩٦)

وماجاء على لسان إبراهيم

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾(٨٩٧)

ومن دعاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى وإسرافى فى أمرى ومأأنت أعلم به منى ، اللهم اغفر لى خطيئتى وعمدى وهزلى وجدى ، وكل ذلك عندى ، اللهم اغفر لى ماقدمت وماأخرت وماأسررت وماأعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير »(٨٩٨)

وعلى نمط ذلك ماجاء فى أدعية الصالحين المخلصين . فى قولهم :

---

(٨٩٥) البقرة ٢٨٦

(٨٩٦) الأعراف ٢٣

(٨٩٧) الممتحنة ٤ ، ٥

(٨٩٨) رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ

« اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة والمغفرة الشاملة ، والمحبة الجامعة والخلة الصافية ، والمعرفة الواسعة والأنوار الساطعة والشفاعة القائمة والحجة البالغة والدرجة العالية ، وفك وثاقنا من المعصية ، ورهاننا من النقمة بمواهب المنة ، إنك على كل شيء قدير »

« اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها . ونعوذ بك من المعصية وأسبابها اللهم ذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتنا ، واحملنا على النجاة منها ومن التفكر فى طرائقها ، وامح من قلوبنا حلاوة المعصية واستبدل بها الكراهة لها والحب لما هو بضدها ، وأفض علينا من بحر كرمك وجودك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها ، واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها ، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها . . »(٨٩٩)

(٨٩٩) درة الاسرار صـ ٨٩

المنتقم

المنتقم اسم فاعل من الفعل « انتقم » وانتقم مزيد الفعل نقم . ومصدره نِقمة ونَقْمة . ومعناها المجازاة بالعقوبة ـ وتجمع نقمة على نِقم ، كما تجمع نعمة على نعم .

وعلى القياس فى أن الزيادة فى المبنى تدل على الزيادة فى المعنى ـ يكون معنى انتقم : المبالغة فى العقوبة لمن يشاء .

وهذا الاسم فى حق الله ـ تعالى ـ معناه : الذى يقصم ظهور الطغاة ويشدد العقوبة على العصاة .

والانتقام غاية النكال . . ولا يكون إلا للمستحلين محارم الله ، المتمادين فى الظلم المتجاوزين الحد فى البغى والفساد . . . .

وقال بعضهم : إن المنتقم معناه ـ أن الذى يعرف عظمته يخشى نقمته ، ومن عرف رحمته رجا نعمته .

وهذا الاسم من كمال الربوبية ، التى تقتضى إكرام المحسنين وتأديب المسيئين . قال تعالى :

﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٩٠٠)

وجاء فى الأثر القدسى : « أنا الله الذى لااله إلا هو سبقت رحمتى غضبى »

---

(٩٠٠) الحجر ٤٩ ، ٥٠

ومن مظاهر رحمته أنه لايعجل فى العقوبة ، ولايبادر بالنقمة ، ولكنه يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

جاء فى لسان العرب : من أسماء الله ـ عز وجل « المنتقم » وهو المبالغ فى العقوبة لمن شاء ، وهو مفتعل من نقم ينقم ـ إذا بلغت به الكراهة حد السخط .

وقد جاء هذا الاسم فى القرآن الكريم بصورة الجمع فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٩٠١)

وفى قوله ـ تعالى ـ

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (٩٠٢)

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (٩٠٣)

وقد ورد الفعل ـ انتقم ـ فى القرآن الكريم فى آيات كثيرة . . . . . . منها قوله ـ تعالى ـ

﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (٩٠٤)

---

(٩٠١) السجدة ٢٢
(٩٠٢) الزخرف ٤١
(٩٠٣) الدخان ١٦
(٩٠٤) الأعراف ١٣٦

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٩٠٥)

كما ورد مصدر هذا الفعل مسنداً إلى الله ـ تعالى ـ فى قوله :

﴿ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ (٩٠٦)

وقد تأتى النقمة بمعنى الإنكار ، وذلك فى مثل قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (٩٠٧)

أى تنكرون منا . . . . . وتأتى بمعنى العتاب تقول : نقمت عليه أى عاتبته وتأتى بمعنى الكراهية مثل قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ (٩٠٨)

وقال بعض العلماء المنتقم ـ الذى يقصم ظهور العصاة بعدله ، ويشدد العقوبة على الطغاة بقدرته ـ قال ـ تعالى ـ :

« إنا من المجرمين منتقمون »

---

(٩٠٥) الروم ٤٧
(٩٠٦) آل عمران ٤
(٩٠٧) المائدة ٥٩
(٩٠٨) البروج ٨

والانتقام أشد من العقوبة العاجلة ، لأنه غاية النكال . . . . . والانتقام يحول بين العاصى والإمعان فى المعصية .

ولا يأتى الانتقام إلا بعد تحذير وإنذار - قال - تعالى -

« ومن عاد فينتقم الله منه »

قال الغزالى مؤكداً هذا المعنى : المنتقم هو الذى يقصم ظهور العتاة ، وينكل بالجناة ، ويشدد العقوبة على الطغاة ، وذلك بعد الإعذار والإنذار ، وبعد التمكين والإمهال . . . والانتقام أشد من المعاجلة ولهذا كانت المعاجلة بالعقوبة أفضل للعبد ،

فإنه إذا عوجل بالعقوبة لم يمعن فى المعصية ، فلايستحق غاية النكال .

وهذا الاسم من أسماء الجلال والقهر . .

والخوف من عقوبة الله لها أثر طيب فى الإقلاع عن المعاصى والاحتراز من السيئات ، وفى الأمثال الشائعة « من خاف سلم » أما القرآن الكريم فيعبر عن هذا المعنى بأسلوبه الرائع فى قوله تعالى :

﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ ﴾(٩١٠)

﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ

---

(٩٠٩) فاطر ٢٤

(٩١٠) يوسف ٩٠

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ (٩١١)

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ (٩١٢)

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (٩١٣)

والتقوى هى الخوف من الله ، والحذر من بطشه ونقمته ..

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم

إن حظ المؤمن من هذا الاسم أن يتدبر معنى سطوة الله ونقمته

« إن بطش ربك لشديد »

وأن يتدبر معنى اجتماع العزة والانتقام فى قوله تعالى :

« والله عزيز ذو انتقام »

فيدعوه ذلك إلى محاسبة نفسه ، وتحرى طاعة ربه ، والالتزام بالأوامر ،

---

(٩١١) الطلاق ٢ ، ٣
(٩١٢) الطلاق ٤
(٩١٣) النور ٥٢

والانتهاء عن النواهى .

كما يدعوه ذلك إلى اللجوء إلى الله فى أخذ حقه المهضوم ، ولا يعجل فى أخذ حقه بنفسه ، فإن عين الله ساهرة لاتغفل ، قال الشاعر :

تنــام عينــك والمظــلوم منتبـــه   يدعــو عليــك وعــين اللــه لم تنم

جاء فى الأثر « اشتد غضبى على من ظلم من لايجد له ناصراً غيرى »

وجاء أيضاً : « إذا دعا العبد على ظالمه قال الله ـ تعالى ـ عبدى أنت تدعو على من ظلمك ، ومن ظلمته يدعو عليك ، فإن أردت أن أستجيب لك أستجيب عليك »

وفى هذا المعنى جاءت الحكمة المأثورة : « إذا أمكنتك قدرتك على المخلوق فاذكر قدرة الله عليك ، واعلم أن مالك عند الله أكثر مما لك عند الناس »(٩١٤)

الدعاء فى ظل هذا الاسم

هذا الاسم من الأسماء القهرية التى يجب على الذاكر بها أن يحذر سطوة الله ـ ولا يعجل بالانتقام من ظالمه .

ويكفيه أن يقول : « حسبنا الله ونعم الوكيل »

ويمكن الإكثار من ذكر هذا الاسم ـ عند اعتداء أهل الكفر والشرك على المسلمين . ومن الدعاء على أعداء الاسلام قوله :

إلهى إن بغى الأعــدا وجــاروا   كـفى بـك ربنــا ملكــا مجــيراً
كـفى بك ربنــا عــونا ونصــراً   فكــن ربى على الأعــدا نصــيراً

---

(٩١٤) فى ملكوت الله مع أسماء الله للشيخ عبد المقصود محمد سالم صـ١٠٥

وأهلكهم ودمرهم ، أهنهم وكن ربى على الأعدا ظهيراً
وزلزلهم وزد غضباً عليهم وعذبهم عذابا مستطيراً
ولا تترك من الأعدا عدوا يعادينا صغيرا أو كبيراً
وخذهم أخذ جبار عزيز بمن أرسلته فينا نذيراً
وصل عليه يارب وسلم صلاة ثم تسليما كثيراً

ومن الدعاء الوارد فى ظل هذا الاسم ـ قولهم :

« إلهى ، أنت المنتقم من أعدائك الظالمين ، القاهر بسطوتك للمجرمين ، قد انتقمت من النمروذ وفرعون وهامان ، ومحقت أهل الظلم والطغيان . . .

« امنحنى نوراً فى بصيرتى ، وقوة فى روحانيتى ، حتى أنتقم من نفسى إذا خالفت الحدود ، وانتقم من الظالمين أهل الجحود ، وأشاهد سطوة انتقامك فأخشع ، وصولة عزك فأخضع . . . . إنك على كل شىء قدير »(٩١٥)

---

(٩١٥) أسماء الله الحسنى جـ١ صـ٣٩٢

العَفُـــــوُّ

جاء فى لسان العرب : فى أسماء الله « العفو » وهو فعول من العفو ، وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه ، وأصله المحو والطمس ، وهو من أبنية المبالغة ، يقال : عفا يعفو عَفْواً ، فهو عافٍ وعَفُوٌّ .

وقال الليث : العَفْو ـ هو عفو الله ـ عز وجل ـ عن خلقه ، والله ـ تعالى ـ العَفُوّ الغفور .

وكل من استحق عقوبة فتركتها فقد عفوت عنه .

والعفو محو السيئة ، قال ابن الأنبارى فى قوله ـ تعالى ـ « عفا الله عنك لم أذنت لهم » معناه محا الله عنك ـ مأخوذ من عفت الرياح الآثار إذا محتها .

وجاء فى حديث أبى بكر ـ رضى الله عنه : سلو الله العفو والعافية والمعافاة . فأما العفو فهو محو الذنوب ، وأما العافية فهى أن يعافيه الله من سقم أو بلية ، والعافية هى الصحة ضد المرض ، وأما المعافاة فهى أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك ـ أى يغنيك عنهم ويغنيهم عنك ، ويصرف أذاهم عنك وأذاك عنهم .

وقد جاء اسم العفو فى القرآن الكريم خمس مرات . فى قوله ـ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (٩١٦)

---

(٩١٦) النساء ٤٣

وفى قوله - تعالى - فى حق المستضعفين :

﴿ فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (٩١٧)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ (٩١٨)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٩١٩)

وفى قوله - تعالى - :

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ ﴾ (٩٢٠)

لقد اقترن اسم العفو بالغفور فى أربعة مواضع من خمسة .

وجاء مع اسم القدير فى موضع واحد يقتضيه المقام - فقد أراد الله - تعالى - أن ينبه على قدرته على المؤاخذة ولكنه عفا عنهم . فليقتد المؤمن بذلك .

---

(٩١٧) النساء ٩٩

(٩١٨) النساء ١٤٩

(٩١٩) الحج ٦٠

(٩٢٠) المجادلة ٢

وقال بعض العلماء فى معنى اسم « العفو » : إنه الذى يمحو الذنوب والسيئات ، ويبدلها إذا شاء حسنات . والعفو أبلغ من الغفران ، لأن المغفرة ستر الذنوب والعفو محو وإحسان ، وذلك من فضل الله ورحمته .

وقال آخرون : العَفُوُّ هو الذى يمحو السيئات ، ويتجاوز عن المعاصى ، ويصفح عمن تاب وأناب .

وقال الغزالى : العفو : قريب من الغفور ولكنه أبلغ منه ، فإن الغفران ينبىء عن الستر ، والعفو ينبىء عن المحو ، والمحو أبلغ من الستر .

قال د . أحمد الشرباصى : وللعفو عند الامام الرازى معنيان :

الأول هو المحو والإزالة ـ كما جاء فى كلام ابن منظور فى اللسان والثانى هو الفضل .. قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ (٩٢١)

أى ما فضل من أموالهم مما لا يشبه أن يكون فاضلا ، فالعَفُوُّ على هذا الوجه هو الذى يعطى الكثير ، ويهب الفضل ..

كيف يتخلق المؤمن بهذا الاسم ؟

كان من صفات النبى ـ ﷺ ـ الصفح والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة ، وهذه الصفات من مكارم الاخلاق .. قال الله ـ تعالى ـ

---

(٩٢١) البقرة ٢١٩

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾

لقد تضمنت هذه الآية قواعد الشريعة من المأمورات والمنهي . .

ففى قوله « خذ العفو » صلة القاطعين ، والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين . . وغير ذلك من أخلاق المؤمنين المطيعين .

وفى قوله « وأمر بالعرف » صلة الأرحام ، وتقوى الله فى الحلال والحرام . . وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار . .

وفى قوله « وأعرض عن الجاهلين » الحض على التعلق بالعلم ، والإعراض عن أهل الظلم ، والتنزه عن منازعة السفهاء ، وعن مساواة الجهلة الأغبياء ، وغير ذلك من الاخلاق الحميدة والافعال الرشيدة .

فانظر إلى مدى ما تضمنته هذه الآية الكريمة على إيجازها من مبادىء وأخلاق ، ومادعت إليه من فضائل ومحاسن .

وقد كان النبى - ﷺ - يطبق مضمونها ويتخلق بآدابها حتى بلغ القمة العليا فى مكارم الأخلاق .

وكان يحض أصحابه على التمسك بذلك . . . قال جابر بن سليم : ركبت قعودى ثم أتيت إلى مكة أطلب رسول الله - ﷺ - ، فأنخت قعودى بباب المسجد .

فدلونى على رسول الله - ﷺ - فاذا هو جالس عليه بُرْد من صوف .

فقلت : السلام عليك يارسول الله .

---

(٩٢٢) الأعراف ١٩٩

فقال : وعليك السلام . .

فقلت : إنا معشر أهل البادية قوم فينا الجفاء ، فعلمنى كلمات ينفعنى الله بها . .

قال : « ادن » أى اقترب .

فدنوت . . فقال : « أعد علىّ »

فأعدت عليه ، فقال : « اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا ـ وأن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى ، وإن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه ، فإن الله جاعل لك أجرا وعليه وزرا ، ولا تسبن شيئا مما خوّلك الله ـ تعالى ـ »

قال جابر بن سليم وكنيته أبو جُرَىّ : فو الذى نفسى بيده ، ما سببت بعده شاة ولا بعيرا »(٩٢٣) .

وقد جاء جبريل إلى النبى ـ ﷺ ـ يفسر له هذه الآية السابقة ، ويقول له : « إن الله ـ تعالى ـ يأمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك » .

والنبى ـ ﷺ ـ قدوة لأمته ، وقد بعثه الله ليتم مكارم الأخلاق . فعلى المؤمن أن يتصف بالعفو والصفح ، ويتخلق بأخلاق رسول الله ـ ﷺ ـ .

وقد قال النبى ـ ﷺ ـ : أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى

---

(٩٢٣) أخرجه البزار فى مسنده . القرطبى جـ ٧ صـ ٣٤٤ ـ سورة الأعراف تفسير الآية ١٩٩ . .

الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأصل من قطعنى ، وأعطى من حرمنى ، وأن يكون نطقى ذكراً ، وصمتى فكرا ، ونظرى عبرة » .

وقال بعض العلماء : جدير بذاكر هذا الاسم أن يمحو من قلبه إساءة المسيء ، وأن يحسن إلى من أساء إليه ، فإن إدخال السرور على قلب المؤمن من أفضل العبادات .

روى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : بينما النبى ـ ﷺ ـ جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه . فقال عمر : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما الذى أضحكك ؟

قال : رجلان من أمتى جثوا بين يدى رب العزة ، فقال أحدهما : يارب خذ لى مظلمتى من هذا .

فقال الله ـ عز وجل ـ للظالم : رد على أخيك مظلمته .

فقال : يارب ، لم يبق من حسناتى شيء .

فقال الله ، عز وجل ـ للطالب : كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء ؟

فقال : يارب ، فليحمل من أوزارى » .

وهنا فاضت عينا رسول الله ـ ﷺ ـ بالبكاء ، وقال : « إن هذا ليوم عظيم يحتاج الناس فيه أن يحمل من أوزارهم » .

ثم قال الله للطالب : « ارفع بصرك فانظر ، فرفع ، فقال : يارب أرى مدائن من ذهب ، وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ . . لأى نبى هذا ؟

أو لأى صديق هذا ؟ أو لأى شهيد هذا ؟

قال الله : لمن أعطى الثمن .

قال : يارب ، ومن يملك ثمن ذلك ؟

قال : أنت تملكه .

قال : بماذا ؟

قال : بعفوك عن أخيك .

قال : يارب ، إنى قد عفوت عنه .

قال الله ـ تعالى ـ : خذ بيد أخيك وأدخله الجنة » .

الذكر فى ظل هذا الاسم :

قال العلماء : من أكثر من ذكر اسم ربه « العَفُوُّ » فُتح له باب الرضا وحبب إليه مكارم الاخلاق ، وأمنه الله مما يخاف لاسيما إذا أضاف إلى اسم العفو اسم الغفور .

وفى منظومة أسماء الله الحسنى الدعاء بالاسمين : المنتقم والعفو :

ومنتقم خذ لى بثأرى من العدا عفو عن الزلات فاعف برأفة

ومن دعاء النبى ـ ﷺ ـ :

« اللهم عافنى فى بدنى ، اللهم عافنى فى سمعى ، اللهم عافنى فى بصرى ، اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر ، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، لا إله إلا أنت .[٩٢٤] .

« اللهم عافنى بقدرتك ، وأدخلنى فى رحمتك ، واقض أجلى فى طاعتك ، واختم لى بخير عمل ، واجعل ثوابه الجنة »[٩٢٥] .

---

(٩٢٤) رواه أبو داود والحاكم عن أبى بكرة ـ رضى الله عنه

(٩٢٥) رواه ابن عساكر عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ

وللشاعر أحمد مخيمر مناجاة فى ظل هذا الاسم :

أراك عفــوا ياإلهــى عـن الــذى يتــوب ، وتمحــو ماجنــاه من الذنــب
يكـاد من الاحسـاس بالـذنب خائفــا تقلبـــه الآثــام جنبــا الى جنب
وتســمعه فى الليــل يدعــوك باكيــا فتدنيــه من عفـو وترضـــيه من قـرب
وتجمـع أفـــواج المــلائك حـــوله لكـــى يشــهدوا عبــدا قريبا من الـرب

الــرؤوف

الرءوف من الرأفة ، والرأفة هى الرحمة ، وقيل : أشد من الرحمة ، قال ابن منظور : ومن صفات الله ـ عز وجل ـ الرءوف ـ وهو الرحيم لعباده ، العطوف عليهم بألطافه ، والرأفة أخص من الرحمة وأرق . وفيه لغتان : رءوف على وزن فعول . . قال كعب بن مالك الأنصارى :

نطـيع نبينــا ونطـيع ربـا هو الرحمن كان بنا رءوفا

ورؤف على وزن فعل ـ بفتح الفاء وضم العين ـ وفى ذلك قال جرير :

يـرى للمســلمين عـليه حــقا كفعــل الوالد الرؤف الرحيــم

والرأفة أرق من الرحمة فلا تكاد تقع فى الكراهة ، ولكن الرحمة قد تقع فى الكراهة للمصلحة .

وفعل الرأفة : رؤف ـ بضم العين ـ يرؤف ـ بضم العين . أو رأف يرأف ـ بفتح العين فيهما ـ والمصدر رأفة ورآفة .

وقد تأتى الصفة منه على وزن فعل ـ بكسر العين ـ فتقول : رئف ـ وعلى وزن فعل ـ بسكون العين ـ فتقول : رأف ـ ومنه قول الشاعر :

فآمنـوا بنبـى لاأبـا لكـم ذى خاتـم صاغـه الرحمن مختـوم

رأف رحيـم بأهـل البـر يرحمهـم مقـرب عنـد ذى العـرش مرحـوم

وقد ورد اسم « الرءوف » فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة ، منها قوله ـ تعالى ـ

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (٩٢٦)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ (٩٢٧)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٩٢٨)

وقوله ـ تعالى

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ (٩٢٩)

---

(٩٢٦) البقرة ١٤٣
(٩٢٧) البقرة ٢٠٧
(٩٢٨) آل عمران ٣٠
(٩٢٩) التوبة ١١٧

وقوله تعالى :

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٩٣٠)

وقوله - تعالى -

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (٩٣١)

قال العلماء : معنى هذا الاسم - ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع خلقه ، والمتعطف عليهم بجنته ، والمحسن إليهم بنعمه .

ورحمة الله واسعة ورأفته بعباده لا حدود لها . . . ذكر ابن كثير فى تفسيره قال : جاء فى الصحيح أن رسول الله - ﷺ رأى امرأة من السبى قد فرق بينها وبين ولدها ، فجعلت كلما وجدت صبيا من السبى أخذته فألصقته بصدرها ، وهى تبحث عن ولدها ، فلما وجدت طفلها ضمته إليها وألقمته ثديها . فقال رسول الله - ﷺ - : أترون هذه طارحة ولدها فى النار وهى تقدر على أن لا تطرحه ؟

قالوا : لا ، يا رسول الله .

---

(٩٣٠) النحل ٧

(٩٣١) الحشر ١٠

قال : فالله أرحم بعباده من هذه بولدها .(٩٣٢)

وقد وردت فى القرآن الكريم آيات كثيرة تنبىء عن رحمة الله ورأفتة بعباده ذكرنا بعضها .

والرأفة من الله دفع السوء عن عباده ، وتعطفه عليهم بقبول توبتهم ، وتفضله على أوليائه بالحفظ وعلى أنبيائه بالعصمة .

وقد ذكر العلماء ألوانا من رحمة الله ـ تعالى ـ ، فقالوا ـ من رحمته ـ تعالى ـ بعباده أنه يصونهم من موجبات عقوبته .

وإن عصمة الله للعبد عن الزلة أبلغ فى باب الرحمة من غفران المعصية .

وربما رحم الله عبداً بما يكون فى الظاهر مشقة وشدة ، ولكنه فى الباطن نعمة ورحمة والعبد لا يعلم فكم من عبد يرثى له الخلق لما به من الضر والفاقة وسوء الحال ، وهو فى الحقيقة فى نعمة تغبطه عليها الملائكة . . . وقيل : إن نبيا شكا إلى الله ـ تعالى ـ الجوع والعرى والقمل ، فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه : أما تعرف ما فعلت بك ؟ سددت عنك أبواب الشرك .

ومن رحمته تعالى بعبده أن يصونه عن ملاحظة الأغيار ، فلا يرجع حوائجه إلا إليه .

قيل لبعضهم : سل حاجتك .

فقال : من وضع قدمه على بساط معرفة الله لا يحسن به أن يكون لغير الله عليه مِنَّةٌ ، وقال رجل لبعض الصالحين : ألك حاجة ؟ فقال : لا حاجة بى إلى من لا يعلم حاجتى .

---

(٩٣٢) تفسير ابن كثير جـ١ صـ٢٧٨ آية رقم ١٤٥ من سورة البقرة

ومما يصلح فى هذا المقام ما حدث من أن عبد الملك بن مروان لقى بعض الصالحين وهو يطوف بالبيت الحرام ـ فقال له عبد الملك : أنا عبدالملك ـ أمير المؤمنن ـ أرفع إلىَّ حوائجك .

فقال له الرجل • وأنا أيضا عبدالملك ـ فهيا نرفع حواجئنا إلى من أنا وأنت له عبدان .

إن رحمة الله الكامنة التى لا يتنبه لها أحد ـ وربما نَمَّ سوء الحال الذى يُرَى فيه بعض الناس عن مظنة عدم وجودها ـ يؤكد وجودها ما جاء فى الأثر الكريم « لو اطلعتم على الغيب لا خترتم الواقع »
وكم من ضوائق تعترينا ونشكو منها ثم نكتشف بعد انفراجها أنها كانت من الصالح العام .

ما الفرق بين الرءوف والرحيم ؟

لقد قلنا فيما سبق إن الرأفة مبالغة فى الرحمة ، وقد جاء هذان الاسمان متعاقبين فى الآيات التى أوردناها ، وجاءت صفة الرحيم بعد صفة الرءوف فإذا كانت الرأفة أبلغ فلماذا قدمت على الرحمة ؟

وقد أجاب الرازى على هذا السؤال فقال : منشأ الرأفة كمال حال الفاعل فى إيصال الإحسان ، ومنشأ الرحمة كمال حال المرحوم فى الاحتياج للإحسان ، وتأثير حال الفاعل فى إيجاد الفعل أقوى من احتياج المفعول إليه ، فلهذا المعنى قدم ذكر الرأفة على ذكر الرحمة .[٩٣٣]

---

(٩٣٣) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ١ صـ٣٩٨

التخلق بأدب هذا الاسم

لقد وصف الله نبيه - ﷺ - بما وصف به نفسه من هاتين الصفتين . فقال - جل ذكره - :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ ﴾ (٩٣٤)

لأن الله جعل نبيه - ﷺ - باب رحمته ، فقال فى حقه :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧ ﴾ (٩٣٥)

وقال النبى - ﷺ - عن نفسه « إنما أنا رحمة مهداة »

ودلائل - رحمة النبى - ﷺ - بأمته كثيرة لا حصر لها . . وقد قال الله فى ذلك

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣ ﴾ (٩٣٦)

وهؤلاء هم الذين تحدوه بطلب العذاب قائلين :

﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢ ﴾ (٩٣٧)

---

(٩٣٤) التوبة ١٢٨

(٩٣٥) الأنبياء ١٠٧

(٩٣٦) الأنفال ٣٣

(٩٣٧) الأنفال ٣٢

وعلى الرغم من إيذاء المشركين للنبى - ﷺ - بكل صنوف الأذى من قول وفعل .

إلا أنه كان يقابل كل ذلك بالصفح والعفو والرحمة والإحسان . . وكان دعاؤه الدائم : « اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون »

فهذا يعلمنا أدب الاقتداء بالنبى - ﷺ - الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وخلع عليه من صفاته العلا . .

فعلى المؤمن أن يكون رءوفا رحيما محققا - ما استطاع - لرجاء الراجين . . حكى أن الامام أحمد - رضى الله عنه - بلغه أن رجلا وراء النهر يروى الأحاديث - فرحل الإمام أحمد إليه ، فلما ورد عليه وجده يطعم كلبا ، فسلم عليه الإمام أحمد ، فرد عليه السلام ، ثم اشتغل بإطعام الكلب ولم يلتفت إليه ، فلما انتهى من إطعام الكلب التفت إلى الامام ، وقال له : لعلك وَجِدت فى نفسك - أى غضبت - إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك ؟

قال الإمام أحمد : نعم .

فقال الرجل : حدثنى أبوالزناد عن الأعرج ، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال : « من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلن يلج الجنة »

ثم قال الرجل : وأرضنا هذه ليست بها كلاب . وقد قصدنى هذا الكلب فخففت أن أقطع رجاءه .

فقال الإمام أحمد : يكفينى هذا الحديث . ثم رجع[٩٣٨]

---

(٩٣٨) فى ملكوت الله مع أسماء الله - عبد المقصود محمد سالم صـ١٠٧

الذكر فى ظل هذا الاسم

هذا الاسم يصلح ذكره لمن هو سريع الغضب . فان داوم على ذكره رزقه الله الحلم .

ومن الأدعية المأثورة :

« اللهم افعل بنا عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل ، إنك غفور حليم ، جواد كريم رءوف رحيم »(٩٣٩)

ومن أدعية بعض الصالحين التى يمكن اندراجها تحت صفة الرأفة ، والرحمة :

« اللهم اهدنى لنورك ، وأعطنى من فضلك ، وامنعنى من كل عدو هو لك ، ومن كل شىء يشغلنى عنك ، وهب لى لسانا لا يفتر عن ذكرك ، وقلبا يسمع بالحق منك ، وروحا يُكْرَم بالنظر إليك ، وسرا ممتعا بحقائق قربك ، وعقلا حامدا لجلال عظمتك ، وزين ما ظهر وما بطن منى بأنواع طاعتك ـ يا سميع يا عليم ، يا عزيز يا حكيم »(٩٤٠) يا رءوف يا رحيم .

قال الشاعر الاسلامى أحمد مخيمر :

رءوف رحيم بالعباد كأنهم   بنوه ولم يولد إلهى ولم يلد
ورأفته بالعبد من أجل أنه   ضعيف ومحتاج إلى بابه قصد
فليس بمحروم وإن كان عاصيا   وليس بمطرود ، وان شك أو جحد
إذا تاب خصته الملائك بالرضا   وإن طرق الأبواب للعفو لم يرد(٩٤١)

---

(٩٣٩) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ١ صـ٤٠٠

(٩٤٠) درة الأسرار صـ٩٢

(٩٤١) أسماء الله لأحمد مخيمر صـ١٠٤

أسماء الله الحسنى

مالك الملك
ذو الجلال والاكرام
المقسط
الجامع
الغنى
المغنى
المانع
الضار
النافع

مالك الملك

ورد اسم مالك الملك فى قوله - تعالى

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٩٤٢)

وقد ذكر أنه لما نزلت فاتحة الكتاب ، وآية الكرسى ، وشهد الله ، وقل اللهم مالك الملك - الى قوله بغير حساب -

قال الله - تعالى -

« وعزتى وجلالى لايقرأكن عبد عقب كل صلاة مكتوبة إلا أسكنته حظيرة القدس على ماكان منه ، وإلا نظرت إليه بعين الرحمة فى كل يوم سبعين نظرة ، والا قضيت له فى كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة ، وإلا أعذته من كل عدو ، ونصرته عليه ، ولا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت(٩٤٣)

وفى القرآن الكريم آيات تشير إلى أن الله مالك الملك ، ولا مالك سواه .

والملك يشمل ملك الدنيا والآخرة .

---

(٩٤٢) آل عمران ٢٦ ، ٢٧

(٩٤٣) تفسير القرطبى جـ ٤ صـ ٥٢ تفسير الآيتين السابقتين .

وجل الذى يقول :

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ (٩٤٤)

ويوم القيامة يوم تفنى الخلائق ولايبقى حياً غير الله ـ يقول الحق ـ تعالى ـ

« لمن الملك اليوم »

فلا يوجد من يجيب ، فيقول الحق مجيباً

« لله الواحد القهار »

وهذا ماتذكره الآية الكريمة

﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦ ﴾ (٩٤٥)

ومن أسماء الله ـ تعالى ـ الملك ، والمالك ، والمليك ، ومالك الملك ـ ولكن الذى ورد فى سلسلة الأسماء القدسية هو اسم الملك ومالك الملك ، وقد سبق أن تحدثنا عن اسم الملك الذى ورد فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ ﴾ (٩٤٦)

والمُلك يشمل مايرى ويحس من مظاهر الكون ، والمَلكوت يشمل ماخفى ودق عن المشاهدة والحس .

---

(٩٤٤) الملك ١

(٩٤٥) غافر ١٦

(٩٤٦) الحشر ٢٣

ويعنى مالك الملك ـ القدرة على التصرف والسيطرة على كل شيء هذا الملك الواسع ـ ماظهر وخفى ، وما كبر وصغر

قال العلماء : مالك الملك ، معناه ذو الملك والملكوت . . . .

تام القدرة على ملكه ، يفعل فى ملكه مايشاء من الايجاد والإعدام والابقاء والإفناء ، يعطى ويمنع ، ويعز ويذل ، مالك الدنيا ، ومالك يوم الدين ، فسبحانه بيده ملكوت كل شيء والخلق اليه راجعون .

وقارىء الآيتين اللتين سبقتا فى بداية هذا الاسم ـ يشعر بأن ماجاء بعد الاسم الشريف « مالك الملك » يعد تفسيراً له ، فمالك الملك يتصرف فى ملكه حسبما يشاء ، يؤتى الملك من يشاء ، ويسلبه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، والخير بيده وحده وهو الذى يقلب الليل والنهار ، ويحيى ويميت ، ويهب الرزق لمن يشاء بغير حساب .

ويقول الامام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ فى معنى ـ مالك الملك ـ إنه الذى تنفذ مشيئته فى مملكته كيف يشاء وكما شاء إيجاداً وإعداما وإبقاء وإفناء ، والملك فى الآية معناه كل الموجودات والمالك بمعنى القادر التام القدرة ، والموجودات كلها مملكة واحدة لارتباط بعضها ببعض ، فإنها وان كانت متفرقة فى الظاهر ، ولكنها متحدة فى الحقيقة .

وقال ابن كثير : تفيد كلمة . قل اللهم مالك الملك ـ أنه ـ سبحانه ـ المتصرف فى خلقه الفعال لمايريد . أى له الملك كله لاشريك له .

كيف يتأدب المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إن أدب المؤمن مع هذا الاسم يلزمه أن يخشع قلبه لله ، ويخضع لقدرة الله .

قال ابن كثير فى آية

« قل اللهم مالك الملك »

تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله ـ تعالى ـ على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى هذه الأمة ، لأن الله حول النبوة من بنى إسرائيل إلى النبى العربى القرشى المكى الأمى ، خاتم الأنبياء على الاطلاق ، ورسول الله الى جميع الثقلين الإنس والجن . . . وقد جمع الله فيه محاسن من جاء قبله من الرسل وخصه بخصائص لم يُعْطَها نبى من الأنبياء ولا رسول من الرسول السابقين . . فقد خصه بمزيد من العلم بالشرائع وأطلعه على بعض الغيوب الماضية والآتية ، وكشف له عن حقائق الآخرة ، ونشر أمته فى الآفاق فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأظهر دينه وشرعه على سائر الأديان والشرائع . .

فمن حق المؤمن أن يحمد الله على هذه النعمة ، وأن يحفظها من الكفران ، وعليه أن يعمل على إنهاض هذه الأمة واستعادة مجدها بما أوصى به الله فى كتابه الكريم ، وأوصى به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سنته الشريفة .

وإذا أمعنا فى النظر جيداً وجدنا أن لكل إنسان مملكته الخاصة التى هى جسمه وروحه ، وهذه المملكة لها عرش وهو القلب ، فليحرص العبد على

أن لايكون فى هذا العرش إلا الله تعالى ـ الذى يقول فى حديث قدسى :

« ما وسعتنى أرضى ولا سمائى بل وسعنى قلب عبدى المؤمن » ومعنى ذلك أن يخلص المؤمن نيته لله ، وأن تكون طاعته لله ، وأن يكون عمله كله خالصاً لوجه الله ، وأن تكون حركاته وسكناته كلها فى مرضاة الله .

وواجب المؤمن أن يعتبر بما يحدث فى الكون من رفع وخفض ، وإعطاء ومنع ، ومن تملك قوم وأخذ الملك من آخرين ، ليدرك أن كل شىء بيد الله الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . وبذلك لايركن العبد الى مخلوق ، ولايستكين لأحد إلا الله الواحد القهار .

الذكر فى ظل هذا الاسم

قال العلماء : إن ذكر هذا الاسم وتكراره مفيد لمن فى يده شىء من الملك ويريد أن يحفظه الله عليه .

ومن داوم على تكرار : يا ألله يامالك الملك ـ مع قوله ـ تعالى ـ

« قل اللهم مالك الملك . . . . . إلى نهاية الآيتين . . »
أغناه الله عن سؤال الناس ورزقه من حيث لايحتسب .

قال معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ : احتبست عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوماً فلم أصل معه الجمعة ، فقال : « يامعاذ ، ما منعك من صلاة الجمعة ؟ »

قلت : يارسول الله ، كان ليوحنَّا بن باريا اليهودى علىّ أوقية من ذهب ، وكان على بابى يرصدنى ، فأشفقت أن يحبسنى دونك .

قال : أتحب يامعاذ أن يقضى الله دينك ؟ »

قلت : نعم .

قال : « قل كل يوم : قل اللهم مالك الملك - إلى قوله - « بغير حساب ». . ثم قل : يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، تعطى منهما من تشاء ، وتمنع منهما من تشاء اقض عنى دينى ، فلو كان عليك ملء الأرض ذهباً لأداه الله عنك »(٩٤٧)

وفى منظومة أسماء الله الحسنى :

رءوف تـرأف فى الأمـور جمـيعها ويامـالك المـلك امنـح فيـض نفحـة

---

(٩٤٧) أخرجه أبو نعيم الأصفهانى عن عطاء الخراسانى عن معاذ - تفسير القرطبى جـ ٤ صـ ٥٢

ذو الجلال والإكرام

ورد هذا الاسم الشريف فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾ (٩٤٨)

وفى قوله ـ تعالى ـ

﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٧٨ ﴾ (٩٤٩)

ورفع « ذو » فى الآية الأولى يفيد أنه وصف للوجه ، وجرها فى الآية الثانية يفيد أنها جاءت وصفاً للرب ـ تبارك وتعالى ـ

ومعنى هذا الاسم أن الله ـ تعالى ـ منفرد بصفات الجلال والكمال والعظمة ، مختص بالإكرام والكرامة ، فكل جلال له ، وكل كرامة منه ، سبحانه له الجلال فى ذاته ، والإكرام فيض منه على خلقه ، وإكرامه لخلقه بالعطايا والمنح ، والآلاء والنعم لايحصر ولايعد ـ فهو الجدير بالإكرام من خلقه تعظيماً لجلاله ، وعرفانا بفضله وإكرامه ، وتقديراً لآلائه وإحسانه(٩٥٠)

وقال بعض العلماء : معنى « ذو الجلال والاكرام » أنه ذو العظمة والكبرياء ، جليل القدر ، عظيم الشأن ، مهاب سلطانه ، نافذ أمره ، وهو ذو الفضل العظيم عَمَّت آلاؤه جميع خلقه . وشملت أفضاله كل كونه .

ومجىء هذا الاسم مرتين فى سورة الرحمن التى تعدد نعم الله على

---

(٩٤٨) الرحمن ٢٦ ، ٢٧

(٩٤٩) الرحمن ٧٨

(٩٥٠) فى ملكوت الله مع أسماء الله صـ ١٠٩

الثقلين ، وتذكّرهما بوجوب شكر الله على آلائه قائلة لهما عقب كل آية أو أكثر

« فبأى آلاء ربكما تكذبان »

يدل على مايتضمنه هذا الاسم الجليل من عظيم الهيبة ، وجزيل المنة ، وسعة الملك ، وإحاطة القدرة ، وعظم العلم ، وكثرة الفضل .

قال القرطبى فى تفسير هذا الاسم : الجلال عظمة الله وكبرياؤه واستحقاقه صفات المدح ، يقال : جل الشىء أى عظم ، وأجللته - أعظمته . . . . . .

ومعنى الإكرام . أنه أهل لأن يكرم عما لايليق به من الشرك ، كما تقول :

أنا أكرمك عن هذا . ومنه إكرام الأنبياء والأولياء . فالله - سبحانه وتعالى جليل فى ذاته ، كريم فى أفعاله ، منزه عن كل مالايليق به .

وهذا الاسم يشير إلى أنه لاجليل ولاكريم إلا هو - سبحانه - فإضافة « ذو » إلى هذين الوصفين يفيد اختصاصه - جل جلاله - بهما . . وأى جلال أو كرم يوصف به أحد من الخلق فإنما هو مستمد من الله على سبيل المنح أو العارية .

وهو موقوت بمدة ، ثم ينتقل من هذا الانسان إلى غيره عن طريق السلب أو الفناء ،

ولكن جلال الله وإكرامه سرمدى أبدى أزلى باقٍ لاتحول ولا فناء له .

ووجوه إكرام الله لخلقه لاحصر لها . . وقد خص جنس بنى آدم بضروب من التكريم ، وقال فى ذلك

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾ (٩٥١)

أما الفرق بين الجلال والإكرام ، فيظهر فى أن الجلال من الصفات الذاتية . التى يختص بها المولى ، ولا ينازعه فيها أحد من خلقه ، أما الإكرام فهو إفاضة من الله على عباده بما يخلعه عليهم من مظاهر الكرم وضروب المنن .

وجلال الله لايكون بجند وأعوان ، ولكنه جلال ذاتى ، هو جلال ـ كما يقول الإمام الرازى ـ بالوصف الذى تلحق به الرفعة والعزة والعلو .

ولايقتصر إكرام الله لعباده على الدنيا ، بل يتعداه إلى الآخرة .

فإكرامهم فى الدنيا بما وهبهم من منح ، وبما سخر لهم من أنواع المسخَّرات التى تعينهم فى حياتهم ، وتيسر لهم السعى فى وجوه المنافع ـ

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣ ﴾ (٩٥٢)

كل ذلك للبر والفاجر منهم .

---

(٩٥١) الاسراء ٧٠

(٩٥٢) الجاثية ١٣

أما إكرامهم فى الآخرة فهو خاص بالمؤمنين الذين يأخذ بأيديهم الى جنات النعيم وما فوق ذلك مما يشير اليه قوله ـ تعالى

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٩٥٣)

ومن أقوال العلماء فى معنى « ذو الجلال والاكرام » قولهم : هو صاحب الجلالة ، لأنه لاشرف ولامجد ولا عزة ولا قوة إلا وهى له وبه ومنه ، وصاحب الكرم ، لأنه لا كرامة ولافضل ولا نعمة ولا إحسان إلا وهى من مدده ـ جل جلاله ـ

قالوا : وهو اسم جامع للجلال والجمال ، فإنه ـ تعالى ـ له جلال رهيب وجمال عجيب ، ولا ينال العبد المعرفة إلا إذا عرف ذا الجلال والإكرام ، لأنه جمع بين الرغبة والرهبة والرجاء والخوف .

التخلق بأدب هذا الاسم

متى أدرك المؤمن أن الله ذو الجلال والاكرام عاش فى رحاب هذا الاسم الذى يملى عليه الخوف من العقاب والرجاء فى الثواب . . ولا نجاة للإنسان حقا إلا إذا خاف ورجا ـ لأن الخوف المطلق يسلم إلى اليأس ، والرجاء المطلق يسلم الى التفريط .

وقد حثنا الله على أن نخاف ونرجو فقال ـ تعالى ـ

---

(٩٥٣) يونس ٢٦

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (٩٥٤)

وقال ـ تعالى ـ

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (٩٥٥)

وقد فسر بعضهم التقوى بأنها الوقوف بين منزلة الخوف والرجاء . فالمؤمن إذا تذكر جلال الله رهب ، وإذا تذكر كرمه طمع ورجا ، وهكذا يعيش فى مقام الرهبة فيعمل ويجتهد فى الطاعة ويحترز من المعاصى ، ويعيش فى مقام الرجاء فيأنس ويطمئن قلبه ويأمن .

وإذا خاف المؤمن مقام ربه كفل الله له جنتين كما قال ـ سبحانه ـ

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٩٥٦)

وأمنه الله من الفزع يوم يخاف الناس .

وخوف المؤمن من مقام الله يؤدى به إلى التواضع وكسر دواعى الغرور التى تتسلط على بعض الناس الذين يغمرهم الله بنعمه فينسون مقام الله ، ولا ينظرون إلا إلى أنفسهم ، ويصنعون لأنفسهم هالات من العظمة ربما تسلمهم إلى الهلاك . ومن ذلك ما يخترعونه أو يخترع لهم من ألقاب مثل

---

(٩٥٤) السجدة ١٦

(٩٥٥) الأعراف ٥٦

(٩٥٦) الرحمن ٤٦

لقب « صاحب الجلالة أو صاحب المقام الرفيع ، وغير ذلك من الألقاب التى يطلقها بعض الناس على من لايستحق ذلك .

كما قال الشاعر :

ألقاب مملكة فى غير موضعها كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

ولايدرك الناس أن مثل هذه الألقاب قد تُطْغِى من تطلق عليهم ، وتزين لهم الشر . كما حدث لفرعون حين تمادى قومه فى خلع الألقاب عليه ، ففسد وأفسد وطغى وتكبر ، حتى قال : أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى .

فأى جواب يجيب به أصحاب الجلالة والعظمة والعزة ، إذا قال لهم الملكان الموكلان بسؤالهم فى قبورهم : أأنت صاحب الجلالة والعظمة والعزة ؟ إنهم فى هذا الوقت لن يجدوا جوابا .

فليتقوا الله ، وليتركوا هذه الأسماء التى هى لله وحده ، وحسبهم اتخاذ اسم الملك أو الرئيس وهو اسم كبير لا يطيق حمله إلا من رحم الله .[٩٥٧]

وقد أحسن الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية ـ صنعا حين ألغى هذا اللقب واستبدله بلقب . خادم الحرمين الشريفين .

الذكر فى ظلال هذا الاسم

لقد دعا النبى ـ ﷺ ـ صراحة إلى الإكثار من الذكر بهذا الاسم ـ فقال فى حديث شريف « أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام » ومعناه الزموه وأكثروا منه

---

(٩٥٧) أسماء الله الحسنى ـ لأحمد عبد الجواد صـ٢٠٣

واستديموا دعاء الله به .

وجاء فى حديث آخر أن النبى - ﷺ - سمع أعرابيا يدعو قائلا **« اللهم إنى أسألك باسمك الأعظم العظيم ، الحنان المنان ، مالك الملك ذى الجلال والإكرام » فقال : « إنه دعا باسم الله الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى »**

ومن الأدعية المأثورة فى ذلك

« اللهم ياذا الجلال والاكرام - صل وسلم وبارك على إمام أنبيائك وسيد رسلك سيدنا محمد - ﷺ - وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين وجميع عبادك الصالحين ، من أهل السموات والأرضين ، وأكرمنا برحمتك يا أرحم الراحمين ، ياذا الجلال والاكرام . . « رب يا ذا الجلال والاكرام ، لك وجهت وجهى فأقبل إلىّ بوجهك الكريم ، واستقبلنى بمحض عفوك وكرمك ، وأنت راض عنى برحمتك يا أرحم الراحمين ، يا ألله ياذا الجلال والإكرام »[٩٥٨]

---

(٩٥٨) الدعاء المستجاب من السنة والكتاب للشيخ أحمد عبد الجواد صـ ١٧٤

المقسط

جاء في لسان العرب : في أسماء الله الحسنى « المقسط » وهو العادل ، يقال : أقسط يقسط ، فهو مقسط إذا عدل .

ويقال ـ في حق الناس ـ : قسط يَقْسِط فهو قاسط إذا جار وظلم . فمعنى الهمزة في أقسط للسلب ، كما يقال : شكا فأشكاه ـ أي أزال شكايته .

جاء في حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ شكونا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ حر الرمضاء فلم يشكنا ـ يعني لم يزل شكايتنا أو لم يقبلها ـ وقال : « استعينوا **بلا حول ولا قوة إلا بالله فإنها تذهب سبعين بابا من الضر أدناها الهم** »

ومن معاني القسط الميزان ـ وفي الحديث : « أن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ـ يخفض القسط ويرفعه » وسمى الميزان بالقسط تحريا للعدل . . . . وأراد برفع القسط وخفضه رفع ميزان أعمال العباد المرفوعة إليه وأرزاقهم النازلة من عنده ، كما يرفع الوزان يده ويخفضها عند الوزن ـ وهو تمثيل لما يقدره الله وينزله ولله المثل الأعلى .

وقد يراد بالقسط النصيب من الرزق ، ورفعه تكثيره ، وخفضه تقليله . والله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .

وفي قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾ (٩٥٩)

دعوة إلى إقامة العدل ومنع الظلم ـ أي أقيموا لسان الميزان بالقسط ـ الذي هو العدل ـ ، واحذروا التطفيف في الكيل والوزن .

---

(٩٥٩) الرحمن ٩

وقد سمى الميزان قسطاسا كما فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (٩٦٠)

ويقال : القسطاس هو أقوم الموازين . .

وقد جاء المقسط فى القرآن الكريم وصفا للإنسان العادل فى حكمه قال ـ تعالى ـ

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٩٦١)

وقال ـ تعالى ـ

﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (٩٦٢)

وجاء « أقسط » بمعنى أعدل فى قوله ـ تعالى

﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ

---

(٩٦٠) الشعراء ١٨٢

(٩٦١) المائدة ٤٢

(٩٦٢) الحجرات ٩

فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ (٩٦٣)

وجاءت « قاسط » بمعنى ظالم ومائل عن الحق . فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ (٩٦٤)

وعلى ذلك فإن المقسط فى أسماء الله تعالى معناه العادل فى حكمه الذى ينتصف للمظلوم من ظالمه ، وينصر المستضعفين على من استضعفهم ..... ولم يرد هذا الاسم وصفا لله ـ تعالى ـ فى القرآن الكريم ، ولكنه ورد فى سلسلة الأسماء التى انتظمها حديث رسول الله ـ ﷺ ـ ورقمه فى هذه السلسلة السادس والثمانون .

ولكن ورد فى القرآن الكريم ما يشير إلى أن الله مقسط فى حكمه عادل فى قضائه لا يظلم أحداً . . وجاء فى القرآن الكريم مايفيد أن الله تعالى قائم بالقسط ، وقاض بين عباده بالقسط . . . قال تعالى :

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ (٩٦٥)

---

(٩٦٣) الأحزاب ٥
(٩٦٤) الجن ١٤ ، ١٥
(٩٦٥) آل عمران ١٨

وقال تعالى :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٩٦٦)

ويقول الراغب الأصفهانى فى مفرداته شارحا الفرق بين قسط وأقسط : قسط إذا أخذ نصيب غيره ، وهذا جور وظلم ، أما أقسط فهو الذى يعطى قسط غيره وهذا منتهى الإنصاف .

وقال : المقسط فى حق الله ـ تعالى ـ هو العادل فى الأحكام الذى يتصرف فى العالمين بكل نظام .

وقال الامام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ : المقسط هو الذى ينتصف للمظلوم من الظالم . وكما له فى أن يضيف إلى إرضاء المظلوم إرضاء الظالم ، وذلك غاية العدل والإنصاف ، ولا يقدر على ذلك إلا الله ـ تعالى ـ

ومثال ذلك القصة التى رويت فى الحديث الشريف وسبق أن ذكرناها فى اسم الله « العفو » عن الرجلين اللذين جثوا بين يدى الرب ـ تعالى ـ ولأحدهما مظلمة عند الآخر فأرضاهما الله ـ تعالى ـ وأدخلهما الجنة معا . .

ولقد أمرنا الله ـ تعالى ـ أن نتحرى العدل فى الأحكام حتى بالنسبة لأعدائنا . قال ـ تعالى ـ

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ

---

(٩٦٦) يونس ٤٧

﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٨﴾ (٩٦٧)

وقال ـ تعالى ـ حاثا على إقامة العدل بين الأعداء كإقامته بين الأصدقاء تماما :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾ (٩٦٨)

إن أسعد الناس من يلقى الله غدا وليس لأحد من الناس مظلمة فى عنقه . وذلك لأنه استطاع أن يرضى خصومه ويرضى أنصاره .

كيف نتأدب بأدب هذا الاسم ؟

إن الله ـ تعالى ـ يحب العدل ، ويدعو إليه ، فمن واجب المؤمن أن يتحرى ذلك ما أمكنه . وذلك بأن يطبق العدل فى نفسه أولا ، بأن يحمل نفسه على الاستقامة على العدل والنفور من الظلم ، ويحبب إليها إعطاء الحق والرضا به .

وإن المسلم الحق ليسمح بأن يتنازل عن حقه فى سبيل إرضاء خصمه طمعا فيما عند الله من ثواب أعده لأهل السماحة والعفو .

روى أن رجلا تقدم إلى أحد الخلفاء مخاصما آخر فى ضيعة ، فقال له

---

(٩٦٧) الممتحنة ٨

(٩٦٨) المائدة ٨

الخليفة :

ومن خصمك الذى اغتصب ضيعتك ؟

فقال الرجل : هو ذا الذى يجلس بجوارك .

فقال الخليفة لذلك الرجل الذى يجلس بجواره : قم فقف بجانب خصمك .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، ليست بينى وبينه خصومة ، إن كانت الضيعة لى ، فقد وهبتها له ، وان كانت له فلا أنازعه فيها .

وشكا بعض الناس على بن أبى طالب إلى القاضى ، فلما تقدم إلى القضاء ، قال له القاضى : هاه ! ياأبا الحسن .

فغضب على ـ رضى الله عنه ـ وقال له : هذا أول الجور كنيتنى وناديت خصمى باسمه .

فعلى المؤمن أن يتدبر فى عواقب الظلم ويعرف أنه ظلمات يوم القيامة فيتحاشاه ويبتعد عنه .

ولأن يكون الإنسان مظلوما فى الدنيا أفضل من أن يكون ظالما .

روى أن أحد الصالحين مر برجل صلبه أحد الحكام . . فقال : يارب إن حلمك على الظالمين أضر بالمظلومين ، فرأى فى منامه أن القيامة قد قامت . ودخل الجنة ورأى المظلوم فى أعلى عليين . . وسمع هاتفا يقول : « حلمى على الظالمين جعل المظلومين فى أعلى عليين »

الذكر فى ظل هذا الاسم :

قال العلماء : من أكثر من ذكر هذا الاسم وقاه الله الوسواس فى عبادته .

وأفضل الذكر فى ظل هذا الاسم قراءة قوله ـ تعالى ـ

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ (٩٦٩)

وقد ورد فى فضل هذه الآية آثار متعددة .

منها : روى من حديث أنس عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال « من قرأ ـ شهد الله أنه لااله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لاإله إلا هو العزيز الحكيم ـ عند منامه ، خلق الله له سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة »

وروى غالب القطان قال : أتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الأعمش فكنت أختلف إليه ، فلما كان ليلة أردت أن أنحدر إلى البصرة قام فتهجد من الليل فقرأ بهذه الآية . . شهد الله . . إلى . . . قوله ـ تعالى : إن الدين عند الله الاسلام » . . . ثم قال : وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة ، وهى لى عند الله وديعة ، وإن الدين عند الله الاسلام . قالها مرارا .

قال : فغدوت إليه وودعته ، ثم قلت له : إنى سمعتك تقرأ هذه الآية ، فما بلغك فيها ؟ فقال : لاأخبرك بذلك إلا بعد سنة . وبعد تمام السنة قال له : حدثنى أبو وائل عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ـ صلى

(٩٦٩) آل عمران ١٨

الله عليه وسلم ـ « يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله ـ تعالى ـ : عبدى عهد إلىّ وأنا أحق من وفّى ، أدخلوا عبدى الجنة »(٩٧٠)

وفى منظومة أسماء الله الحسنى فى الاسمين : « ذو الجلال والإكرام والمسقط »

وياذا الجلال ثم الاكرام عزنا　　　ومقسط وفقنا لعدل الرعية

---

(٩٧٠) تفسير القرطبى جـ ٤ صـ ٤١ تفسير هذه الآية من سورة آل عمران .

الجامع

ورد اسم الله الجامع ـ فى قوله تعالى :ـ

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾(٩٧١)

وفى قوله تعالى ـ

﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾(٩٧٢)

ووردت فى القرآن آيات كثيرة تشير إلى جمع الله الخلائق يوم القيامة للمحاسبة والجزاء . قال تعالى ـ

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾(٩٧٣)

وقال تعالى ـ

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾(٩٧٤)

وقال تعالى ـ :

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾(٩٧٥)

---

(٩٧١) آل عمران ٩

(٩٧٢) النساء ١٤٠

(٩٧٣) المرسلات ٣٨

(٩٧٤) الكهف ٩٩

(٩٧٥) القيامة ٣ ، ٤

وقال تعالى - :

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (٩٧٦)

وقال تعالى -

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ (٩٧٧)

وقال تعالى -

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾ (٩٧٨)

وسمى يوم القيامة بيوم الجمع لذلك لأنه اليوم الذى يجمع فيه الخلائق قال تعالى -

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (٩٧٩) وغير ذلك من الآيات .

وقال ابن الأثير فى معنى اسم الله الجامع : هو الذى يجمع الخلائق ليوم

---

(٩٧٦) المائدة ١٠٩

(٩٧٧) سبأ ٢٦

(٩٧٨) النساء ٨٧

(٩٧٩) التغابن ٩

الحساب. وقيل: هو المؤلف بين المتماثلات والمتضادات فى الوجود..

وهو اسم فاعل من الفعل جمع، تقول: جمع الشيء يجمعه جمعا ـ بعد تفرقة. والجمع اسم لجماعة الناس. والأمر الجامع هو الذى يجتمع الناس من أجله. والسورة الجامعة التى جمعت كل مايهم الانسان فى دنياه وأخراه.. جاء فى الحديث: قال رجل للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أقرئنى سورة جامعة. فأقرأه «إذا زلزلت الأرض زلزالها»

وفى حديث آخر قيل له ـ صلى الله عليه وسلم ـ: حدثنى بكلمة تكون جماعا فقال: «اتق الله فيما تعلم»(٩٨٠)

وقال بعض العلماء: الجامع معناه المؤلف بين الكائنات الجامع بين المتماثلات ـ كالإنس على ظهر الأرض وفى صعيد القيامة عند الحشر ـ وبين المتباينات كالسموات والكواكب والبحار والنباتات والمعادن وغيرها فى الأرض ـ وبين المتضادات كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة.... وصدق الله العظيم

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ٣٨ ﴾(٩٨١)

ويجمع بين الظالم والمظلوم وبين الجسد والروح، ويجمع أجزاء الخلق يوم النشور ويجمع قلوب أوليائه لشهود عظمته»(٩٨٢)

ولو أنعم الانسان النظر فى جسمه لوجده يجمع بين أجهزة متعددة،

(٩٨٠) لسان العرب مادة جمع جـ١ صـ٦٧٩
(٩٨١) المرسلات ٣٨
(٩٨٢) فى ملكوت الله مع أسماء الله صـ١١٠

وبين معادن مختلفة ، وبين ماء ودم ولحم وعصب وعظم ، وفيه رطوبة ويبوسة وحرارة وبرودة ، وفيه أحاسيس ومشاعر ، ورغبات واضطرابات ، وحركات وسكنات ، وهو بين إقبال وإدبار ، وطموح ونجاح وإخفاق ، وغير ذلك مما تزخر به هذه البنية التي هي في ظاهرها كائن صغير ولكنها في حقيقة أمرها عالم يموج بالخبرات والانفعالات والتطلعات ويشهد بما قال القائل :

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر ؟

إن الذى جمع ذلك فى هذا الجسد هو الاله القادر العظيم ـ جل جلاله . والله الجامع هو الذى يجمع الكمالات كلها ذاتا ووصفا وفعلا .

ويرى الرازى أن معنى الجامع يشير إلى معان .

● منها أنه جمع الأجزاء وألف بينها تأليفا مخصوصا يمكنها من أداء المهام الموكولة اليها .

ـ ومنها أنه جمع بين قلوب المختلفين ـ وهذا مستمد من قوله تعالى ـ ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) ﴾ (٩٨٣)

ومن الحديث الشريف « الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف »

---

(٩٨٣) الأنفال ٦٣

● ومنها جمع أجزاء الخلق يوم الحشر والنشر بعد تفرقها ، والجمع بين الجسد والروح بعد انفصال كل منهما عن الآخر ، وهذا يشير إليه قوله تعالى -

﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ ﴾ (٩٨٤)

أى التحقت الأرواح بأجسادها .

● ومنها جمع الخلائق فى موقف القيامة .

● ومنها الجمع بين الظالم والمظلوم ليرد الى المظلوم ظلامته وينصفه من الظالم .

● ومنها أنه الذى يجمع قلوب أوليائه على محبته وشهود عظمته.

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

والمؤمن الذى يتدبر فى معنى هذا الاسم يتذكر يوم الجمع الذى يجمع الله فيه الخلائق ، فيستعد له بالعمل الصالح .

ويتذكر قدرة الله التى ألفت بين الأشياء فيزيده ذلك إيمانا بقدرة الله الخارقة التى لايعجزها شيء فى الأرض ولا فى السماء وإن ذلك ليدعوه الى إمعان النظر فى خلق السموات والأرض والتفكر فى مظاهر هذا الكون الذى يجمع بين المتناقضات . . ثم إنها على الرغم من تناقضها لتسير فى دقة بارعة ونظام تام .

انظر الى الليل والنهار وتعاقبهما ، والنور والظلمة والرطوبة واليبوسة والحار والبارد ، والماء والثلج ، والكواكب على اختلاف مداراتها والحيونات

---

(٩٨٤) التكوير

والطيور والوحوش على اختلاف أنواعها المفترس والفريسة ، والنافرة والأليفة .

ثم انظر الى القلوب وتقلباتها وتنافرها وائتلافها ، والشعوب وأجناسها ، ولغاتها واعتقاداتها ، وتقاليدها وعاداتها ، وأشكالها وألوانها ، وحربها وسلمها .

وانظر الى الطبيعة كيف تكون ساكنة هادئة ثم إذابها ثائرة عاصفة .

وانظر الى نفسك كيف تكون طيعة منقادة ثم إذا بها نافرة عاصية وكيف تكون ثائرة غاضبة ثم تتحول الى هادئة مستسلمة .

إن كل ذلك وغيره مما يموج به الكون فى قبضة القادر الذى يجمع بين هذه الأشتات فى يسر وسهولة وطواعية وقدرة تقول للشيء : كن فيكون .

وقد دعانا الله إلى التفكر لنزداد إيمانا ، ويقوى اليقين فى نفوسنا وتطمئن قلوبنا فى ظل الايمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

الدعاء فى ظل هذا الاسم :

قال العلماء : من أكثر من ذكر هذا الاسم قائلا : « اللهم ياجامع الناس ليوم لاريب فيه اجمع عليَّ ضالتى ـ جمعه الله على ضالته بإذن الله .

ومن الدعاء باسم الجامع ـ قال الامام أبو الحسن الشاذلى ـ رضى الله عنه : « اللهم ياجامع الناس ليوم لاريب فيه ، اجمع بيننا وبين الصدق والنية والاخلاص والخشوع ، والهيبة والحياء ، والمراقبة والنور ، واليقين والعلم ، والمعرفة والحفظ ، والنشاط والقوة ، والستر والمغفرة ، والفصاحة

والبيان ، والفهم فى القرآن ، وخصنا بالمحبة والاصطفاء والتخصيص والتولية وكن لنا سمعا وبصرا ، ولسانا وقلبا وعقلا ويدا ومؤيدا وآتنا العلم النافع والعمل الصالح ، والرزق الهنىء الذى لاحجاب به فى الدنيا ، ولاحساب ولاسؤال ولاعقاب عليه فى الآخرة ، على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والطمع ، وأدخلنا مدخل صدق وأخرجنا مخرج صدق واجعل لنا من لدنك سلطانا نصيرا »(٩٨٥)

وللشاعر أحمد مخيمر أبيات يناجى فيها ربه باسمه الجامع - يقول :

ياجامعا بين السماء وأرضها وبحارها من فوقها وهوائها
ياجامعا بين القلوب على الذى خبأته فى الظلمات من أهوائها
ياجامعا بين الحياة وبين ما قدرته من موتها وفنائها
الحكمة العليا بذاتك آلفت ذا كله بجلالها وبهائها
وبقدرة تسع الوجود جميعه بالرغم منه مسلم بقضائها(٩٨٦)

ويتساءل الشاعر إسماعيل صبرى عن المصير المهول الذى يتعرض له الإنسان يوم يجمع الله الناس للميزان الذى قد تخف فيه الأعمال : فيقول :

جامع الناس والموازين قسط يوم لم تجد زفرة الندمان
أى ويل إذ الموازين خفت وزفير الجحيم فى ثوران ؟

اللهم نجنا وثقل موازيننا ، واجمعنا فى الدنيا على الصالحين ، وفى الآخرة على سيد المرسلين ، الذى خصصته بالشفاعة العظمى والوسيلة الكبرى -- صلى الله عليه وسلم - .

---

(٩٨٥) درة الاسرار صـ٩١
(٩٨٦) أسماء الله الحسنى لأحمد مخيمر صـ١١٢

الغنى

ورد اسم « الغنى » فى مواضع عدة من القرآن الكريم . منها قوله - تعالى - :

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ (٩٨٧)

وقوله - تعالى -

﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (٩٨٨)

وقوله - تعالى -

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (٩٨٩)

وقوله - تعالى -

﴿ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (٩٩٠)

---

(٩٨٧) البقرة ٢٦٣

(٩٨٨) آل عمران ٩٧

(٩٨٩) الأنعام ١٣٣

(٩٩٠) يونس ٦٨

وقوله - تعالى -

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ٨﴾(٩٩١)

وقوله - تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾(٩٩٢)

وغير ذلك من الآيات . .

فالله - سبحانه - هو الغنى

. . وخزائن رحمته المادية والمعنوية لاتنفد . .

ولاشك فى أن من يرزق الخلائق جميعا إنسها وجنها ، وحشها وأليفها ، حشراتها وهوامها . مايدرك وما لايدرك ، مايُرى ومالايُرى - هو الغنى الكريم .

وقال العلماء فى معنى الغنى : إنه المستغنى عن كل ماسواه ، المفتقر إليه كل ماعداه .

سبحانه لايحتاج الى شيء ، لافى ذاته ، ولافى صفاته ، ولافى أفعاله . ويحتاج اليه كل شيء . .

سبحانه لاصاحبة له ولا ولد ، ولا معين له ولاسند ، ولا شريك له فى ملكه ، ولا نصير له فى تنفيذ مشيئته وأمره ، خلق الخلق لعبادته وهو غنى عنها ، بل استعبدهم ليثيبهم على عبادتهم إياه بأفضل الحسنات ، ويرفعهم

---

(٩٩١) ابراهيم ٨

(٩٩٢) فاطر ١٥

بها أعلى الدرجات .

لقد جاء فى حديث قدسى ـ يقول الله ـ تعالى ـ

« إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم

ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعمونى أطعمكم ،

ياعبادى كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم .

ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً غير الشرك فاستغفرونى أغفر لكم

ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ،

ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئاً ،

ياعبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد مانقص ذلك فى ملكى شيئاً .

ياعبادى لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندى شيئاً إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر .

ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلايلو مَنَّ إلا نفسه »(٩٩٣)

---

(٩٩٣) رواه مسلم وأبو عوانة وابن حبان والحاكم عن أبى ذر ـ الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية . للمناوى صـ ٢٨

ومظهر غنى الله يدل عليه قوله ـ تعالى ـ

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾
وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا
خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي
وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (٩٩٤)

وقد اقترنت الآيات التى ورد فيها اسم الله« الغنى » فى القرآن الكريم بأسماء أخرى كالحليم والحميد والكريم ، وفى ذلك دلالة على أن الله فى غناه ليس متجبراً على عباده ، أو بخيلاً عليهم ، أو ظالما لهم ، شأن مانراه من الأغنياء المترفين الذين يظنون أنهم بغناهم يحق لهم أن يظلموا ويستعبدوا الناس ويستذلوهم .

ولكن الله فى غناه يرزق البر والفاجر ، ويعفو عن المسىء ، ويقبل توبة التائب ، ويجير من استجار به ـ فله الحمد على آلائه ، وله الشكر على نعمائه . . ولكن ماذا تفيد كلمة الغنى من جهة اللغة ؟

إنها تفيد ـ كما يقول ابن منظور فى لسان العرب ـ أنه لايحتاج الى أحد فى شىء وكل أحد محتاج اليه ، وهذا هو الغنى المطلق ، ولايشارك الله فيه أحد .

والغنى ضد الفقر ، وله معان . منها عدم الحاجة ، ومنها وجود مايغنى

---

(٩٩٤) الحجر ١٩ : ٢٣

عن سؤال الناس . وهذا يشير إليه قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ (٩٩٥)

ويشير اليه أيضاً قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الغنى غنى النفس » ومنها كثرة مايقتنى عند الناس عادة من مال ورياش ، وهذا هو الذى دعا اليهود ـ أخرس الله ألسنتهم ـ أن يقولوا ـ كما حكى عنهم القرآن الكريم ـ

﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ﴾ (٩٩٦)

أما غنى الله فهو الغنى الأول ، فهو ـ سبحانه ـ ليس محتاجاً لشىء وليس محتاجاً إلى أحد بل الكل محتاج إليه ـ سبحانه ـ

وقد ألقى الإمام الغزالى الضوء على معنى « الغنى » فقال : الغنى هو الذى لاتعلق له بغيره فى ذاته ، ولا فى صفات ذاته ، فمن تعلق بغيره فهو محتاج إليه .

ومن أقوال بعض العلماء فى معنى الغنى : الغنى بذاته عن العالمين ، المتعالى عن جميع الخلائق أجمعين فى كل زمن وحين .

هو الغنى عن العباد ، المتفضل عليهم بمحض الفضل والوداد .

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إذا علم المؤمن أن الله هو الغنى ، فإنه لايلجأ فى حاجته إلا إليه ،

---

(٩٩٥) الضحى ٨

(٩٩٦) آل عمران ١٨١

ولايبسط كفه بالتضرع إلا له . وعليه أن يتذكر دائما قوله ـ تعالى ـ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ ﴾ (٩٩٧)

والله سبحانه وتعالى يحب من عباده أن يسألوه ، وهو الذى يقول :

« واسألوا الله من فضله »

وقد ورد فى بعض الآثار أن المصلى إذا انفتل من صلاته ، ولم يدع الله شيئاً ، قال الله ـ تعالى ـ

استغنى عنى عبدى .

وورد فى الأثر الشريف : اسألوا الله فإن الله يحب أن يسأل . ومن الآداب التى يتعلمها المؤمن إذا أفاض الله عليه نعمة ورزقه يسراً ـ شارك غيره فيه ، وجاد بما عنده ، وواسى الفقراء والمساكين ، وليتذكر أن هذا فضل الله يعطيه من يشاء ، فعليه أن يشكر الله عمليا بأن يعطى الفقراء والمساكين مما أعطاه الله .

وعلى المؤمن أن يحذر من فتنة الدنيا فإن للمال سحراً فى القلوب وغشاء على العيون . . يقال : إن إبليس أخذ أول دينار ضُرب فوضعه على عينيه ، وقال : من أحبك فهو عبدى .

وقيل أيضاً : إن إبليس حين اخْتُرعت النقود صرخ صرخة عظيمة جمع بها أعوانه ، ثم قال لهم : لقد وجدت اليوم مااستغنى به عنكم فى إضلال

---

(٩٩٧) فاطر ١٥ ، ١٦

الناس . نعوذ بالله من فتنة الدنيا والآخرة .

الذكر فى ظل هذا الاسم

قيل : إن الاكثار من ذكر اسم الله ـ الغنى ـ يغنى صاحبه .

ومن أكثر من ذكره دفع الله عنه البلاء .

ومن أدعية الصالحين : اللهم ياغنى وسع رزقى وبارك لى فيه واقض دينى .

ومن دعاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اللهم إنى أسألك إيمانا لايرتد ونعيما لاينفد ومرافقة نبيك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أعلى جنان الخلد »(٩٩٨)

ومن دعاء الحسن ـ رضى الله عنه ـ الذى يقال إنه تعلمه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « اللهم اقذف فى قلبى رجاءك ، واقطع رجائى عمن سواك حتى لاأرجو أحداً غيرك ، اللهم ـ وما ضعفت عنه قوتى ، وقلت فيه حيلتى ، ولم تبلغه مسألتى ، ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحداً فى الأولين والآخرين من اليقين ، فخصنى به يا أرحم الراحمين .

---

(٩٩٨) الدعاء المستجاب لأحمد عبد الجواد صـ ١٢٠

المغنى

ومن أسماء الله ـ تعالى ـ « المغنى » وهو الذى يغنى من يشاء من عباده .

وهو اسم الفاعل من الفعل « أغنى » وأغنى مأخوذ من الغنى ولم يرد هذا الاسم بلفظه فى القرآن الكريم ، وإنما ورد فى سلسلة الأسماء التى جاء بها الحديث الشريف ، ورقمه فى هذه السلسلة التاسع والثمانون .

وقد ورد فى القرآن الكريم مايشير إلى أن الله هو الذى يغنى عباده . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨ ﴾ (٩٩٩)

وقال ـ تعالى ـ

﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾ (١٠٠٠)

وقال ـ تعالى ـ

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٧٤ ﴾ (١٠٠١)

---

(٩٩٩) النجم ٤٨

(١٠٠٠) الضحى ٨

(١٠٠١) التوبة ٧٤

وقال ـ تعالى ـ

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١٠٠٢)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١٠٠٣)

وقال ـ تعالى ـ

﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١٠٠٤)

وقال العلماء فى معنى هذا الاسم : إنه ـ سبحانه ـ السخى الجواد ذو الفضل والاحسان ، والطَّول والإنعام ، يغنى العبد حتى لايخشى الفقر ، ويغنى النفس حتى ترضى .

(١٠٠٢) النور ٣٢

(١٠٠٣) التوبة ٢٨

(١٠٠٤) النور ٣٣

وليس شرطا أن يُغْنِى الله الانسان بالعرض والمتاع ، بل يكفى أن يدخل فى نفسه القناعة والرضا فيصبح أغنى الأغنياء . وقد جاء فى ذلك الأثر « ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس »

إن الله المغنى ، يغنى من يشاء من عباده بما يشاء من أنواع الغنى . . . . « وما كان عطاء ربك محظوراً »

قال العلماء : وأفضل أنواع الغنى غنى النفس ، فان الحوائج تطلب من الله ، فمن ترك الله ورجع الى الخلق فى حوائجه ابتلاه الله بالخلق ، وانتزع الرحمة من قلوبهم ، حتى إذا رجع العبد إلى الله أعطاه مايتمناه ، ورزقه من حيث لايحتسب ، وتيسرت له كل المطالب فى قضاء المصالح والحوائج ، فإن الأشياء ليست على مقتضى طبائعها بل بتأثير من خالقها(١٠٠٥)

وقد تعرض الإمام الغزالى لهذا الاسم قارنا بينه وبين الغنى وكان مما قاله فى ذلك : الغنى المغنى هو الذى لاتعلق له بغيره لافى ذاته ولا فى صفات ذاته .

فالذى له تعلق بغيره فقير محتاج الى الكسب .

ولا يتصور وجود مخلوق لاتعلق له بغيره ـ فالخالق وحده ـ هو الذى لايحتاج إلى غيره .

والله ـ تعالى ـ هو المغنى ، ولايتصور أن يصير من أغناه الله غنياً مطلقاً لأنه على الأقل محتاج الى المغنى ، فلايكون غنياً .

والغَنِىُّ الحقيقى هو الذى لاحاجة له إلى أحد أصلاً .

(١٠٠٥) فى ملكوت الله مع أسماء الله صـ١١٢

ويقول بعض العلماء فى معنى المغنى : إنه الذى يعطى الغنى لعباده ويكون بمعنى معطى الكفاية أيضاً . والله ـ تعالى ـ مغنٍ عباده بعضهم عن بعض ، لأن الحوائج على الحقيقة لاتكون إلا إليه . فالمخلوق لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً فكيف يملك ذلك لغيره ؟

وقيل : إن المغنى هو الذى يعطى الغنى والكفاية لمن شاء من عباده على وفق مااقتضت حكمته وسبقت مشيئته . .

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠ ﴾ (١٠٠٦)

فالحق ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى أفاض الغنى على العباد وسهل لهم المراد ، وما من غنى فى الوجود الا وهو من جناب الحق ممدود ، وهو المغنى لأوليائه بإرشادهم إلى الهدى ، والمغنى لأهل الكون بتسهيل أرزاقهم باقتداره ، وهو المغنى لكل حقيقة بمدد على قدرها ، لأنه هو الخبير بسرها وجهرها . (١٠٠٧)

كيف يتأدب المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إذا عرف المؤمن أن الله هو المغنى ، ولامغنى سواه ، استغنى بالاعتماد عليه ، وسار مقتدياً بنبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى قال له ربه

« ووجدك عائلا فأغنى »

والمؤمن الحق لاينبغى أن يكون قصارى جهده طلب المال أو الثروة حين يطلب من الله الغنى ـ فليس المال هو كل شىء ، ولكن الغنى يتم من الله

(١٠٠٦) طه ٥٠

(١٠٠٧) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ ١ صـ ٤١٩

بوسائل كثيرة ـ أهمها القناعة ، ومن رزق القناعة فقد رزق الغنى كله .

والأثر الشريف يقول « خير الغنى القناعة »

وكم من غنى فقير ، وكم من فقير غنى .

وفقر الغَنِيِّ يظهر فى شرهه وطمعه وتطلعه الدائم للدنيا .

وقد نبه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض حديثه الى هذا الداء فقال : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى ثالثا ولايملأ عين ابن آدم الا التراب »

المؤمن الحق يطلب الرضا من الله ـ تعالى ـ وإذا رزقه الله الرضا فقد رزقه الحياة الطيبة . . قال تعالى

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (١٠٠٨)

الدعاء فى ظل هذا الاسم

قال العلماء : إن المداومة على ذكر هذا الاسم تحول دون افتقار العبد إلا الى الله .

وهناك أدعية مأثورة فى ظل هذا الاسم منها :

« اللهم ياغنى ياحميد ، يا مبدىء يامعيد . يا رحيم ياودود ، يافعا لا لما يريد اكفنى بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك وأغننى بفضلك عمن سواك »

ومن الابتهالات فى ظل اسم الله ـ الغنى :

(١٠٠٨) النحل ٩٧

وما سـيد حقـا سوى اللـه إنـه   له الحكم فى الدنيا ، له الحكم فى الأخرى
غنـى على الاطـلاق عن كـل كـائن   وكل لـه بالفقـر قد أحرز الفخـرا
هم الكـل مقهورون من تحت حكمه   ولن يقـدروا أن يدفعوا عنهم القهـرا

ومن الدعاء الوارد فى ذلك أيضاً :

« يا ألله ياعظيم ياعلى ياكبير ، نسألك الغنى بك ، حتى لانشهد إلا إياك ، والطف بنا لطفاً علمته يصلح لمن والاك ، واكسنا جلابيب العصمة من الأخطاء والزلات ، واجعلنا عبيدا لك فى جميع الحالات ، وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين فى المحيا والمات »

« إلهى كيف يُرْجى سواك وأنت ماقطعت عادة الإحسان ؟

وكيف يُطلب من غيرك وأنت مابدلت عادة الامتنان ؟

أنت البادىء بالإحسان من قبل توجه العابدين ، وأنت الجواد بالعطايا من قبل طلب الطالبين »

قال الشاعر أحمد مخيمر فى الاسمين : الغنى المغنى :

أنت الغـنى الـذى مـدت خزائنـه   لطـالبى الـرزق لم تنقص ولم تـزد
وكل من هو محتاج يُمَدُّ بمفتاح الدعاء لباب الواحد الصمد
تعطـى بغير حسـاب كل مغترف   بالجـود ، متكـل بالحق معتمـد
وحـين عن غـيره تغنيـه ، تجعـله   لجـود ذاتـك محتاجـا الى الأبـد[١٠٠٩]

وفى منظومة أسماء الله الحسنى فى أسماء الجامع والغنى والمغنى :

وياجـامع اجمعنـا دوامـاً لحضـرتك   غـنى فجـد لى بالغـنى والمـبرة
ويامغنـى امـلأ القـلوب قناعـة   ويا معطـى أعط من الوهـب حاجـتى

(١٠٠٩) أسماء الله الحسنى ـ لأحمد مخيمر ١١٣

المـانع

من أسماء الله ـ تعالى ـ «المانع» وهو من الأسماء التى لم ترد بلفظها فى القرآن الكريم ، ولكنه ورد فى سلسلة الأسماء التى جاءت فى الحديث الشريف ، ورقم هذا الاسم فى هذه السلسلة ـ التسعون .

وجاء فى لسان العرب فى تفسير هذا الاسم مايلى :

المانع من صفات الله ـ تعالى له معنيان :

أحدهما ماروى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « اللهم لامانع لما أعطيت ، ولامعطى لما منعت » فكأنه ـ عز وجل ـ يعطى من استحق العطاء ويمنع من يستحق المنع ، ويعطى من يشاء ويمنع من يشاء ، وهو العادل فى جميع ذلك .

والمعنى الثانى أنه تبارك وتعالى يمنع أهل دينه من أعدائهم ـ أى يحوطهم وينصرهم .

ومن هذا يقال : فلان فى مَنَعةٍ ، أى فى قوم يحمونه ويمنعونه ، وهذا المعنى فى صفة الله ـ جل جلاله ـ بالغ ، إذ لامنعة لمن لم يمنعه الله ، ولا يمتنع من لم يكن الله له مانعا .

وفى الحديث الشريف : « اللهم من منعت ممنوع » أى من حرمته محروم لايعطيه أحد غيرك »(١٠١٠)

وقال بعض العلماء : المانع هو الذى يدفع أسباب الهلاك والنقص فى الدين والبدن فيخلق الأسباب التى تحفظ من الهلاك والنقصان . وهو الذى

(١٠١٠) لسان العرب مادة منع

يوجد بعض الممكنات ، ويمنع وجود البعض ، ويعطى كل شيء ماهو فى مصلحته ويمنع ماهو سبب فساده ، سبحانه يغنى ويفقر ، ويسعد ويشقى ، ويعطى ويحرم ، ويمنح ويمنع ، فهو المعطى والمانع .(١٠١١)

والمانع هو الحامى والمنجى والناصر . . . . وإذا وصف به العبد فيمكن أن يكون مدحاً أو ذما أو تحقيراً .(١٠١٢)

وهذا الاسم الشريف وان لم يرد بلفظه فى القرآن الكريم ، فقد ورد مايفيده ويؤدى معناه . . . فكثير من آيات القرآن تدل على حماية الله ونصرته لأوليائه وخذلانه لأعدائه . . . فمن ذلك قوله ـ تعالى ـ

﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (١٠١٣)

وقوله ـ تعالى

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ (١٠١٤)

(١٠١١) فى ملكوت الله مع أسماء الله صـ١١٢

(١٠١٢) أسماء الله لأحمد عبد الجواد صـ٢١٣

(١٠١٣) الأنبياء ٤٣

(١٠١٤) الحشر ٢

وإذا كانت اللغة تقول : إن المنع ضد الإعطاء ، فإنه يأتى أيضاً بمعنى الحماية ، ولذلك يقولون : هذا حصن منيع » . . فالله تعالى ـ هو المانع ـ أى الحامى والحافظ . وان كان ـ المانع ـ مأخوذاً من المعنى الذى هو ضد الإعطاء ، فإن الله مانع الإعطاء عمن يشاء ومعطيه لمن يشاء ـ على حسب ماتقتضيه الحكم العالية التى تحسن وضع الأمور فى نصابها .

وقد حضنا الله ـ سبحانه ـ على منع السفهاء من التصرف والولاية فقال لنا :

﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥ ﴾ (١٠١٥)

وقال العلماء : الله المانع الذى يمنع البلاء حفظاً وعناية ، ويمنع العطاء عمن يشاء ابتلاء أو حماية .

قال ابن الأثير فى النهاية : معنى المانع أنه يدفع عن أهل طاعته ويحوطهم وينصرهم ، وهو الذى يمنع من يريد من خلقه مايريد ويعطيه مايريد .

ويرى الامام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ أن المنع يرد بمعنى الحفظ ، وقد سبق معنى الحفيظ ، وكل حفظ فمن ضرورة منع ودفع ، فمن فهم معنى الحفيظ فهم معنى المانع ، فالمنع إضافة إلى السبب المهلك ، والحفظ إضافة الى المحروس من الهلاك ، وهو مقصود المنع وغايته إذا كان المنع يراد للحفظ . . . فكل حافظ دافع مانع ، وليس كل مانع حافظاً إلا إذا كان

(١٠١٥) النساء ٥

مانعا مطلقا لجميع أسباب الهلاك والنقص ، حتى يحصل الحفظ من ضرورته(١٠١٦)

كيف يتأدب المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

حظ المؤمن من هذا الاسم أن يمنع نفسه ـ بتكرار الدعاء به ـ من أسباب الهلاك ، وفى مقدمة ذلك الشهوة التى توروده موارد التهلكة .

والنفس من طبيعتها الميل مع الهوى ، والاسترسال مع اللذات حتى لتنسى بسبب ذلك ماهو مفروض عليها من واجبات . وقد قال البوصيرى فى ذلك :

والنفس كالطفل أن تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

وقد أخذ شوقى هذا المعنى وصاغه فى أسلوب جديد فقال :

والنفس من خيرها فى خير عاقبة والنفس من شرها فى مرتع وخم

ومنع النفس عن شهواتها يعنى تهذيبها بالمجاهدة التى وضع قواعدها الدين الحنيف ، وأشار اليها العلماء المعنيون بتربية النفوس وتهذيب السلوك .

إن أصل كل معصية ـ كما يقول بعض العلماء . هو الرضا عن النفس وإطاعتها فى ماكل تأمر به، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها ، والوقوف ضد أهوائها . . . ذلك أن الرضا هو الذى يعمى العين عن رؤية المساوىء ، وقد قال الشاعر الحكيم :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

(١٠١٦) انظر هامش أسماء الله لأحمد مخيمر صـ ١١٥

وقد قاوم كل الصالحين نفوسهم فوصلوا إلى ما وصلوا إليه من مقامات عليا ، وأمدهم الله بنوره وأطلعهم على كثير من أسراره .

وإذا كان يوسف ـ عليه السلام ـ قال ـ فى رأى بعض أهل التفسير ـ : ماذكره لنا القرآن الكريم فى قوله :

« وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى » وهو نبى فما بالكم بغيره من البشر العاديين ؟

ويقول بعض العلماء : إن من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ، ولم يخالفها فى جميع الأحوال ، ولم يجبرها إلى مكروهها ـ ولم يمنعها لذاتها ـ فى سائر أيامه كان مغروراً ، ومن نظر إليها باستحسان شىء منها فقد أهلكها .

وقال أبو سليمان الدارانى : مارضيت عن نفسى طرفة عين .

وكان الجنيد ـ رحمه الله ـ يقول ـ لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها لك فى طاعة ربك . .

ومما يتعلمه المؤمن من هذا الاسم أن الله إذا منع إنما يمنع لحكمة ، ومنعه فى حقيقة الأمر هو عين العطاء . فإن الله يحمى المؤمن من الدنيا بمنعها عنه حتى لا يقع فى حبائلها . وفى الحديث الشريف « إذا أحب الله عبدا حماه من الدنيا كما يحمى أحدكم سقيمه مما يضره »[١٠١٧]

فلا يجزع المؤمن إذا زويت عنه الدنيا أو منعت عنه ، فإنما ذلك رحمة من الله به .

وليعلم أن العطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله ـ إذا رضى به المؤمن

(١٠١٧) رواه الترمذى والحاكم والبيهقى عن قتادة بن النعمان ـ رضى الله عنه ـ

وصبر عليه ـ فضل وإحسان .

وليس أجمل من الزهد فى الدنيا مع القدرة على التمتع بلذاتها ، كما كان يفعل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وعلى المؤمن ألا يمنع الخير عن مستحق مادام قادرا على ذلك .

الدعاء فى ظل هذا الاسم

يقال إن قراءة هذا الاسم وتكراره يذهب الجفوة بين الناس . ومن الأدعية الواردة فى ذلك .

« إلهى أنت المانع ، ومنعك عند الصالحين عطاء ، وأنت المعطى وعطاؤك للذاكرين نعم العطاء .

اكشف عن قلوبنا حجاب الغفلة حتى نعرف الحق ونتبعه ونداوم عليه . . وأعنا على أنفسنا حتى نمنعها من الحظوظ والشهوات ، وأعنا على المخالفين حتى نمنعهم من المنكرات ، إنك على كل شىء قدير . . »

ومن حكم ابن عطاء الله فى معنى المنع والعطاء :

« متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره ، وهو فى كل ذلك رحيم عليك لطيف بك .

« إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه . .

وما أجمل قول الشاعر الحكيم :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وقال بعض الصالحين : لا يكمل حال المؤمن حتى يكون نظره إلى الله فى المنع أفضل من نظره إليه فى العطاء ، وعلامة صدقه فى ذلك أن يرضى بالمنع كما يرضى بالعطاء .

الضـــارُّ

معنى هذا الاسم ـ فيما يذكر العلماء ـ أنه المقدر الضر والشر لمن أراد ـ كيفما أراد ـ يفقر ويمرض ، ويشقى ويحرم ، على مقتضى حكمته ومشيئته ، فهو المقدر كل شيء ، وهو وحده المسخر لأسباب الشر والضر ، إما بلاء لتكفير الذنوب ، أو ابتلاء لرفع الدرجات .

ويأتى هذا الاسم مقرونا بالنافع فى كثير من الأحوال . والضر ضد النفع ، وهو بفتح الضاد وضمها ، وقيل : إن الضر ـ بفتح الضاد هو مصدر الفعل ، أما الاسم فهو بضم الضاد ، والمضرة ضد المنفعة .

وتقدير الضر من الله لعبد من عباده إنما يكون وفق حكمة عليا ، فهو الحكيم العليم .

ولابد لنظام الكون من أن يكون هناك الضر والنفع . . وكمال الابداع يقتضى وجود التضاد ، وبضدها تتميز الأشياء .

ولم يرد اسم الضار فى القرآن الكريم بلفظه ، ولكنه ورد فى سلسلة الاسماء التى جاء بها الحديث الشريف ورقمه الحادى والتسعون .

وقد ورد فى القرآن ما يؤدى معناه . من ذلك قوله ـ تعالى ـ

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١٠١٨)

(١٠١٨) الحديد ٢٢ ، ٢٣

وقال ابن الأثير : الضار هو الذى يضر من يشاء من خلقه ، حيث هو خالق الأشياء كلها خيرها وشرها ونافعها وضارها . .

ولكن الأدب يقتضينا ألا ننسب الضر إلى الله . وإن كان بتقديره . . وذلك اقتداء بأبينا إبراهيم عليه السلام ـ الذى يقول :

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ (١٠١٩)

أسند المرض الى نفسه ، وأسند الشفاء إلى الله ـ تعالى ـ

والله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ (١٠٢٠)

ومعنى ذلك فيما يقوله القرطبى : ما أصابك من خصب ورخاء وصحة وسلامة فبفضل الله عليك وإحسانه إليك ، وما أصابك من جدب وشدة فبذنب أتيته وعوقبت عليه . وإن كان الخطاب للنبى ـ ﷺ ـ إلا أن المراد منه أمته ، أى ما أصابكم يا معشر الناس من خصب واتساع رزق فمن تفضل الله عليكم ، وما أصابكم من جدب وضيق رزق فمن أنفسكم ، أى من أجل ذنوبكم وقع ذلك بكم . (١٠٢١)

والله جل وعلا هو الذى يقول

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (١٠٢٢)

(١٠١٩) الشعراء ٨٠

(١٠٢٠) النساء ٧٩

(١٠٢١ : تفسير القرطبى جـ ٥ صـ ٢٨٥ ـ سورة النساء الآية رقم ٧٩

(١٠٢٢) الأنبياء ٣٥

أى من أجل اختباركم . فمن أوتى الخير وشكر فقد نجح ، ومن ابتلى بالشر وصبر فقد نجح أيضا .

وقال الإمام الغزالي - رضى الله عنه - : إن الضار والنافع هو الذى يصدر منه الخير والشر والنفع والضر ، وكل ذلك منسوب الى الله - تعالى - إما بواسطة أو بغير واسطة ، فلا تظن أن السم يقتل ويضر بنفسه ، وأن الطعام يشبع وينفع بنفسة ، وأن الملك والإنسان والشيطان أو أى شيء من المخلوقات من فلك أو كوكب أو غيرهما - يقدر على خير أو شر أو نفع أو ضر بنفسه ، بل كل ذلك أسباب مسخرة لا يصدر عنها إلا ما سخر له .

ومن الآيات التى ورد فيها ما يفيد أن الضر بيد الله - تعالى - قوله - جل شأنه -

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ (١٠٢٣)

وقوله - تعالى -

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩﴾ (١٠٢٤)

(١٠٢٣) الأعراف ١٨٨

(١٠٢٤) يونس ٤٩

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (١٠٢٥)

ولكن الله ـ جلت قدرته ـ حين يبتلى بالضر يريد أن يدرب عبده على الصبر ، أو يريد أن يكفر عنه ذنبا من الذنوب ، أو يكون ذلك مؤاخذة له بسبب تقصير منه ـ مصداقا لقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (١٠٢٦)

والمؤاخذة فى الدنيا رحمة ، وهى لطف من الله ـ تعالى ـ بعبده . . . . وقد عبر عن ذلك ابن عطاء الله السكندرى حيث قال : « ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه هو المبلى لك » فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك حسن الاختيار .

« ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره »

فالله ـ سبحانه ـ لا يقصد ألم عبده إلا لمصلحة له ـ فضلا منه ومنّة ، لا أنه يجب عليه ذلك . ألم يقل لحبيبه ـ ﷺ ـ

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ ﴾ (١٠٢٧)

وقد عودك الله ما تحب فاصبر على ما يحب .

(١٠٢٥) النحل ٥٣

(١٠٢٦) الشورى ٣٠

(١٠٢٧) الطور ٤٨

كيف يتأدب المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

هذا الاسم يعلمنا مايجب علينا نحو مانلقاه من بلاء وضر فى حياتنا ، فالمؤمن الحق هو الذى يصبر عند البلاء ، وقد بشر الله الصابرين بحسن الثواب قال - تعالى -

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (١٠٢٨)

وقد أثنى الله على عبده أيوب - عليه السلام - لشدة صبره - فقال فى حقه :

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١٠٢٩)

فعلى الانسان أن يصبر على مايصيبه من سوء فقد يكون ذلك تكفيراً لسيئة اقترفها أو ابتلاء يرفع الله به درجته .

ورد أن الصديق - رضى الله عنه - قال : لما نزل قوله - تعالى - « من يعمل سوءاً يجز به »

جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت : يارسول الله ، كيف الحال بعد هذه الآية ؟

فقال - صلى الله عليه وسلم - : « يغفر الله لك ياأبا بكر ، ألست

(١٠٢٨) الزمر ١٠

(١٠٢٩) ص ٤٤

تمرض ؟ أليس يصيبك الهم ؟ ألست ينالك الأذى ؟ ألست تصيبك المصائب ؟ »

قلت : بلى

قال : « ذلك مما يجزى به العبد »(١٠٣٠)

كما يجب على المؤمن إذا أتاه الله قوة ومنعة أن يستعمل ذلك فى زجر أعداء الله وقمعهم ، فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

وقد جرت عادة العدو أن يستهين بحرمات الله ، ويستحل الإغارة على عباد الله المسالمين ، ومثل هؤلاء لاينبغى مقابلتهم بالعفو والتسامح ، بل بالمجاهدة والقوة ـ مصداقاً لقوله ـ تعالى ـ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣ ﴾(١٠٣١)

الدعاء فى ظل هذا الاسم

علمنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن نلجأ إليه ليكشف عنا الضر ، فقال ـ تعالى ـ

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ﴾(١٠٣٢)

(١٠٣٠) فى ملكوت الله صـ١١٣
(١٠٣١) التوبة ١٢٣
(١٠٣٢) النحل ٥٣

فواجبنا أن ندعو الله ـ طالبين أن يكشف عنا السوء ، وينجينا من الغم .

ومن الدعاء الوارد فى ذلك . « اللهم رَضِّنا بقضائك ، وصبرنا على طاعتك وعن معصيتك ، وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك ، وهب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لانخاف غيرك ، ولانرجو غيرك ، ولانعبد شيئاً سواك . . .

« ولقد شكا إليك يعقوب فخلصته من حزنه ورددت عليه ماذهب من بصره وجمعت بينه وبين ولده ، ولقد ناداك نوح من قبل فنجيته من كربه ، ولقد ناداك أيوب من بعد فكشفت ما به من ضر ، ولقد ناداك يونس فنجيته من غمه ، ولقد ناداك زكريا فوهبت له ولداً من صلبه بعد يأس أهله وكبر سنه ، ولقد علمت مانزل بإبراهيم فأنقذته من نار عدوه ، وأنجيت لوطاً وأهله من العذاب النازل بقومه ، وهأنذا عبدك ـ إن تعذبنى بجميع ماعلمت من عذابك فأنا حقيق به ، وإن ترحمنى كما رحمتهم مع عظيم إجرامى فأنت أولى بذلك وأكرم . . . . وليس كرمك مخصوصا بمن أطاعك وأقبل عليك ، بل هو مبذول لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك . . .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وهذه أدعية دعا بها الأنبياء الكرام فى ضيقهم ففرج الله بها كربهم .

قال يونس ـ عليه السلام ـ وهو فى بطن الحوت

« لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين »

فقال ـ تعالى ـ جوابا له

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ٨٨ ﴾ (١٠٣٣)

وقال أيوب ـ عليه السلام ـ وقد مسه الضر : « رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » فقال الله تعالى ـ

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ٨٤ ﴾ (١٠٣٤)

وقال زكريا

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٨٩ ﴾

فقال الله تعالى :

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ (١٠٣٥)

(١٠٣٣) الأنبياء ٨٧ ، ٨٨
(١٠٣٤) الأنبياء ٨٣ ، ٨٤
(١٠٣٥) الأنبياء ٨٩ ، ٩٠

وقال مؤمن آل فرعون حين هدده فرعون وشيعته : « وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد » فقال الله ـ تعالى ـ :

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ (١٠٣٦)

وتضرع المؤمنون إلى الله بالدعاء حين جمع لهم الأعداء الجموع فقالوا : « حسبنا الله ونعم الوكيل » فقال الله لهم :

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ (١٠٣٧)

(١٠٣٦) غافر ٤٤ ، ٤٥

(١٠٣٧) آل عمران ١٧٣ ، ١٧٤

النـــــافع

قال ابن منظور : فى أسماء الله تعالى « النافع » : أى الذى يوصل النفع الى من يشاء من خلقه ، حيث هو خالق النفع والضر ، والخير والشر .

والنفع ضد الضر ، تقول : نفعه نفعاً ومنفعة .

وقال العلماء : النافع هو الذى يصدر منه الخير والنفع فى الدنيا والدين ، ـ سبحانه ـ هو وحده مانح الصحة والغنى ، والسعادة والجاه ، والهداية والتقوى .

ولم يرد هذا الاسم بلفظه فى القرآن الكريم ولكنه ورد فى سلسلة الأسماء التى جاء بها الحديث الشريف ، ورقم هذا الاسم فى هذه السلسلة هو الثانى والتسعون .

وقد وردت فى القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى أن الله وحده هو الذى يضر وينفع ، وأن الضر والنفع بيد الله وحده لاشريك له .

من ذلك قوله ـ تعالى ـ

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦﴾ (١٠٣٨)

فمفهوم هذه الآية أن يدعو الانسان الذى ينفع ويضر وهو الله ـ تعالى ـ

وقد جاء بعد هذه الآية قوله ـ تعالى ـ

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ

(١٠٣٨) يونس ١٠٦

لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ (١٠٣٩)

فاذا كان الله هو الذى يمس بالضر ، وهو وحده الذى يكشفه فهو إذاً الذى يحقق النفع ولايأتى به إلا هو ، وهذا مايفهم من بقية الآية فى قوله :

« وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم »

وعن طريق الاستفهام التوبيخى كان قول إبراهيم ـ عليه السلام لقومه ـ فيما حكاه القرآن الكريم ـ

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ (١٠٤٠)

وكأنه يقول لهم : اعبدوا من ينفع ويضر ، فهو الأحق بالعبادة ، وذلك هو الله العلى العظيم .

وهناك آيات كثيرة تشير إلى هذا المعنى .

ويقول بعض العلماء فى الاسمين الضار والنافع : إنهما اسمان من أسماء الله ـ تعالى ـ وفى معناهما إشارة إلى التوحيد ، لأن معناهما أنه لايصيب عبداً ضر ولانفع ولا خير ولاشر إلا بمشيئته ـ تعالى ـ وإرادته وقضائه وقدره ، فمن رضى بحكم الله وقضائه عاش فى راحة ، ومن أباه وقع فى كل آفة .

(١٠٣٩) يونس ١٠٧
(١٠٤٠) الأنبياء ٦٦ ، ٦٧

قيل : إن أول ماكتب الله ـ عز وجل ـ فى اللوح المحفوظ : أنا الله لاإله أنا ، فمن لم يرض بقضائى ، ولم يصبر على بلائى ، ولم يشكر على نعمائى فليطلب ربا سواى .

وقال الامام الرازى فيما يرويه من كلام الشيوخ حول معنى الضار والنافع :

● الضار الذى يضر الكافرين بما أعده لهم من شديد عقابه ، والنافع الذى ينفع الطائعين بما أعده لهم من النعيم .

ومظاهر النفع فى الحياة كثيرة أشار إليها الحق ـ سبحانه ـ فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ (١٠٤١)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١٠٤٢)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١٠٤٣)

(١٠٤١) النحل ٥

(١٠٤٢) الحديد ٢٥

(١٠٤٣) الحج ٢٨

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ (١٠٤٤)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (١٠٤٥)

وقوله ـ تعالى ـ

﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١٠٤٦)

فهذه الآيات وغيرها تشير إلى وجوه النعم التى أفاءها الله على عباده ـ والتى ينتفعون بها فى حياتهم . وقد سخر الله الكون كله لنفع الانسان ـ من سماء وأرض ، وبر وبحر ، ورياح وهواء ، وكواكب مختلفة ، وجبال شاهقة ، وسحب وأمطار وأنهار ، وفلك وأنعام ، حتى الملائكة التى تسبح بحمد الله ، جعلها الله لنفع الإنسان . . . . فقد ذكر الله فى كتابه أنه جعل الملائكة حفظة على الانسان ـ قال تعالى :

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ (١٠٤٧)

(١٠٤٤) يس ٧٣

(١٠٤٥) غافر ٨٠

(١٠٤٦) الحج ٣٣

(١٠٤٧) الرعد ١١

وقال

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (١٠٤٨)

بل إن من أجلّ وجوه النفع أن تستغفر الملائكة للانسان ، قال ـ تعالى ـ

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (١٠٤٩)

وقال ـ تعالى ـ

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (١٠٥٠)

فهل هناك نفع أجل أو أعم أو أعظم من هذا ؟

(١٠٤٧) الأنعام ٦١
(١٠٤٩) سورة غافر ٧ : ٩
(١٠٥٠) الشورى ٤ ، ٥

ثم إنك إذا تركت الكون الواسع الذى سخره الله كله لمنافعك ، ونظرت إلى نفسك ممعنا النظر فى كل جارحة من جوارحك التى خلقها الله لك . . فهل تستطيع أن تدرك نفع كل جارحة منها ؟

هل تستطيع أن تدرك نفع العين والأذن ؟ . . . . . .

هل تستطيع أن تعرف قيمة الأنف واللسان ؟ . . . .

هل تستطيع أن تتبين قيمة اليد والقدم ؟ . . . .

هل يمكنك أن تحيط بفائدة العقل والقلب ؟

وهل استطعت أن تمعن الفكر فيما وهبه الله لك من أجهزة الدم والأعصاب ، أو أجهزة التنفس والإدراك ، أو أجهزة الهضم والتناسل ، أو غير ذلك مما جعله الله فى خدمة الجسم ليقوم بمختلف الوظائف الحسية والمعنوية ؟ أليس فى كل ذلك منافع أعطاها الله لك لتقول له : شكراً لك يارب ، وحمداً على آلائك ونعمائك ؟

لقد لفت الله أنظارنا لهذا الواجب فقال لنا حاثاً على التفكر والتدبر :

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) ﴾ (١٠٥١)

وبين لنا مافى هذه الجوارح من منافع تستوجب الإقرار لله بالوحدانية ، فنعى على الكفار الذين يشركون بالله آلهة صنعوها بأيديهم . . قال :

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ (١٩٥) ﴾ (١٠٥٢)

(١٠٥١) الذاريات ٢٠ ، ٢١

(١٠٥٢) الأعراف ١٩٥

كيف يتأدب المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إذا عرف المؤمن أن الله هو النافع الذى لاشريك له ، كان اعتماده كله عليه ، وكان شكره الدائم له على أن أتاح له كل هذه المنافع الجزيلة التى يموج بها هذا الكون من حوله ، والتى هى فى متناول يده .

انظر كيف نعى الله على هؤلاء القوم الذين يعبدون من دون الله مالايضر ولاينفع ، لأن الذى فقد القدرة على النفع والضر عاجز - لاينبغى أن يلجأ إليه العبد فى استجلاب نفع أو دفع ضر . . .

أما الذى يجب أن يتفرد بالألوهية فهو الإله القادر الواحد الأحد النافع الضار .

وليجتهد الإنسان فى أن يكون إنسانا نافعا فى محيطه ، لايبخل بمجهوده الذى منحه الله إياه فى سبيل تقديم النفع لغيره ماوسعه لذلك جهد ، وتقديم النفع للغير نعمة أخرى يمن الله بها على من يشاء ، فقد ورد فى الأثر الكريم « خطوة فى قضاء مصلحة أخيك قضيت أم لم تقض أفضل عند الله من اعتكاف فى مسجدى هذا »[١٠٥٣]

حكى أن موسى - عليه السلام - شكا إلى الله - تعالى - من ألم فى ضرسه ، فأوحى الله - تعالى - إليه : خذ من العشب الفلانى وضعه على ضرسك ، فأخذه ووضعه على ضرسه ، فسكن الألم فى الحال .

ثم عاوده الألم بعد مدة ، فأخذ العشب ووضعه على ضرسه ، فازداد الألم . فقال : إلهى ، ألست أمرتنى بهذا ودللتنى عليه ؟

(١٠٥٣) ملكوت الله مع أسماء الله صـ ١١٤

فأوحى الله اليه : ياموسى ، أنا الشافى ، وأنا المعافى ، وأنا الضار ، وأنا النافع ، قصدتنى فى المرة الأولى فأزلت مرضك ، والآن قصدت العشب وما قصدتنى .

تأمل ذلك ليكون مقصدك فى طلبك ربك القادر الذى بيده الضر والنفع فهو وحده خير مسئول وبيده وحده مفاتيح القبول .

الذكر والدعاء فى ظل هذا الاسم

إن تكرار اسم الله النافع يترك أثره فى عافية البدن وتيسير المطالب . . . . . ومن الأدعية التى وردت فى ذلك .

« الهى أنت النافع لجميع العوالم ، وأنت بالجميع راحم . أسألك أن تشهدنى نور اسمك النافع ، فلا أركن إلى غيرك ياولىُّ ياواسع ، واجعلنى نافعاً لجميع عبادك ، راضياً عن جميع مرادك إنك على كل شىء قدير . . »(١٠٥٤)

وقال الشاعر أحمد مخيمر مناجيا ربه فى ظل الاسمين : الضار النافع -

النفع والضر منك أنت فما يضر شىء سواك أو ينفع
والضر نفع ، وكيف يفهم ذا من ليس يدرى الطريق أو يتبع
ومطلق الخير أنت ، لست أرى فى الكون شراً يرى ، ولا أسمع(١٠٥٥)

وقال بعض الصالحين :

(١٠٥٤) أسماء الله الحسنى د . أحمد الشرباصى جـ ١ صـ ٤٢٧
(١٠٥٥) أسماء الله لأحمد مخيمر صـ ١١٧ - وما بين القوسين وضعناه بدل عبارة غير واضحة المعنى

إذا كـان إضراري وضري بمؤنسي   فلا زال ضري مؤنسي ومصاحبي
لقد أنست نفسي بـه حين جاءني   فلله من خـلٍّ وفيٍّ وصـاحب

إنه يأنس بالضر لأنه جاءه من الله ، وهذا أقصى درجات الحب .

ويقول أيضاً :

إني انتفعت بمن تـأتي منـاشحه   فقراً إليَّ بـه ، والنـافع اللـه
لـولاً وجودي ولـولا سر حكمتـه   ما قـلت في كل شيء جـاءني : ماهـو؟

وقال آخر :

وَهَـوِّن وقـع الضـرِّ علـمي محققـاً   بـأنكِ أنـت المبتـلى والمقـدر

(١٠٥٦) المرجع السابق (هامش)

اسماء الله الحسنى

النور
الهادى
الباقى
الوارث
الرشيد
الصبور

النــور

ورد اسم النور فى قوله - تعالى -

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) ﴾ (١٠٥٧)

قال ابن الأثير فى معنى « النور » هو الذى يبصر بنوره ذو العماية ، ويرشد بهداه ذو الغواية .

وقيل : هو الظاهر الذى به كل الظهور ، والظاهر فى نفسه المظهر لغيره يسمى نورا .

وقال أبو منصور : والنور من صفات الله - عز وجل - فى قوله - تعالى -

« الله نور السموات والأرض »

أى الهادى أهل السموات والأرض .

وقد مثل نور هداه فى قلب المؤمن كمشكاة فيها مصباح .

والنور هو الضياء ، وهو ضد الظلمة .

هذا ما جاء فى كتب اللغة ، وعلى ضوئه سار أهل التفسير وغيرهم من العلماء .

فالإمام القرطبى يقول : النور فى كلام العرب : الأضواء المدركة

(١٠٥٧) النور ٣٥

بالبصر ، واستعمل مجازا فيما صح من المعانى ولاح ، فيقال منه : كلام له نور ، ومنه الكتاب المنير . . . . . فيجوز أن يقال : الله ـ تعالى ـ نور من جهة المدح لأنه أوجد الأشياء ، ونور جميع الأشياء منه ابتداؤها ، وعنه صدورها ، وهو ـ سبحانه ـ ليس من الأضواء المدركة ـ جل وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ـ .

كان النبى ـ ﷺ ـ إذا قام من الليل يتهجد يقول : « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض »

وقال ـ حين سئل هل رأيت ربك ؟ ـ : « رأيت نوراً »

وأضاف القرطبى قائلا : اختلف العلماء فى تأويل هذه الآية .

فقال بعضهم : المعنى أن به وبقدرته ظهرت أضواؤها واستقامت أمورها ، وقامت مصنوعاتها ، فالكلام على التقريب للذهن ، كما يقال : الملك نور أهل البلد ، أى به قوام أمرها ، وصلاح جملتها ، لجريان أموره على سنن السداد . . . . . فهو فى الملك من البشر تجوز وهو فى صفة الله حقيقة ؛ إذ هو الذى أبدع الموجودات وخلق العقل نوراً هادياً ، لأن ظهور الموجود به حصل ، كما حصل بالضوء ظهور المبصرات . تبارك الله ـ تعالى ـ لا رب غيره .

وقال ابن عرفة : معناه أنه منور السموات والأرض . كما يقال : فلان غياثنا أى مغيثنا . وفلان زادى أى مزوِّدى ، على نحو ما قال القائل : وأنت لنا نور وغيث وعصمة . .

وقال مجاهد : معناه مدبر الأمور فى السموات والأرض وقال أبو العالية : مزيِّن السموات بالشمس والقمر والنجوم ، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين .

وقال ابن عباس وأنس ـ : معناه أن الله هادى السموات والأرض .
ولكن القرطبى علق على هذه المعانى قائلا : والأول أعم وأجمع للمعانى . .
أما كلمة نوره فى قوله ـ تعالى ـ « مثل نوره » فهى تعنى صفة دلائله التى يقذفها فى قلب المؤمن .(١٠٥٨)

وقال بعض العلماء : النور هو الظاهر فى نفسه بوجوده الذى لا يقبل العدم ، المظهر لغيره بإخراجه من ظلمة العدم إلى نور الموجود ، فوجوده ـ سبحانه ـ نور فائض على الأشياء كلها ، وهو الذى مد جميع المخلوقات بالأنوار الحسية والمعنوية ، فهو نور كل ظلمة ومظهر كل خفاء ، وهو نور السموات والأرض ، ومضىء الأكوان بالشموس والنجوم والأقمار ، وهو الذى أنار قلوب الذاكرين بضياء ذكره ، وأحيا نفوس الصادقين بنور معرفته »(١٠٥٩)

سبحانه ، لا تدركه الأبصار حتى يوصف . وإنما عرفه الخلق بالنور المنبث فى الوجود ، وعرفه الصالحون بنوره الذى يقذفه فى قلوبهم ـ وإذا الأرواح عرجت إليه بإذنه زجت فى بحار من الأنوار ، فإذا كشف الحجاب لخواص عباده الذين أحبهم ودعاهم إليه رأوه بنوره نور ذاته بلا كيف ولا أين ، وإنماهم يناجون ربهم من وراء الحجب النورانية .(١٠٦٠)

ويقول الإمام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ : النور هو الظاهر الذى به كل ظهور ، فإن الظاهر فى نفسه المظهر لغيره يسمى نوراً ، ومهما قوبل الوجود بالعدم ، كان الظهور لا محالة للموجود ، ولا ظلام أظلم من العدم ،

(١٠٥٨) تفسير القرطبى حـ١٢ صـ٢٥٦ سورة النور
(١٠٥٩) فى ملكوت الله صـ١١٥
(١٠٦٠) اسماء الله لأحمد عبد الجواد صـ٢١٧

فالبرىء من ظلمة العدم ، بل عن إمكان العدم ، والمخرج كل الأشياء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود جدير بأن يسمى نورا . . . . فهو نور السموات والأرض .

وكما أنه لا ذرة من نور الشمس إلا وهى دالة على وجود الشمس المنورة ، فكذلك لا ذرة من موجودات السموات والأرض وما بينهما إلا وهى دالة على وجود موجدها .

ويقول البعض : النور هو الذى نور العوالم فأوجدها من العدم . . . وهو الذى نوَّر الوجود الظاهر بالشمس والكواكب ، ونور عالم الأرواح برسول الله - ﷺ - سيد الأوائل والأواخر ، ونوَّر القلوب بأنوار الكتب السماوية ، ونور الأولياء بأنوار التجليات الإلهية .

إنهم ينظرون فى هذا إلى وصف النبى - ﷺ - بالنور فى قوله - تعالى -

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾ (١٠٦١)

فكثير من العلماء يقولون : النور هو النبى ، والكتاب هو القرآن . . . . ووصف ما فى الكتب السماوية بالنور نجده فى قوله - تعالى - فى وصف التوراة :

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ

(١٠٦١) المائدة ١٥

لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا
عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا
قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١٠٦٢)

وفى وصف الانجيل : بقوله تعالى :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ
الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (١٠٦٣)

وفى وصف القرآن بقوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ
فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ
وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (١٠٦٤)

(١٠٦٢) المائدة ٤٤
(١٠٦٣) المائدة ٤٦
(١٠٦٤) الأعراف ١٥٧

والحق ـ سبحانه وتعالى ـ هو النور لأنه منور الآفاق بالنجوم والأنوار ، ومنور الأبدان بآثار العبادات ، ومنور القلوب بالدلائل والحجج ، فالطاعة زينة النفوس والأشباح ، والمعارف زينة القلوب والأرواح ، والله ـ عز وجل ـ يزيد قلب المؤمن نورا على نور ـ يؤيده بنور البرهان ، ثم يؤيده بنور العرفان ، قال ـ تعالى ـ

« نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء »

والله جل جلاله يهدى القلوب بنوره إلى محاسن الأخلاق ، حتى يؤثر العبد الحق ويدع الباطل .

لقد وردت كلمة النور فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة ـ جاءت مرادا بها الحق ـ سبحانه وتعالى ، ومرادا بها الرسول ـ ﷺ ـ ومرادا بها القرآن .

كما جاءت فى بعضها بمعنى الدين .... وذلك فى قوله تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١٠٦٥)

وفى قوله ـ تعالى ـ

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ (١٠٦٦)

(١٠٦٥) التوبة ٣٢

(١٠٦٦) البقرة ٢٥٧

كما جاءت مرادا بها النور الذى نراه فى الكون فى قوله ـ تعالى :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١ ﴾ (١٠٦٧)

وجاءت بمعنى نور البصيرة فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٨ ﴾ (١٠٦٨)

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

المؤمن الحق هو الذى يسعى لأن ينور قلبه بنور العلم والمعرفة ، ويفر من ظلمات الجهل والضلالة . وهو الذى يلجأ الى الله ليسعد بولايته ، فالله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، وعلى المؤمن إذا أنار الله بصيرته أن يسعى فى إنقاذ غيره من التردى فى عماية الضلال والشقاء . فكما سعد هو بنور العرفان فعليه أن يسعد غيره كذلك . ومن أجل ذلك كان الصحابة الأجلاء يعملون على نشر نور الله فى الآفاق ليسعدوا الناس بالدين كما سعدوا هم به ، واعتبروا أداء ذلك مسئولية دينية وأدبية يجب عليهم أداؤها .

وقد رفع الله شأن المؤمنين الذى أحياهم بالهداية والنور . قال تعالى :

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ

(١٠٦٧)الانعام ١

(١٠٦٨) الحديد ٢٨

فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ (١٠٦٩)

الدعاء فى ظل هذا الاسم

كان النبى - ﷺ - يدعو ربه قائلا « اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى لسانى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وعن يمينى نورا ، وعن يسارى نورا ، ومن فوقى نورا ، ومن تحتى نورا ، ومن أمامى نورا ، ومن خلفى نورا ، واجعل لى فى نفسى نورا وأعظم لى نورا »(١٠٧٠)

ومن منظومة أسماء الله الحسنى :

ويا نافع انفعنى بأهلى وحالتى ويا نور نور لى طريقى بوضحة

ومن الدعاء فى ظل اسم الله النور :

« اللهم إنى أسألك بنورك الأقدس ، وجمالك المقدس ، وباسمك الأسنى ، وأسمائك الحسنى ، نسألك أن تمدنا بفيض من اسم الذات ، الذى هو عماد الأسماء والآيات ، وأن تعرفنا أنفسنا ، وأن تهدينا هداية توصلنا بها إليك ، وتدلنا بها عليك ، يا ألله يا ألله يا ألله ، وأن تصرف وجوهنا عن كل مطلوب سواك ، وتمتعنا بالنظر الى وجهك الكريم ، وأن تستعملنا فيما تحبه وترضاه ، وأن تحفظنا من كل شيء نخافه ونخشاه بحق من أرسلته هاديا للبشر ، وشافعا فى المحشر ومن سار على منواله - ﷺ - ....

(١٠٦٩) الانعام ١٢٢

(١٠٧٠) رواه أحمد والبخاوى ومسلم عن ابن عباس - رضى الله عنهما -

الهـادى

الهادى اسم فاعل من الفعل « هدى » والمصدر من هذا الفعل هو الهداية والهُدى والهَدْى ـ ومعناه الرشاد والدلالة بلطف إلى مايوصل إلى المطلوب ، والإبانة . . . . والهُدَى ضد الضلال

جاء فى لسان العرب : من أسماء الله ـ تعالى ـ الهادى ، وهو الذى بَصَّر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته . . . . وهدى كل مخلوق إلى مالابد له منه فى بقائه ودوام وجوده .

وقد ورد اسم « الهادى » فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾(١٠٧١)

وفى قوله ـ تعالى ـ

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾(١٠٧٢)

والأفعال والمصادر التى تشير الى أن الله هادٍ ـ وردت كثيراً فى القرآن الكريم ـ منها قوله ـ تعالى ـ

« اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم »(١٠٧٣)

(١٠٧١) الحج ٥٤
(١٠٧٢) القرفان ٢١
(١٠٧٣) الفاتحة ٦ ، ٧

وقوله - تعالى -

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ (١٠٧٤)

وقوله - تعالى -

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ (★)

وقوله - تعالى -

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (١٠٧٥)

(١٠٧٤) البقرة ١٤٣
(★) البقرة ٢١٣
(١٠٧٥) النحل ٣٦

وقوله - تعالى -

﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾(١٠٧٦)

وقوله - تعالى -

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩ ﴾(١٠٧٧)

وقوله تعالى -

﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧١ ﴾(١٠٧٨)

وقوله - تعالى -

﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧ ﴾(١٠٧٩)

وغير ذلك من الآيات الواردة فى مختلف سور القرآن الكريم .

(١٠٧٦) الأعلى ٣

(١٠٧٧) الأنعام ١٤٩

(١٠٧٨) الانعام ٧١

(١٠٧٩) الكهف ١٧

ومعنى اسم « الهادى » فيما يقول العلماء : أنه هو الذى يهدى عباده لمعرفة وجوده بما أشهدهم من مخلوقاته ، ويهدى مخلوقاته الى مافيه حياتهم من قول وعمل ، سبحانه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

وكما هدى الله سبحانه الناس الى الحق ، هداهم إلى معرفة طرقهم فى الحياة ، وأعطاهم العقل الذى يميزون به بين الخير والشر والهدى والضلال ، ومنحهم من الإلهام والغرائز والطبائع والتفكير والقدرة مايسعون به فى الحياة كدحاً وجهاداً ودفاعاً وطموحاً . . قال ـ تعالى مبيناً نعمه على الانسان :

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ (١٠٨٠)

وقال ـ تعالى ـ

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٦٩﴾ (١٠٨١)

فالايحاء إلى النحل هو هدايتها إلى ماتفعل لتعيش وتقدم الخير لنفسها ولغيرها .

إن الله ـ جلت قدرته ـ يهدى الطفل بالغريزة الى البحث عن ثدى أمه ليلتقمه ، ويهديه إلى رفع يده دفعاً عن نفسه ، ويهدى الطير ليحضن بيضه حتى يفقس ، ويهدى الحيوان الى أن يبحث عن طعامه وإلفه والمكان الذى

(١٠٨٠) البلد ٨ : ١٠

(١٠٨١) النحل ٦٨ ، ٦٩

يأمن فيه ، ويهدى الحشرة الى الحفرة التى تختبىء فيها فرارا من الأذى وطلباً للمأوى ، ويهدى المفترس إلى فريسته ، ويهدى الفريسة إلى اتقاء المفترس ، وهدى الذكر إلى الأنثى والأنثى إلى الذكر للمحافظة على بقاء الجنس .

قال العلماء ـ فى تفسير قوله ـ تعالى ـ

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾(1082).

أعطى كل شىء صفاته التى يُعْرَف بها ، فقد خص سبحانه كل مخلوق بهيئة وصورة وشكل ، وأعطاه زوجه من جنسه ، وهداه الى مطعمه ومشربه ومسكنه .

قال ابن عباس : هداه إلى الألفة والاجتماع .

وقال غيره : أعطى كل شىء صورة خاصة به ، وخلق كل شىء فقدره تقديراً . . . . .

وله فى كل شىء خلقة وكذاك الله ماشاء فعل

ثم هدى المخلوق إلى استعمال ما أعطاه فيما خلق له ، فاليد للبطش ، والرجل للمشى ، واللسان للنطق ، والعين للنظر ، والأذن للسمع . وهكذا . .

ثم هداه أيضاً إلى معرفة العلوم والفنون والصناعات ـ فتبارك الله أحسن الخالقين .

وقال بعض العلماء : الهادى هو الذى يهدى خواص عباده إلى الحكمة والمعرفة ، سبحانه يهدى الناس إلى مافيه صلاحهم فى معاشهم ومعادهم ، كما يهدى المذنب إلى التوبة ، ويهدى جميع الحيوانات إلى جلب مصالحها

(1082) طه 50

ودفع مضارها بما أودع فيها من غرائز وإلهامات تستهدى بها فى حياتها ، وهو الذى يهدى الطفل إلى ثدى أمه والفرخ لالتقاط حبة ، والنحل لبناء بيتها على شكل هندسى ملائم لبدنها وأحوالها . والنمل للسعى فى جمع قوته ، والعنكبوت إلى نسج شباكه . . . وهكذا .

ويرى بعض العلماء أن اسم « الهادى » يمكن حمله على أنه المعبد للخلق طريق الحق بشريعته . . . .

ويمكن أن يكون مفسراً بنصب الدلائل . . . .

ويمكن أن يفسر بِخَلْق الهداية فى القلوب ، والهداية هى المعرفة كما قال ـ تعالى ـ

﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ (١٠٨٣)

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إن اسم الهادى يدعونا الى التأمل فى مظاهر الخلق التى تدلنا على قدرة الله ـ تعالى ـ الخارقة ، فيزيدنا ذلك إيمانا به ، وتوكلاً عليه ، والتجاء إليه وتوحيداً له . .

وقد دعانا الله الى أن نهتدى اليه عن طريق العلم . . . والعلم يدعو إلى الإيمان ، ولا قيمة لعلم لايهدى إلى قوة الايمان بالله .

وإذا كان كثير من العلماء الغربيين والشرقيين الذين لايدينون بالاسلام استطاعوا عن طريق عقولهم وعلمهم أن يهتدوا إلى الله ـ فمن باب أولى أن يكون ذلك للمسلمين الذين يقرءون كتاب ربهم فيجدون فيه قوله ـ تعالى ـ

(١٠٨٣) يونس ٢٥

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤﴾ (١٠٨٤)

ويجدون فيه أيضاً قوله تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ١٨٥﴾ (١٠٨٥)

وقوله ـ تعالى :

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٥٣﴾ (١٠٨٦)

وغير ذلك من الآيات التى تحض على التفكير وتدعو الى التأمل .

لقد ألف بعض العلماء الغربيين كتابا بعنوان « العلم يدعو الى الايمان » تحدث فيه عن كثير من المخلوقات العجماوات التى ألهمها الله عن طريق الغريزة الى الاهتداء إلى مايجب أن تسلكه طلبا للمأوى أو الطعام أو الأمان أو العودة إلى الأوطان ، ضاربا فى ذلك المثل بعصفور « الهزار » الذى يعشش فى بيوتنا ، ثم يهاجر فى الخريف جنوباً ، ويعود إلى عشه فى الربيع .

(١٠٨٤) البقرة ١٦٤

(١٠٨٥) الأعراف ١٨٥

(١٠٨٦) فصلت ٥٣

وهناك طيور تقطع آلاف الأميال فوق البحار دون أن تضل طريقها . وحمام الزاجل تطلقه فيعود الى موطنه الذى يبعد عنه مسافات شاسعة ، وهو بذلك يقوم بأجل الخدمات لنقل الرسائل من مكان إلى مكان . .

وقد وضع الله فى الإنسان الى جانب الغريزة عقلا يعينه على معرفة طريقه فى الحياة ، وبذلك ميزه على غيره ، فكان لزاما على الانسان أن يهتدى بذلك إلى خالقه ويشكره على نعمته ، ليكون جديراً بذلك التفضيل الذى أشار إليه الحق بقوله

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾(١٠٨٧)

وإذا مَنَّ الله على العبد ، بنعمة الهداية فعليه أن يعمل على هداية غيره - فذلك هو واجبه ومسئوليته ، وإن كانت الهداية بيد الله وحده ، إلا أن الله قد أمرنا أن نسلك الأسباب المؤدية إليها والله هو الهادى الى سواء السبيل . . . وهذه الأسباب هى التى دعا إليها الله بقوله :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(١٠٨٨)

الدعاء فى ظل هذا الاسم

قال العلماء : من أكثر من ذكر هذا الاسم بعد أداء الفرائض أمده الله بمدد عظيم ، ورزقه الهداية والتمييز .

(١٠٨٧) الإسراء ٧٠

(١٠٨٨) النحل ١٢٥

ومن كان فى حيرة من أمره وذكر هذا الاسم بكثرة ـ هداه الله الى أرشد أمره . . . ومن دعاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى لقنه لبعض أصحابه :

« اللهم أستهديك لأرشد أمرى ، وزدنى علما ينفعنى »

ومن مناجاة ابن عطاء الله :

« أنت الذى أشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك ، وأنت الذى أزلت الظلمة عن قلوب أحبائك ، أنت المؤنس لهم حيث تصيبهم الوحشة وأنت الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم »

ومن الدعاء الوارد فى ذلك أيضاً :

« اللهم اهدنى لنورك ، وأعطنى من فضلك ، وامنعنى من كل عدو لك ، ومن كل شيء يشغلنى عنك ، وهب لى لسانا لايفتر عن ذكرك ، وقلبا يسمع بالحق منك ، وروحا يكرم بالنظر إليك ، وسرا ممتعا بحقائق قربك . .

« اللهم كما خلقتنى فاهدنى ، وكما أمتنى فأحينى ، وهب لى علما يوافق رضاك ، وحكما يوافق حكمك ، واجعل لى لسان صدق بين عبادك ، واجعلنى من روثة جنتك . . . . »

وقال الشاعر أحمد مخيمر مناجيا ربه الهادى:

ياهـــادى النمــل إلــى بيتـــه   وهـــادى الطـفل الى ثــديه
وهادى العقل إلى ذاته   فهـــام بالمنشـــود من هديـــه
وراح يدعـــوك بتســـبيحه   فى قربــه منــك وفــى نأيـــه
يســعى إلى الأســرار فى حُجْبها   ليجـــنى الفرحـــة مــن ســعيه
لبيــك لبيـك فــأنت الــذى   تهــديه بالحكمـــة مــن غيــه

(١٠٨٩) أسماء الله لأحمد مخيمر ص ١٢٠

البـــديع

البديع من بدع ، ومعناه أنشأ شيئاً جديداً

ومعناه فى حق الله ـ تعالى ـ أنه الذى ابتدع الأشياء وأحدثها على غير مثال سابق ، فهو البديع الأول قبل كل شيء ، وقد يكون بمعنى مبدع . .

وقد ورد هذا الاسم فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ (١٠٩٠)

وفى قوله ـ تعالى ـ

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ (١٠٩١)

وقال العلماء فى تفسير هذا الاسم : هو ـ سبحانه ـ موجد الأشياء على غير مثال سابق . . . . . ويطلق على العبد أنه مبدع إذا ابتكر شيئا لم يكن مألوفا من قبل ، أو إذا أبدع فى صناعته بأن أتقن زخرفتها وتزيينها . .

ويطلق على الشيء بدعة إذا كان جديدا لم يعرف من قبل ، كما ورد فى قوله ـ تعالى ـ فى حق النصارى

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١٠٩٢)

(١٠٩٠) البقرة ١١٧

(١٠٩١) الأنعام ١٠١

(١٠٩٢) الحديد ٢٧

وجاء فى لسان العرب فى معنى البدعة : هى الحدث وما يبتدع فى الدين بعد الإكمال .

ولكن البدعة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة ـ فأما الحسنة فهى ما كانت فى ظلال ما أمر به الله ، وأما السيئة فهى ما كانت فى خلاف ما أمر الله به .

والبدعة الحسنة مثل ما قام به عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين دعا الناس الى الاجتماع على إمام واحد فى صلاة التراويح فى رمضان . وقال فى ذلك : نعمت البدعة هذه .

ومثل ذلك داخل فى نطاق قوله ـ ﷺ ـ : « من سن سنة حسنة كان له أجرها وآجر من عمل بها إلى يوم القيامة . . . » وفى ضدها قال « ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة »

والله البديع هو المنشىء للخلق على غير مثال ، وهو الذى أبدع صور المخلوقات وفطرها أولا ، وهو البديع الذى ليس كمثله شىء فى ذاته وصفاته وأفعاله ، فهو البديع المطلق أزلا وأبدا ، وهو المبدع لخلقه المظهر لعجائب صنعه .

قال الإمام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ : البديع هو الذى لا عهد بمثله ـ فإن لم يكن بمثله عهد لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ولا فى كل أمر راجع إليه ، فهو البديع المطلق وهو الحق ـ سبحانه وتعالى . .

قال : ولا يليق هذا الاسم إلا بالله ـ جل جلاله ـ فإنه ليس له قبل فيكون له مثل معهود قبله ، بل كل موجود بعده ، وكل موجود حاصل بإيجاده له

أما الامام الرازى - رضى الله عنه - فيقول : إن للبديع معنيين أحدهما : الذى لا مثيل له ولا شبيه .

والثانى : بمعنى المبدع - فعيل بمعنى مفعل - فكان أصله من - بدع - إلا أن العرب قد أبطلوا الفعل المجرد واستعملوا المزيد .

ومعناه أنه الذى فطر الخلق ابتداء على غير مثال سابق ، أو هو الذى أظهر عجائب صنعته وغرائب حكمته .

كيف يتأدب المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

متى تأمل المؤمن فى بديع خلق الله ازداد إيمانا بقدرته وعظمته ، فدله ذلك على أنه الواحد الذى لا يشركه أحد فى صنعته أو ملكه ، وعلى المؤمن إذا آتاه الله حظا زائدا من الملكات والمواهب تمكنه من الإبداع والاقتدار ، فعليه أن يستعمل ذلك فى الخير وهداية الخلق إلى الله . . .

فقد يستطيع الفنان بما أوتى من موهبة فنية أن يضع هذه الموهبة فى خدمة دينه ، كما فعل شعراء الإسلام من أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وغيرهم - فقد دافعوا عن الإسلام والمسلمين ، وعن رسول الله - ﷺ - بشعرهم حتى نزل فى ذلك قوله - تعالى -

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ (١٠٩٣)

(١٠٩٣) الشعراء ٢٢٤ : ٢٢٧

لقد كان النبى - ﷺ - يقول لحسان : قل وروح القدس يؤيدك .

وكان النبى - ﷺ - يهتز للكلمة الطيبة يقولها شاعر حكيم ، حتى لقد قال « إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا » وكان يستشهد بما يعجبه من شعر جيد . . . . مثل قوله : « أفضل كلمة قالها شاعر كلمة لبيد بن ربيعة ،

ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم زائل لا محالة »

وقد غير الرسول وزن الشطر الثانى وأصله . . وكل نعيم لا محالة زائل .

وربما عقب على ذلك بعضهم بقوله : إلا نعيم الجنة . .

والمؤمن الحق ، لا يبتدع ما هو خارج على الدين ـ امتثالا لقول النبى ـ ﷺ ـ « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »

وقد مربنا أن المقصود بالبدعة هنا ما خالفت الدين ولم تتفق مع أصوله ـ أما ما وافق الدين فليس بخارج عنه كما قال عمر فى جمع الناس فى قيام رمضان : نعمت البدعة هذه .

ولكن لفظ المبتدع يستعمل أكثر ما يستعمل فى الذم ـ وقانا الله شر البدع والابتداع ـ والمؤمن الحق هو الذى ينهج نهج نبيه - ﷺ - ونهج خلفائه الراشدين من بعده ـ ولا يخرج على جماعة المسلمين ، ولا يبتدع فى الدين ما ليس منه .

الدعاء فى ظل هذا الاسم

قال العلماء : من أكثر من ذكر هذا الاسم ألهمه الله الحكمة على لسانه ، ورزقه الله فنونا من العلم وقدرة على التصرف والإبداع .

ومن دعاء بعض الصالحين :

« يا شديد البطش باجبار يا قهار يا حكيم ـ نعوذ بك من شر ما خلقت ونعوذ بك من ظلمة البدع ، ونعوذ بك من كيد النفوس فيما قَدَّرت وأردت ، ونعوذ بك من شر الحساد على ما أنعمت ، ونسألك عز الدنيا والآخرة ، كما سألك نبيك سيدنا محمد ـ ﷺ ـ عز الدنيا بالايمان والمعرفة ، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة ، إنك سميع قريب مجيب »

ومن الأدعية بهذا الاسم أيضا :

« اللهم يا بديع السموات والأرض ، يا قيوم الدارين ، يا قيوما بكل شيء . . يا حى يا قيوم يا إلهنا لا إله إلا أنت اجعلنا فى جوارك واحفظنا من المعاصى فإنك ترى ولا يراك أحد من خلقك ، واصبب علينا من الخير أكمله وأجمله ، واصرف عنا من الشر أصغره وأكبره »(١٠٩٤)

ومن منظومة أسماء الله الحسنى . .

ويا هاد اهد إلى الحق قلبنا   بديع بكل اللمح أبدع لى توبتى

(١٠٩٤) درة الاسرار صـ ٩٠

البـــاقى

جاء فى لسان العرب : فى أسماء الله الحسنى « الباقى » ومعناه : الذى لا ينتهى وجوده أبدا - فهو الباقى الدائم . أبدى الوجود والبقاء .

والبقاء ضد الفناء .

وهذا الاسم لم يرد بلفظه فى القرآن الكريم ، ولكنه ورد فى سلسلة الأسماء التى وردت فى حديث رسول الله - ﷺ - ورقمه فى هذه السلسلة السادس والتسعون .

وقد وردت آيات كثيرة تتضمن هذا الاسم مثل قوله - تعالى -

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١٠٩٥)

وقوله - تعالى -

﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ ﴾ (١٠٩٦)

كما ورد ما يفيد أن نعيم الله الذى أعده للمؤمنين خير وأبقى مما فى الدنيا ، ومما عند الخلق - من ذلك قوله - تعالى -

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (١٠٩٧)

وقوله - تعالى

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ

(١٠٩٥) الرحمن ٢٧ ، ٢٨

(١٠٩٦) طه ٧٣

(١٠٩٧) النحل ٩٦

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾(١٠٩٨)

وقوله ـ تعالى

﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾(١٠٩٩)

قال العلماء فى معنى الباقى : هو الباقى بعد فناء خلقه ، واجب الوجود لذاته ، لا يقبل العدم ، ونحن إذا نظرنا حولنا رأينا الشمس تأفل ، والورد يذبل ، والدول تزول وتفنى ، وكم من أمم بكاملها أطلت عليها الحياة ثم توارت كأن لم تك شيئا ، وكم من مدن عديدة وقصور مشيدة ، شمخت بعلوها وقبابها إلى السماء ، ورآها بعض الناس فتحسروا لحرمانهم من أمثالها فلم يلبثوا أن رأوها قفراء تتوارى تحت التراب .

وكل الخلائق يمشون على الأرض فترة من الزمن ، ثم تعود فتحتضنهم فى جوفها ، بعد أن كانوا يتيهون فخرا وخيلاء فوقها ، فسبحان الله القديم أزلا والباقى أبدا والحى سرمدا .

حين أراد إبراهيم عليه السلام ـ أن يهدى قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب ، ويعتقدون أن بيدها الخير والشر والنفع والضر ـ وجه أبصارهم إلى خطأ فكرهم عن طريق التأمل والاستدلال . نظر إلى أحد الكواكب على مرأى ومسمع منهم فقال مشيراً الى الكوكب : هذا ربى .

ولم يلبث هذا الكوكب أن أفل وغاب . فقال إبراهيم فى تأفف وضيق : لا أحب الأفلين .

(١٠٩٨) القصص ٦٠

(١٠٩٩) الأعلى ١٧

فى الليلة التالية نظر الى القمر ، وقد رآه بازغا يملأ الأرض بنوره ، فقال له مخاطبا على مرأى ومسمع من قومه : هذا ربى ـ ولم يلبث القمر أن طواه الصبح ، وغاب عن الأنظار ، فقال إبراهيم مرشداً قومه الى التطلع الى الهداية : لئن لم يهدنى ربى لأكونن من الضالين . .

ثم نظر الى الشمس التى طوت القمر وأذهبت ضوءه ، وقال مخاطبا لها ، وقومه حوله يسمعون ويرون : هذا ربى ـ هذا أكبر . . ولكن لم يلبث أن جاء الليل فأذهب ضوء الشمس ولف الكون كله بظلام دامس .

فنظر إلى قومه وقال لهم فى يقين وصدق :

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٧٩﴾ (١١٠٠)

لقد بين إبراهيم ـ عليه السلام ـ لهم بطريق عملى أن الإله الحق لا ينبغى أن يطويه التغير أو الأفول أو الفناء . . . . لابد أن يكون الله باقيا دائما قادرا قويا محيطا مجيبا لعباده فى كل وقت ، لا يغفل عنهم ولا يغيب عن خواطرهم ليلا أو نهارا . .

وعلى الرغم من محاجة قومه له وتكذيبهم إياه إلا أنه كان ثابتا فى موقفه . لأن الحق معه ، والحجة تؤيده ، والله يسدد خطاه ويحفظه .

قال بعض العلماء : معنى ـ الباقى ـ أن الله ـ عز وجل ـ حى لا يموت ، موجود بذاته ، موصوف بالبقاء الأزلى .

(١١٠٠) الأنعام ٧٨ ، ٧٩

سبحانه هو الباقى ، وما سواه هالك آفل .. قال - تعالى -

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (١١٠١)

وما أصدق قول القائل :

فكل ما سواه نجم آفل — بل فى شهود الصالحين باطل(١١٠٢)

فلا دوام لغير الله - سبحانه وتعالى - ولا بقاء لشىء سواه .

ويقول الامام الغزالى - فى معنى اسم الله - الباقى - : الباقى هو الموجود الواجب وجوده بذاته ، ولكنه إذا أضيف الى الاستقبال كان باقيا ، واذا أضيف الى الماضى سمى قديما ، والباقى المطلق هو الذى لا ينتهى وجوده فى الاستقبال إلى نهاية . فهو أبدى الوجود - والقديم المطلق هو الذى لا ينتهى وجوده فى الماضى إلى أول فهو أزلى القدم - وقولنا واجب الوجود بذاته يتضمن جميع ذلك .

سبحانه هو الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا انتهاء .

هو الحق الباقى ببقائه — والخلق باق بإبقائه

والعلماء يقولون : الأزل هو الذى لا أول له ، والأبد هو الذى لا آخر له ، والسرمد هو الذى لا أول ولا آخر له .. والله - جل جلاله أزلى أبدى سرمدى .. فلا أول لقدمه ولا آخر لبقائه .. هو سرمدى .

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

إذا عرف المؤمن أن الله باق وأن ما سواه فان ، ترك الاعتماد على الفانى

(١١٠١) القصص ٨٨

(١١٠٢) روض القلوب المستطاب للشيخ حسن رضوان صـ٢

وعلقه على الباقى ∴ فالفانى لا يضر ولا ينفع ، ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، ولا يملك أن يدفع عن نفسه الشر أو يجلب لنفسه الخير . .

يروى الرواة أن بنى ثعلب وهم قوم من العرب كان لهم صنم يعبدونه ، فبينما هم ذات يوم إذ أقبل ثُعْلبانٌ يشتد ـ والثعلبان ذكر الثعالب ـ فأكل ما حول الصنم من خبز وزبد ، ثم رفع رجله وبال على رأس الصنم .

ورأى سادن الصنم واسمه غاوى بن ظالم ما حدث لصنمه على مرأى ومسمع منه ، فأقبل على هذا الصنم وكسره ، وجعله رفاتا وأنشد يقول :

لقد خاب قوم أمّلوك لشدةٍ أرادوا نزالا أو تكون تحارب

فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ولا أنت دفاع إذا حل نائب

أرب يبول الثعلبان برأسه ؟ لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ثم ذهب هذا الرجل إلى النبى ـ ﷺ ـ فقص عليه ما رأى ، وأنشده ما قال ، وأسلم على يديه ، فسأله ـ ﷺ ـ عن اسمه فقال : غاوى بن ظالم ، فقال له : « بل أنت راشد بن عبد ربه »(١١٠٣) .

واذا وثّق المؤمن اعتماده على ربه الباقى عاش فى أمن وأمان ـ مصداقا لقوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(١١٠٤)

الدعاء فى ظل هذا الاسم

قال العلماء : إن تكرار هذا الاسم فيه نجاة من الضر ، وقبول للأعمال ،

(١١٠٣) حياة الحيوان للدميرى حـ ١ صـ ٢٩١ مادة تعلب

(١١٠٤) الانعام ٨٢

وحفظ لما يتقلده العبد من أمر .

ومن الأدعية الواردة : سبحان الواحد الأحد ، سبحان الفرد الصمد ، سبحان الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

سبحان رب الملك والملكوت ، سبحان رب العزة والجبروت ، سبحان الحى الباقى الذى لا يموت .

ومن دعاء بعض الصالحين : ياسميع ياعليم ياقريب يامجيب يامحيط يادائم .

أنت الله الذى أسمعتنى طيب الكلام ، وكشفت لنا عن دلائل وجودك وعظيم قدرتك . . فأنت المحيط بكل شيء الباقى بعد فناء كل شيء .

إلهى . . أنت أقرب إلىَّ من تمييز عقلى ، ومن تصديق قلبى ، ومن خدمة نفسى ، ومن محبة روحى ، ومن شهادة سرى ، فأعوذ بك منك .

إلهى أنت الموفق لكل أمر ، والمهيىء لأسباب كل عمل ، لا إله إلا أنت ، تُقَوِّى من شئت لما شئت بما شئت ـ إنك على كل شيء قدير »(١١٠٥)

قال الشاعر أحمد مخيمر مناجيا ـ الباقى ـ جل جلاله ـ :

أزلــى لــذاك أنــت قديــم ... أبــدىٌّ لــذاك أنت البــاقى
إن هــذا الزمــان ـ كــلًّا وجــزءاً ... بعــض خلــق المهيمــن الخــلَّاق
والــذى لا يُحَــدُّ ، كيــف نــراه ... فى حـدودٍ ، وذاك محـض اختـلاق(١١٠٦)

(١١٠٥) درة الاسرار صـ ٩٩
(١١٠٦) أسماء الله لأحمد مخيمر ص ١٢٢

الوارث

قال ابن منظور : الوارث صفه من صفات الله ـ تعالى ـ فهو الباقى الدائم الذى يرث الخلائق ، ويبقى بعد فنائهم ، والله ـ عز وجل ـ يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، أى يبقى بعد فناء الكل ويفنى مس سواه ، فيرجع ما كان قد مَلَّكه للعباد إليه وحده لا شريك له .

وقد ورد اسم الوارث فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝٢٣ ﴾ (١١٠٧)

وفى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ ﴾ (١١٠٨)

وفى قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨ ﴾ (١١٠٩)

وورد مايفيد ذلك أيضا فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٤٠ ﴾ (١١١٠)

(١١٠٧) الحجر ٢٣
(١١٠٨) الأنبياء ٨٩
(١١٠٩) القصص ٥٨
(١١١٠) مريم ٤٠

وفى قوله - تعالى -

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠) ﴾ (١١١١)

ويقول العلماء فى معنى الوارث : إنه الذى يرجع اليه ملك كل من ادعى أن له ملكا من الخلق - وذلك بعد فناء خلقه ، لأن كل مولود سيموت ، وكل من يموت يورث ، وهو جل جلاله حيّ لا يموت يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . .

ولقد قال خير الوارثين لأن العباد جرت عادتهم أن يتوارثوا ، وقد يؤدى هذا التوارث إلى التخاصم أو التقاتل فيما بينهم ، فنبه الله بأنه هو الوارث الذى يرث الخلائق جميعا . . سبحانه هو الباقى بعد جميع خلقه ، وهذا البقاء يقتضى الميراث ، وهو فى الحقيقة ليس ميراثاً بالمعنى المعروف لنا - لأن الله سبحانه - هو مالك الأشياء أولا وآخرا . لقد وهب الله الخلائق ما وهب على سبيل المنح والعارية ، وبعد فنائهم عاد الملك إلى المالك الحقيقى ورجع كل شىء إلى أصله . .

﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) ﴾ (١١١٢)

لا ينازعه أحد فى ملكه ، ولا يشاركه أحد فى خلقه . وكيف ينازع

(١١١١) آل عمران ١٨٠

(١١١٢) غافر ١٦

المخلوق الخالق ؟ أم كيف يخاصم الفانى الباقى ؟

والوارث من الخلق يُوَرِّثه غيره ، وتختلف مقادير الميراث بين الورثة على حسب مراتبهم وعصبتهم وقرابتهم ، وقد يحجب أحدهم على حسب ما تقتضيه أصول الشريعة . أما الله - جلت قدرته . فلا أحد يُوَرِّثه ، ولا حاجب يحجبه ، ولا وارث آخر يشاركه . .

بل إن قدرته اقتضت أن يُوَرِّث من يشاء لمن يشاء ولما يشاء .

فالأرض ملكه يعطيها من اقتضت إرادته ذلك .

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨ ﴾ (١١١٣)

فهذه أمم ترث أمما أخرى ، وهؤلاء ملوك يبيدون وآخرون يتملكون ، وخلائق يتلو بعضها بعضا .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ١٧ ﴾ (١١١٤)

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٦ ﴾ (١١١٥)

وليس الميراث قاصرا على أعراض الدنيا ، فميراث الحكمة والعلم أبقى وأعظم وأرفع شأنا . وقد ورث سليمان داود - عليهما السلام . . . قال

(١١١٣) الأعراف ١٢٨

(١١١٤) الاسراء ١٧

(١١١٥) آل عمران ٢٦

ـ تعالى ـ

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ (١١١٦)

وأورث الله الكتاب والحكمة لأوليائه . . . قال :

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١١١٧)

والجنة يورثها الله لعباده الصالحين قال ـ تعالى

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (١١١٨)

فقد قال علماء التفسير : إن الأرض هنا هى أرض الجنة ، وهى الجديرة بأن يرثها الصالحون .

أما أرض الدنيا فيرثها البر والفاجر .

وهذا التفسير يتناسب مع قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ (١١١٩)

(١١١٦) النمل ١٦

(١١١٧) فاطر ٣٢

(١١١٨) الأنبياء ١٠٤

(١١١٩) الزمر ٧٤

ويقول بعض العلماء فى معنى الوارث :

الوارث هو الذى ترجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك ، وذلك هو الله ـ تعالى ـ لأنه الباقى بعد فناء خلقه ، وإليه مرجع كل شيء ومصيره .

وقال الرازى : اعلم أن مالك جميع الأشياء هو الله ـ تعالى ـ ولكن بفضله جعل بعض الأشياء ملكا لبعض عباده . .

كيف يتخلق المؤمن بأدب هذا الاسم ؟

المؤمن إذا أدرك ضرورة الفناء ، وأنه لابد وأن ينتهى أجله إن عاجلا وإن آجلا ، وأنه سوف يترك ما فى ملكه إلى يد غيره ـ دعاه ذلك إلى عدم الإمساك والتقتير ، وأسلمه إلى الإحسان ما وسعه إلى ذلك سبيل . وجعله يتقى الله فيما خوله ، فلا يميز أحدا من ورثته على أحد قبل أن يحين أجله . كما يفعل بعض الناس الذين يفضلون بعض أولادهم على بعض فيخصونهم بجزء من التركة ، وهذا ظلم بين .

والمؤمن الحق يعرف أن متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير وأبقى ، فلنطلب من الميراث ما هو أحسن وأخلد وأعظم بقاء .

وخير ميراث فى الدنيا هو ميراث العلم ـ مصداقا لقول النبى ـ ﷺ ـ « العلماء ورثة الأنبياء » والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، ولكنهم ورثوا العلم والحكمة . والحكمة فيها الخير الكثير ـ قال تعالى :

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾(١١٢٠)

(١١٢٠) البقرة ٢٦٩

الدعاء فى ظل هذا الاسم

خير دعاء فى هذا هو دعاء زكريا عليه السلام - فى قوله الذى حكاه لنا القرآن الكريم .

« رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين »

ويمكن أن يدعو به من له ذرية ، وهو صاحب علم يريد أن يبقى هذا العلم فى عقبه . .

ويفيد هذا الاسم فى الدعاء بدفع الشر وجلب الخير .

ومما ذكره بعض الصالحين فى دعائه بهذا الاسم .

« إلهى أنت الوارث للعباد - أشرق على قلبى نور اسمك الوارث الدائم ، حتى أرى الكل لك وأقبل عليك . . « ورثنى علوم أنبيائك ، وأسرار أصفيائك ، ومواهب أهل سمائك وورثنى أرض العبودية فى نفسى . إنك على كل شيء قدير »

ومن مناجاة الشاعر أحمد مخيمر : -

الملك للمالك سبحانه فمنه يعطى وإليه يعود
وإرثه من بعد . . ما للورى شىء به ، حتى ولا ظل عود
لم يعطه إلا لشكرانه والله بالشكر علينا يجود
لنفعنا يخلقه لا له لكى نرى قدرته فى الوجود
الواحد القهار سبحانه ليس لآباء لنا أو جدود(١١٢١)

(١١٢١) أسماء الله لأحمد مخيمر صـ ١٢٤

الرشـــيد

لم يرد هذا الاسم بلفظه فى القرآن الكريم ، ولكنه ورد فى سلسلة الأسماء التى جاءت فى الحديث الشريف ، ورقمه بينها هو الثامن والتسعون ـ والرشيد ـ فعيل ـ من رشد

والرشد هو الصلاح والاستقامة ، وهو فى مقابلة الغى والضلال .

ومعناه أن الله حكيم فى أفعاله وأقواله ، مدبر للأمور أحسن تدبير مقدر لها أحسن تقدير ، لا مشير له يستشيره ، ولا نظير له يهديه ـ سبحانه هو الفاعل المختار ـ

وهو سبحانه واهب الرشد لمن يشاء ـ يدل على ذلك ما ورد فى القرآن الكريم ـ حيث يقول طالبوا الهداية والرشد

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ (١١٢٢)

والله ـ سبحانه وتعالى ـ يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، فمن هداه فقد أصاب التوفيق والرشد ، ومن أضله فلا مرشد له . . . . . قال ـ تعالى ـ

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ (١١٢٣)

والله ـ سبحانه وتعالى ـ بين للناس طريق الحق والرشد على ألسنة أنبيائه ورسله ، فما من أحد إلا ويعلم الهدى والضلال . . .

(١١٢٢) الكهف ١٠

(١١٢٣) الكهف ١٧

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦ ﴾ (١١٢٤)

وهو يهب الرشد لمن يشاء . . . قال ـ تعالى ـ فى حق ابراهيم ـ عليه السلام

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ ﴾ (١١٢٥)

والإيمان هو طريق الرشاد لمن أراد أن يسلك السبيل إليه .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ۝١٨٦ ﴾ (١١٢٦)

وقال بعض العلماء فى معنى الرشيد : إنه المتصف بكل كمال ، عظيم الحكمة بالغ الرشاد ، الذى تتجه تدبيراته إلى غاية الصواب والسداد .

سبحانه هو الذى يرشد الخلق ويهديهم الى ما فيه صلاحهم ، ويوجههم بحكمته الى ما فيه خيرهم ورشادهم فى دنياهم وأخراهم .

ويرى الإمام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ أن الرشيد هو الذى تنساق تدبيراته إلى غاياتها من سنن السداد ـ وذلك هو الله ـ تعالى ـ

أما رشد العبد فإنه يتم عن طريق غيره الذى يرشده ويسدده ويوجهه إلى طريق الرشاد

كيف يتخلق العبد بأدب هذا الاسم ؟

يكون المؤمن رشيدا إذا تدبر عاقبة أمره ، وأخذ من دنياه لآخرته ، ومن

(١١٢٤) البقرة ٢٥٦

(١١٢٥) الأنبياء ٥١

(١١٢٦) البقرة ١٨٦

صحته لمرضه ، ومن شبابه لكبره ، ومن قوته لضعفه ، ومن فراغه لشغله .

وأن يحسن الاستماع لأقوال الناصحين ، ودعوات الداعين ليعمل بما فيها من أوجه الصواب والسداد ، فما ندب الله الناصحين من الرسل وأتباعهم إلا للهداية إلى سبل الصلاح والرشاد ، جاء في القرآن الكريم حكاية عن مؤمن آل فرعون :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١١٢٧)

وقد زعم فرعون أنه يهدى قومه إلى سبيل الرشاد ، وهو فى الحقيقة يجرهم إلى الغواية والضلال ـ وشتان بين دعوة الحق ودعوة الضلال . . فدعوة الحق منجية ، ودعوة الضلال مهلكة . . . وكم من دعوة باطلة زينت لها الحجج ، وزخرفت لها البراهين ، وركبت لها الأسانيد ، ولذلك كانت مهمة العقل كبيرة ، فهو الذى يوازن بين الأقوال والأفعال ، مستلهما من الله الصواب ليهديه إلى طريق الحق والرشاد .

ومتى استبان له ذلك الطريق سار آمنا مطمئنا تشمله عناية الله ورحمته :

وإذا العناية لا حظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهن أمان

الدعاء فى ظل هذا الاسم

لقد علمنا الله أن ندعوه ، ووضع أمامنا أمثلة من الدعاء الصالح الذى ينير أمامنا الطريق . فقد جاء على لسان الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم الله هدى ـ قوله ـ تعالى ـ

﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ (١١٢٨)

(١١٢٧) غافر ٣٨ ، ٣٩   (١١٢٨) الكهف ١٠

فكرِّرْ هذا الدعاء، واتخذه سلاحاً يقيك العثرات وينجيك من الهفوات ويأخذ بيدك إلى أفضل الطرقات . .

وادع الله أن يلهمك الرشد فى أمرك والتوفيق فى حياتك ويرزقك الأمن والسلامة والعافية فى حياتك . .

وأكثر من ذكر الله فهو خير سلاح يحفظك من الأهواء ونزغات الشيطان ، قال ـ تعالى ـ

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١١٢٩)

وقال ـ تعالى ـ

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (١١٣٠)

ومن الدعاء الذى يستمد من هذا الاسم الذى يستشعر المؤمن فى ظله الأمن والعافية قول الشاذلى ـ رحمه الله ـ

« اللهم إنا نسألك لسانا رطبا بذكرك ، وقلبا منعما بشكرك ، وبدنا هينا لينا بطاعتك ، وأعطنا مع ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، كما أخبر به رسولك ـ ﷺ ـ حسبما عَلَّمته بعلمك ، وأغننا بلا سبب . . . فأنت الغنى ونحن الفقراء إليك

ومن دعاء النبى ـ ﷺ ـ الذى علمه لبعض أصحابه :

« اللهم أستهديك لأرشد أمرى وزدنى علما ينفعنى .

ومن مناجاة الشاعر أحمد مخيمر : ـ

كل الذى فى الكون دبرته يمضى إلى غاياته لا يحيد
تخلق ما شئت نواميسه حرية ، ليس عليها مزيد
وتجعل الأسباب أسراره بحكمة عليا ، وعلم سديد
سبحانك اللهم من خالق نسعى إليه ، وحكيم رشيد
إن قلت كن يكون ـ من ذا الذى يريد إن كنت إلهى تريد »(١١٣١)

(١١٢٩) الرعد ٢٨ (١١٣٠) الكهف ٢٤ (١١٣١) أسماء الله لأحمد مخيمر صـ ١٢٥

الصَّبــــور

جاء فى لسان العرب : فى أسماء الله تعالى ـ الصبور ـ وهو الذى لايعاجل العصاة بالانتقام . وهو من أبنية المبالغة ، ومعناه قريب من الحليم .

والفرق بين الصبور والحليم أن المذنب لايأمن العقوبة فى صفة الصبور كما يأمنها فى صفة الحليم .

ولم يرد هذا الاسم بلفظه فى القرآن الكريم ، ولكنه ورد فى سلسلة الأسماء التى جاء بها الحديث الشريف ، وهو الاسم التاسع والتسعون وهو خاتمة هذه السلسلة الطيبة المباركة .

ومعنى هذا الاسم ـ كما يقول العلماء ـ أنه الذى لايعجل بالعقوبة على من عصاه ، فهو ـ سبحانه ـ يمهل ولكنه لايهمل ـ ويملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

وهذه حكمة عظيمة ، فحلمه الواسع يحول دون التعجيل بالعقوبة ، لعل العبد المذنب يتوب فيتوب الله عليه ، ولعله يقلع عن الذنب فيبدل الله سيئاته حسنات . . ولاحرج على فضل الله . . وهناك من يعمل بعمل أهل النار حتى لايبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فينجو من العذاب .

وقال العلماء أيضا فى معنى الصبور : إنه الذى يلهم الصبر لجميع خلقه ، وهو ـ سبحانه ـ الصابر على مالا يرضاه من عباده ، لاتستفزه المعاصى ، ولا يعجل بالعقوبة على من عصاه ـ سبحانه ـ إذا أعرضت عنه بالعصيان أقبل عليه بالعفو والغفران .

ويقول الإمام الغزالى فى معنى الصبور : هو الذى لاتحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه ، بل ينزل الأمور بقدر معلوم . ويجريها على سنن محدود ، لايؤخرها عن آجالها المقدرة لها ولايقدمها على أوقاتها بل يودع .

كل شيء فى أوانه على الوجه الذى يجب أن يكون ، وكما ينبغى أن يكون دون مقاساة أو مغالبة .

ومن هنا يظهر الفرق بين صبر الرب وصبر العبد ، فان صبرالعبد لايخلو من مقاساة ومغالبة ، لأن معنى صبر العبد هو ثبات داعى العقل أو الدين فى مقابلة داعى الشهوة والغضب ، فإذا جاذبه داعيان متضادان فترك الداعى الى الاندفاع والتسرع غير المحمود ، ومال الى باعث التأخير - سمى صبورا - إذ جعل باعث الاندفاع مقهورا .

ومعنى الصبر عند اللغويين حبس النفس عن الجزع .

ويتعدى هذا الفعل بعن ، كما يتعدى بعلى ، فتقول : صبر عن الشهوة وصبر على الطاعة ، وقد يتعدى بنفسه فتقول : صَبَرَه عن الشيء صَبْرا إذا حبسه .

وقد وردت مادة الصبر فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، وهى فى جملتها تثنى على خُلِق الصبر ، وتمدح المتصف به .

وهذا يفتح الطريق أمامنا الى التأدب بهذا الخلق العظيم والتحلى به .

فمن الأيات الواردة فى فضل الصبر قوله - تعالى -

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (١١٣٢)

(١١٣٢) الشورى ٤٣ وأنظر الآيات التى وردت فى فضل الصبر . .
الاحقاف ٣٥ - الرعد ٢٢ ، ٢٤ - المؤمنون ١١١ - الفرقان ٧٥ - القصص ٥٤ - الإنسان ١٢ - محمد ٣١ - العنكبوت ٢ ، ٣ - البقرة ١٥٥ : ١٥٧ - آل عمران ٢٠٠ - الفرقان ٢٠

ولقد جمع المؤمن الصابر كثيرا من الفضائل ، ويكفى أن يقول النبى - صلى الله عليه وسلم - عن الصبر - إنه نصف الإيمان .

أن كل فضيلة من الفضائل لها ثواب معلوم وأجر معروف ماعدا الصبر - فقد قال الله فيه .

﴿ انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ﴾ .

لقد قال الله عن الصبر : انه من صفات أولى العز من الرسل وهذه فضيلة من فضائله .

وكما أثنى الله على الصابرين أثنى عليهم - أيضا - النبى - صلى الله عليه وسلم - وقال فى حق الصبر :

﴿ ثلاث يدرك بهن العبد رغائبه فى الدنيا والآخرة : الصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والدعاء فى الرخاء ﴾

وكذلك ذكره الصالحون بما ينبغى له من فضيلة عند الله ، ومنزلة يرتفع بها الصابر إلى أعلى الدرجات .

قدم حاتم الأصم على الإمام أحمد بن حنبل ، فقال له الإمام أحمد : أخبرنى كيف التوصل إلى السلامة من الناس ؟

قال حاتم : بثلاثة أشياء : تعطيهم من مالك ، ولاتأخذ من مالهم ، وتقضى حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك عليهم .

وتصبر على أذاهم ولاتؤذيهم .

قال الإمام أحمد : إنها لصعبة .

فقال حاتم : وليتك تسلم .

الدعاء فى ظل هذا الاسم :

لقد علمنا الله الدعاء فى ظل هذا الاسم . . . . فقال فيما أورده القرآن

الكريم :

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ۝١٢٦ ﴾ (١١٤٦)

وعلمنا أن نقول عند الشدائد والبلايا ﴿ إنا لله وإنا اليه راجعون ﴾ ووعد بحسن المثوبة على ذلك فقال ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾

ومن الأدعية المأثورة

(اللهم رضنا بقضائك ، وصبرنا على بلائك وأوزعنا شكر نعمائك)

ومنها : اللهم احرسنى بعينك التى لاتنام ، واكنفنى بكنفك الذى لايرام واغفرلى بقدرتك فلا أهلك وأنت رجائى .

رب كم من نعمة أنعمتها علىَّ قلَّ لك بها شكرى ، وكم من بلية ابتليتنى بها قل لك عندها صبرى ، فيامن قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ، ويامن قل عند ابتلائه لى صبرى فلم يخذلنى ، ويامن رآنى على الخطايا فلم يفضحنى ، ياذا المعروف الذى لاينقضى أبدا ، وياذا النعماء التى لاتحصى عددا ، أسألك أن ترزقنى الصبر عند البلاء، والشكر عند النعماء ، إنك على كل شىء قدير . .

ومن ذلك أيضا :

اللهم فارج الهم ، وكاشف الغم ، ومجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا والأخرة ورحيمهما ، أنت الرحيم فارحمنى برحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك(١١٤٧) .

ـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آهله وصحبه وسلم ـ

(١١٤٦) الأعراف ١٢٦

(١١٤٧) رواه البزار والحاكم عن عائشة رضى الله عنها

فهرس القصص القرآنى

انتهى المجلد السادس عشر
أسماء الله الحسنى

ويليه بتوفيق من الله

المجلد السابع عشر

وأوله :

« مصر فى القرآن الكريم »